الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغاء دار السعادة
الشريفة لسنة ثمان وعشرين
ومائة والف



[redacted]

هذه النسخة الجليلة والمحلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
ساحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العناية
مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل
حائز مجامع البر الاكمل الا وهو اغاء دار السعادة الحاج بشير
وقفه للخير المزيد والبر الكثير من هو على كل شيء قدير
حرره الفقير الى الله سبحانه وتعالى محمد امين المفتش
با وقاف الحرمين المحترمين
عفى له



٥٤٤





الحمد لله الذي اختص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتاب
أخرس الفصحا وأعجز البلغا عن التفوه بمثل أقصر سورة من سوره
بل آية من آياته ❁ وبجوامع الكلم وبدايع الحكم وعظيم الخلق في
ساير أقواله وأفعاله وحالاته ❁ وخرق له خوارق او جود بمعجزاته
أبهرت العقول وقصر عن إحصايها استقصا المادحين لسيره
وآياته ❁ وبخصوصيات قطعت الخلايق عن أن يصلوا الشاو علاه
وكمال شرفه وشرف كمالاته ❁ وبأماثل سطع نورها بدور وجوده ❁
في أفق سعوده ❁ وأفاض عليها فايض جوده في عالم شهوده فأنار من
أملاكها وعقولها وكمل من أقبالها وقبولها وزين من بديع فصا
حتها وعجيب بلاغتها ❁ وداض ما استصعب من أبالها وأغاض ما
أشرأب من نوبها ما صارت به خير الأمم والعدول الشهود
على من عليهم تقدم بنص القرآن القطعي البرهان القاصم لظهر
المعاند وبرهانه ❁ وأوجب على الكافة غاية تعظيمه ومنه
ذكر مناقبه ومآثره وبيان أوصافه السنية وأحواله العلية
وخصايصه ومعجزاته ❁ ولذلك ذهب الناس في هذه الفنون

كل مذهب



كل مذهب ❁ وأظهروا تعظيمه نظما ونثرا سرا وجهرا كما وجب
لجنابه بلحظه واسعافه وأمداداته ❁ وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة أنتظم بها في سلك أهل آياته ❁
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المحبو منه بخوارق
هباته ❁ والمفوض إليه أمداد الأنبيا والمرسلين والملايك المقربين
بمعالي القرب وبيناته ❁ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه حماة
الدين القويم عن زيغ كل زايغ وبغي بغاته ❁ وهداة الخلق إلى
الصراط المستقيم بإيضاح كلياته وجزئياته ❁ صلاة وسلاما
دايمين بدوام نعم الله سبحانه وتعالى على خواصه وأهل طاعاته ❁
وبعد فمما تعين على كل مكلف أن يعتقد أن كمالات
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصى ❁ وأن أحواله لا تستقصى ❁ وأن
خصايصه ومعجزاته لم تجتمع قط في مخلوق ❁ وأن حقه على الكمل
فضلا عن غيرهم أعظم الحقوق ❁ وأن لا يقوم ببعض ذلك إلا
من بذل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه واستجلا مناقبه
ومآثره وحكمه وأحكامه ❁ وأما المادحين لجنابه العلي الواصفين
لكماله الجلي لم يصلوا إلى قل من كل لا حد لنهاياته من قبل لا
وصول إلى غاياته ❁ ومن ثم كان أبلغ بيت هذا المطلع الآتي كما
يعلم مما يأتي في بردة المديح ❁ فإن فضل رسول الله ليس له حد ❁
ثم يليه ❁ دع ما ادعته النصارى في نبيهم ❁ واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
ثم يليه ❁ فاق النبيين في خلق وفي خلق ❁ ولم يدانوه في علم ولا كرم
فهم مقصرون عما هنالك قاصرون عن أدا كلما يتعين من
ذلك ❁

وصفاته وشمايله

كيف وأي الكتاب مفصحة عن علاه بما بهر العقول ومصرحة
من صفاته بما لا يستطاع اليه الوصول ۝ ماذا عسى الشعرا يمتدحون
من بعد ما مدحت حم تنزيل ۝ **فعلم** انه لو بالغ الاولون
والاخرون في احصا مناقبه لعجزوا عن احصا ما جابه مولاه الكريم
من مواهبه ولكان المسلم بساحل بحرها مقصر عن حصر بعض
نحرها **ولقد** صح لمحبيه ان ينشد وانه على تفنن واصفيه
يفني الزمان وفيه ما لم يوصف ۝ وانه لحقيق بقول القايل

فما بلغت كف امري متناولا ۞ من المجد الا والذي نال اطول
ولا بلغ المهدون في القول مدحة ۞ ولو حذقوا الا الذي فيه افضل

ولابن خطيب الاندلس

مدحتك ايات الكتاب فما عسى ۞ يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله اثنى مفصحا ۞ كان القصور قصار كل فصيح

وقد روي العارف المحقق السراج بن الفارض السعدي رضي الله عنه
في النوم فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم أي بالتصريح
والا فنظمه في الحقيقة اما في الحضرة الالهية أو فيه صلى الله عليه وسلم

فقال

أرى كل مدح في النبي مقصرا ۞ وان بالغ المثني عليه واكثرا
اذا الله اثنى بالذي هو أهله ۞ عليه فما مقدار ما تمدح الورى

قال البدر الزركشي ولهذا لم يتعاط فحول الشعرا المتقدمين
كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم وكان عندهم
من أصعب ما يحاولونه فان المعاني وان جلت دون مرتبته
والاوصاف وان كملت دون وصفه وكل علو في حقه تقصير

فيضيق

فيضيق على البليغ النطاق فلا يبلغ الا قليلا من كثيره هذا
وان ابلغ ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم من النظم الرايق
البديع وأحسن ما كشف به عن كثير من شمايله من الوزن الفايق
البديع وأجمع ما حوته قصيدة من مأثره وخصايصه ومعجزاته
وأفصح ما أشارت اليه منظومة من بديع كمالاته ما صاغه
صوغ التبر الاحمر ونظمه نظم الدر والجوهر **الشيخ الامام**
العارف الكامل الهمام المفنن المحقق البليغ الاديب المدقق
امام الشعرا وأشعر العلما وبليغ الفصحا وأفصح الحكما الشيخ
شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله
ابن صنهاج بن هلال الصنهاجي كان احد أبويه من بوصير
الصعيد والاخر من دلاص فركبت النسبة فقيل الدلاصيري
ثم اشتهر بالبوصيري قيل ولعلها بلد أبيه فغلبت عليه **ولد**
سنة ثمان وستماية واخذ عن الامام أبو حيان والامام اليعمري
أبو الفتح بن سيد الناس ومحقق عصره العز بن جماعة وغيرهم
وتوفي سنة ست أو سبع وتسعين وستماية لكن صوب
شيخ الاسلام العسقلاني انه سنة اربع وتسعين والتوفي
سنة احدى وثمانين وسبعماية وكان من عجايب الله تعالى
في النثر والنظم ولم يكن له الا قصيدته المشهورة بالبردة
التي تسبب نظمها عن وقوع فالج به أعيى الاطبا ففكر في
اعمال قصيدة يتشفع بها اليه صلى الله عليه وسلم الى ربه
فانشأها فرآه ماسحا بيده الكريمة عليه فعوفي لوقته

ثم لما خرج من بيته لقيه صالح فطلب منه سماعها فعجب اذ لم يخبر
بها احد فقال سمعتها البارحة تنشد بين يديه صلى الله عليه وسلم
وهو يتمايل كتمايل القضيب فاعطيته اياها **وقيل** انه اشتد رمده
بعد نظمها فراى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقرا عليه شيا منها
فتفل في عينيه فبرئ لوقته وكفاه ذلك شرفا وتعدما كيف
وقد ازدادت شهرتها الى ان صارت الناس يتبركون بها في البيوت
والمساجد كالقران **وكان** يعاني صنعة الكتابة على الحمايات
وباشر بلبيس الشرقية ثم ترك ذلك وصحب القطب العارف ابا العباس
المرسي رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة منقلبه ومثواه فعادت
عليه بركته وساعده لحظه وهمته الى ان فاق اهل زمانه
ورزقه الله من الشهرة والحظ ما لم يصل اليه احد من اقرانه
فرحمه الله رحمة واسعة ورضي عنه ومن قصيدته الهمزية المشهورة
العذبة الالفاظ الجزلة المباني العجيبة الاوضاع البديعة
المعاني العديمة النظير البديعة التحرير اذ لم ينسج احد على منوالها
لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها وبراعة كمالها
الاخذ بازمة العقول الجامع بين المعقول والمنقول ولا وصل
الى حسنها وكمالها حتى الامام البرهاني القيراطي المولود سنة ست
وعشرين وسبعماية والمتوفي سنة احدى وثمانين وسبعماية فانه مع
جلالته وتضلعه من العلوم النقلية والعقلية وتقدمه
على اهل عصره في العلوم العربية والادبية لا سيما علم
البلاغة ونقد الشعر واتقان صنعته وتمييز حلوه ومره

صناعة

وبدايته

٣

وذلك لطلاوة نظمها وحلاوة رسمها وتعجب
وبلاغة جمعها وبراعة صنعها وامتلا الخاطر بحب
بانوار جمالها واوصاف دقائق اهل الكتابة
جلالها فهي دون نظائرها الاخذة بازمة العقول
الجامعة بين المعقول والمنقول والحاوية لكثير من المعجزات
والحاكية للشمائل الكريمة على سنن قطع اعناق اوكار الشعرا
عن ان تشرئب الى محاكاة تلك المحكيات

وبدايته ونهايته اراد ان يحاكيها ففاته الشنب فقطعه
به الحيلان يبلغ معارضيها ادنى ارب السالمة من عيوب
الشعر من حيث فن العروض كادخال عروض على اخرى وضرب
على اخر ومن حيث فن القوافي كالايطاء وهو تكرير لفظ القافية
بمعناه قيل سبعة ابيات وقيل عشرة وكالاكفاء وهو اختلاف
حروف الروي والاقواء وهو اختلاف حركته لكنها وان شرحت
وتعاورتها الافكار وخدمت تحتاج الى شرح جامع ودر
مانع يجلو عرائس ابكارها على منصات الالباب مع الانس
ويظهر محجبات اسرارها ظهور الشمس في رابعة النهار ويفتح
مغلقات معمياتها عما يوجب القصور والعثار وينبه على
نفائس فرائدها ويعرب عن غرائب تعقيدها ويفصح عن
فنون بلاغتها وبدائع تانيقها وتشييدها **فاستخرت** الله
في شرح كذلك وان كنت لست هنالك راجيا ان اندرج
في سلك خدمة جنابه صلى الله عليه وسلم وان اطوق والحق
بسببه سوابغ نعمه ومدده الاعظم ومستعينا بالله متوكلا
عليه ومفوضا سائر اموري اليه وسائلا منه بدائع الطافه
وتتابع الطافه وتيسير هذا المطلب وانجاح هذا المارب
انه الجواد الكريم الرؤف الرحيم **وسميتها**
المنح المكية في شرح الهمزية ثم بلغني ان الناظم سماها
بام القرى تشبيها لها بمكة على انها احتوت بطريق التصريح
والايما على ما في اكثر المدائح النبوية وحينئذ سميتها

المطالب

نجاح

افضل القرى لقرى ام القرى وقد بين شارحها الامام المحقق
في العلوم الآلية والشرعية الشمس الجوجري شيخ مشايخنا رحمه الله
تعالى وشكر سعيه ولا اعلم شارحا لها غيره بحرها وعروضها وضربها
وقافيتها وما يدخلها من العلل والزحاف بما اطال فيه لكن ليس
له كبير جدوى هنا لان من يعرف فن العروض وتوابعه لا يحتاج
اليه الا لمجرد التذكير ومن لا يعرفه يستوي عنده ذكر ذلك
وحذفه اليسير منه والكثير وخلاصته شيء منه انها من بحر الخفيف
وهو مركب من ستة اجزاء سباعية الحروف فاعلاتن مستفعلن
فاعلاتن وقد يدخله الخبن في مستفعلن الى مفاعلن لانه اخف
بل وفي جميع اجزائه فيحذف ثاني كل وهو حسن والكف وهو حذف
سابعه من البعض او الكل غير السابع اذ لا يوقف على متحرك وهو
صالح وقد يجتمعان وهو قبيح ويدخله التشعيث بان تعقد
صورة الوتد فيصير مفعولن على صورة ثلاثة اسباب خفيفة
ووقع في كثير من ابيات هذه القصيدة وهو من جملة الزحاف
وان اجري مجرى العلل وقافيتها من المتواتر وهو ما فصل بين
ساكنيها حرف واحد متحرك اذ ليس ههنا بين الالف والواو
الساكنين سوى الهمزة التي هي الروي والقافية قبل اخر كلمة من
البيت والاصح انها من اخر حرف متحرك منه قبل ساكنين فقافية
البيت الآتي على الاول لفظ سماء وعلى الاصح من الميم منه وتشري
كثرة ما راعاه الناظم من انواع البديع لا سيما الاقتباس
القرآني لكن فيه كلام منتشر وخلاصة الحق منه انه مجمع على جوازه

كما قاله بعض المتاخرين المطلعين قال وقد استعمله العلماء قاطبة
في خطبهم وانشاءاتهم واستنكره قوم جهال منهم بالمنصوص
والمنقول فقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث
له والصحابة والتابعين والعلماء قديما وحديثا ونصوا في كتب
الفقه عليه وزعم بعض المالكية منعه بردة استعمال
مالك رضي الله عنه ونص على جوازه غير واحد منهم كابن عبد البر
وعياض وقد نقل الشيخ داود الباجلي اتفاق المالكية والشافعية
على جوازه في شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي التصريح بجوازه
ولا فرق فيه بين ان يزاد على لفظ القرآن او ينقص منه او يغير اعرابه
اولا قال السكاكي اعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه
كاستقامة الوزن وكالملاحة ولا طريق لتحصيله لغير ذوي الفطن
السليمة الا بالتمرن في علمي المعاني والبيان وقال غيره لا تدرك معرفة
الفصيح والافصح والرشيق والارشق الا بالذوق ولا يمكن اقامة
الدليل عليه كما ان التي ادون في المحاسن قد يكون احلى منها ما في العيون
والقلوب ولا يدرك سبب ذلك ولكنه يدرك بالذوق والمشاهدة
واهل الذوق ليسوا الا الذين اشتغلوا بعلم البيان ووافقوا
وارضوا
انفسهم بالرسائل وبالخطب وبالكتابة والشعر وصارت لهم
بذلك دربة وملكة تامة فاليه يرجع في فضل بعض الكلام على بعض
ولكون علم المعاني والبيان والبديع بهذه المثابة كان قديما صنعة
الشعر ونقد الشعر ونقد الكلام وتسميته بالمعاني والبيان والبديع
حادثة من المتاخرين كما اشار الى ذلك الكمال ابن الانباري

والعكبري وغيرهما وقد حصلت لي رواية هذه القصيدة وغيرها
من شعر الناظم من طرق متعددة منها بل أعلاها اني أرويها
عن شيخنا شيخ الاسلام خاتمة المحققين ابي زكريا الأنصاري
الشافعي عن العز أبي محمد بن الفرات عن العز ابي عمرو بن البدر
ابن جماعة عن ناظمها وعن حافظ العصر بن حجر عن الامام المجتهد
السراج البلقيني والسراج ابن الملقن والحافظ زين الدين
العراقي عن العز بن جماعة عن الناظم رحمهم الله تعالى
وارويها ايضا عن مشايخنا عن الحافظ السيوطي عن جماعة
منهم الشمني بعضهم قراءة وبعضهم اجازة عن عبد الله
ابن علي الحنبلي كذلك عن العز بن جماعة عن الناظم وقد
راعى الناظم رحمه الله أمرين مهمين أحدهما البداءة بالبسملة
للحديث الحسن أو الصحيح كل امر ذي بال أي حال يهتم به
لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجذم أي مقطوع البركة
ولا ينافيه رواية الحمد لله لان القصد البداءة بأي ذكر كان
كما أفادته رواية لا يبدأ فيه بذكر الله فذكر البسملة
والحمدلة لبيان افضل الذكر لا غير **ومن ثم** ابتدي القرآن
بهما ولم ينظر الناظم الى ما قيل ان الشعر لا يبدأ فيه بالبسملة
لان محله على ما فيه فيما ليس كهذه القصيدة لانها اشتملت على
افضل العلوم والمعلومات فهي أحق بالبداءة بالبسملة من كثير
من العلوم ثانيهما ما حق الاحق بالرعاية على كل بليغ من براعة
المطلع وهو سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح المعنى

ورقة

ورقة التشبيه وتجنب الحشو وتناسب المعاني وعدم تعلق
البيت بما بعده ويسمى ايضا حسن الابتداء وقد انتزعوا
من هذه براعة الاستهلال في النظم والنثر بان يكون
مبدأ الافتتاح والاعلى ما بني ذلك في النظم والنثر عليه
من الغرض المسبوق اليه كقول ابي تمام السيف أصدق انباء
من الكتب ○ لما كان غرضه ذكر الفتح والتحريض على الحرب
وما افتتح به الناظم هذه القصيدة جمع تلك الشروط وزيادة
كما لا يخفى على متأمل الغرض وهو ذكر أوصافه صلى الله عليه وسلم
التي ارتقى فيها إلى غاية لم يبلغها غيره ولذلك كان جميع ما
بعده من المدح الى آخر القصيدة كالشرح والبيان لما
تضمنه هذا المطلع فلله دره من مطلع جامع بديع لم
يسبق ناظمه لمثله ○ **قال** رحمه الله

كيف ترقى رقيك الأنبياء ۞ يا سماء ما طاولتها سماء

كيف هي في الأصل اسم مبني لتضمنه معنى حرف الشرط والاستفهام
بنيت على الفتح وعلى حركة لالتقاء الساكنين لخفتها وترد أيضا
للشرط وخرج عليها نحو يتفق كيف يشاء وجوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه وللاستفهام وهو الغالب اما حقيقيا
نحو كيف زيد او غيره كما هنا اذ هي للانكار المشوب بالتعجب
المتضمن للنفي كما يعلم مما يأتي وكما في الآيتين الآتيتين
وتقع خبرا قبل لا يستغني نحو كيف انت وحالا قبل ما يستغني
نحو كيف جاء زيد أي على أي حالة جاء ومنه ما هنا في النظم

اذ هي حال من ترقى أي على اي حالة ترقى الأنبيا عليهم الصلاة والسلام
رقيك أي لا يكون ذلك ولا كان ❁ وعن سيبويه انها ظرف
فموضعها ظرف دايما وتقديرها في أو على اي حال وجوابها المطابق
على خبر ونحوه ❁ وانكر ذلك الأخفش والسيرافي فموضعها رفع مع
المبتدا نصب مع غيره ❁ وتقديرها في نحو كيف زيد أصحيح زيد
وفي نحو كيف جا زيد اراكبا وجا زيد ونحوه وجوابها صحيح ونحوه
وقال ابن مالك لم يقل احد ان كيف ظرف اذ ليست زمانا
ولا مكانا ولكنها لما كانت تفسر بقولك على اي حال لكونها سوالا
عن الاحوال العامة سميت ظرفا لانها في تاويل الحال والجرور
واسم الظرف يطلق عليهما مجازا ❁ قال ابن هشام وهذا أحسن
انتهي وعلم من قوله لكونها الى اخره ان يستفهم بها عن حال
الشي لا عن ذاته ❁ قال الراغب وانما يسال بها عما يصح ان يقال
فيه شبيه وغير شبيه ❁ ولهذا لا يصح ان يقال في الله كيف
قال وكلما اخبر الله بلفظ كيف عن نفسه ❁ فهو استخبار على طريق
التنبيه للمخاطب ❁ والتوبيخ والانكار كما في كيف تكفرون بالله ❁
كيف يهدي الله قوما كفروا وفرق الزمخشري بين كيف
والهمزة بان كيف سؤال تفويض لا طلاقة ❁ فكان الله سبحانه وتعالى
فوض اليهم الامر في الاية الأولى في ان يجيبوا باي شي اجابوا ولا
كذلك الهمزة فانه سؤال حصر وتوقيت ❁ فانك تقول أجدك
راكبا أم ماشيا فوقت وتحصر ❁ ومعنى الاطلاق ما قاله
صاحب المفتاح كيف سؤال عن الحال ❁ وهو ينتظم فيه الاحوال

نصب

كلها

كلها والكفار حين صدر الكفر عنهم لا بد ان يكونوا على احدى
الحالتين ❁ إما عالمين بالله تعالى أو جاهلين به فاذا قيل كيف
تكفرون بالله افاد في حال العلم تكفرون بالله أم في حال
الجهل هذا معنى التفويض في الاية ترقى رقيك الحسي
فماضيه مكسور القاف من رقي السلم وهو رقيه صلى الله عليه وسلم
ببدنه يقظة بمكة ليلة الاسرا قبل الهجرة ❁ ثم الى السما ثم الى
العرش ثم الى سدرة المنتهى ❁ ثم الى المستوى الذي سمع فيه
صرير الاقلام في تصاريف الاقدار ❁ والرفرف والروية وسماع
الخطاب بالمكالمة ❁ والكشف الحقيقي وغير ذلك مما لم يصل اليه
ملك مقرب ولا نبي مرسل ❁ والمعنوي من رقي بالفتح وهو
التنقل من كل صفة كاملة وخلق عظيم الى صفة أخرى اكمل واعظم
وهكذا الى ما لا غاية له ❁ ففي كلامه استعمال المشترك في معنييه
أو الجمع بين الحقيقة والمجاز وهو الاصح عندنا في الاصول ❁
وعلى مقابله المنقول عن الاكثرين يكون هذا من عموم المجاز ۝
الأنبيا جمع نبي فعيل بمعنى فاعل او مفعول من النبا بهمز
وقد لا يهمز تخفيفا وهو الخبر لانه مخبر ومخبر عن الله تعالى ❁
أو من النبوة فلا يهمز لانه مرتفع او مرفوع الرتبة على غيره
من الخلق ❁ ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تقولوا
يا نبي الله بالهمز بل قولوا يا نبي الله اى بلا همز لانه قد يريد
بمعنى الطريد فخشي صلى الله عليه وسلم في الابتدا سبق هذا
المعنى الى بعض الاذهان ❁ فنهاهم عنه فلما قوي اسلامهم وتواترت

يح
تصاريف
ثم الى العرش صح

وخلق اعرصح

به القراءة نسخ النهي عنه لزوال سببه وهو حر ذكر من بني ادم
سالم من منفر كعمى وما وقع ليعقوب وشعيب لم يكن عمى حقيقيا
اوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه فان أمر فرسول ايضا وان
لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على الاشهر فالرسول
أخص مطلقا من النبي ولا يطلق على غير الادمي كالملك والجني الا مقيدا
ومنه جاعل الملائكة رسلا الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس على ان معنى الارسال فيهما غيره في الاول اذ هو ايحا
ما يتعبد به هو وامته وفيهما مجرد الارسال للغير بما يوصله اليه
فان قلت نفي رقي الانبياء رقيه لا يستلزم نفي رقي الرسل رقيه
لتصريحهم بان الاعم لا دلالة له على الاخص والمراد انما هو نفي رقي
كل منهما رقيه ولم تف به عبارة قلت ممنوع بل هي وافية
بل مصرحة به لان قوله ما طاولتها سما صريح في نفي رقي الكل
رقيه كما يعلم مما ياتي في شرحه لان النكرة في خبر النفي للعموم وفي انه
اراد بالانبياء هنا ما يشمل الرسل وايضا فنفي الحقيقة مطلقة
كالنبوة التي تضمنها لفظ الانبياء هنا يستلزم نفيها مع قيدها
ولا عكس كما صرحوا به فتعين ما ذكره الناظم ولا يصح ذكر الرسل فتامله
على ان المحقق الكمال ابن الهمام نقل في مسايرته ان المحققين
على ترادف النبي والرسول فلعل الناظم ممن يرى ذلك وان
كنت رددته في شرح المنهاج لمخالفته للاحاديث الصريحة الصحيحة
في عدد الانبياء والرسل وسياتي تنبيهات منها ما
صرح به كلامه لما مر في معنى كيف انه استفهام يتضمن النفي

رقيهم كرقيه والتعجب ممن يتشكك في ذلك وهو اولى ممن قال
والتعجب من وقوعه لو وقع من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم
بذلك الرقي بمعنييه السابقين وانه المنفرد بغاية الكمال
والشرف والرفعة اجماعا اما الاول فواضح والثاني فكذلك
عند من تامل اي القران وما اشتملت عليه تصريحا وتلويحا
من الاشارة الى انافة قدره العلي عنده وانه لا يجد يساوي
مجده وقال المفسرون في رفع بعضهم درجات يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري في هذا الايهام من
تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة
من انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ومن
تلك الدرجات ان اياته ومعجزاته اكثر واظهر اذ ما من معجزة
لنبي قبله الا وله مثلها او اظهر منها كما بينه الائمة وسياتي
بعضه وزاد عليهم بمعجزة لم يقع نظيرها لاحد منهم
وناهيك بكتابه القران فانه لا تتناهى معجزاته ولا تنقضي
اياته وان امته ازكى الامم واكثر واخير واطهر من بقية
الامم بنص كنتم خير امة اخرجت للناس وخير الامة
يستلزم خيرية نبيها وافضلية دينها اذ لا شك ان
خيريتهم بحسب كمال دينهم المستلزم لكمال نبيهم وان صفاته
اعلى واجل وذاته افضل واكمل كما يصرح به قوله تعالى
حيث وصف الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالاوصاف
الحميدة ثم امره ان يقتدي بجميعهم وذلك يستلزم ان ياتي

فهذا هو افتده حو

بجميع ما فيهم من الخصال الحميدة فاجتمع فيه ما تفرق فيهم
وفي حديث الشفاعة العظمى وانتهائها اليه بعد تنصل
كل منهما واعترافه بانه ليس اهلا لها التصريح بذلك ايضا
وكذلك الحديث الصحيح انا سيد ولد ادم وفي رواية انا
اكرمهم على ربي وفي حديث الترمذي انا اكرم ولد ادم يوم القيمة
ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا
تحت لواي وهذا صريح في دخول ادم لحديث البخاري وغيره
انا سيد الناس يوم القيمة وحديث انا سيد العالمين
صححه الحاكم واعترض وبذلك يعلم افضليته على الملايكة لان
ادم افضل منهم بنص الاية ويؤيد الحديث الاتي على الاثر
ليس من احد من الملايكة وحديث الترمذي الحسن كما بينه
البلقيني في فتاويه ردا على الترمذي وانا اكرم الاولين والاخرين
وهذا اصرح في شمول الانبيا والملايكة جميعهم وفي
حديث قال ادم يا رب اسئلك بحق محمد صلى الله عليه وسلم
الا ما غفرت لي الحديث وفيه ان الله تعالى قال يا ادم كيف عرفته
ولم اخلقه قال يا رب لما خلقتني بيدك اي قدرتك الباهرة
نفخت في من روحك رفعت راسي فرأيت على قوايم العرش
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت
انك لم تضف الى نفسك الا احب الخلق اليك قال صدقت
يا ادم لاحب الخلق الي فاذا سألتني بحق محمد فقد
غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك صححه الحاكم واعترض لكن

صح عن ابن عباس رضي الله عنهما وله حكم المرفوع ولولا محمد ما خلقت
ادم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على
الما فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله فسكن وفي
روايات اخر لولاه ما خلقت السما ولا الارض ولا الطول ولا
العرض ولا وضع ثواب ولا عقاب ولا خلقت جنة ولا
نارا ولا شمسا ولا قمرا وصح انا اول من تنشق عنه الارض
فالبس الحلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد
من الملايكة يقوم ذلك المقام غيري وفي رواية ذكرها
السراج البلقيني في فتاويه ايضا ان الله تعالى قال له قد
مننت عليك بسبعة اشيا اولها اني لم اخلق في السموات
والارض اكرم علي منك وفي اخرى ذكرها ايضا ان جبريل
عليه السلام قال له ابشر فانك خير خلقه وصفوته من البشر
حباك الله بما لم يحب به احدا من خلقه ولا ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا الحديث وصح عن كعب وهو من علما اهل
الكتاب الذين لا يقولون شيئا الا عنه هذا سيد الاولين
وصح عن عبد الله بن سلام الصحابي الجليل امام اهل الكتاب
بشهادته صلى الله عليه وسلم انه ذكر بالمسجد يوم الجمعة امورا
منها وان اكرم خليقة الله على الله ابو القاسم صلى الله عليه
وسلم فقيل له واين الملايكة فضحك وقال للسايل يا ابن اخي
هل تدري ما الملايكة انما الملايكة خلق كخلق السموات والارض
والرياح والسحاب والجبال وساير الخلق التي لا يعصي الله شيئا

العالمين

وان اكرم الخلق على الله ابو القاسم صلى الله عليه وسلم وبين السراج البلقيني
ان هذا الله حكم المرفوع وهو كذلك فانه من اجلاء الصحابة فلا يقوله
الا عنه صلى الله عليه وسلم او عما صح من التوراة قال واختيار الباقلاني
والحليمي افضلية الملائكة يمكن حمله على غير نبينا صلى الله عليه وسلم اي
وبهذا جزم بعض اجلاء تلامذته كالبدر الزركشي او على تفضيل في نوع
خاص اي لانه قد يوجد اي لانه قد يوجد في المفضول مزية بل مزايا
لا توجد في الفاضل ثم قال ولا يظن احد من المسلمين انه يتوقف في
افضلية نبينا على سائر الملائكة وسائر الانبيا واطال في الحط والرد
على من توقف في ذلك وزعم ان هذا ليس مما كلفنا بمعرفته ثم قال
وهذا الزعم باطل فانه من مسائل اصول الدين الواجبة الاعتقاد
على كل مكلف والبيان بسوق ادلتها وايضاحها على كل من تاهل لذلك
وقد صح في الحديث المشهور ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما وتامل قوله مما سواهما
تجده ظاهرا بل صريحا في كل ما ذكرناه ومنها ما افاده كلامه من جواز
التفضيل بين الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهو ما عليه العلما
لما مر من الادلة الصريحة فيه **واما قوله** تعالى لا نفرق بين
احد منهم فهو باعتبار الايمان بهم وبما انزل اليهم واما الاحاديث
الصحيحة لا تفضلوا بين الانبيا ولا تخيروا بين الانبيا فهي اما
قبل علمه بالتفضيل او انه افضلهم واما محمولة على التواضع لتصريحه
بالتفضيل او على تفضيل يؤدي الى تنقيص او الى غض مقام احدهم
وعليهما يدل سياق الحديث او على التفضيل في ذات النبوة

أو الرسالة

أو الرسالة فانهم كلهم مشتركون في ذلك لا يتفاوتون فيه وانما يتفاوتون
في زيادة الاحوال والمعارف والخصوصيات والكرامات وزعم
بعضهم حملها على التفضيل بالراي اذ ليس في محله لان تفضيل ذلك
بالراي المحض يجمع على منعه وبالدليل الدال عليه لا وجه لمنعه
واما الحديثان الصحيحان ما ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس
ابن متى فانه من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب فحمله التخصيص
فيهما بيونس نفي توهم التفاوت بينهما في القرب من الحق لاختلاف
محلهما الصوري برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول
يونس عليه الصلاة والسلام الى قعر البحر اي لا تتوهموا من هذا
التفاوت الصوري تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى
بل نسبة كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة
والمكان فهو نهي عن تفضيل مقيد بالمكان لا مطلقا ومنها
ان قوله الانبيا يشمل من عرف منهم ومن لم يعرف قال تعالى منهم
من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وان اختلفوا في عدد
من بعث منهم والمشهور فيه ما في الحديث عن ابي ذر عند ابن مردويه
في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر
جم غفير قلت يا رسول الله من كان اولهم قال ادم ثم قال
يا ابا ذر اربعة سريانيون ادم وشيث ونوح وخنوخ وهو
ادريس وهو اول من خط بالقلم وهو يعقوب صلى الله على نبينا
وعليه وعليهم وسلم واربعة من العرب هود وصالح وشعيب
ونبيك يا ابا ذر واول نبي من بني اسرائيل موسى واخرهم عيسى

وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك **وروى** هذا الحديث بطوله
ابو حاتم بن حبان في كتابه الأنواع والتقاسيم وصححه لكن خالفه
ابن الجوزي فذكره في موضوعاته واتهم به ابرهيم بن هشام **قال**
الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه غير واحد من ائمة الجرح
والتعديل من اجل هذا الحديث فالله أعلم وبينت في شرح المنهاج
المنهاج ان حديث كون الأنبيا مائة الف واربعة وعشرون
الفا وحديث كون الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر صحيحان فاعلمه
وروى ابو يعلى كان فيمن خلا من اخواني الانبيا ثمانية آلاف
نبي ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت انا **يا** حرف ندا للبعيد
أو القريب المنزل منزلته وهو هنا اشارة الى بعد مرتبته
صلى الله عليه وسلم عن أن تلحق أو تسامى **سما** بالتنوين والنصب
لانها نكرة موصوفة وهي من حيز الشبيه بالمضاف فتنصب
لا غير على الاصح **وقال** الكسائي يجوز فيها النصب والضم وفصل
الفرا فاوجب النصب اذا كان العائد من الصفة اليها ضمير غيبة
كما هنا وكيا رجلا ضرب زيدا او الضم اذا كان ضمير خطاب نحو يا رجل
ضربت زيدا **تنبيه** لا يأتي هنا الخلاف في النكرة غير المقصودة
وقول الاصمعي لا ينادى مطلقا والمازني لا يتصور نداؤها
لانه يقتضي الاقبال عليها وعدم قصدها يقتضي عدمه
قال وما جاء منها فضرورة فللكوفيين شرط صحة نداؤها
ان تكون صفة في الاصل حذف موصوفها نحو يا ذاهبا والمنع ان لم
تكن كذلك وذلك لان محل هذه الاقوال الاربعة حيث لم توصف

النكرة

منوناً

بلغ مقابلة

النكرة بمفرد أو جملة أو ظرف والاجاز نداؤها مطلقا اتفاقا
فان قلت ما هنا نكرة مقصودة قطعا كما يعلم مما يأتي
وموصوفة بجملة ما طاولتها سما كما تقرر وحكمهما متناف
فان قصدها يوجب بناؤها على الضم ووصفها يوجب نصبها
على الاصح كما تقرر فما المغلب منهما حينئذ **قلت** لم ار للنحاة
في مثل هذه الصورة نصا وانما اطلقوا في المقصودة البنا
وفي الموصوفة النصب ومفهوميهما متخالف اذ اطلاق الموصوفة
يقتضي انه لا فرق بين المقصودة وغيرها واطلاق المقصودة
يقتضي انه لا فرق بين الموصوفة وغيرها ولا يقال الوصف
يستلزم القصد ومع ذلك لم ينظروا للقصد معه لانا
نمنع استلزامه له اذ لا يدع ان الاعمى يقول يا رجلا صالحا
خذ بيدي من غير أن يقصد أحدا بعينه ولكن لا يبعد
أن يدار الامر في نحو هذه الصورة على نظر الناظر فان اعتبر
الوصف أو القصد أجري كل على حكمه المذكور له **فائدة** ويجوز
تنوين المنادى المبني للضرورة اجماعا **ثم** اختلفوا هل الاولى
بقا الضم أو الاولى النصب فالخليل وسيبويه والمازني على الاول
علما كان أو نكرة مقصودة وعيسى بن عمرو والجرمي والمبرد على
الثاني ردا الى أصله كما رد غير المنصرف الى الكسر عند تنوينه في
الضرورة واختيار ابن مالك في شرح التسهيل بقا الضم في
العلم والنصب في النكرة المعينة لان شبهها بالمضمر أضعف
وبعض المتأخرين العكس وهو اختيار النصب في العلم لعدم الالباس

موصوفه

والضم في النكرة المعينة لئلا تلتبس بالنكرة غير المقصودة إذ لا
فارق حينئذ الا الحركة لاستوائهما في التنوين وقلنا بان النكرة
المنونة هنا مبنية على الضم على شق كلام الكسائي او على ما
ذكرته انه اذا اريد بالنكرة الموصوفة مقصودة بنيت على
الضم فالاولى هنا على الاول والرابع الضم وعلى الثاني
والثالث النصب والذي اقوله ان الضم متعين هنا على الكل
لان الظاهر خلافا لما يوهمه الراي الرابع ان محل الخلاف حيث لا
التباس يتولد منه محذور وهنا النصب يترتب عليه محذور
لايهامه ان السما الاولى نكرة غير مقصودة وحينئذ يفسد المعنى
لان النكرة غير المقصودة لا تصح مطاولة نكرة غير مقصودة ايضا
لها بخلاف ما اذا كانت الاولى نكرة مقصودة كما هو المراد هنا
اذ هي اسم جنس يشمل ساير الاجسام العلوية فان هذه بهذا
المعنى هي التي لا يطاولها سما اى مرتفع غيرها لانه لم يوجد
في هذا الوجود ارفع منها فتامل ذلك حق التامل واحفظه
فانه مما يتعين استفادته لا سيما مع النظر لما قاله الشارح
مما لم يعثر فيه على شي مما ذكرته **ما** نافية **طاولتها** اي غالبتها في
الطول والارتفاع **سما** وهذا الشطر الثاني كالدليل
للشطر الاول اذ التقدير لم يرتق احد منهم ارتقاءك لانه
لم يستطع مطاولتك في ارتقائك الحسي ولا المعنوي
وان كانت درجاتهم كلها ومراتبهم وصفاتهم باسرها ارفع الدرجات
واكمل المراتب واجل الصفات قال تعالى ولقد اخترناهم على

نفي

علم

علم على العالمين وهذه الاية صريحة في فضلهم على جميع الملائكة
بل الخلق اذ العالم ما سوى الله تعالى وانما جعل للعقلا تغليبا لهم
وفيه استعارة لفظ السما الاول لنبينا صلى الله عليه وسلم والثاني
لبقية الانبيا عليهم الصلاة والسلام لان السما اعلى ما يرى
من الاجرام الحسية كما انهم اعلى الخلق ورشح لذلك بذكر الارتقا
الملايم للمستعار منه **لم يساووك في علاك وقد حال سنا منك دونهم وسنا**
لم يساووك مستانفة على ما ياتي فيكون من اسلوب الحكيم
او حال من فاعل ترقى **في علاك** جمع عليا تانيث الاعلى من
على بالفتح يعلو علوا في المكان وعلى بالكسر يعلا وعلى بالفتح يعلى
علا في الشرف قال الشارح ولما كان نفي المطاولة لا يلزم منه
نفي المساواة اشار الى نفيها وان كان يوخذ مما تقدم لكن
لا بطريق التصريح انتهى وهو عجيب مع ما مر في كيف انه افاد
بطريق التصريح نفي رقي احد منهم رقيه وهذا مساو لقوله
لم يساووك فالحق انه تاكيد واطناب فقط على ان لذكره فايدة
اخرى هي البرهان عليه وطريق اخرى وحينئذ يكون ما سلكه من ذكر
الجملة الاولى في شطر البيت الاول والبرهان عليها بما في الشطر
الثاني ثم اعادتها بمعناها في اول البيت الثاني والبرهان عليهما
بما في بقيته من بديع تحقيقه وكمال بلاغته **وقد حال** اي حجز منه
جملة مستانفة او حالية من الفاعل او المفعول وقد هنا واجبة
الذكر او التقدير عند البصريين قالوا ليقرب الماضي من الحال
واعترضهم المحقق السيد الجرجاني وتبعه المحقق الكافيجي وغيره

محمد

بان هذا غلط منهم سببه اشتباه لفظ الحال عليهم فان الحال
الذى تقربه قد حال الزمان والحال المبين للهيئة حال الصفات
ولك رده بانهما وان تغايرا لكنهما متقاربان كما هو شان الحال
وعاملها وحينيذ لزم من تقريب الاولى تقريب الثانية المقاربة
لها فى الزمن فتامله فانه مهم اذ فى تغليط اوليك الايمة الذين
لا ينحصرون مع امكان تاويل كلامهم تساهل **سنا** بالقمر اي
ضوء عظيم ظاهر **منك** خصك الله به وهو مجاز عن علوم
القران المحيطة بعلوم الاولين والاخرين وغيرهما التى اختصه
الله بها وامره أن ينبأ له اي بزبده منها وهو مقتبس من
تسميته تعالى للقران نورا فى ايات كثيرة من كتابه نحو اتبعوا
النور الذي انزل معه ومما اختصه الله به من الحال الظاهر
بما اتاه من الحسن فى خلقه بما لم يلحقه فيه يوسف فضلا عن
غيره كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفى خلقه بما أبان الله تعالى
رفعته الى الغاية بقوله عز قايلا وانك لعلى خلق عظيم
وهذا مقتبس من تسميته تعالى لنبيه نورا فى نحو لقد جاكم من الله نور
وكتاب مبين وكان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعا بان الله تعالى
يجعل كلا من حواسه واعضايه وبدنه نورا اظهارا لوقوع ذلك
وتفضل الله عليه ليزداد شكره وشكر امته على ذلك كما انا
أمرنا بالدعا فى اخر سورة البقرة مع وقوعه وتفضل الله
به لذلك ومما يويد ذلك انه صلى الله عليه وسلم صار نورا انه
كان اذا مشى فى الشمس والقمر لا يظهر له ظل لانه لا يظهر الا لكثيف

وهو صلى الله عليه وسلم

وهو صلى الله عليه وسلم قد خلصه الله من سائر الكثايف الجسمانية
وصيره نورا صرفا لا يظهر له ظل أصلا خرقا للعادة كما خرقت
له فى شق صدره وقلبه مرارا ولم يتألم بذلك **دونهم وسنا**
بالمد اي رفعة عظيمة اوتيتهما لم ينلهما مخلوق اي انتفت
مساواتهم له المانع منعهم عن اللحوق به هو ما اختص به من
ذلك النور وتلك الرفعة اللذين لم يصل احد الى أدنى شاوهما
فضلا عن كماله وفى جمعه هذين حاجز الاستعارة تجريدية كما
ان فى جمعهما الجناس المذيل ويعبر عنه بالمطرف لان الزيادة
وقعت ذيلا وطرفا وهو ان يتماثل اللفظان وينفرد احدهما
بزيادة حرف أخر فى اخره كقولهم العار ذل العارف وهو احد اقسام
الجناس الناقص ومنه نحو التفاف والمساق ويسمى بالمردوف
لان حرف الزيادة مردوف بما وقع فيه التجانس ونحو داء
ودواء ويسمى بالمكتنف لان حرف الزيادة مكتنفا أي متوسطا
بين ما اكتنفاه وقد يقع الاختلاف باكثر من حرف نحو أمن
ويسمى متوجا ونحو هلم ومجاهد وجوى وجوانح سماه فى التلخيص
مذيلا واهل البديع بنوا على ان الزايد من اخره حرف أو اكثر
يسمى مذيلا ومن اوله كذلك ويسمى مطرفا **تنبيه**
الجناس تشابه اللفظين من حيث اللفظ وفايدته الميل الى الاصغا
اليه فان مماثلة اللفظ تحدث ميلا واصغا اليها فلذا اكثر
منه الناظم فى هذه القصيدة وربما تركت التنبيه على كثير منه
فى محله استغنا بظهوره أو تقدم التنبيه على نظيره ومع

كون الجناس يوجب الميل والإصغاء فحاول مراعاته ما لم تعارضه
قوة المعنى ويمكنه مع فقده والا لم يراع ومن ثمه قال تعالى
وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ولم يقل بمصدق ورعاية
الجناس الاشتقاق ولا معنى في قولك فلان مصدق لي
انه قال لي صدقت ومعنى مؤمن لي انه صدقني وأمنني
والمقصود الثاني لا الأول فترك الجناس لذلك وترك ايضا
في أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين إما لأن التجنيس
تحسين وانما يستعمل في مقام الوعد والاحسان لا مقام التهويل
أو لأن تدع أخص من تذر لانه ترك الشيء مع سبق الاعتناء به
فلو قيل تدعون لتوهم انهم كانوا معتنين بالاله الحق ثم
تركوه وليس كذلك بل كانوا تاركين له مطلقا فتعين تذرون
مبالغة في التشنيع عليهم بانهم بلغوا الغاية في الاعراض عن ربهم
وامتنع تدعون لايهامه وبهذا يظهر غباوة بعض الادباء في
قوله لو قال وتدعون لراعى الجناس وبقيت اجوبة اخرى ليست
بذاك فلذا تركناها وفي قوله وقد الى اخره التذييل وهو أن يؤتى
بعد تمام الكلام بجملة تشتمل على معناها تجري مجرى العلة لتوكيد ما
قبلها وتحققه كقوله تعالى وهل نجازي الا الكفور بعد ذلك
جزيناهم بما كفروا وقول النابغة أي الرجال المهذب ث[ان]
بعد ولست بمستبق الى اخره **تنبيه** ثان سيمر بك استعا[رات]
بليغة يحتاج الى معرفتها في هذه القصيدة فلا باس بالاشارة الى
بعض شيء مما يتعلق بها وحدها انها مجاز يتضمن تشبيه ما

عنى به

عني به بما وضع له فهو مجاز لغوي لانه لفظ استعمل في غير ما وضع له
لعلاقة المشابهة ومن ثمه احتاجت لقرينة كرايت أسدا يرمي
ثم ما قصد اشتراك طرفيها المستعار له والمستعار منه فيه ما داخل
فيهما كاستعارة العدو بجامع ان في كل قطع المسافة أو لا كاستعارة
الاسد للشجاعة اذ الشجاعة عارضة للاسد وهي باعتبار
طرفيها والجامع اقسام كثيرة باعتبارات كلها إما عقلي وإما
حسي ثم اللفظ المستعار منه ان كان اسم جنس ولو تأويلا كالعلم
بشعر بوصف سميت أصلية أو فعلا أو مشتقا منه بان يقصد
به المعنى القائم بالذات أو حرفا فتبعية لان الاستعارة تعتمد
التشبيه المقتضي لكون المشبه موصوفا بوجه الشبه أو مشاركا
للمشبه به فيه وانما يصلح للموصوفية الحقائق لا الأمور الثابتة
دون معاني الافعال ونحوها واذا لم يقترن بما يلائم احد طرفيها
سميت مطلقة أو بما يلائم المستعار له فمجردة أو بما يلائم المستعار
منه فمرشحة وهي ابلغ لان مبنى الاستعارة على تناسي التشبيه
وادعاء ان المستعار له نفس المستعار منه لا شيء يشبهه وما كان
وجه الشبه فيه منتزعا من عدة امور تسمى استعارة تمثيلية
كما يقال للمتردد في أمر اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى وبقي
من اقسامها الاستعارة التخييلية وهما عند صاحب التلخيص معنويان
غير داخلين في تعريف المجاز فاذا أضمر التشبيه في النفس ولم يصرح
بشيء من أركانه سوى المشبه ودل على ذلك التشبيه بذكر شيء من
خواص ذلك المشبه به يسمى ذلك المشبه به يسمى ذلك التشبيه المضمر

الطرفان ح

بالكناية والاستعارة ح

استعارة بالكناية واثبات تلك الخاصة استعارة تخييلية لانه تخيل ان المشبه من جنس المشبه به ۝

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

انما للحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم ويقال له الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق وهو تخصيص امر باخر بطريق مخصوص ويعبر عنه ايضا بانه اثبات الحكم المذكور ونفيه عما سواه وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة وعكسه وكل اما حقيقي واما مجازي فالحقيقي نحو ما زيد الا كاتب اي لا صفة له غير ذلك وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذاته صفة واحدة فقط ولم يقع منه شي في القرآن والمجازي نحو وما محمد الا رسول اي مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبري من الموت الذي استعظموه ذهولا عن كونه من شان الاله وانكر قوم افادة انما له ويرد عليهم آيات كثيرة نحو انما العلم عند الله انما يأتيكم به الله واعلم ان المحصور فيه هو الاخير ومن ثم كان معنى انما قام زيد اثبات القيام لزيد ونفيه عن غيره وانما زيد قايم اثباته له ونفي غيره عنه مثلوا اي صوره الانبيا عليهم الصلاة والسلام او الواصفون لشمايلك وهو الاقرب وان لم يجر له ذكر لانه معلوم على حد حتى توارت بالحجاب صفاتك جمع صفة وهي ما دل على معنى زايد على الذات محسوس كالابيض او معقول كالعالم للناس من الانس فيختص ببني آدم فاصله الاناس حذفت همزته تخفيفا لا للتعويض عنها للجمع بينهما او من نوس اذا تحرك فيعم

الجن

الجن كذا قيل والذي في القاموس الناس يكونون من الانس ومن الجن جمع انس اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال ثم قال وناس الابل ساقها واناسه حركه ك نعت لمصدر محذوف مفعول مطلق لمثلوا اي تمثيلا مثل ما ما مصدرية مثل النجوم الماء اصله موه بالتحريك فهمزته بدل من الها وهو جوهر قيل لا لون له وانما يتكيف بلون مقابله والحق خلافه فقيل ابيض وقيل اسود والمعنى على ان الضمير للانبيا عليهم الصلاة والسلام انما شاركتهم فيه من الصفات وان كملت لم يصلوا الا ادناها لانها بلغت فيه من الكمال ما لم يبلغه مخلوق فهي فيه حقيقة كالنجوم الحقيقية المرئية من غير حايل وفيهم كصور النجوم التي ترى في الماء دون حقيقتها وشتان ما بينهما واسناد ذلك التصوير اليهم على هذا مجاز عقلي كقول الموحد انبت الربيع البقل ويحتمل انه لمح بذلك الى ما علم من حال الانبيا عليهم الصلاة والسلام انهم نعتوا صفاته الكريمة لاممهم وصوروها لهم لكنهم مع ذلك لم يصلوا لتصوير كنهها لعدم احاطتهم به وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمباديها كما ان الماء لم يحك من النجوم الا مجرد صورها لا غير وفي هذا من الابلغية في المدح ما لا يخفى لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام مع كمالهم الاكراه عجزوا عن ادراك حقايق صفاته العلية كان غيرهم اعجز لا يقال هذا يستغني عنه بما ياتي في قوله الا بشرت قومها بك الانبيا

لأن ذلك في مطلق تبشيرهم بانه سيوجد وهذا في بيان صفات
ذلك المبشر به وعلى انه للواصفين انهم وان كثروا الاوصاف
وتفننوا في ايرادها على ابلغ انواع البلاغة والكمل قوانين الفصاحة
فغاية ما وصلوا اليه ان ادركوا الواضح منها وعجزوا عن ادراك
شيء من حقايقها كما ان غاية من يرى النجوم في الماء انه يدرك
مبادي اصولها ويعجز عن ادراك حقايقها **وقد** شرح
الناظم هذا بقوله في بردة المديح اعيى الورى فهم معناه
البيتين وهذا البيت من جملة التذييل ايضا بناء على
المعنى الأول لانه برهان ظاهر على ما قدمه من نفي
المساواة بل في الحقيقة القصيدة كلها برهان على مطلعها
وشرح وبيان له كما مر **ولما** قرر انما اوتيه من المزايا
لا تدرك غاياتها بل ولا حقايقها زاد ذلك تقريرا وتمكينا
في النفوس فقال

أنت مصباح كل فضل فما يصدر الا عن ضوئك الأضواء

أنت أيها العلم المفرد الذي لا يساوى ولا يدانى **مصباح**
أي سراج مقتبس من قوله تعالى وسراجا منيرا **كل** اسم موضوع
لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه كما هنا والمعرف
المجموع نحو وكلهم آتيه يوم القيمة فردا واجزا المفرد المعرف نحو
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار باضافة قلب لمتكبر اي على
كل اجزائه وقراءة التنوين لعموم افراد القلوب ثم ان لم يكن نعتا
لنكرة ولا توكيدا لمعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت

اضافتها

اضافتها كما هنا وقطعها نحو وكلا ضربنا له الأمثال واعلم انها حيث
اضيفت لمنكر وجب في ضميرها مراعاة لفظها في الافراد والتذكير
ومراعات معناها وكذا اذا قطعت عن الاضافة نحو كل يعمل
على شاكلته وكل اتوه داخرين وانها حيث وقعت في خبر نفي بان
سبقتها اداته او فعل منفي نحو ما جا كل القوم وكل الدراهم لم اخذ
لم يتوجه النفي الا لسلب شمولها فتفهم اثبات الفعل لبعض
الافراد ما لم يدل الدليل على خلافه نحو والله لا يحب كل مختال
فخور مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين لكن لا نظر اليه
للاجماع على تحريم الاختيال والفخر مطلقا وحيث وقع النفي
في خبرها كقوله صلى الله عليه وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك
لم يكن توجه الى كل فرد فرد كذا ذكره البيانيون وانما سقت هذا
جميعه هنا لنفاسته وكثرة الاحتياج اليه مما ينبغي ان
يستفاد ويحفظ **فضل** وكمال نور لغيرك في الوجود لانك
الخليفة الاكبر الممد لكل موجود وشاهده ما صح من خبر ادم فمن دونه
تحت لواي وخبر انما انا قاسم والله يعطي وخبر لو كان موسى حيا ما وسعه
الا اتباعي وخبر ان ابرهيم قال انما كنت خليلا من وراء وراء
واثر التشبيه بالسراج على القمر لانه يقتبس منه الانوار
بسهولة وتخلفه فروعه فتبقى بعده ووجه الشبه ان نوره
صلى الله عليه وسلم يظهر الاشيا المعنوية كنور البصاير ونور السراج
يظهر المحسوسة كنور البصر ولا ريب ان المحسوس اظهر
من المعقول من حيث هو معقول فلذا شبه نوره صلى الله
عليه وسلم

معناها حاصله وكل اثنين فعلوه في الاثر وهاكل صاحب رايتين اوليغريه جازت مراعاة معناه

لكونه معقولا بنور السراج لكونه محسوسا فلا ينافي ذلك أن
السراج دونه صلى الله عليه وسلم بلا نسبة ويمكن أن
يكون من التشبيه المقلوب كما في قوله تعالى أفمن يخلق
كمن لا يخلق وإذا تقرر أن كمالات غيره المشبهة بالإضاءة
مستمدة من كماله الذي هو الضوء الأعلى فسببه ذلك
ما يصدر أي يبرز في الوجود ضوء ناشئا عن ضوء أحد
مطلقا إلا ضوئك فأنت المخصوص بأنك الذي يبرز
عن ضوئك الذي أكرمك الله به الأضواء كلها من الآيات
والمعجزات وسائر المزايا والكرامات وإن تأخر وجودك
عن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن نور
نبوتك متقدم عليهم وعلى جميع المخلوقات
وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضي الله
تعالى عنه يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى
قبل الأشيا قال يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشيا نور
نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث ما
شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا
جنة ولا نار ولا ملك ولا سما ولا أرض ولا شمس ولا
قمر ولا جني ولا انسي فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم
ذلك النور أربعة أجزا فخلق من الجزء الأول القلم
ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء
الرابع أربعة أجزا فخلق من الأول السموات ومن الثاني

الارضين

الارضين ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة اقسام
فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي
المعرفة بالله تعالى ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله
وصح حديث أول ما خلق الله القلم وجا بأحاديث متعددة
أن الما لم يخلق قبله شي ولا ينافيان ما في الأول في نور نبينا
لأن الأولية في غيره نسبية وفيه حقيقية فلا تعارض في
حديث عند ابن القطان كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق
آدم بأربعة عشر ألف عام وفي الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك
النور في ظهره فكان يلمع في جبينه فيغلب على سائر نوره وصح
خبر متى كنت أو كتبت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد
وليس المراد من ذلك التقدير لأن غيره كذلك بل الإشارة
إلى كون روحه العلية تثبت لها ذلك الوصف دون غيرها
في عالم الأرواح إذ ورد أن الأرواح خلقت قبل الأجساد
بألفي عام وفي حديث عبد الرزاق السابق تأييد لما
قبل أنه تعالى لما خلق نور نبيه صلى الله عليه وسلم أمره أن ينظر
إلى نور الأنبيا عليهم الصلاة والسلام فغشيهم من نوره
ما أنطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال
هذا نور محمد بن عبد الله إن آمنتم به جعلتكم أنبيا قالوا آمنا
به وبنبوته فقال الله تعالى أشهد عليكم قالوا نعم فذلك قوله
تعالى وإذ أخذنا ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة إلى من
الشاهدين وفي هذه الآية كما قال التقي السبكي من التنويه بقدره

العلى ما لا يخفى وفيها مع ذلك انه على تقدير مجيئه يكون مرسلا
اليهم والى اممهم فتكون رسالته عامة لجميع الخلق فهو نبي الانبيا
عليه وعليهم الصلاة والسلام ولذا كانوا كلهم يوم القيمة تحت
لوائه عليه الصلاة والسلام واستعارة المصباح للفضل المبني
على تشبيه ببيت واسع يحتاج الناس الى دخوله وسراج فيه استعارة
بالكناية يتبعها استعارة تخييلية والضوء الذى هو اعلى من النور
بدليل جعل الشمس ضيا والقمر نورا الصفات الجمال استعارة
مصرحة بجامع ان كلا من الضوئين المعنوى والحسى يهدي
الى المقصود وايضا الكمالات الدينية الظاهر والباطن

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الاسماء

لك لا لغيرك **ذات** اصلها مؤنث ذو المقتضية لموصوف
والملازمة للاضافة غالبا كرجل ذى مال ثم استعملوها استعمال
الاسما المستقلة فقالوا ذات قديمة ونسبوا للفظها فقالوا
ذاتي وقد تستعمل بمعنى نفس الشئ وحقيقته كما هنا وكما
فى قول خبيب رضي الله عنه وذلك فى ذات الاله **العلوم** جمع
علم وهو هنا صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به انجلاء تاما
او الادراك الجازم الذى لا يحتمل النقيض وحد بحدود اخرى
كلها مدخولة ايضا وترادفه المعرفة لكن لا يقال الله تعالى عارف
لانها تستدعي سبق جهل بخلاف العلم واليقين لكن فرق بينهما
بعض المحققين بان اليقين خاص بما من شانه ان يتطرق
اليه شك فلا يقال تيقنت ان الواحد نصف الاثنين وقال

الراغب

الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها
يقال علم اليقين ولا يقال معرفة اليقين وهو سكون النفس مع
ثبات الحكم حال كونها واصلة اليك على لسان الملائكة او بالالقا
فى الروع او بخلق العلم الضرورى او بسماع الكلام النفسى **من**
فيض **عالم الغيب** مصدر وصف به للمبالغة بمعنى اسم الفاعل
اي الغائب وهو ما لم يشاهد لكن بالنسبة الينا واما بالنسبة
اليه يقال فالكل من عالم الشهادة لا المفعول اي المغيب
خلافا لمن زعمه لان غاب لازم وخص بالذكر على حد قوله
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الاية لان العلم به اتم
واظهر ولان الاكثر علوم نبينا عليه الصلاة والسلام تتعلق
بالمغيبات بدليل فعلمت علم الاولين والآخرين فى الحديث
المشهور ولانه تعالى اختص به لكن من حيث الاحاطة
والشمول لعلمه بالكليات والجزئيات فلا ينافى ذلك اطلاع
الله تعالى لبعض خواصه على كثير من المغيبات حتى من
الخمس التى قال فيهن صلى الله عليه وسلم خمس لا يعلمهن الا الله
تعالى لانها جزئيات معدودة لا غير وانكار المعتزلة
لذلك مكابرة فقد وقع للانبيا عليهم الصلاة والسلام
والاوليا من ذلك ما لا يمكن عده لا سيما ما وقع لنبينا
صلى الله عليه وسلم وسياتى بسط جملة مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم من المغيبات فى شرح قوله وكم اخرج خبا
له الغيوب خبايا وجملة مما يتعلق بانكار المعتزلة اواخر الكتاب

ومنها أي العلوم بمعنى المعلومات وهو متعلق بالأسما لادم أبي البشر
عليه الصلاة والسلام وأصله أأدم لكنهم ليثقل الثانية تخفيفا
وجعلوها في التصغير واوا نظرا لبدليتها من الادمة بالسكون
أو الفتح أو من أديم الارض كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما
وورد عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما وأديم الأرض ظاهر
وجهها والأدمة السمرة وهو من أدمن فاللون يقارب السواد
فالشبيه التراب واستشكل كل بما ورد من براعة جماله وان
يوسف عليه الصلاة والسلام كان على الثلث من جماله صلى الله
عليه وسلم وقد يجاب بان الجمال لا ينافي السمرة لانها من البياض
والحمرة قيل اشتقاقه مما ذكر يؤيد القول بانه عربي وبه
صرح الجوهري وغيره وردّ بأن توافق اللغتين غير منكر وبانه لا
دليل على ان الاشتقاق من خواص كلام العرب فقد أجمعوا على
التفرقة بين اللفظ العربي والعجمي بصحة الاشتقاق وصح
خبر ان ادم كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه يتكلم بالسرياني
الأسما مبتدأ مؤخر جمع اسم وهو هنا ما دل على معنى فيشمل
الفعل والحرف أيضا واحتاج الناظم الى هذا التفصيل
مع العلم به مما قبله لأن أدم ميزه الله تعالى على الملايكة
بالعلوم التي علمها له وكانت سببا لامرهم له بالسجود والخضوع
له بعد استعلايهم عليه بذمته ومدحهم بقولهم أتجعل فيها
من يفسد فيها الخ فربما يتوهم ان هذه المرتبة الباهرة لم
تحصل لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ قد يوجد في المفضول ما ليس

واجيب بانه الاصل عدم التوافق وبانه الوجه انه الاشتقاق خاص بكلام العرب

في الفاضل

٩

في الفاضل فردّ ذلك التوهم ببيان ان ادم عليه الصلاة والسلام
لم يحصل له من العلوم الا مجرد العلم باسمايها وان الحاصل
لنبينا صلى الله عليه وسلم هو العلم بحقايقها ومسمياتها ولا ريب
ان العلم بهذا أعلى وأجل بمجرد أسمايها لانها انما يؤتى بها لتبيين
مسمياتها فهي المقصودة بالذات وتلك الوسيلة وشتان ما بينهما ونظير
ذلك ان المقصود من خلق أدم عليه الصلاة والسلام انما هو خلق
نبينا صلى الله عليه وسلم من صلبه فهو المقصود بطريق الذات
وأدم بطريق الوسيلة ومن ثم قال بعض المحققين انما سجد
الملايكة لاجل نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي في جبينه ثم
ما سلكه الناظم من ان أدم انما علم بأي أحد الطرق السابقة
أيضا الاسما فقط أي الألفاظ الموضوعة بازا المعاني
والأعيان وهو الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما وعليه فقيل
علم ادم الاسما الموضوعة بكل لغة وعلمها أولاده فلما افترقوا
في البلاد وكثروا اقتصر كل قوم على لغة وهذا يقوي ما هو الاصح
في الأصول ان اللغات كلها توقيفية وقيل انما علم لغة واحدة
لان الحاجة لم تدع الا اليها واما بقية اللغات فبالوضع ويقابل
ما سلكه الناظم قولان أحدهما انه انما علم مدلولاتها لا ان المزية
في العلم انما تحصل بمعرفة مقاصد المخلوقات ومنافعها لا بمعرفة
ان اسمايها كذا وكذا قال بعض المحققين وهذا وان قرب من
المعنى فهو بعيد من اللفظ لان قوله باسما هولا وما بعده ظاهر
وهو صريح في الاسما فقط وثانيهما عرضهم على الملايكة أي الاعيان

لانها التي تعرض دون الاسما انها ابرز في النهم ليجزوا باسمائهما. ولا يابيد فيه لكون العلم المسميات خلافا لمن زعمه ما بينهما. وهو الذي سلكه صاحب الكشاف انه علم الامرين معا جمعا بين مقتضى اللفظ والمعنى. **ولما** ذكر شرف ذاته ودرفيه صلى الله عليه وسلم بما بهر العقول انتقل الى شرف نسبه كذلك فقال مثنيا

لم تزل في ضمائر الكون تختار لك الامهات والاباء

لم تزل حال كونك **في ضمائر الكون** اي الوجود وضمايره مستوراته الخفية من الاصلاب والارحام **تختار** اي تصطفى **لك الامهات** جمع ام وهي الام وهي الوالدة وان علت. واصلها امهة لجمعه على امهات. قيل امهات للادميات وامات لغيرهن. **والابا** جمع اب واصله ابو بالتحريك حذفت واوه تخفيفا اي كما طابت ذاتك بما اوتيه من الكمال الاعلى كذلك طاب نسبك فلم يكن في امهاتك من لدن حوى الى امك امنة ولا في ابايك من لدن ادم الى ابيك عبد الله الامين هو مصطفى مختار. وشاهد ذلك حديث البخاري بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه. **وفي** حديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم. **وحديث** الترمذي بسند حسن ان الله خلق الخلق فجعلني في خير فرقهم ثم تخير القبايل فجعلني في خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم [margin: فانا خيرهم] نفسا اي روحا وذاتا وخيرهم بيتا اي اصلا وحديث الطبراني ان الله

اختار

اللهم صل وسلم عليه ابدا دايما

اختار الخلق فاختار منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم [margin: العرب] ثم اختارني من العرب فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم. واعلم ان ادم ولد من حوى اربعين ولدا في عشرين بطنا الا شيث وصيه فانه ولد منفردا اكرامة لكون نبينا صلى الله عليه وسلم من نسله. ثم لما توفي وصى بنيه بوصية ابيه له ان لا يضيع هذا النور الذي بجبهة ادم ثم انتقل الى شيث الا في المطهرات من النسا ولم تزل هذه الوصية معمولا بها في القرون الى ان وصل ذلك النور الى جبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله وطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الاحاديث كحديث في سنن البيهقي ما ولدني من سفاح الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح الاسلام وسفاحهم بكسر السين زناهم كانت المراة منهم تسافح الرجل مدة ثم يتزوجها. **وروى** ابن سعد وابن عساكر خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني ابي وامي ولم يصبني من سفاح اهل الجاهلية شي. **وابو نعيم** لم يلتق ابواي قط على سفاح ولم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا يتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما. **وابن مردويه** قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد جاكم رسول من انفسكم اي بفتح الفا وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلها نكاح. **تنبيه** لك ان تاخذ من

[margin: عن محمد بن السائب الكلبي عن ابيه قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية والطبراني وابو نعيم وابن عساكر]

كلام المص الذي علمت أن الأحاديث مصرحة به لفظا في أكثره ومعنى
في كله أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم غير الأنبياء وأمهاته إلى آدم
وحوى ليس فيهم كافر لأن الكافر لا يقال في حقه إنه مختار ولا كريم
ولا طاهر بل نجس كما في آية إنما المشركون نجس **وقد** صرحت به
الأحاديث السابقة بأنهم مختارون وأن الآباء كرام والأمهات
طاهرات وأيضا فهم إلى إسماعيل كانوا من أهل الفترة وهم في حكم
المسلمين بنص الآية الآتية وكذا من بين كل رسولين وأيضا
فإن الله تعالى قال وتقلبك في الساجدين على أحد التفاسير فيه
أن المراد أنه ينقل نوره من ساجد إلى ساجد وحينئذ فهذا
صريح في أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم آمنة وعبد الله من أهل الجنة
لأنهما أقرب المختارين له صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحق بل في
حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا إلى من طعن فيه
أن الله تعالى أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له
عليه الصلاة والسلام فقول ابن دحية يرده القرآن والإجماع ليس
في محله لأن ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة والخصوصية
فلا يرده قرآن ولا إجماع وكون الإيمان به بعد الموت محله في غير
الخصوصية والكرامة وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم ردت عليه
الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى علي رضي الله عنه
العصر أداء كرامة له صلى الله عليه وسلم فكذا هنا وطعن بعضهم
في صحة هذا بما لا يجدي نفعا **وخبر أنه تعالى** لم يأذن لنبيه
في الاستغفار لأبويه إما كان قبل إحيائهما له وإيمانهما به

أو أن المصلحة

أو أن المصلحة اقتضت تأخير الاستغفار لهما عن ذلك الوقت
فلم يؤذن له فيه حينئذ **فإن قلت** إذا قررتم أنهما من أهل
الفترة وأنهم لا يعذبون فما فائدة الإحياء **قلت** فائدته
إلحاقهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة لأن غاية أمرهم أنهم ألحقوا
بالمسلمين في مجرد السلامة من العذاب وأما مراتب الثواب
العلية فهم عنها بمعزل فأتحفا بمرتبة الإيمان زيادة في شرف
كمالهما لحصول تلك المراتب لهما وفي هذا مزيد ذكرته في الفتاوى
ولا يرد على الناظم آزر فإنه كافر مع أن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز
أنه أبو إبراهيم صلى الله عليه وسلم وذلك لأن أهل الكتابين
أجمعوا على أنه لم يكن أباه حقيقة وإنما كان عمه والعرب تسمي العم
أبا بل في القرآن ذلك قال الله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل
مع أنه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا
جمعا بين الأحاديث **وأما** من أخذ بظاهره كالبيضاوي وغيره
فقد تساهل واستروح وحديث مسلم قال رجل يا رسول الله
أين أبي قال في النار فلما قفا دعاه قال إن أبي وأباك في النار
يتعين تأويله وأظهر تأويل الجندي بأنه أراد بأبيه عمه أبا طالب
لما تقرر أن العرب تسمي العم أبا وقرينة المجاز فيه الآية الآتية
الشاهدة بخلافه على أصح محاملها عند أهل السنة وأن عمه الذي
كفله جده عبد المطلب وأنه إنما قصد بذلك أن يطيب خاطر ذلك
الرجل خشية أن يرتد للوقوع في سمعه أولا لأن أباه في النار بدليل
أنه إنما قاله بعد أن ولى أو كان ذلك قبل أن ينزل عليه وما كنا

معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له صلى الله عليه وسلم انه سئل
عن أطفال المشركين فقال هم مع ابائهم في النار ثم سئل عنهم
فذكر انهم في الجنة **وأما قول النووي** رحمه الله في حديث مسلم
ان من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان
فهم في النار فليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء
كانت قد بلغتهم دعوة ابرهيم وغيره عليه السلام انتهى
فبعيد جدا للاتفاق على ان ابرهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب
ورسالة اسمعيل انتهت بموته اذ لم يعلم لغير نبينا صلى الله عليه
وسلم عموم بعثة بعد الموت وقد يؤول كلامه بحمله على عبادة الأوثان
الذين ورد فيهم انهم في النار وهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب
من كلام النووي ثم رأيت الأبي شارح مسلم بالغ في الرد على
النووي بان كلامه متناف لحكمه بانهم اهل الفترة وبان الدعوة
بلغتهم ومن بلغته الدعوة ليسوا أهل فترة لانهم الامم الكائنة
بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الأول ولا أدركوا الثاني
ثم قال لما دلت القواطع أن لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا ان
اهل الفترة غير معذبين انتهى وهو موافق لما ذكرته وما
أحسن قول بعض المتوفقين في هذه المسئلة الحذر الحذر من
ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لخبر الطبراني
لا تؤذوا الأحيا بسبب الأموات انتهى **وأما الذي صح**
تعذيبهم مع كونهم من أهل الفترة فلا يردون نقضا على ما عليه
الاشاعرة من أهل الكلام والاصول والشافعية من الفقهاء ان

أهل الفترة لا يعذبون وسبب ذلك انا عهدنا في الغلام الذي
قتله الخضر أنه حكم بكفره مع صباه ولأمر يعلمه الله تعالى وحده فكذا
هؤلاء بكفرهم بخصوصهم وان لم تبلغهم الدعوة لأمر يعلمه الله ورسوله
فلا يرد هؤلاء نقضا على ما استفيد من الآية ومشى عليه أولئك الأئمة
لان اهل الفترة لا يعذبون وهذا الذي ذكرته في الجواب أولى
من الجواب بأن احاديثهم اخبار احاد فلا تعارض القطع بان اهل
الفترة لا يعذبون أو بان التعذيب المذكور في الاحاد مقصور
على ان من بدل وغير من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة
الأوثان وتغيير الشرائع **وكان قائل** هذا ممن يرى وجوب
الايمان بالعقل والذي عليه اكثر اهل السنة والجماعة انه لا
توحيد ولا غيره الا بعد ارسال الرسل اليهم **ومن المقرر** ان
العرب لم يرسل اليهم رسول بعد اسماعيل عليه الصلاة والسلام
وان اسماعيل انتهت رسالته بموته عليه الصلاة والسلام فلا فرق
بين من غير وبدل وغيره ما عدا من صح تعذيبه فيقصر ذلك عليه
لانه لا قياس في ذلك **وقول** ابي حيان ان الرافضة القائلون
ان ابا النبي صلى الله عليه وسلم غير معذبين مستدلين بقوله تعالى
وتقلبك في الساجدين فلك رده بان مثل ابي حيان انما يرجع
اليه في علم النحو وما يتعلق به واما المسائل الاصولية فهو عنها
بمعزل كيف والاشاعرة ومن ذكر معهم فيما مر آنفا على انهم موحدون
ونسبة ذلك للرافضة وحدهم مع ان هؤلاء الذين هم أهل السنة
قائلون قصورا واي قصور وتساهل واي تساهل ما مضت

فترة وهي ما بين موت الرسول وبعثة الرسول الذي يليه
كما بين عيسى ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم واختلفوا في قدرها
والمشهور انه نحو ستمائة سنة أي زمن خال من الرسل جمع رسول
ومن تعريفه أو للكتاب أي ما مضى زمن خال من الرسل نسي فيه
ذكرك إلا جددته وبشرت من البشارة وهي الخبر السار
قوما ليس فيه اضمار قبل الذكر لأن مرجع الضمير الفاعل وهو
متقدم الرتبة وإن تأخر لفظه على انه يحتمل على بعد ان الضمير
للفترة أي الا بشرت الأقوام الكائنين في تلك الفترة
بك اي بقرب بعثتك وباهر رسالتك وعظمتك الأنبياء
أي الرسل الذين أتوا بعد تلك الفترة وفي هذا استدلال
واضح على كمال شرفه صلى الله عليه وسلم ورفعته على ألسنة الرسل
وانه نبي الأنبياء المتقدم عليهم التابعون له هم وأممهم
وشاهد ذلك قوله تعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام
أنا دعوة ابي ابرهيم اي في اية ربنا وابعث فيهم رسولا منهم
وبشارة عيسى عليه السلام ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه
أحمد وقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين اي وأممهم وحذف
استغناء بذكر المتبوعين عن ذكر الاتباع لما مفتوحة توطية
للقسم الذي تضمنه أخذ الميثاق ولتؤمنن به سد مسد
جوابه وجواب ما الشرطية ومكسورة اي لأجل ما آتيتكم
من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم أي
وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه أبدا دائما آمين

وقد

وقد اختلف المفسرون فيها والذي قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما
وتبعهما الحسن وطاوس وقتادة رحمهم الله انه تعالى أخذ
على كل نبي بعثه من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم ان من أدرك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويلزم
من هذا ان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق
من أممهم بانهم ان أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم امنوا به ونصروه
ودعوى ان هذا هو معنى الآية دون الأول مردودة ولا
ينافي الأول العلم بان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يدركون
حياته صلى الله عليه وسلم ولا الحكم في اخر الآية بالفسق على من
تولى ~~على المال أولي~~ عن ذلك لان التعليق في مثل ذلك لا يستلزم
الوقوع الا ترى الى قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك
ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين فالمقصود
انه لو فرض انه بعث وهم احياء لزمهم ذلك كما ان القصد من
هاتين الآيتين الفرض والتقدير ايضا ومن ثم قال الامام
التقي السبكي دلت الآية على انهم لو أدركوا زمنه صلى الله عليه وسلم
كان مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق
الأنبياء وأممهم من لدن أدم الى قيام الساعة وحينئذ
يدخلون في قوله وأرسلناك للناس كافة وحكمة أخذ الميثاق
على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعلامهم وأممهم بانه المتقدم
عليهم وانه صلى الله عليه وسلم نبيهم ورسولهم وقد اظهر الله
ذلك في الدنيا لكونه أمهم ليلة الاسراء ويظهر في الاخرة

صلى الله عليه وسلم

بأنهم كلهم تحت لوائه بل وفي آخر الزمان يكون عيسى عليه الصلاة
والسلام ينزل حاكما بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم دون شريعة
نفسه ثم بين الناظم بعض فوائد تلك البشارات في تلك
الفترة فقال تتباهى بك العصور وتسمو بك
علياء دونها علياء ۝ تتباهى أي تتفاخر بك أي بوجودك
العصور أي الأزمنة الطويلة من لدن آدم إلى يوم القيمة
وما بعده فكل عصر يفخر على العصر الذي قبله لوجودك فيه
بكمال أعلى مما قبله ولو في ضمن آبائك لكن أعظمها افتخارا
عصر بروزك إلى هذا العالم ثم عصر بشائك ثم عصر رضاعك
فشق بطنك فتعبدك بحراء وغيره ثم عصر نبوتك ثم عصر
رسالتك ثم عصر دعائك الخلق إلى الله تعالى ثم اقبالهم عليك
ثم عصر معراجك ثم عصر هجرتك ثم عصر جهادك ثم عصر سراياك
وبعوثك وفتوحك ثم عصر دخول الناس في دين الله أفواجا
ثم عصر حجك ثم عصر اتباعك على تفاوتهم إلى يوم القيمة
كما دل عليه الحديث المشهور لا تزال طائفة من أمتي إلى آخره
فمزاياه تتزايد في كل عصر من أعصار حياته صلى الله عليه وسلم
على ما قبله وبحسب ذلك يكون الافتخار ذلك العصر على غيره
وكذلك عصر اتباعه تتفاوت مزاياهم المستمدة من مزاياه
وأعمالهم المتضاعفة له تضاعفا يفوق الحصر لأن كل عامل
يتضاعف له صلى الله عليه وسلم بحسب عمله وكذلك كل واسطة
بينه وبينه لأنه الدال للكل ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله

بكل حال

بكل حال يتضاعف له بحسب تضاعفه من بعد أو يتضاعف للنبي
عليه الصلاة والسلام تضاعف الجميع وهذا شيء يقصر عن إدراك
كثرته العقل ثم عصر مقامه المحمود وشفاعته العظمى في فصل
القضا ثم عصر بقية شفاعاته ثم عصر حوضه ثم عصر وسيلته
وفضيلته التي يعطاها في الجنة مما لا تدرك غايته ولا تحد
نهايته فكل هذه العصور تفتخر به بحسب ما يقع فيها من كماله
لأن الأزمنة والأمكنة تشرف بشرف من يكون فيها وما يكون
فيها من المزايا والكمالات ولذا قال بعضهم أن ليلة مولده
عليه الصلاة والسلام أفضل من ليلة القدر وصحيح لولا النص
على خلافه على أن ليلة القدر من خصوصيات فضيلتها إنما
هو لأجله أيضا وتسمو أي تعلو أو ترتفع من سموت وسميت كعلوت
وعليت بك أي بتلبسها بك مرتبة علياء تأنيث الأعلى
دونها في الزمان والعلو مرتبة أخرى علياء أي أعلى منها أي
لك في كل عصر من العصور المذكورة مرتبة أعلى مما قبلها وأعلاها
ما بعدها وهكذا إلى ما لا نهاية له ودليل تفاوت مراتبه كما
ذكر قوله تعالى وقل رب زدني علما ولا شك أن علومه ومعارفه
متزايدة متفاوتة إلى ما لا نهاية له وقوله صلى الله عليه وسلم انه
ليغان على قلبي فأستغفر الله قال العارف القطب أبو الحسن الشاذلي
هذا غين أنوار لا غين أغيار أي لأنه صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي
فكان كلما توالت أنوار العلوم والمعارف على قلبه ارتقى إلى مرتبة
أعلى مما هو فيها ورأى أن ما قبلها دونها فيستغفر تواضعا

طلبا لثوابه كما الدرر وفي قول الناظم وتسموا الي اخره من المدح ما لا يخفى
عظيم وفعد لان جعل تلك المراتب هي التي تسموا وترتفع به
ولم يجر على ما هو المتبادر انه الذي تسموا او ترتفع بها لما هو
المتبادر انه تعالى خلقه في عالم الامر على اكمل كمال لا يمكن أن
يوجد لمخلوق ثم ابرزه في عالم الخلق مندرجا في تلك المراتب
العلية فهي تتشرف به لا يتشرف هو بها لما علمت انه كامل قبلها
فتامل ذلك فانه مهم دقيق غفل عنه الشارح

وبدا للوجود منك كريم من كريم اباؤه كرماء

وبدا اي ظهر لك للوجود اي لهذا العالم منك كريم اي سالم
من كل صفة نقص جامع لكل صفة كمال وهذا احد انواع التجريد
الذي هو ادق انواع البديع وهو اعني التجريد ان ينتزع من صفة
امر اخر مماثل لذلك الامر حتى كانه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة
الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف اخر بتلك الصفة وهو انواع
منها ما يكون بمن التجريدية كما هو نحو قولهم لي من فلان صديق
حميم اي قريب يهتم لامره اي بلغ فلان من الصداقة حدا يصح
معه ان يستخلص منه اخر مثله في الصداقة فهو صلى الله عليه وسلم
لكماله في صفة الكرم صح ان ينتزع منه شخص كريم مبالغة
في صفة كرمه وكماله فيه ثم ذلك الكريم الذي ظهر وهو محمد
صلى الله عليه وسلم وجد من اصلاب وام كريم اي سالم من
نقص الجاهلية فالكريم هنا وفيما بعده غيره ثم كما علم مما مر
ويأتي وهذا الظاهر في اسلام ابويه عليه الصلاة والسلام

ومر ما في ذلك

ومر ما في ذلك اباؤه اي جميعهم كما افادته الاضافة من لدن
ادم عليه الصلاة والسلام واراد بالاباء ما يشمل الامهات
لما قدمه ان النوعين مختاران والاختيار والكرم ما لهما
واحد كرماء اي سالمون من سفاح الجاهلية ونقصهم

تنبيه قال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على
انه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز عدنان
وفي مسند الفردوس عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان
ثم يمسك ويقول كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا
بين ذلك كثيرا لكن قال البيهقي الاصح ان هذا من قول ابن
مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون اي لانهم
يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد وعن
ابن عباس رضي الله عنهما بين اسماعيل وعدنان ثلاثون ابا لا يعرفون
ومن ذلك انكر مالك رضي الله عنه على من يرفع نسبه الى ادم
وقال من اخبره بهذا اي ان ذلك من كلام المؤرخين
الذي لا دليل عليه ولا ثقة به مع ما فيه من التخليط والتغيير
وقلة الفائدة هذا نسب تحسب العلا بحلاه قلدتها نجومها الجوزاء
نسب عظيم بل لا اطهر ولا اجل منه في الانساب وهو
اسم لعمود القرابة الذي يجمع متفرقها تحسب ايها المخاطب
اي تظن العلا جمع عليا تانيث الاعلا كما مر بحلاه

بضم أوله وكسره وهو أفصح جمع حلية بكسر أوله اي تنسبب
حلا ذلك النسب قلدتها اي العلا في محل مفعول لتحسب
الثاني والاول العلى بنجومها اي بنجومها الجوزا اسم لبرج في
السما كما في القاموس وعليه فنجومه هي الأبنية وتطلق عرفا
على النجوم المجتمعة المعروفة قيل وهي تشبه المراة فلذا نسب
التقليد اليها وحينئذ لابدع أن ينسب الى الشي من حيث هو
مجموع انه قلد غيره كلا تلك الأفراد التي اشتمل عليها أو يقال
ان المراة هنا ما حواليها من النجوم التي تسمى نطاق الجوزا كما
قال القايل ، لو لم يكن فيه الجوزا خدمته ، لما رأيت عليها عقد منتطق ،
أي من كمال هذا النسب وشرفه ان من تأمل فيه حسب بسبب
ما تحلى به من الكمالات ان معاليه قلدتها الجوزا بنجومها أي
جعلت نجومها قلادة لها فعلم ان كلا منه يعدان واحدا من
أولئك الابا الكرام قد ارتفع في زمانه حتى صار كانه النجم في الشرف
وعلو المرتبة والاضاءة والاهتدا به في ظلمات البر والبحر حتى يظن
الظان انه نجم من نجوم الجوزا وان ذلك النسب متناسب كتناسب
العقد وكاستدارة نجوم الجوزا وان مجموع هذا النسب كالعقد
الثمين جدا التي تقلده عنق تلك المراتب العلية فعلم من هذا
مع ما قدمته في مبحث الاستعارة من أنواعها ما في هذا
البيت من البلاغة الغاية في البلاغة كاستعارة نجوم الجوزا
المتتابعة كتتابع ذلك النسب في الشرف وعلو المراتب ولما
قرر ان مجموع ذلك النسب كالعقد الثمين التي تقلدته تلك المراتب

العلية

العلية أخذ في مدح ذلك فقال حبذا عقد سودد وفخار
أنت فيه اليتيمة العصماء ٥ حبذا وهي كنعم عملا ومعنى
مع زيادتها عليها باشعارها بان الممدوح بها محبوب للقلب وأصله
حبب بالضم اي صار حبيبا لا حبب بالفتح ثم ادغم فصار حب
والأصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان كان المخصوص
بخلاف ذلك لانه كالمثل والأمثال لا تغير أو لان فيه حذفا
تقديره في نحو حبذا هند حبذا حسنها وحبذا زيد حبذا المراة
وشانها فالمقدار فالمشار اليه مفرد ومذكر دائما بما حذف وأقيم
المضاف اليه مقامه أو لانه على ارادة جنس شايع اقوال والاكثرون
على الاول وقيل حبذا كله فعل وفاعله المخصوص وقيل الكل اسم
واحد واختاره ابن عصفور فهو مرفوع اتفاقا ثم هل هو
مبتدا خبره المخصوص أو عكسه قولان وعلى ان ذا هو الفاعل
والمخصوص مبتدا الجملة وهي خبره والرابط ذا وقيل مبتدا
محذوف الخبر وقيل عكسه وكانه قيل من المحبوب فقال زيد
أي هو وقيل بدل من ذا وقيل عطف بيان له ولا يتقدم مخصوص
حبذا عليها وان جاز تقديمه بقلة على نعم لانها فرع عليها فلا
تساويها في تصرفاتها ويحذف بقلة ويكون قبل المخصوص
أو بعده نكرة منصوبة مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة وحبذا
الرجلين الزيدان ثم ان اشتق أعرب حالا والا فهو تمييز على خلاف
منتشر فيه والناظم حذف هذه لدلالة المقام عليه والتقدير
حبذا كمالا ويدخل عليها لا فتساوي بيس في العمل والمعنى مع زيادة

ما تقدم وهي غير منصرفة فلا مصدر لها ومن ثم عملت فيما عداه
كالظرف والتمييز والحال وان توقف ابو حيان في الاخير بين
وبجر من ذا فيضم اولها ويجوز نقلا فتحه وجر فاعلها بالبا
كحب بها وانما اطلت في هذه لان كلام الشارح فيها غير موف
بالمراد مع انه لا يخلو الا لنظر في حذفه مع ما مر من ابهام فتامله
عقد بكسر اوله وهو القلادة من الجوهر سودد اى سيادة وفخار
اى تمدح بالخصال الجليلة انت فيه اي في ذلك العقد وفي نسخ
فيها نظرا الى المعنى لما تقرر ان العقد القلادة اليتيمة التي لا
شبيه لها في حسنها العصما من العصمة اى الحفظ او المنع لان
من شان هذه الدرة ان يبالغ في حفظها ومنعها عن ان تصل اليها
يد الاغيار وجملة انت وما بعدها صفة لعقد او حال منه
لتخصيصه بالاضافة وهذا فيه غاية المدح له صلى الله عليه وسلم
ولنسبه اي حبذا نسبك الذي اذا ذكر وعددت معك اباؤك
كانوا قلادة منتظمة من جواهر ثمينة لها السيادة والفخار
على جميع الجواهر وكنت انت اعظمها وانفسها واعلاها
بحيث تكون انت واسطتها العديمة النظير والمخصوصة
من الرعاية والحفظ والمنع بما لم يوجد لغيرها لتميزها
ببلوغها من صفات الكمال ونعوت الجلال ما يبهر العقل
ويفوق الوصف وشاهد هذا ما مر من الاحاديث الصحيحة
في انه صلى الله عليه وسلم افضل المخلوقين والخليفة الاكبر
عن رب العالمين ولما تمم مدح كماله ونسبه اخذ في مدح ذاته

فقال

فقال

ومحيا كالشمس منك مضيء اسفرت عنه ليلة غراء

وحبذا ايضا محيا اي وجه كالشمس منك من حال لمحياك مضيء
مبتدا خبره كالشمس والجملة صفة لمحياك او حال منه لتخصصه
بمنك وشاهد هذا حديث البخاري عن الربيع بنت مسعود لو
رايته لقلت الشمس طالعة من جبينه وحديث احمد والترمذي
والبيهقي وابن حبان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما
رايت شيئا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس
تجري في وجهه وحديث مسلم من حديث جابر بن سمرة
قال له قائل كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف
فقال بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وتبين بذلك الرد على
من شبهه بالسيف في الطول وانه جمع صفة الشمس من
الاشراق والاضاءة وصفة القمر من الحسن والملاحة وفي حديث
علي عند الترمذي والبيهقي كان في وجهه تدوير اي قليل مع
سهولة خديه وهو احلى ما يكون عند العرب وعلم مما تقرر
انهم لم يقصدوا بالتشبيه بالشمس والقمر الا ما ذكر لا مطلقا
فاندفع ما توهم من عيب التشبيه بهما اخذا من قول ابي نواس

يشبه الشمس والقمر المنير ... اذا قلنا كانهما الامير
لان الشمس تغرب حين تمسي ... وان البدر ينقصه المسير

نعم قول ابن ابي هالة يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر
ربما يفوق التشبيه بالشمس من حيث ان القمر حينئذ يملا
نوره الارض احوج ما كانت اليه ويونس كل من شاهده

فهو يجمع النور من غير اذي ويمكن الناس من مشاهدته بخلاف
الشمس فانها تغشي البصر ويمنع من يمكن الرؤية اليها ولك أن
تقول لا يفوقه لما علم مما قدمته ان وجه الشبه مراعي حينيذ
فالتشبيه بالشمس مع رعاية وجه الشبه بها ابلغ منه بالقمر
قال تعالى هو الذى جعل الشمس ضيا والقمر نورا وشتان ما بينهما
أسفرت صفة أو حال ايضا اى انحسرت وانقضت عنه أي ذلك
الحيا وأضات متجاوزت عنه ليلة عظيمة غرآ أي بيضا
يظهر نوره فيها وعقبها وهذا اولى من جعل ذلك لظهور القمر
فيها بنا على انها ليلة ثانى عشر أو لكونها من الغرر بنا على انها
ليلة ثانى الشهر وغرته ثلاث ليال لان كلا من هذين لا مدح
له فيه صلى الله عليه وسلم بخلاف الأول من الغرة وهي بياض
فى وجه الفرس فهو غرة فى وجه الدهر ثم أبدل منها قوله
ليلة المولد الذى كان للدين سرورا بيومه وازدهآ
ليلة المولد بكسر اللام من الولادة وبفتحها مكانها وكلاهما
ههنا بعيد فالأحسن انه مصدر ميمي اى ليلة الولادة الذى
كان أي دام واستمر على حد وكان الله غفورا رحيما للدين
وهو لغة الجزآ واصطلاحا الشرع المبعوث به النبى الكريم
عليه الصلاة والسلام وحد ايضا بانه وضع الهي سايق لذوى
العقول باختيارهم لهم الى ما هو المحمود بالذات سرورا أي
فرح عظيم بيومه واليوم فى عرف الفلكيين ونحوهم من طلوع
الشمس وفى عرف الشرع من طلوع الفجر واضاف ذلك ليوم

المولد

خبر ع

٢٨

المولود دون ذاته مبالغة فى زيادة عظمته لان ذلك اذا وقع
لظرفه التابع له فكيف بذاته وازدهآ أى هذه الليلة
الغرآ هى ليلة ولادتك وانت أشرف مولود فلاجل ذلك سر الدين
وأهله اليوم الذى برزت فيه الى هذا الوجود على الوجه الاكمل ٥
وافتخر ابه على ساير الاديان والأيام تنبيه أضاف الناظم
كلا من اليوم والليلة الى المولد فاحتمل أن يكون من القايلين بانه
ولد ليلا واستدلوا بما رواه ابن السكن من حديث عثمان بن
العاص عن امه فاطمة بنت عبد الله الثقفية انها شهدت ولادة
النبى صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فما شى انظر اليه من البيت الا
نور وانى لانظر الى النجوم تدنوا حتى انى اقول ستقع علي
ورواه البيهقي ولم يذكر فيه الا النور وتدلى النجوم وشرح
عايشة رضى الله عنها أيضا بذلك كما رواه الحاكم وان يكون
من القايلين بانه ولد نهارا وهو ما يصرح به قوله الأتى
يوم ثالث يوضعه ابنة وهب وهذا هو الاصح كما صرح به
حديث مسلم وغيره لكن بعد الفجر كما فى حديث وان كان فيه
ضعف لان الضعيف فى الفضايل والمناقب حجة اتفاقا
فمن أطلق انه ولد ليلا اراد بالليل ما قبل طلوع الشمس أو اراد مجاز
المجاورة وليس فى رواية ان النجوم تدلت عند ولادته الا بيه
ما يدل على ان ذلك كان قبل الفجر لانها تكون بعد الفجر فيمكن
تدليها حينيذ بل بعد طلوع الشمس خرقا للعادة للمبالغة
فى اكرامه صلى الله عليه وسلم وعلى انه ولد ليلا فليلة مولده

افضل من ليلة القدر واستدل قايله بوجوه كثيرة كلها مدخولة
كما يعلم الواقف عليها ان حقق ودقق وعلى انه ولد نهارا فهو
يوم الاثنين اتفاقا وصح به خبر مسلم ثم قيل انه شهر غير معين
والمشهور انه معين وهو صفر او ربيع الاول او الاخر او رجب
او رمضان او يوم عاشورا اقوال والاصح انه في شهر ربيع الاول
فقيل ان اليوم غير معين فيه فقيل لليلتين منه وقيل لثمان
واختاره اكثر اهل الحديث وغيرهم بل اجمع عليه اهل التاريخ
وقيل لعشر وقيل لثنتي عشرة وهو المشهور وعليه العمل وقيل
لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وانما لم يكن في يوم الجمعة
ولا في بعض الاشهر الحرم او رمضان لئلا يتوهم انه صلى الله عليه وسلم
تشرف بذلك الزمن الفاضل فجعل في المفضول ليظهر من شرفه به
على الفاضل ونظير ذلك دفنه صلى الله عليه وسلم بالمدينة دون مكة
لانه عليه الصلاة والسلام لو دفن بها لكان بفضل تبعا لها فانفرد
صلى الله عليه وسلم بموضع مفضول عند اكثر العلما ليتشرف بلده
يفوق به الفاضل عند كثير منهم وليقصد قبره ومسجده بطريق
الاستقلال لا التبعية اظهارا لمزيد كرامته على ربه **واختلفوا**
في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثر انه عام الفيل بل
حكى الاتفاق عليه والمشهور انه ولد بعده بخمسين يوما
ووراء ذلك اقوال اخر خمسة وخمسون شهرا اربعون عشر سنين
خمسة عشر سنة وابعدها بعدها بانه ارهاص لنبوة هذا الذي
ولد بمكة ومقدمة لظهوره صلى الله عليه وسلم في مكانها والصواب

انه ولد

صلى الله عليه وسلم

انه ولد بمكة قيل بالشعب وقيل بالردم والمشهور انه بالمسجد المشهور
الآن بالمولد وزعم انه بعسفان شاذ لا يعول عليه فقد صرح بعض
ائمتنا ان اول واجب على الاوليا ان يعلموا صبيانهم ان نبينا محمدا
صلى الله عليه وسلم ولد بمكة ودفن بالمدينة بل قيل انكار ذلك كفر
لاستلزامه انكار وجود النبي الذي هو محمد صلى الله عليه وسلم

وتوالت بشرى الهواتف ان قد ولد المصطفى وحق الهناء

وتوالت اي تتابعت بشرى اي بشارة الهواتف للناس جمع هاتف
وهو ما يسمع هتفه اي صوته وقيل صوته الخفي ولا يرى شخصه
والمراد هنا اعم من ذلك لان البشارة به جات في كتب الله تعالى
والسنة الاحبار والكهان والجان كما استوعبه اهل السير
وجمع الكثير منه ابن ظفر في كتابه البشر بخير البشر ان اي بان
تتعلق ببشرى قد ولد المصطفى اي المختار على الخلق كلهم
وحق اي ثبت الهناء اي الفرح والسرور لكل الخلايق به
قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين والبشارات
به صلى الله عليه وسلم على الانواع المذكورة كثيرة لا يحتملها هذا
المحل لكن منها ما جا انه حين ولد هتف هاتف على الحجون وقال
فاقسم ما انثى من الناس انجبت • ولا ولدت انثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر • مجنبة لوم القبايل ماجده
وهتف آخر على جبل ابي قبيس باربعة ابيات فيها معنى ذلك
وزيادة ومنها ان سواد بن قارب الدوسي لما قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسلم وحسن اسلامه اخبره ان رويه

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أنشده أبياتا ثلاث ليال متوالية وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم منها
حث سواد بن قارب على المجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان به
وعظم مدحه ومنها ما جاء بسند ضعيف أن راهبا كان بمر الظهران
يقول يوشك أن يولد منكم يا أهل مكة مولود اسمه محمد
تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود إلا سأل
عنه فجاء عبد المطلب صبيحة ولادته فلما رآه قال كن أباه فقد
ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه فما سميته قلت محمدا
وروى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها أنه كان بمكة يهودي فصاح
ليلة ولادته يا أهل مكة هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه
قال ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة
فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فأدخلوه على أمه
وأخرج له فكشف عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا
عليه فلما أفاق قالوا ما لك ويلك قال ذهبت النبوة من بني
إسرائيل **وذكر** الحافظ أبو سعيد النيسابوري أن نور النبي
صلى الله عليه وسلم لما صار إلى عبد المطلب وكان يضيء في غرته ويفوح
من فمه رائحة المسك الأذفر وكانوا يستسقون به فيسقون
نام في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فتحير
فيمن فعل به ذلك فانطلق به أبوه إلى كهنة قريش فقال
إن إله السموات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج ونام مرة
أخرى في الحجر فرأى رؤيا وقصها على الكهان فقالوا لئن صدقت
رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السموات

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه

والأرض

الحفاظ

والأرض وليكونن في الناس علما مبينا **وذكر** الحافظ أن زمزم كانت
اندرست فرأى عبد المطلب ما دله عليها فحفرها فآذاه سفهاء قريش
ولم يكن له إلا ولده الحارث فنذر إن رزق عشرة بنين ليذبحن
أحدهم لله تعالى فلما تموا عشرة بنين رأى من يأمره بوفاء نذره
فانتبه وذبح كبشا فرأى أنه لا يجزيه فذبح ثورا فرأى أنه
لا يجزي وهكذا حتى أمر بذبح أحد بنيه كما نذر فقارع
بينهم فخرجت على عبد الله أبي النبي فجاء به ليذبحه عند باب
الكعبة فمنعه سادات قريش وأمروه بمشاورة كاهنة
فأشارت أن يقرع بينه وبين عشرة من الإبل وأنه كلما خرجت
القرعة عليه زاد عشرة من الإبل فلما بلغت مائة خرجت القرعة
على الإبل فذبحها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين
وصح أنه صلى الله عليه وسلم أقر من قال له ذلك الثاني إسمعيل
أو على أنه إسحاق وعليه الأكثرون فقد مر أن العرب تسمي
العم أبا ۝ وتداعى إيوان كسرى ولولا آية منك ما تداعى البناء
ومن عجائب ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم أنه تداعى أي تهادم
أي أشرف على الهدم لانشقاقه بينا آية إلى خرابه إيوان
بكسر الهمزة ويقال فيه أوان ككتاب وفسره الجوهري بأنه
الصفة العظيمة كالأزج وغيره بأنه بيت مؤزج أي مبني
طولا غير مسدود الوجه أي فهو صفة طويلة واسعة بأولها
عقد واسع بابه وقال فهو فارسي وقيل بأنه هو البيت العالي
وقيل بيت كبير مستطيل ذو شرفات وقيل بيت الملك

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه [?]

المعدّ لجلوسه مع ارباب مملكته لتدبير ملكه • والحاصل ان ذلك الايوان
كان من اعاجيب الدنيا سعة وبناء واحكاما كسرى انوشروان
بفتح الكاف وكسرها معرب خسراى واسع الملك وهو لقب لكل ملك من
الفرس كقيصر لملك الروم وتبّع لملك اليمن والنعمان لملك العرب
من قبل العجم والنجاشي لملك الحبشة وفرعون لملك القبط والعزيز
لملك مصر وجالوت لملك البربر وخاقان لملك الترك ولولا حرف
امتناع لوجوب اي امتنع جوابها الوجود تاليها آية صادرة منك
الى الوجود اي علامة عظيمة على نبوتك ورسالتك العامة وان
كل من عاندك لا ترتفع له راس وفيه التفات من الغيبة الى الحضو
والاصل منه اي المصطفى ما تداعى البنا اي هذا المبني المذكور
مع ما هو عليه من العظم والاحكام الذي كان يظن به انه لا
تهدمه الا نفخة الصور فاذا قد تحرك وسقط منه اربع عشر
شرافة حينئذ فليس ذلك الا محض آية منه صلى الله عليه وسلم
للوجود على نبوته صلى الله عليه وسلم وانه لا ملك ولا عز يبقى
لاحد مع ملكه وعزه • وسر تلك الاربع عشر شرافة الاشارة
الى انه لم يبق من ملوكهم الا اربعة عشر • فملك عشرة في
اربع سنين • واربعة الى زمن عثمان • وقد فتح في زمن عمر
رضي الله عنه اكثر اقليم فارس • وكسر كسرى • واهانه غاية الهوان
وتمزق شعره الى ان سار الى اقصى مملكته • ثم قتل في زمن عثمان
رضي الله عنه وزال ملكه بالكلية • وصح انه صلى الله عليه وسلم
اخبر بانه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده • وان امواله وكنوزه

تنفق

تنفق في سبيل الله تعالى فانقطع ملكه وزال من جميع الارض •
وتمزق ملكه كل ممزق لانه صلى الله عليه وسلم دعا عليه بذلك
لما جاءه كتابه فمزقه • وقد بشر صلى الله عليه وسلم امته في حفر
الخندق بملك بلاده • وقال لسراقة وكان من فقراء اصحابه كيف بك
اذا لبست سواري كسرى • فلما اتى بهما عمر رضي الله عنه البسهما اياه
اي اظهارا للمعجزة • وذلك عذر مبيح • وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى
والبسهما سراقة • ولما راى كسرى ما وقع بايوانه وراى تلك الليلة
الموبذان اعلم علماء مملكته ابلا صعابا تقود خيلا عرابا فقطعت
دجلة وانتشرت في بلادها فافزع كسرى ذلك فسال الراي فقال
حدث يكون من ناحية العرب • فكتب كسرى الى النعمان بن المنذر ملك
العرب ان يرسل اليه اعلم ما في ارضه من العرب • فبعث اليه عبد المسيح
ابن عمرو الغساني وكان معمرا فدلهم على خاله سطيح • وهو بالشام فامر
كسرى بالذهاب اليه فجاءه فوجده مشفيا على الموت • فاخبره عبد المسيح
فقال سطيح بما من جملته عبد المسيح على جمل مشيح الى سطيح • وقد
اوفى على الضريح • بعثه ملك ساسان • لارتجاس الايوان • اي تحركه وخمود
النيران • ورؤيا الموبذان • ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت
دجلة • وانتشرت في بلادهم • يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة • وظهر
صاحب الهراوة • وفاض وادي سماوة اي قرية بين الكوفة والشام •
ولبست من العواصم • وغاضت بحيرة ساوة • وخمدت نار فارس •
فليس الشام لسطيح شاما • ولا بابل للفرس مقاما • يملك منهم ملوك
وملكات على عدد الشرفات • وكل ما هو آت آت • ثم قضى سطيح مكانه

وسمي صلى الله عليه وسلم صاحب الهراوة لانه كان يمسك في يده القضيب
كثيرا • وكان يمشي بين يديه بالعصى ليصلي اليها **قال القاضي**
وأراها العصى المذكورة في حديث الحوض • أذود الناس عنه بعصاي
لاهل اليمن • أي لاجلهم ليتقدموا وسمي ايضا صاحب القضيب أي السيف
كما في الانجيل فهو صاحب العصى يرعى بها الاخيار • والقضيب يبيد
به الاشرار والكفار • وغدا كل بيت نار وفيه كربة من خمودها وبلا
ومن العجائب التي ظهرت ليلة ولادته أيضا ليتنبهوا
ويسألوا عن سبب ذلك انه غدا أي صار في تلك الليلة كل
بيت نار أي كل واحد من بيوت نار الفرس التي كانوا يعبدونها
ويشدد ايقادهم لها حتى ان لهم ألف سنة لم تخمد ونار من ذوات
الواو فانما جمعت على نيران لانكسار ما قبل الواو • المستلزم لقلبها يا •
وهي للحال وفيه موافقة لما ذهب اليه الجمهور وتبعهم ابن مالك
ان المنصوب بعد غدا حالا اذ لا يوجد الا نكرة • وخالفهم الزمخشري
وأبو البقاء والجزولي وابن عصفور فجعلوه خبرا سوى كانت
بمعنى صار او بمعنى وقع فعله في وقت الغدو او الرواح فجعلوا
من ذلك اغد عالما وحديث تغدو خماصا وغدا زيد ضاحكا •
أي صار في حال ضحك فيه كربة بضم أوله • اي غم ياخذ الانفس
فربما أهلكها من خمودها أي سكون لهيبها من غير ان يطفى جمرها
والا فقد همدت وبلا عظيم صبه الله عليهم صبا بازالة ما
يعتقدونه الهتهم ومتعبدهم لانهم مجوس • فكان في اقليم الفرس
من بيوت النار الموقدة المائة من السنين ما تخيل العادة انطفاءه

عليه الصلاة والسلام

الاهتهم

فاذا انطفت تلك النيران كلها في ساعة واحدة تلك الليلة علموا ان ذلك
لامر عظيم حدث في العالم وكان ذلك سببا لازالة ملكهم • وتمزيقهم
كل ممزق كما مر وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها انطفاء
ومن تلك العجائب ايضا عيون فهو مبتدا سوغه وصفه
بقوله للفرس بالضم ويقال فارس • ومنه حديث وخدمتهم فارس
والروم • وهم أمة عظيمة كان مسكنهم في شمال العراق من الفراسة
بالفتح اي الشجاعة وكسرى من اجل ملوكهم غارت في الارض
حتى لم يبق منها قطرة • ومنها بحيرة طبرية التي فيها من كثرة المياه
وسعتها ما تحيل العادة غيضها • ولذا قيل طولها ستة أميال
وعرضها مثل ذلك وتسمى عين ساوة لبلد معروف بينها وبين الري
اثنان وعشرون فرسخا وقيل موضع بالشام • فهل استفهام للتعجب
من حالهم او للتوبيخ وتقريعهم كان لنيرانهم بها انطفاء لا بل
لم يطفها الا سر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم وظهوره
المضمحل به كل لهو وباطل ولذا قال ٥
مولد كان منه في طالع الكفر وبال عليهم ووباء
مولد عظيم بالجر بدل من المولد والرفع خبر مبتدا محذوف
كان أي صار على الدوام منه اي من اجله او من لابتداء الغاية
في طالع الكفر اي في نحو الشوم او الالهام الذي يطلع به على
عواقب الكفر وغايات أهله المرتبة عليه • كرؤيا الموبذان
والهام سطيح السابقين آنفا • ويصح ان يراد المولد نفسه
أطلع كل ذي بصيرة على ان الفرس او الكفار كلهم وبال

ان

اي وخم عظيم عليهم اي على اهله الذين هم الفرس بدليل السياق
أو أعم بدليل الواقع ووبا ويجوز قصره وهو المرض الشديد
العام وهما وفيهما الجناس اللاحق وهما كنايتان عما اعتراهم
بوجوده من اشراف مملكتهم على الزوال ومما حل بهم من الوبا
والوبال والهوان والنكال فهنيا به لآمنة الفضل
الذي شرفت به حواء فبسبب ما حصل بوجوده
صلى الله عليه وسلم في هذا الكون لهذه الأمة من المزايا ولهم من
العطايا ولآبائه وأمهاته صلى الله عليه وسلم من الشرف
الأكبر والفخر الأظهر حق ان يقال في شان أمه هنيا
به لآمنة الفضل أي ثبت لها الفضل اي الكمال والشرف
والعلى حال كونه هنيا أي لا آفة فيه ولا نكد فهو حال عند
الأكثرين مؤكدة لعاملها الملتزم اضماره اذ لم يسمع الا كذلك
وقال المبرد انه مصدر كالعاقبة وأصل ذلك انهم انابوا عن
المصدر صفات كهاينا لك وهنيا لك قاله بعض المغاربة
وهي موقوفة على السماع وقال غيره انه مقتبس عند سيبويه
فقال الكل من لازم صفة وهنيا اسم فاعل من هنى وهنو
كشريف من شرف وهو ما اتاك بلا مشقة الذي شرفت
به حواء فمن ولدها من امهاته الى آمنة فان الولادة منسوبة
الى الكل منهن لكنها لهن بواسطة ولآمنة بدونها ثم خصها
من بينهن بالذكر وزاد في مدحها بانها تشرفت بما شرفت
به ام البشر فزيادة عدم الواسطة فذكرها لهذا وللجميع

بين طرفي

بين طرفي الولادة الاول والآخر ولينبه على ان حوى امتازت
بابرازه الى الوجود عالم الأصلاب وآمنة امتازت بابرازه
الى الوجود عالم الاستقلال مع عدم الواسطة ومن ثم
قال مبينا تمييزها على حوى بذلك من لحوى أنها حملت أحمد أو أنها به نفساء
من استفهام استبعادي بمعنى النفي لحوى أي ومن ذا
الذي يفرح لها بانها أو يشفع لها في انها حملت أحمدا
بالتنوين للضرورة أي حملت به وهو من غرر اسمائه صلى
الله عليه وسلم وقد سماه الله به على لسان موسى كما في
الحديث وعيسى عليهما الصلاة والسلام كما في القرآن
وهو منقول من الصفة التي معناها التفضيل فمعناه
أحمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لانه يفتح
عليه يوم القيمة عند سجوده تحت العرش ليسأل في الشفاعة
العظمى وهو مقام المحمود الذي يفتح عليه فيه بمحامد لم
يفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها وكذلك يعقد له لوا
الحمد ويكون تحته آدم فمن دونه أو انها به نفساء
اي اصابها نفاس وهو الدم الخارج عقب الولادة يسمى
بذلك لانه أثر نفس أي ولدها ولدته بلا واسطة أي لو
قدر لها ان تحمل وتلده بلا واسطة لكان لها به غاية الشرف
لكن لم يقدر ذلك لها بل لآمنة لما سبق في علم الله تعالى انها
الفائزة بشرف الانتها وهو افضل مما فازت به حوى من
شرف الابتدا ولهذا قال يوم نالت بوضعه ابنة وهب من فخار ما لم تنله النساء

يوم بدل من مولد اسم زمان نالته اي اعطيت بوضعه
اى بسبب امنة ابنة وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن
كلاب بن مرة فهي تلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جهة اباءها في كلاب وكان وهب سيد بني زهرة نسبا زهيرة
وشرفا وام امنة مرة ابنة عبد العزى بن قصي بن عبد
الدار بن قصي بن كلاب من يا تيه فخار وهو التمدح
بالخصال العلية والشيم المرضية ما لم تنله النسا حتى حوا
كما مر وهذا لا يقتضي افضليتها على حوى مطلقا لانها انما
فضلت من وجه واحد وهو ولادتها له عليه الصلاة
والسلام بلا واسطة والتفضيل من حيثية مزية واحدة
او مزايا لا تقتضي الافضلية على الاطلاق وانما ذكرت
ذلك لان الاجماع قام في حوى على ايمانها الكامل وامنة
وقع الخلاف في ايمانها بل نجاتها ونقل عن الاكثرين عدمها
لكن الاصح بل الصواب خلافه كما مر ومما نالته ما
اخرجه ابو نعيم والخرائطي وابن عساكر ان عبد المطلب
لما خرج بعبد الله ليزوجه للرؤيا التي راها وقد مرت رأته
كاهنة قرات الكتب فرأت نور النبوة في وجهه ومن ثم كان
اجمل رجل رئي في قريش فسألته ان يقع عليها وتعطيه مائة
من الابل فابى وقال اما الحرام فالممات دونه ثم به ابوه حتى جي به
وهبا ابا امنة فزوجه بها وهي يومئذ افضل امرأة في قريش
نسبا وموضعا فوقع عليها يوم الاثنين ايام منى عند الجمرة

ثم خرج

ثم خرج ومر على تلك المراة فلم تكلمه فسألها لم لم تعرضي نفسك
الان علي قالت فارقك النور الذي سالتك لاجله وذكروا
وانه لما استقرت تلك النطفة الكريمة فيها فاصبحت اصنام
الدنيا منكوسة واخضرت الارض وحملت الاشجار وكانت قريش
في جدب شديد فسميت تلك السنة سنة الفتح ونودي في الملكوت
ان النور المكنون قد انتقل الى بطن امنة ذات العقل الباهر
والفضل الظاهر وقد حفظها الله تعالى لهذا الحبيب لانه افضل
قومها حسبا وازكاهم اصلا وفرعا وفي حديث ابي اسحق انها
حدثت انها لما حملته صلى الله عليه وسلم قيل لها انك حملت بسيد
هذه الامة وقالت ما شعرت بحمله ولا وجدت له ثقلا ولا وهما
اي في ابتدا حمله لرواية انها وجدته وحملت على الابتدا جمعا بين
الاحاديث واتاني بين النايمة واليقظانة فقال هل شعرت
انك حملت بسيد الانام ثم امهلني حتى دنت ولادتي اتاني
فقال قولي اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا
وبعد هذا البيت ابيات اخر مشهورة لا اصل لها كما قاله الزين
العراقي واخرج ابو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
كان في دلالة حمل امنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة
لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله ورب الكعبة
وهو امام الدنيا وسراج العلا ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا
الا اصبح منكوسا ومرت وحوش المشرق الى وحوش المغرب
بالبشارات وكذا اهل البحار بشر بعضهم بعضا وله في كل شهر

٢٥

ندا في الارض وندا في السما أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم
ميمونا مباركا وروى أبو نعيم ان آمنة أتاها آت لمن
بعد ستة اشهر من حملها وقال يا آمنة انك حملت بخير العالمين
فاذا وضعتيه فسميه محمدا واكتمي شانك ثم لما أخذها
الطلق وكانت وحدها رأت كأن طايرا أبيض قد مسح فوادها
فذهب روعها ثم رأيت بشربة بيضا فتناولتها فاصابها
نور عال ثم رأت نسوة كالنخل طولا فأحدقن بها فقالت
من أين علمتن بي وفي رواية فقلن لي نحن آسية امرأة فرعون
ومريم ابنة عمران وهؤلا الحور العين ثم رأيت ديباجا أبيض
مد بين السما والارض ورجالا بايديهم أباريق فضة وقطعة
من الطير أقبلت حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرد وأجنحتها
من الياقوت ورأيت مشارق الارض ومغاربها وثلاثة أعلام
منصوبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة
فأخذني النفاس فوضعته صلى الله عليه وسلم فاذا هو ساجد
قد رفع أصبعيه الى السما كالمتضرع المبتهل غشيته فغيبته
عني فسمعت مناديا يقول طوفوا به مشارق الارض ومغاربها
وادخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعرفوا
انه الماحي لانه لا يبقى شي من الشرك الا محي في زمنه عليه
الصلاة والسلام ثم تجلت عنه في اسرع وقت وروى
الخطيب البغدادي بسنده انها لما وضعته رأت سحابة
عظيمة لها نور عظيم تسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه أبدا أبدا آمين

ثم رأت سحابة بيضا

وكلام الرجال

وكلام الرجال حتى غشيته وغيبت فيها فسمعت مناديا يقول
طوفوا به جميع الارض واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس
والملائكة والطيور والوحوش واغمسوه في أخلاق النبيين
ثم انجلت عنه وقد قبض على حريرة بيضا مطوية طيا
شديدا ينبع منها ماء وإذا قايل يقول بخ بخ قبض محمد
صلى الله عليه وسلم على الدنيا كلها حتى لم يبق أحد من أهلها
الا دخل طايعا في قبضته ثم رأيت ثلاثة نفر بيد أحدهم
ابريق فضة والثاني طست من زبرجد أخضر والثالث
حريرة بيضا اخرج منها خاتما تحار الناظرون دونه
فغسله سبع مرات ثم ختم به بين كتفيه ثم احتمله فأدخله
بين أجنحته ساعة ثم رده صلى الله عليه وسلم الى امه
وأتت قومها بأفضل مما حملت قبل مريم العذراء
ويوم أتت آمنة قومها اسم جنس للذكر وقد يدخل فيه النسا
تبعا كما هنا بمولود أفضل بالاجماع مما أوقع ما على العاقل
وهو عيسى عليه الصلاة والسلام وان كان نادر الوقوع في القران
نحو لما خلقت بيدي والسما وما بناها الايات ولا انتم عابدون
ما اعبد وكلام العرب سمع من كلامهم سبحان من سخركن لنا
ولو ذو دهذا وأمثاله زعم قوم منهم ابن درستويه وابو عبيدة
ومكي وابن خروف وقوعها على احاد من يعقل كثيرا مطلقا
قال السهيلي لا يقع على اولي العلم الا بقرينة وتقع على صفات
من يعقل نحو فانكحوا ما طاب لكم من النسا اي الطيبة منهن

وعليه فما هنا نظير الآية لان من صفات من يعقل الحمل المذكور
في قوله حملت قبل اى قبل أمنة ومران بينهما نحو ستماية ستة
أمه مريم بنت عمران الصديقة بنص القران قيل هي من
ذرية سليمان عليه الصلاة والسلام وبينها وبينه اربعة
وعشرون ابا وفي صحيح خير نسائها مريم ولذا فضلت على جميع
النسا للخلاف في نبوتها وان كان شاذا ولما رفع عيسى عليه
الصلاة والسلام الى السما كان سنها ثلاثا وخمسين سنة
وبقيت بعد ذلك خمس سنين أو ستا كما قال الجلال
السيوطي قال ايضا ولما رفع الى السما تعلقت به أمه
وبكت فقال لها ان القيامة تجمعنا العذرا اى البكر لانها
لم تتزوج والعذرة البكارة وحملها لعيسى عليه الصلاة
والسلام انما هو من نفخ جبريل عليه السلام في جيبها
فحملت به ووضعته من وقتها على الاشهر كرامة لها ومعجزة
له عليه الصلاة والسلام وخصه بهذا مع تصريحهم قبل بانه
افضل الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه ينزل من السماء
على منارة جامع بنى أمية البيضا شرقي دمشق كما رواه مسلم
في اخر هذه الامة بقتل الدجال والخنزير ويبطل الجزية فربما
يتوهم من ذلك مع باهر معجزاته عليه الصلاة والسلام
وولادته من غرايب وان كان لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
مثلها أو أبهر منها كما يأتي انه الخاتم الافضل فنفى ذلك على الوجه الاكمل
ونزوله عليه الصلاة والسلام انما هو بشريعة نبينا صلى الله
عليه وسلم

ومنها

ومنها ان الجزية لا تقبل بعد نزوله لانتفا ما لهم من نوع شبهة
تمسك بكتاب تكذيبه لهم فيكون من اتباعه ولاجل ذلك
يصلي وراء المهدي اولا ثم يتقدم بعد اعلاما بانه عليه الصلاة
والسلام لم ينزل مستقلا بل تابعا مؤيدا حاكما بشريعة
محمد صلى الله عليه وسلم وفي خبر البخاري انا اولى الناس بابن مريم
في الدنيا والاخرة وليس بيني وبينه نبي وبه يرد على من قال
كان بينهما خالد بن سنان نبي أصحاب الرس وفي خبر الصحيحين
من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه وان الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة
على ما كان منه من عمل وفي خبر الصحيحين ايضا ان لكل مولود
نخسة من الشيطان فيصيح الا عيسى عليه الصلاة والسلام
قال ابو هريرة اقرأوا ان شئتم واني أعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم ولا ينافي هذا أفضلية نبينا عليه الصلاة
والسلام لان لنبينا من المزايا ما يعم هذا في جنب أدونها
وقد يكون في المفضول مزية ومزايا ليست في الفاضل لكن
فيه ما يخلف ذلك ويفوقه شمتته الأملاك إذ وضعته
شمتته من التشميت وهو ان يقال للعاطس يرحمك الله
بالمعجمة والمهملة أى دعا له بالسلامة من الشوامت أو بقا
سمته كما هو لان العاطس ربما كان سببا لتعوج العنق
الأملاك جمع ملك وهذا هو القياس املاك كجمل وأجمال

ويشفعنا بفعلها الشفيع

وجمعه

ولفظ الملك مشتق من الألوكة وهي الرسالة ويقال لها مالكة
فالأصل فيه مألك ثم قلبت الهمزة ألفا فصار ملاك على
وزن مفعل ثم خفف بعد قلبه ونقلت حركة الهمزة الى اللام
فصار ملكا على وزن فعل وحينئذ فقياس هذا جمعه على
افعال كما جرى عليه الناظم رحمه الله تعالى وجمعوه على ملائكة
لانهم راعوا ملاكا بعد القلب وقبل ان يخفف وقولهم
من الألوكة مصرح بان ميمه زائدة وهو راي الجمهور
وذهبت طايفة الى انها أصلية ثم اختلفوا اهل هو من
الملك بالفتح أي القوة أو بالكسر بمعنى مملوك قولان قيل
وأحسن من الجميع قول النضر بن شميل انه غير مأخوذ من شيء
وهو التحقيق الذي دلت عليه الآثار وقوله تعالى كان
من الجن فزعم ان نوعا من الملايكة يسمون بذلك ليس في
محله لتوقفه على صحة خبرية ان ابليس ابو الجن كما ان ادم ابو البشر
وانه لم يكن من الملايكة طرفة عين وان المصحح للاستثنا
في الآية التغليب لكونه كان فيهم أو هو منقطع وفي
خبر مسلم خلقت الملايكة من نور وخلق الجان من مارج من
نار وخلق آدم مما وصف لكم وظاهره ان عنصرهما متمحض
من النور والنار وقيل بل هما من العناصر الاربعة وانما
غلب عليهما ذلك فزعم تاويل الاولين بانه على التمثيل ليس
في محله لانه يلزم عليه ان الثاني كذلك وان اكثر مدار
المعتزلة على هذه الطريقة فانهم احاديث السؤال

في القبر وعذابه والصراط والميزان والحوض والشفاعة ودابة الارض
ونحوها مما يدينهم للسنة الغرا فتحمهم الله تعالى اذ وضعته
اي وقت وضع امنة له وشفتنا اي فرحتنا وأسرتنا او من
الشفا لانها رقية والرقية كثيرا ما يحصل منها الشفا لان بقولها
قولها الاتي يشفي العليل ويبرد الغليل الشفاء بالفاء
المشددة وهي ام عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة رضي الله
تعالى عنهم بنت عمرو بن عوف وقولها هو ما اخرجه ابو نعيم
عن ولدها عبد الرحمن رضي الله عنه قالت لما ولدت امنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقع على الارض فاستهل فسمعت قايلا يقول يرحمك الله ورحم
بك قالت الشفا واضاء لي ما بين المشرق والمغرب
حتى نظرت الى قصور الروم ثم ألبسته وأضجعته فلم أنشب
أن غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت
قايلا يقول اين ذهب قال الى المشرق قال فلم يزل الحديث مني
على بال حتى اذ بعثه الله تعالى فكنت اول الناس اسلاما
وحمل الناظم قولها استهل على انه صلى الله عليه وسلم عطس حتى
عبر بتشميته الذي لا يطلق الا على ما يقال عند العطاس يحتاج
فيه لسند اذ حقيقة الاستهلال رفع الصوت عند الولادة
وهذا هو الغالب من احوال المولودين فخلافه لا يصار اليه وقولها م
الا بتصريح من يعتمد عليه ولم اره وسمعت قايلا يقول
على الملك هو الظاهر وجمعه مبالغة واشار الى ان عصمة
الملايكة توجب ان الفعل المسند الى احدهم كانه مسند الى الجميع

وعلى ما قاله الناظم مع ما استقر من شرعه عليه الصلاة والسلام
ان التشميت انما يسن لمن قال الحمد لله عقب عطاسه يحتمل انه
صلى الله عليه وسلم حمد الله فشمت فيكون من جملة من تكلم في
مهده وانه صلى الله عليه وسلم عدهم ولم يذكر نفسه منهم
رافعا راسه وفي ذلك الرفع الى كل سودد ايماء
رافعا حال من مفعول وضعته راسه الى السما كما رواه
ابو سعيد من حديث جماعة منهم عطا وابن عساكر ان امنة قالت
لما فصل مني تعني النبي صلى الله عليه وسلم خرج مني نور اضاء له
ما بين المشرق والمغرب ثم وقع على الارض معتمدا على يديه ثم
اخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع راسه الى السما وفي ذلك
الرفع الذي هو اول فعل وقع منه بعد بروزه الى هذا العالم
وهو خبر مقدم الى كل سودد اي رفعة وسيادة على الخلق
وهو متعلق بالمبتدا الذي هو ايماء اي اشارة الى ان شانه
وقدره يرتفع ويعلو في الدنيا والاخرة الى مراتب لا يصلها
غيره من ملك ولا جن ولا انس ۝ رامقا طرفه السما ومرمى
عين من شانه العلو العلاء ۝ رامقا حال ثانية منه
الاول وتعدد الاحوال جايز كتعدد الاخبار او من ضمير
رافعا فهي من الاحوال المتداخلة طرفه اي بصره السما
اي ناظرا الى جهتها نظرا حقيقيا كما علم من حديث عطا
وابن عباس المذكور وروى الطبراني انه لما وقع على الارض
وقع مقبوضة اصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها

وسبقه

٢٨

وسبقه رواية انها لما وضعته نظرت اليه فاذا هو ساجد
قد رفع اصبعيه الى السما كالمتضرع المبتهل وسر هذا
الرمق الاشارة الى علو مرماه اذ مرمى هو في الاصل غرض
الرامي الذي يصيبه سهمه وهنا ما انتهى اليه البصر عين
من شانه قصده العلو ارتفاع مكانه والجملة الصلة وخبر
مرمى العلاء بالفتح والمد اي الرفعة والشرف ويجوز ضم عينه
مع القصر اي كما ان رفع راسه ايما الى ما مر فكذلك رمقه
ببصره الى جهة العلو ايما الى انه لا يقصد الا اعلى المراتب
اذ من شانه العلو لا يقصد الا جهاته وما يوصل اليها دون
غيرها مما لا يناسب افضليته فعلم ان المترتب على الرفع والرمق
متحد بالذات مختلف بالاعتبار اذ التوجه الى جهات العلو الذي
هو مفادهما له اعتبارات مختلفة وتدلت زهر النجوم اليه
يوم تدلت اي قربت ودنت هو عطف على ما نالت زهر
النجوم من اضافة الصفة الى الموصوف اي الكواكب المضيئة
اليه صلى الله عليه وسلم كرامة له وتعظيما لم يقع نظيره
لغيره كما رواه البيهقي وابن السكن عن عثمان بن ابي العاص عن امه
فاطمة الثقفية انها قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى
الله عليه وسلم رأيت البيت قد امتلا نورا حين وقع ورأيت النجوم
تدنو حتى ظننت انها ستقع علي فبسبب هذا التدلي
اضاءت بضوئها اي تلك الكواكب المضيئة الارجاء اي نواحي البيت
او نواحي السما او نواحي الوجود باسره وترائت قصور قيصر بالروم

موصول ح

فأضاءت بضوئها الأرجاء

بالروم يراها من داره البطحاء

ويوم ترات من رأى بمعنى أبصر وليس المراد هنا حقيقة
التفاعل بل أصل الفعل كهي دعون الله وعاقبت اللص أي رأت
قصور قيصر وهو لقب لكل من ملك الروم بالروم أي في
بلاد الروم وهو ابن عيصو بن قيصر وقصور التجنيس المطلق
ويسمّاه قوم كالسكاكي وغيره تجنيس المشابهة وهو تماثل الكلمتين
بحيث يشبهان المشتقين الراجع معناهما الى أصل واحد
كقوله تعالى أزفت الآزفة يا أسفا على يوسف أسلمت مع سليمان
فأقم وجهك للدين القيم وزعم الجيلي ان هذا ليس من
أصناف التجنيس وأن عد أكثر المصنفين له تجنيسا غلط
وليس كما زعم لانهم لم يطلقوا كونه تجنيسا وإنما قيدوه بتجنيس
المشابهة فبينوا انه أشبه التجنيس وليس في الحقيقة تجنيسا
ويسمى بك كثير منه معبر اعنه بنحو وفيه تجنيس شبه الاشتقاق
وما ذكر في الأخير هو ما ذكره الجيلي ولا ينافيه عد غيره له من
تجنيس الاشتقاق لانه نظر الى ان المراد من أقم وجهك للدين
افرغ وسعك في صرف جميع ارشدك في نشره والعناية وغيره نظر
الى ان المراد استقم لتبليغه والدعاية اليه حال كون تلك القصور
يراها رؤية كاملة من أي الذي داره البطحا أي مكة والأبطح
والبطحا المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصى وأصل ذلك
الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال إني عبد الله
خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك
أنا دعوة أبي ابرهيم وبشارة أخي عيسى ورؤيا أمي التي رأت

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أبرارها أجمعين

وكذلك

٢٩

عليهم الصلاة والسلام

وكذلك أمهات الانبيا يرين وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأت حين وضعته نورا أضا لها قصور الشام وفي رواية
عنها قالت رأيت كانه خرج من فرجي شهاب أضات له الارض
حتى رأيت قصور الشام وفي أخرى رأيت ليلة وضعته
نورا أضات له قصور الشام حتى رأيتها وفي أخرى لما ولدته
خرج من فرجي نورا أضا له قصور الشام حتى رأيتها فولدته
نظيفا ما به قذر وفي أخرى لما فصل مني خرج منه نورا
أضا له ما بين المشرق والمغرب وفي رواية الشفا السابقة
وأضا لي ما بين المشرق والمغرب حتى أضا نظرت الى بعض قصور
الروم ولا ينافي هذه الروايات رواية انها رأت مثل ذلك
عند ابتدا وضعه لان تلك الاضاءة وقعت مرتين عند حمله وعند
ولادته زيادة في البشارة وظهور دينه وخصت الشام
بالذكر في أكثر الروايات لما اختصت به من سبق نور نبوته
اليها ومن ثم نقل كعب عن الكتب السابقة انها دار ملكه أي
باعتبار ستقعد اليها قبل نظرائها وكذى اسري به صلى الله عليه وسلم
الى بيت المقدس منها كما هاجر اليها ابرهيم ولوط عليهما الصلاة
والسلام وبها ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام وهي أرض المحشر
والمنشر تنبيه صح عند الضيا انه صلى الله عليه وسلم ولد
مختونا مقطوع السرة حتى لا يرى أحد سوءته زاد الحاكم
ان ذلك تواترت به الاخبار واعترضوا التصحيح بأنها كلها
ضعيفة والتواتر بانها اذا لم تصح كما تقرر فكيف تتواتر

خ ٢ حين

قيل ان كثيرا من الناس ولد مختونا فلا خصوصية فيه بل قال
ابن الكلبي ان ادم واثني عشر نبيا بعده ولدوا مختونين
وروى بعض الحفاظ بسنده الى ابن عساكر ان عبد المطلب
ختنه يوم سابع ولادته وجعل له مادبة وسماه محمدا
وفي طريق منكر انه ختن عند حليمة عند شق قلبه ولما تمم
الكلام على عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته شرع
في ذكر عجائب الرضاع ومعجزاته فقال مستانفا او عاطفا عطف
الجمل فقال ـــــ وبدت في رضاعه معجزات ليس فيها
على العيون خفاء ۝ وبدت اي ظهرت لمن في عصره
عليه الصلاة والسلام بطريق العيان ولمن بعدهم بطريق البرهان
في فصل زمن رضاعه وهو امصاص اللبن معجزات تسميتها
بذلك مجازا جرى على اصطلاح السلف كالامام احمد فانهم
يطلقون المعجزة على كل خارق ليس بسحر وجدت فيه الشروط
الاتية ام لا ولكن الاشهر الذي عليه اكثر علماء الكلام وغيرهم
ان المعجزة لا تطلق حقيقة الا على الامر الخارق للعادة المقرون
بالتحدي الدال على صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فعلم
ان لها شروطا احدها خرقها للعادة بان يحيل وقوعها
كانشقاق القمر ثانيها اقترانها بالتحدي وهو طلب
المعارضة والمقابلة مع امن معارضتها من تحديت فلانا
نازعته لا غلبته وهو مجاز اذ اصل الحدا ان يتعارض فيه الحاديان
فيتحدى كل الاخر اي يطلب حداه فخرج الخارق من غير تحد

وهو كرامة الاول

وهو كرامة الولي والخارق المتقدم على التحدي كاظلال الغمام
وشق الصدر الواقعين لنبينا عليه الصلاة والسلام فهي
كرامات لا معجزات وتسمى ارهاصا اي تاسيسا للنبوة لا يقال
تخرج به ايضا الخارق والمتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة
العرفية لانه يلزم عليه اخراج كثير من اياته صلى الله عليه وسلم
كنطق الحصى والجذع والدواب ونبع الماء بل قيل لعله لم
يتحد بغير القران وتمني الموت وزعم انه لا معجز الا
هذان اقرب الى الكفر منه الى البدعة فالحق ان المراد بالتحدي
ليس معناه الاصلي بل المراد به دعوى الرسالة وكل معجزاته
مقارنة لذلك والخارق الذي لا تؤمن معارضته كالسحر
سواء قلنا انه قلب الاعيان او احالة الطبايع لانا وان
جوزنا ذلك فقد جرت العادة الالهية بانه لا يقع من مدعي
النبوة كذبا وانما يقع صدقا ام لم ينقل بذلك وهو ظاهر
ولا ينافي ذلك ما يظهر على يد الدجال من الخوارق العظيمة
لانه ليس مدعيا للنبوة بل للالوهية وقد دلت
القواطع على كذبه وان بروز تلك على يديه لمحض الفتنة
لا غير ثالثها دلالتها على صدق المتحدي فخرج الخارق
المكذب له كان قال اية نطق هذه الدابة فنطقت
بكذبه كما وقع لمسيلمة الكذاب اللعين انه تفل في بئر
ليكثر ماؤها فغارت لا يقال كان ينبغي للناظم رحمه الله
ان يقول ايات او بينات او برهان لان هذه هي الواردة

قبل النبوة صح

من مدعيها صح

في القرآن والسنة دون لفظ المعجز لانا نقول هي وان لم ترد
لكن صارت في اصطلاح المتاخرين ابين واظهر فلذا خصت
بالذكر **ليس فيها** متعلق بخفا **على العيون خفاء** لوضوحها
وهو اسم مصدر لخفته لانه بمعنى اظهرته وبين بدت وخفا
الطباق **اذ أبته ليتمه مرضعات قلن ما في اليتيم عنا غناء**
اذ اي وقت او لاجل انه **أبته ليتمه** اي لاجل موت أبيه
وقد مضى له وهو حمل شهران وقيل سبعة اشهر وقيل مات
وهو في المهد وهذا اقربها في المتن الآن يقال
تحمل عليه انه مات عقب الوضع قبل أن يرضع لكن يرده
ان موته انما كان بطيبة المنورة وهو آت من تجارة
من الشام عند اخوال ابيه عبد المطلب بني النجار **وقد**
تقرر ان المرضعات عقب وضعه علمن بيتمه قيل انما
سمي عبد المطلب لانه لما ولد بطيبة ذهب اليه عمه المطلب
لياتي به مكة فكان كل من يراه معه يتوهم انه عبده فيناديه
بعبد المطلب مرا شهر به وقيل دفن بالابوا محل قرب رابغ
قال جعفر الصادق وانما يتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون للمخلوق
في عنقه حق **مرضعات** كن ياتين مكة يلتمسن الرضعا
لان ارضاع المراة عار عندهم **قلن** انما تركناه لانا انما نبغي
الرضاع رجا للمعروف من ابائهم واما الام والجد فما عسى
أن يصنعا **وما في هذا اليتيم** بينه وبين جناس لاشتقاق
عنا متعلق بقوله **غناء** بفتح الغين المعجمة اي ليس فيه ليتمه

وفقره نفع يغني عنا شيئا وبينهما الجناس المصحف المحرف الناقص
على خلاف فيه منتشر **فاتته من آل سعد فتاة قد أبتها لفقرها الرضعاء**
من بعد ان تركته لذلك **أتته من آل سعد** بن بكر ونسبته
اليه مع انه الجد التاسع لانه اشهر وبه عرفت القبيلة فزوجها
منهم ايضا **فتاة** اي شابة كريمة كائنة من بعض هذه
القبيلة فقول الشارح ان من بيانية وفي كونها حليمة السعدية
من الفال الحسن والبشارة العظيمة بحصول غايات الحلم والسعد
لهذا الرضيع ما لا يخفى عظيم وقعه **وقد كان** صلى الله عليه وسلم
يحب الفال **قد أبتها لفقرها الرضعا** جمع رضيع اي أهلهم لان
الفقر يستلزم قلة الاكل المستلزم عادة لقلة اللبن المضرة
بالرضيع غالبا وما تعطاه من جعل ربما تصرفه في حوائجها
الخارجة فلا يفيدها في دفع الجوع الذي هو المحذور واصل
ذلك **ما رواه** ابن اسحاق واسحاق بن راهويه وابو يعلى والطبراني
والبيهقي وابو نعيم عن حليمة رضي الله عنها انها قدمت مكة
في نسوة من قومها يلتمسن الرضعا في سنة مجدبة ومعها صبيها
وشارف ما تبض بقطرة لبن ولا لبن بثديها فلا ينام صبيها
من الجوع **قالت** وما علمت امراة منا الا وقد عرض عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتاباه اذ قيل لها يتيم فوالله ما بقي من صواحبي
امراة الا اخذت رضيعا غيري فلما لم اجد غيره قلت لزوجي
والله اني لاكره ان ارجع من بين صواحبي ليس معي رضيع
لانطلقن الى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فاذا هو مدرج

في ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حريرة
خضرا راقد على قفاه يغط فاشفقت أن أوقظه من نومه
لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا فوضعت يدي على صدره
عليه الصلاة والسلام فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ينظر الي
فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السما وأنا انظر اليه
فقبلته بين عينيه وأعطيته ثدي الايمن فاقبل عليه بما شا
من لبن فحولته الى الايسر فأبى وكانت تلك الحالة حاله
صلى الله عليه وسلم بعد أن قال اهل العلم أعلمه الله ان له شريكا
فالهمه العدل **ثم اخذته** فما هو الا ان جيت به رحلي
فقام صاحبي تعني زوجها الى شارفنا تلك فاذا بها حافل فحلب
ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بليلة من الخير والبركة
حين اخذناه فلم يزل الله تعالى يزيدنا خيرا وبركة **وفي**
رواية انها لما ودعت امه وذهبت به على اتانها سجدت نحو
الكعبة ثلاث سجدات ورفعت راسها الى السما ثم مشت
فسبقت دوابهن فصرن يتعجبن ويقلن اهذه اتانك ان م
التي ترفعك طورا وتخفضك اخرى فتقول نعم فيقلن لها
لشانا عظيما فسمعت الاتان تقول ان لي لشانا عظيما
بعثني الله بعد موتي وتحكي هل تدرين من على ظهري على
ظهري خير الاولين والاخرين وابدل من أبت قوله ○
أرضعته لبانها فسقتها وبنيها ألبانهن الشا
أرضعته لبانها بكسر أوله مفعول به ويجوز على بعد

لو

كونه مطلقا لان معنى لبانها رضاعها اذ يقال هو أخوه بلبان امه
ولا يقال بلبنها فاللبان مختص بلبان الرضاع فبسبب
الارضاع لهذا المولود الافضل من ساير المخلوقات **سقتها**
أي حليمة **وبنيها** وقد كانوا اشرفوا على الهلاك من الجوع لما
مر ان ارضهم كانت في غاية المحل والجدب **البانهن** فيه استعمال السابق حم
البانه في غير لبن الرضاع وكان الحامل عليه مقابلته بلبانها فيكون
من باب المشاكلة نحو ومكروا ومكر الله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في
نفسك **الشاء** جمع شاة كرامة لذلك المولود عليه الصلاة والسلام
وانما سقتهم مع ذلك المحل لاهلها ببركته صلى الله عليه وسلم
أصبحت شولا عجافا وأمست ما بها شايل ولا عجفاء
أصبحت فهو من أسلوب الحكيم ويجوز كونه حالا نظرا
لصورة تعريفه وصفة نظرا لكون ال فيه جنسية نحو
ولقد أمر على اللئيم يسبني **شولا** بالتشديد جمع شايل
وهي في الاصل الناقة التي تشول بذنبها للقاح ولا لبن
لها أصلا فاستعمالها في الشاة مجاز علاقته المشابهة
عجافا أي هزيلات **وأمست** لم يرد بأصبح وأمسى معنا هما
بل انها كانت في حالة فاعتراها نقيضه في اقرب زمن واسرعه
فبينهما الطباق وان لم يردهما موضعهما **ما بها** اي فيها شايل
مبتدا وفاعل الظرف **شايل ولا عجفا** أي هزيلة وبين
اثبات الشول والعجاف ونفيهما طباق على حد قوله تعالى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا

ولك أن تقول ليس ما هنا على وزان الآية لان الذي فيها نفي
العلم عنهم واثبات بعضه لهم لا بقيد زمن ولا غيره وما
هنا فيه الاثبات في زمن والنفي في زمن آخر وهذا لا تضاد
فيه لا حقيقة ولا ايهاما وشرط الطباق التضاد او ايهامه
ولو ببادئ الراي كما هو معلوم من استقراء امثلته وذكر الزمنين
المختلفين يمنع من ذلك ولا ينافيه عدهم من الطباق قوله
تعالى أو من كان ميتا فاحييناه اذ الفاء تاتي لغير التعقيب
فالايهام موجود على انه معه قد لا تمتنع ايضا لان ضمير احييناه
للميت فكانه قال احيينا الميت وهذا فيه اجتماع الحياة
والموت فتامل **أخصب العيش عندها بعد محل**
إذ غدا للنبي منها غذاء ۝ **أخصب** من الخصب بكسر اوله
وهو ضد الجدب **العيش** أي كثر قوت الآدميين والدواب
عندها أي حليمة أو الشياه ورجح قوله الآتي **بعد محل**
أي شدة جدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا والزرع
اذ أي ذلك الاخصاب وقت أو لاجل ان **غدا** أي صار **للنبي**
الأعظم **منها** أي من الشياه **غذا** بالمعجمة أي لبان تغذيه وبين
غدا وغذا الجناس السابق في عنا وغنا ۝
يا لها منة لقد ضوعف الأجر عليها من جنسها والجزاء
يا لها كلمة تعجب من هذه الفعلة الجميلة من حليمة وهي
ارضاعها له صلى الله عليه وسلم من غير مقابل دنيوي ترجوه ونظير
هذا التعجب قوله في البردة يا طيب مبتدا منه ومختتم ۝

فالندا

٤٢

فالندا فيه للتعجب أي لا ينادي الا العاقل او المنزل منزلته والعرب
اذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب وفيه مجاز التشبيه
لتشبيه ما يتعجب منه لعظمته بمنادى يسمع ويعقل وزعم
أن يا للتنبيه مردود بانهم لم يذكروا هذا من محالها قيل
والتقدير يا متعجبا تامل طيب مبتديه ونظيره هنا
يا متعجبا تامل ما استقر لها **منة** تمييز أي نعمة نعمة منها
عليه **لقد** اللام للقسم والتاكيد **ضوعف الأجر** أي كرر
الثواب اذ تضعيف الشيء ان زاد عليك مثله أو اكثر منه
عليها أي توالى وتتابع حال كونه مستوليا على حليمة فعلى
على بابها من الاستعلاء المجازي أو على تلك المنة أي لاجلها
على حد ولتكبروا الله على ما هداكم أي لاجل هدايته إياكم
وحال كونه **من جنسها** كما علم من قوله فسقتها إلى آخره
والجزاء من عطف الرديف اذ هو الأجر وذلك لان الجزاء
من جنس العمل فلما سقته صلى الله عليه وسلم لبنها سقتها
وبنيها شياههما مع انها كانت وقت اخذه من امه على غاية
من الهزال وعدم اللبن فلاجل ان غذاه كان من البانها
زال الله عنها المحل والجدب وابدلها منهما الخصب والخير
الكثير جزاء وفاقا **واعلم** ان ما حصل لحليمة من هذه
المزية الجليلة انما نشا عن تسخير الله لها هذا الفعل
الجميل الصادر منها المبني عن سبق سعادتها **وقد**
تقرر في المعقول والمنقول انه **واذا سخر الاله اناسا لسعيد** **فانهم سعداء**

صلى الله عليه وسلم

وَاذا سخر أي ذلل ووفق الاله اناسا لغة في الناس لسعيد
أي لخدمته ومحبته والقيام بشأنه فانهم بسبب ذلك سعداء
جمع سعيد لان بركة ذلك السعيد ويمنه وبره تتابع عليهم
حتى يكونوا سعدا في الدنيا والاخرة ولان المرء مع من احبه
من الاكابر وان لم يعمل بعملهم كما صح الحديث به ولان الارواح
كما في الحديث أيضا جنود مجندة فما تعارف منها في عالم الارواح
ائتلف في عالم الاشباح ومن اعظم اجرها وسعادتها
توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها بلا رد رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبي نحو هوازن اليهم بواسطة كونهم قومها
وكانت تقدم عليه صلى الله عليه وسلم فيكرم مثواها ولذلك
زاد اكرام بنتها الشيما لما اعتقها من جملة من أعتق من سبيهم
كما يأتي وهذا من فن البديع المسمى بالكلام الجامع وهو
ان يأتي الشاعر ببيت يكون جملته حكمة أو موعظة أو تنبيها
أو نحو ذلك من الحقائق المجازية تجري مجرى الامثال كقول
أبي الطيب ۞ واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام
وهو كثير في كلام الناظم واصل ما ذكره بقوله أرضعته إلى
هنا ما رواه ابن اسحاق وغيره من قولها بعد ما قدمناه عنها
انها ثم قدمنا ارض بني سعد ولا اعلم ارضا أجدب منها
فكانت غنمي تروح علي شباعا لبنا وتحلب وما تحلب انسان
غيرنا قطرة لبن ولا تجدها في ضرع حتى يأمر الرعيان أن
تسرح غنمها حيث تسرح غنمي فتروح أغنامهم جياعا

ما تنبض

ما تنبض بقطرة لبن وتروح أغنامي شباعا لبنا فلم نزل نتعرف
من بركته الزيادة والبركة حتى مضت له سنتان وفطمته
ولما قرر ما حصل لها من الخصب بعد الجدب ببركة
ارضاعها له صلى الله عليه وسلم ومن الجزاء من جنس العمل
بكثرة لبن شاتها عقبه بما يبين ان تلك المضاعفة في قوله
ضوعف بلغت مرات كثيرة فقال حبة أنبتت سنابل
والضعف لديه يستشرف الضعفا حبة أي هذه الفعلة
الصادرة من حليمة كما دل عليه السياق وبه يعلم أن هذا
ليس من الاستعارة لان شرطها طي ذكر المستعار له بان لا يكون
في الكلام رمز اليه ولو تقديرا ومن ثم كان التحقيق في
نظيرها من الاية انه من التشبيه البليغ لدلالة السياق على المشبه
الذي هو هم وقول السبكي انه استعارة رأي يخالف للجمهور لا
يعول عليه لحبة واشار الى وجه الشبه الذي هو تضاعف
الجزاء فيتبين انه ليس من التشبيه لان شرطه ان لا يذكر وجه
الشبه بقوله أنبتت سنابل كثيرة جمع سنبلة وهو مجمع الحب
في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ففيه اقتباس
وحذف سبع ليبين ان العرب قد يذكرونها كالسبعين
مريدين بها مطلق الكثرة لا خصوص العدد المعروف
والضعف اي والحالات وورق النبات اليابس كالتبن لديه
اي عنده يستشرف اي تتطلع الضعفا اي حصلت تلك
المضاعفة الكثيرة في تلك السنابل والحالات الوقت وقت

عدم النبات بالكلية بحيث ان الفقرا يتطلعون الى ورق النبات
فضلا عن النبات كما ان حليمة حصل لها ذلك الخصب واللبن
والحال ان قومها يتطلعون الى ورقة خبزة او قطرة لبن فلا نخدوه
وأتت جده وقد فصلته وبها من فصاله البرحاء
وبعد ان انتهى أمد رضاعه ليكون بلوغه سنتين اتت به جده
عبد المطلب الذي في الرواية الآتية امه فلعل الناظم ذكر
جده لانه الاصل ولأن امه ما كانت لا تفعل شيا الا بعد
مشاورة جده صلى الله عليه وسلم نعم في سيرة ابن هشام
ان حليمة رضي الله عنها لما أتت به مكة أضلته في الناس فأتت
جده فاخبرته بذلك فدعا الله تعالى حتى وجده والحال أنها
قد فصلته اي فطمته والحال انه هو قد الحق بها من أجل فصاله
أي فطامه البرحاء أي التألم الكثير لما شاهدت من توالي الخيرات
وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها
إذ أحاطت به ملائكة الله فظنت بأنهم قرناء
إذ أتت به وقت ولأجل انه أحاطت أي أحدقت به ملائكة
الله لاجل شق قلبه الاتي وهو ظاهر على الرواية الاتية انهم شقوا
صدره ثلاثة وكذا على رواية انهما اثنان لانهما أقل الجمع
عند جماعة فظنت حليمة بأنهم البازاين قرناء أي شياطين
يريدون ايذاءه فخافت عليه وأسرعت به الى جده لتسلم من
تبعته ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به
الاحشاء ورأى جده وامه حين ردته اليهما

ووجدها

وجدها أي شدة محبتها له وتعلقها به فوداه معها
لذلك وليسلم من وباء مكة كما يأتي في الرواية وهذا أخذه
الناظم لكن سيأتي ما يدل عليه وهي الحال المبينة لعظمة ذلك
الوجد الذي رآه بها من اجل الوجد الذى لها لهيب اي نار
تصلى أى تحترق به الاحشاء جمع حشا وهو ما انضمت
عليه الضلوع ويحتمل انها استئنافية فهي ابتدائية وجملة
هذا من ارسال المثل أو حكمة مفيدة ان شان الوجد انه
ينشا عنه ذلك اللهب الذى يحرق الاحشا وان وجدها
من هذا القبيل فمن ثم رثى لحالها وأطفا نار ذلك الوجد
بردها اليها فارقته كرها وكان لديها ثاويا لا يمل منه الثواء
فارقته بدل من أتت كرها اي حال كونها ذات كراهية
لفراقه لما شاهدت في اقامته عندها من الخيرات الكثيرة
عليها وعلى زوجها وبنيها وسائر متعلقاتها والحال انه
كان لديها اى عندها ثاويا او مقيما لا يمل بالبنا للمجهول
منه متعلق بقوله الثواء الاقامة فهو مع ثاويا من جناس
الاشتقاق اى لا يمل اقامته بل تحب وترغب فيها لما يترتب
عليها من الاحسان الواسع المجبولة على حبه النفوس ولما
فرغ من قصة رضاعه ذكر قصة شق صدره لانه السبب في
احضاره لجده وامه المذكور ولذا أبدل من قوله احاطت قوله
شق عن قلبه وأخرج منه مضغة عند غسله سوداء
شق عن قلبه بالكيفية الاتية في القصة ويحتمل ان قوله

شق عن قلبه إستينافٌ لبيان مطلق الشق الشامل للواقع في
زمن الرضاع وما بعده مما ياتي ويؤيده انه ذكر في قصته
أشيا لكون الخاتم جبريل عليه الصلاة والسلام لم ترد في قصة
شقه عقب الرضاع بل في شقه الذي عقب ذلك كما يعلم بتامل
كلام الناظم مع القصة الآتي بسطها وهو أعني القلب مضغة
في الفؤاد معلقة بالنياط فهو أخص من الفؤاد قاله الواحدي
والذي في الصحاح انهما مترادفان قال البدر الزركشي والاحسن
قول غيره الفؤاد غشا القلب حبته وسويداه ويؤيد الفرق
قوله صلى الله عليه وسلم ألين قلوبا وارق افئدة وفرق الزمخشري
بان الفؤاد وسط القلب سمي به لتفوده أي توقده والقلب
مشتق من التقلب الذي هو المصدر لفرط تقلبه كما في الحديث
ومثل هذا القلب كمثل ريشة ملقاة بفلاة يقلبها الريح بطنا
لظهر واخرج منه أي القلب مضغة اي قطعة لحم قدر ما يمضغ عند
غسله ظرف لاخرج سودا هو صفة لمضغة وانما خلقت هذه
المضغة فيه ثم اخرجت لانها من جملة الأجزا الانسانية فعدمها
نقص في البدن وايضا فاخراجها بعد خلقها على هذه الصورة
البديعة أدل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتنا والرعاية من
خلقه بدونها ويأتي في رواية صحيحة انه اخرج منه علقتان
سوداوان ولا ينافي ما ذكره الناظم انها واحدة لان المراد بها الجنس
على ان الشق تكرر كما ياتي فلا بدع انه صلى الله عليه وسلم اخرج منه
واحدة ثم ثنتان لان المراد المبالغة في تطهيره صلى الله عليه وسلم

وبنا

وتكريمه وذلك يستدعي استقصا تنظيف جوفه صلى الله عليه وسلم
ختمته يمنى الامين وقد اودع ما لم تذع له انبا
ختمته اي ذلك الشق المفهوم من شق وهي استينافية
أو معطوفة على شق بحذف حرف العطف اي ثم بعد شقه
لامته واعادته الى ما كان عليه يمنى جبريل عليه الصلاة والسلام
الامين على كتب الله تعالى ووحيه والحال ان ذلك القلب الكريم
قد اودع حالة الشق من الايمان والحكمة والعلوم والاسرار
الالهية ما أي الذي أو شيا لم تذع بضم التا وكسر الذال المعجمة
اي تنشر له اللام زايدة اي ما لم تنشره وتخبط به انبا أي اخبار
لانه لا يعلمه الا مولاه المتفضل به عليه قال العلما جعل
الله القلب في الانسان هو الذي يعقل عنه وهو اصل
وجوده وبه صلاحه وفساده وهو محل اسراره التي يودعها قلب
من يشا فاول قلب اودعها قلبه محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اول الخلق وصورته اخر صورة الانبيا فهو اولهم واخرهم فلذا
حاز جميع كمالاتهم وزاد عليهم بما لا يعلمه الا الله تعالى
صان أسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء
صان اي حفظ أسراره التي اودعت فيه وهو مفعول مقدم
ذلك الختام الواقع من جبريل وهو ما يختم به الكتاب
ونحوه من طين ونحوه وبين ختمه جناس الاشتقاق فبسبب
هذه الصيانة لا الفض أي الكسر بالتفرقة ملم أي واقع
به اي بذلك الختم ولا الافضا أي الاشاعة واقعة لذلك السر

وبين الفض والافضا التجنيس المطلق **وأصل** قوله وأنت
جده الى اخره قول حليمة رضي الله عنها بعدما قدمنا عنها كما
في السير عنها لم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت
سنتاه وفصلته فكان يشب شبابا لا يشبهه الغلمان فلم
يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا فقدمنا به الى امه ونحن
أحرص شي على بقائه عندنا لما نرى من بركته فقلنا لامه لو
لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فانا نخشى عليه وبا مكة ولم نزل
بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا به
قدم بشهرين أو ثلاثة مع اخيه من الرضاعة لفي بهم لنا خلف
بيوتنا جا أخوه يشتد فقال ذاك اخي القرشي جاءه رجلان
عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه فخرجت انا وابوه
نشتد نحوه فنجده قايما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال وجدناه
أي بني ما شانك قال جاني رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاني
فشقا بطني ثم استخرجا منه شيا فطرحاه ثم رداه كما كان
فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت ان يكون ابني
قد اصيب فانطلقي نرده الى أهله قبل ان يظهر ما نتخوف به
قالت فاحتملناه الى امه فقالت ما ردكما به فقد كنتما حريصين
عليه قالوا نخشى الاتلاف والاحداث فقالت ما ذاك بكما
فاصدقاني شانكما فلم تدعنا حتى اخبرناها بخبره فقالت أخشيتما
عليه الشيطان لا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكاين لابني
يعلى هذا شان فدعاه عنكما **وفي** حديث عند ابي يعلى وابي نعيم

وابن عساكر

وابن عساكر كنت مسترضعا في بني ليث بن بكر فبينا انا ذات يوم
في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان فاذا انا برهط ثلاثة
معهم طست من ذهب ملي ثلجا فاخذوني من بين أصحابي
وانطلق الصبيان هربا مسرعين الى الحي فعمد أحدهم
فاضجعني على الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري
الى منتهى عانتي وانا انظر اليه لم أجد لذلك مسا ثم اخرج
أحشا بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأمعن غسلها ثم أعادها
مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح عنه ثم أدخل يده
في جوفي واخرج قلبي وانا انظر اليه فصدعه ثم اخرج منه
مضغة سودا فرمى بها **ثم قال** اي اشار بيده يمنة ويسرة
كانه يتناول شيا فاذا الخاتم من نور يحار الناظر دونه
فختم به قلبي فامتلا نورا وذلك نور النبوة والحكمة ثم
اعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال
الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدري الى منتهى عانتي
فالتام ذلك الشق باذن الله تعالى ثم اخذ بيدي فانهضني
من مكاني انهاضا لطيفا الحديث **وفي** رواية عند البيهقي
ان احد الثلاثة في يده ابريق من فضة وفي يد الثاني
طست من زمردة خضرا **وورد** في خبر التابوت المذكور
في الاية انه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب ختم
الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحكمة قلبه المقدس
الاشارة الى ختم الرسالة به وقيل وانما يسلم هذا ان اتفق

الخير به اما اذا لم يختص الخير به كما مر فحكمته انه من جملة علامات
النبوة وانما شارك فيها غيره على ان هذه الكيفية المذكورة
في شق قلبه صلى الله عليه وسلم الظاهر انها من خواصه سيما
مع تكرر الشق لان الوارد فيهم مجرد غسل قلوبهم وهو
لا يستلزم هذه الكيفية البديعة البالغة من خرق
العادة من خرق العادة والتعظيم مبلغا لا يدركه العقل
وروى الشق ايضا وهو ابن عشر سنين او نحوها مع قصة
له مع عبد المطلب ابو نعيم في الدلايل ورواها عبد الله
ابن الامام احمد في زوايد مسند ابيه بلفظ **قال** ابو هريرة
يا رسول الله ما اول ما ابتديت به من امر النبوة **قال**
اني لفي صحرا واسعة امشي ابن عشر حجج اذا انا برجلين فوق
راسي يقول احدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاخذاني واضجعاني
لحلاوة القفا ثم شقا بطني وكان احدهما يختلف بالماء
في طست من ذهب والاخر يغسل جوفي فقال احدهما للاخر
افلق صدره فاذا صدري فيما ارى مفلوقا لا اجد له وجعا
ثم قال اشقق قلبه فشق قلبي فقال اخرج الغل والحسد منه
فاخرج منه شبه العلقة فنبذ به ثم قال ادخل الرافة
والرحمة قلبه فادخل شيا كهيئة الفضة ثم اخرج ذرورا
فذر عليه ثم نقر ابهامي ثم قال اغد فرجعت بما لم اغد به
من رحمتي للصغير ورافتي للكبير **وروى** خامسة ولا تثبت
وحكمة شق صدره الشريف في حال صباه واستخراج ما مر منه

لصاحبه

كانه معجم

تطهيره

تطهيره عن نقايص الصبا ليكون حينيذ على اكمل صفات الرجولية
ولذلك نشا على اكمل احوال العصمة **قال** بعض الايمة ولعل هذا
الشق كان سببا لاسلام قرينه المروي عند البزار او اشارة
الى حظ الشيطان المباين له كالعفريت الذي اراه الله له
اراد ان يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه **واما قول**
الرازي وقوعه في حالة الطفولية مشكل لانه معجزة
وهي لا يجوز تقدمها على النبوة لان الذي عليه اكثر اهل الاصول
اشتراط اقتران المعجزة بالتحدي فمردود بان هذا من باب
الارهاص لا المعجزة ونظاير ذلك كثيرة قيل وهذا الشق
هو المراد بقوله تعالى الم نشرح لك صدرك **تنبيه اول**
ثبت شق صدره الشريف مرة اخرى عند مجي جبريل له بالوحي
وهو بغار حرا كما ياتي وممن رواها الطيالسي والحارث في
مسنديهما وكذا ابو نعيم **ولفظه** ان جبريل وميكايل شقا
صدره وغسلاه ثم قالا اقرا باسم ربك الايات والحكمة
فيه كمال التهيؤ والتقوي على ما يلقى اليه من القول الثقيل
بقلب قوي في اكمل احوال التطهير **وثبت** مرة اخرى تواردت
بها الروايات خلافا لمن انكرها ليلة الاسرا ففي البخاري
وغيره انه شق قلبه فيها وهو بالمسجد قبل ان يخرج منه الى
ركوبه البراق فشق من نغرة نحره الى عانته فاستخرج قلبه
ثم غسل في طست ذهب اي لان تحريم الذهب انما كان
بعد على ان الغالب في احوال تلك الليلة انه من احوال الغيب

فيلحق باحكام الآخرة مملوا حكمة وايمانا ثم حشي اي وتجسيم المعاني
جايز ومنه الرواية الصحيحة بذبح الموت ثم اعيد وحكمة
هذا الشق التهيئ للرقي الى الملا الاعلى والتقوي على استجلا
ما شاهد تلك الليلة ولما لم يتفق هذا لموسى عليه الصلاة
والسلام لم يطق الرؤية وجميع ما ورد من الشق باخراج
القلب وغيرهما يجب الايمان به وان كان خارقا للعادة
ولا يجوز تاويله لصلاحية القدرة له ومن زعم ذلك وقع
في هوة المعتزلة في تاويلهم نصوص سؤال الملايكة وعذاب
القبر ووزن الاعمال والحوض وغير ذلك بالتشهي فقبح الله هولاء
ومن يتبعهم وقد رمي ابرهيم في النار فكانت عليه بردا وسلاما
وهذا الشق ابلغ في الصبر والكرامة مما وقع لاسماعيل صلى الله
عليه وسلم فانه مقدمات ذبح لا حقيقة كما هو راي اهل السنة
وبتقديره الذي ذهب اليه المعتزلة انه اضجعه وامر السكين
على حلقه فلم تقطع شيا وبتقديره فذلك مقتل واحد وهذه
مقاتل عديدة شق الصدر ثم اخراج القلب ثم شقه ووقع
له صلى الله عليه وسلم من ذلك الشق الاول نوع مشقة لرواية
فاقبل وهو منتقع اللون اي صار كلون النقع اي الغبار وهو
شبيه بالوان الموتى ومعنى قول ابن الجوزي نشقه وما شق عليه
انه صبر صبر من لم يشق قلبه ومما يدل على المشقة انه تعد
ما فطم مع انفراده عن امه وبينه من ابيه واختطافه من
بين الاطفال ليكون ذلك تسهيلا لما يلقاه في المال ومن ثم

لما شج وجرح وكسرت رباعيته يوم احد قال اللهم اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون وفي رواية انه غسل ليلة الاسرا بماء زمزم
اي لانه يقوي القلب ويسكن الروع واخذ البلقيني من ايثار
الملك له على غيره من الكوثر انه افضل منه وهو ظاهر خلافا لمن
نازع فيه بما لا يجدي كما بينته في شرح العباب وفي وضع
الايمان والحكمة والقلب دليل لما عليه اكثر اهل السنة لان
العقل في القلب كما دلت عليه الايات لا في الدماغ تنبيهان
قال عياض رحمه الله خاتم النبوة اثر شق الملكين بين كتفيه
وابطله النووي رحمه الله بان شقهما كان في بطنه وصدره
فالصحيح او الصواب انه كان عند نغض كتفه الايسر وهو بنون
مضمومة فمعجمتين اعلاه وراوية الايمن ضعيفة قيل ولدته
وروي انه جعل عقب ولادته والذي في حديث البزار وغيره
عن ابي ذر يا رسول الله متى علمت انك نبي وبما علمت حتى استيقنت
قال اتاني اثنان وفي رواية ملكان وانا ببطحاء مكة
الحديث وفيه قال احدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني
فاخرج قلبي فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما
فقال احدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الانا واغسل
قلبه غسل الملا اي الثوب الذي يتغطى به ثم قال احدهما
لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي
كما هو الان وولياعني فكاني ارى الامر معاينة وعند
احمد وصححه الحاكم استخرجا قلبي فشقاه فاخرجا منه علقتين

صح ومن شرح ... في الروايات عن انس رضي الله تعالى عنه كنت ارى اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم صح

سوداوين فقال احدهما لصاحبه ايتني بماء وثلج فغسلا به جوفي ثم قال ايتني بالسكينة والوقار فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه خطه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة

تنبيه ثالث اختلف الروايات في كيفية تشبيه ذلك الخاتم على انواع كثيرة • ببيضة الحمام • شعر مجتمع • بضعة ناشزة • بندقة • سلعة • شي يختم به • تفاحة • شامة خضراء • محتفرة في اللحم • شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات • زر الحجلة • اي البشخانة • وقيل انها هنا هو الطائر المعروف وزرها بيضها مردود • **قال المحققون** ولا اختلاف في الحقيقة بل كل شبهه بما سنح له • وكلها الفاظ مؤداها واحد • وهو قطعة لحم بارزة عليها شعرات اذا قلل قيل كبيضة الحمام • واذا كثر قيل كجمع الكف • اي على هيئته لكنه اصغر منه • **وفي** المستدرك عن كعب ان شامات النبوة في ايمانهم فعليه وضعه عند الكتف الايسر من خصوصيات نبينا صلى الله عليه وسلم • **فائدة** اخرج البيهقي والخطيب • وابن عساكر وغيرهم عن العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله دعاني الى الدخول في دينك امارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال • قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكا واسمع وجبته حين يسجد تحت العرش • قال البيهقي تفرد به مجهول • وقال الصابوني هذا حديث غريب الاسناد •

والمتن

والمتن في المعجزات حسن • **ولما** فرغ من ذكر رضاعه وما وقع عقبه من شق صدره • ذكر حكم نشاته في حال طفوليته • وما بعدها مبينا ان الفه الاتي نتيجة ما اودعه في قلبه بعد شقه من الاسرار والكمالات • فقال **ألف النسك والعبادة** عطف تفسير اي اعتادهما واستمر عليهما **والخلوة** عن الناس في حال كونه طفلا فما بعده كما فهم بالاولى • واختلفوا هل كان يتعبد بشرع من قبله • والجمهور لا • والا لنقل لانه لو تعبد بشرع احد لظن انه من اتباعه • ولاحتج اهله عليه به ولم يوجد • وعلى الاول فقيل بشرع لم يعرف • وقيل بشرع نوح • وقيل ابرهيم وقيل موسى • وقيل عيسى • ومعنى ان اتبع ملة ابرهيم اي في التوحيد • وخص لانه الاب الاقرب المبشر به على ان المراد في كيفية الدعوى من الرفق والحلم الذي لا يوجد كماله الا لابرهيم • وغايته الا لنبينا صلى الله عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين • وقد امر باتباع الكل في قوله فبهداهم اقتده • مع اختلاف شرايعهم • ومع ان فيهم من ليس برسول كيوسف على قول • فتعين ان المراد اصول التوحيد والاخلاص **فان قلت** لا يحتاج للجواب عن ذلك لان الكلام فيما قبل النبوة • والذي في الاية بعدها • **قلت** بل يحتاج اليه كما صنعوه لان القايلين بانه كان متعبدا بشرع غيره يستدلون به ناظرين الى انه امر باتباعه فيما لم ينزل عليه فيه شي

على نبينا محمد أفضل الصلاة وعليهم والسلام

صاحب الداعي ... مدحه له بانه ... الكتاب والحكمة البالغة ... ما لا يبلغه كتاب غيره ...

فأمره بذلك بعد النبوة يدل على انه كان بالغدو يعمل به قبلها
والا فكيف يؤمر باتباع ما لم يعرفه **قال** السراج البلقيني
ولم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده عليه
الصلاة والسلام **لكن روى** ابن اسحاق وغيره انه كان
يأتي الى حراء شهرا في كل عام من السنة يتنسك فيه وكان
من نسك قريش في الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين
حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة
انتهى والظاهر كما قاله غير واحد ان عبادته كانت الذكر
والفكر مع اكثاره للخلوة والانعزال عن الناس بحراء وغيره
وهكذا النجبا أي ومثل هذا الشأن العلي شأن الكرام
فما بالك باكرمهم وسيدهم على الاطلاق وبلية في ذلك
أبوه ابرهيم عليهما الصلاة والسلام فانه اعتزل قومه وانقطع
إلى الله تعالى منتظرا الفرج من مولاه فان انتظاره عبادة كما في
الحديث **وفي** البيت من انواع البديع ثاني اقسام التناسب
وهو تشابه الاطراف بأن يتناسب معانيها اذ النجابة أخوه
تناسبها ألف ما ذكر لاحظا السبب في ذلك وثالث اقسامه أيضا
وهو مناسبة اللفظ للمعنى في الرقة والسهولة أو الشدة
والصعوبة **ومنه** حديث الا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف
متضعف أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم
بأهل النار كل جعظري جواظ مستكبر فأتى من أوصاف أهل
الجنة بما يناسب حالهم في الرقة والانكسار ومن أوصاف

يخرج

بأكملهم

أهل النار

٦

51

أهل النار بما يناسب حالهم من الشدة والغلظة والإبا
والترفع عن قبول الحق وألفاظ البيت تناسب معناه
في السهولة وحسن السبك والانقطاع عن النظير وقوله
وهكذا النجبا تذييل وهو تعقيب الجملة بأخرى تشتمل
عليها للتأكيد وهو ضربان أحدهما وهو ما هنا ما خرج مخرج
المثل نحو وهل نجازي الا الكفور كما مر **وإذا حلت الهداية**
قلبا نشطت في العبادة الأعضا وانما كان
هذا شأن النجبا من الانبيا وصالحي اممهم لما هو المستقر المعلوم
انه **اذا حلت الهداية** وهي هنا بمعنى الوصول الى الحق لا
الدلالة عليه فقط ومن الاول انك لا تهدي من احببت أي لا توصله
ومن الثاني وأما ثمود فهديناهم أي دللناهم ولم نوصلهم بدليل
فاستحبوا العمى على الهدى اذ لو وصلوا لم يستحبوا ذلك **قلبا**
نشطت في العبادة الأعضا لأن القلب هو رئيس البدن المعول عليه
في صلاحه وفساده **ومن ثم** صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا
فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب **وهذا** من الكلام
الجامع الذي مرت نظايره **واعلم** ان بين انتهاء رضاعه
صلى الله عليه وسلم وما وقع له بعده وبين مبعثه وقايع
وقعت له لا بأس بالاشارة اليها باختصار **وذلك** ان
حليمة لما ردته الى امه وجده كان في كلاءة الله وحفظه ينبته
نباتا حسنا ويوفقه لأفضل الاعمال والاحوال كما

ها هنا

أشار الى ذلك الناظم بقوله ألف النسك الى آخره ولما
بلغ صلى الله عليه وسلم اربع سنين وقيل اثني عشر وشيا وبين ذلك
اقوال اخر ماتت أمه وكانت قد قدمت به طيبة تزور
اخواله فاقامت به عندهم شهرا ومعها مملوكته ام أيمن
واخرج ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما رأى دار النابغة
قال ههنا نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني النجار
وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت
ام أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه
دار هجرته فوعيت ذلك كلامهم ولما رجعت امه به ماتت
بالأبوا وفي رواية انها دفنت بالحجون وفي أخرى في بعض
دور مكة كما في القاموس وحضنته بعدها أمته ام أيمن بركة
ثم مات جده كافله وله ثمان سنين وقيل اكثر وقيل اقل فقيل
ست وقيل ثلاث فكفله عمه ابو طالب شقيق والده واخرج
ابن عساكر عن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط
فقالت قريش يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال
فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن
تجلت عنه سحابة قتما وحوله اغيلمة فاخذه ابو طالب
وألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه وما في السما
قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق الوادي
واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي
وفي ذلك يقول ابو طالب شعر وأبيض يستسقي الغمام بوجهه

وهذا البيت من جملة قصيدة له فيها مدح عجيب له صلى الله
عليه وسلم حتى اخذ الشيعة منها القول باسلامه ويوافقه رواية
ضعيفة عن العباس انه أسر له الاسلام عند موته ويوافق
ذلك ايضا ما في رواية البيهقي الأبية لله در أبي طالب الخ
لكن صريح الاحاديث المتفق على صحتها ترد ذلك وهي اكثر
من ثمانين بيتا استوفاها ابن إسحاق لكنه ذكر ان انشاءه
لها كان بعد المبعث وقد يجمع بانه ذكر هذا البيت أثر
هذه الواقعة ثم كملها بعد المبعث والثمال بكسر
المثلثة الملجا والعصمة الحافظ من الضياع والأرامل
المساكين رجالا ونسا لكنه في النسا اكثر استعمالا ثم رأيت
في شرح المنهاج للدميري في باب الاستسقا عن الطبراني وابن
سعد ان عبد المطلب استسقا بالنبي صلى الله عليه وسلم فسقوا
ولذلك يقول عبد المطلب فيه وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
البيت انتهى وفيه مخالفة لما مر ان المستسقى به ابو طالب وانه
القايل البيت فاما الاول فيمكن الجمع بين الروايات المخالفة
فيه بتكرر الواقعة اذ واقعة أبي طالب كان الاستسقا به فيها
عند الكعبة وواقعة عبد المطلب كان أولها انهم امروا باستلام
الركن ثم ترقى ابي قبيس ليدعوا عبد المطلب ومعه النبي عليه
الصلاة والسلام ويؤمن القوم فسقوا لكن قال الحافظ نور الدين
الهيثمي شيخ الحافظ ابن حجر وتلميذ الزين العراقي عن رواية
الطبراني في سندها رجال لا أعرفهم أي لكن لا يؤثر ذلك فيها

لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل اتفاقا **قال**
بعض الحفاظ وكذا المناقب كما مر آنفا على أن صاحب الروض
ذكر روايتين عن ابن الاعرابي وغيره يوافقانها وحينئذ
تعين الجمع بما ذكرته • وأما الثاني فكون ابو طالب هو
الذي انشأ ذلك البيت هو ما درج عليه أئمة السير •
وغيرهم **ومن ثم** جعله السهيلي في روضه امرا مقررا
ثم بنى عليه اشكالا وجوابا الآتي ردهما • **وأما قول**
الدميري انه من انشاء عبد المطلب فهو وهم منه • وسبب
الوهم انه في اخر قصة عبد المطلب ان رقيقة بنت ابي صيفي
ابن هاشم وهي التي سمعت الهاتف في النوم أو اليقظة لما
تتابعت على قريش سنون أهلكتهم يصرخ يا معشر قريش
ان هذا النبي المبعوث قد أظلتكم أيامه • وهذا ابان نجومه
فحيهلا بالحيا والخصب • ثم أمرهم أن يستسقوا به • وذكر
قصتها يطول ذكرها حاصلها ما مر فلما قصت الرؤيا وهي
الراوية المذكورة في القصة أنشأت تمدح النبي صلى الله عليه وسلم
بابيات أخرها ۝ مبارك الأمر يستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر ۝
فكان الدميري لما رأى هذا البيت في رواية قصة عبد المطلب
التي رواها الطبراني وهو يشبه بيت أبي طالب اذ في كل
استسقاء الغمام به الذي هو المقصود توهم ان بيت أبي
طالب لعبد المطلب فوهم من وجهين • نسبة هذا البيت
لعبد المطلب وانما هو لرقيقة • والحكم بانه عين البيت المنسوب

عذاء

الى ابي طالب وليس كذلك بل شتان ما بينهما بل هذا المحل فانه
مبهم • وقد اغتر بكلام الدميري من لا خبرة له بالسير المأخوذة
من الكتب المعتمدة • ثم رأيت ما يقطع بغلط الدميري وهو
ان النبي صلى الله عليه وسلم نسب وأبيض البيت لأبي طالب •
كما اخرجه البيهقي عن أنس قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله أتيناك وما لنا صبي يغط •
ولا بعير يئط أي ما لنا بعير أصلا لأنه اذا وجد لا بد أن
يئط فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر •
فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يده الى نحره حتى انبعثت
السماء بأبراقها وعادوا يضجون فضحك صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه • ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا رضي الله عنه
لقرت عيناه • من ينشدنا قوله فقال علي يا رسول الله كأنك
تريد قوله • وأبيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للأرامل
مع أبيات أخر فقال صلى الله عليه وسلم أجل فهذا انص
صريح من الصادق بان منشي هذا البيت ابو طالب • فنسبته
لعبد المطلب غلط صريح • **تنبيه** برواية ابن عساكر
هذه يسقط قول السهيلي في روضه • **فان قيل** كيف قال
أبو طالب وأبيض البيت ولم يره قط استسقى انما كان استسقاؤه
صلى الله عليه وسلم بالمدينة في سفر وحضر • وفيها شواهد مما كان
من سرعة اجابة الله له • **فالجواب** ان ابا طالب قد شاهد
من ذلك ايضا في حياة عبد المطلب ما دله على ما قال انتهى •

ووجد سقوطه ما ذكر ان اباطالب استسقى به صلى الله عليه وسلم
فسقى فانشد ذلك البيت حينئذ والعجب من شيخ الاسلام
الحافظ ابن حجر انه غفل ايضا عن رواية ابن عساكر هذه فاجاب
عن اشكال السهيلي بقوله ويحتمل ان يكون ابو طالب مدحه بذلك
لما راى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك انتهى اذ لو استحضر
رواية ابن عساكر هذه لم يبد هذا الاحتمال وولما بلغ صلى
الله عليه وسلم ثنتي عشر سنة خرج به ابو طالب الى الشام حتى بلغ
بصرى فرأى بحيرى الراهب فعرفه بصفته فقال هذا
سيد العالمين انكم حين اشرفتم به من العقبة لم يبق حجر ولا
شجر الا خر ساجدا ولا تسجد الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة
عند غضروف كتفه كالتفاحة ثم سأل عمه ان يرده خوفا
عليه من اليهود رواه ابن ابي شيبة وفيه انه صلى الله عليه وسلم
اقبل وعليه غمامة تظله وبحيرا بفتح فكسر مقصور ذكره جمع من
الصحابة بناء على ان الشرط رؤيته والايمان به ولو قبل المبعث
وصح ان سبعة من الروم اقبلوا يريدون قتله صلى الله عليه
وسلم فمنعهم بحيرا ورده ابو طالب وبعث معه ابو بكر بلالا
وقوله وبعث معه الى اخره وهم من احد رواته لان ابا بكر
اذ ذاك لم يكن متأهلا لذلك ولا اشترى بلالا وفي حديث
عند البيهقي وابي نعيم انهم لما اقبلوا رأى بحيرى غمامة بيضا تظله
من بينهم ثم نزل تحت شجرة فانخفضت عليه اغصانها حتى اظلته
وروى ابو نعيم وابن عساكر ان اخته الشما بنت حليمة رأته في

الظهيرة

الظهيرة وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت ولما
بلغ ثمان عشر سنة سافر الى الشام مرة اخرى بتجارة على ما ورد لكن
بسند ضعيف وفيه ان ابا بكر كان معه وان بحيرا قال هذا
والله نبي وان ذلك سبب ايمان ابي بكر به لما بعث قيل غيره
ثم خرج وله خمس وعشرون سنة مرة ثالثة في تجارة
لخديجة ومعه غلامها ميسرة فرأى في الهاجرة ملكين يظلانه
من الشمس وكذا رأت خديجة ذلك لما اقبلوا وهي في علية لها
وفي هذه السنة تزوجها وكانت تسمى بالطاهرة وكان
سنها اربعين سنة ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة خافت
قريش ان تهدم السيول الكعبة لتشعثها فامروا باقوم
النجار القبطي مولى احدهم بان يبنيها وحضر صلى الله عليه
وسلم وكان ينقل معهم الاحجار ثم لما تقارب بعثه صلى
الله عليه وسلم تحدث بذلك احبار اليهود ورهبان النصارى
لما في كتبهم من صفته وصفة زمانه وكهان العرب لان
شياطين الجن كانت لا تحجب عن خبر السما فتسترق السمع
وتخبر الكهنة به فيعلمون بعض خبر السما لكن كانت العرب
لا تلقي لذلك بالا فلما دنى مبعثه حجبت الشياطين عن السمع كما قال

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضا

بعث اي ارسل الله علم على الذات الواجب الوجود المستحق
لجميع الحمد من الخلق لذاته عند بتثليث العين اي قرب مبعثه
اي زمان بعثه صلى الله عليه وسلم اي ارساله الى الخلق كلهم كما قال

في خبر مسلم وأرسلت الى الخلق كافة وبين بعثه ومبعثه
جناس الاشتقاق **الشهب** على الشياطين الذين يسترقون
السمع فيخطف أحدهم الكلمة فيضم اليها مائة كذبة كما في الحديث
ثم يلقيها للكاهن وهي جمع شهاب وهو شعلة نار تحرق الشيطان
المسترق للسمع أو تخبله **حراسا** اما جمع حارس على غير قياس
كقايم وقيام فهو حال أو مصدر أي لاجل الحراسة لشريعته
التي سيأتي بها من الشياطين أن يخلطوا بها ما ليس منها
وهو للمبالغة والتاكيد لانه معلوم من قوله تطرد الى الخ
ففيه التتميم كعلى حبه من ويطعمون الطعام على حبه **و**لكثرة
تلك الشهب وعمومها للمسترقين في نواحي السما **ضاق**
عنها الفضا أي المفازات الواسعة فلم يبق محل يجدونه
حتى يسترقوا السمع منه وبين ضاق والفضا الطباق

تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذياب بالرعاء

تطرد حال من الشهب أو صفة له كما في قوله ولقد أمر على اللئيم
يسبني لكن ظاهر المقام ترجيح الحالية إذ رعاية التنكير
هنا بعيدة **الجن** ومر انهم اجسام نارية تقدر على التشكل
في الصور المختلفة **عن مقاعد** أي أمكنة قريبة من السماء
يقعدون فيها **للسمع** أي ليسمعوا شيا من الملايكة المتكلمين بما
سيقع في الأرض من الأقضية والمغيبات اما لكون بعضهم
يلقيه عليهم ليكتبوه فيتلقونه منهم وان بعضهم ينسخ من
كتب البعض الآخر زيادة في الاعتنا والظهور للملايكة وأصل

هذا قوله

هذا قوله تعالى قل أوحي الى انه استمع نفر من الجن الى قوله فمن
يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلما سمع الجن ذلك عرفوا
الحق فآمنوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قائلين ما حكاه
الله عنهم أواخر سورة الاحقاف **ويوافق** هذا ما رواه
أهل السير انه لما حيل بينهم وبين خبر السما قالوا ان ذلك
لأمر حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا
ما حال بينكم وبين خبر السما فخرجت طايفة منهم من جن
نصيبين باليمن قبل تهامة فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم
بنخلة قرية على ليلة من مكة مع أصحابه يصلي الصبح
وهو يقرا فاستمعوا اليه ثم قالوا هذا الذي حال بينكم
وبين خبر السما فاسلموا وولوا الى قومهم منذرين
وفي ذلك نزل قل أوحي الي الآيات وإذ صرفنا اليك
نفرا من الجن الآية **قال الحافظ** ابن كثير ذكر ابن اسحاق
انه صلى الله عليه وسلم خرج الى أهل الطايف يدعوهم الى
الاسلام وانه انصرف عنهم فبات بنخلة يقرا تلك الليلة
فاستمع جن نصيبين ى مدينة بالشام انتهى **وما**
ذكره صحيح الا قوله ان استماع الجن كان تلك الليلة ففيه
نظر فان استماعهم انما كان في ابتدا الوحي كما يدل له
حديث ابن عباس عند احمد كان الجن يستمعون الوحي فيستمعون
الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما يسمعون حقا وما
زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما

بعث صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب
يحرق ما اصاب منه فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا إلا
لأمر امر اي عظيم قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي صلى الله
عليه وسلم يصلي بين جبل نخلة فاخبروه فقال هذا الحدث الذي
حدث في الارض ورواه النساي وصححه الترمذي قال أعني ابن
كثير واما خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطايف فانما كان بعد موت
عمه ابي طالب وروى ابن ابي شيبة عن ابن مسعود انهم
هبطوا عليه صلى الله عليه وسلم وهو ببطن نخلة يقرأ القران
فلما سمعوه قالوا انصتوا فانزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن الاية فهذا مع رواية ابن عباس يقتضي انه صلى الله
عليه وسلم لم يشعر بحضورهم في تلك المرة وانما سمعوا قراءته
ثم رجعوا الى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا عليه ارسالا قوما
بعد قوم انتهى وصح ان الذي اذنه صلى الله عليه وسلم بهم
لما وفدوا اليه شجرة وانهم سالوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله
عليه يقع في يد احدكم اوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابكم
وفيه رد على من زعم ان الجن لا تاكل ولا تشرب والحاصل
ان ذهابه الى الطايف إنما كان بعد موت عمه ابي طالب
سنة عشرة من البعثة ثم موت خديجة بعده بثلاثة ايام او
خمسة ثم تزوجه سودة بعد ايام وكان خروجه الى الطايف
بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في شوال لما نال من قريش وكان
معه مولاه زيد بن حارثة فاقام به شهرا يدعو اشراف ثقيف

بلغ مقابلة

فلن يجيبوه

فلن يجيبوه واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن
عقبة ورموا عقبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدم زاد غيره
وكان اذا أذلقته الحجارة أي بالمعجمة ثم القاف أضعفته تعد الى
الارض فياخذونه بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم
يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في راسه شجاجا
وفي الصحيحين انه لقي منهم أشد ما لقي يوم احد وان جبريل
نزل عليه حينئذ ومعه ملك الجبال ليامره في قومه بما شاء فقال
صلى الله عليه وسلم بل ارجوا ان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله
وحده لا يشرك به شيئا وجاء عن ابن عباس ان الشياطين كانوا
لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها
فيلقون على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما
ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد
يريد استراق السمع الا رمي بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطيه
ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله
فيصير غولا يضل الناس في البراري قال الايمة وهذا لم يكن
ظاهرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولم يذكره أحد قبل زمانه
وانما ظهر في مبدا امره تاسيسا للنبوة نعم جاء عن معمر
انه قال للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت
أفرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية قال
غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وجرى
على هذا ابن قتيبة فقال كان الرجم قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة

عليه الصلاة والسلام

صلى الله عليه وسلم

الحراسة بعد مبعثه ويؤيده رواية ابن عباس الاخيرة ان صحت
وعلم من قول ابن عباس شعلة نار انه الكوكب لا ينفصل عن محله وانما
الذي ينفصل عنه تلك وقيل ينقض ثم يرجع الى مكانه وطرد تلك
الشهب لاولئك الشياطين طرد بالغ جدا كما موصولة او مصدرية
تطرد الذئاب جمع ذئب بالهمزة وقد تخفف وتشبيه شياطين الجن
بالذئاب صرح به الحديث الشريف الصحيح الرعا بضم اوله وكسره
للغنم اذا ارادت العدو عليها ۝ فمحت آية الكهانة آيات
من الوحي ما لهن انمحاء فبسبب ذلك الطرد البالغ للجن
عن خبر السما محت آية الكهانة مفعول مقدم وهي بالفتح مصدر
كهن بضم الهاء اذا صار كاهنا اي مخبرا بالامور الخفية والمغيبات البعيدة
اي علامتها وهي ما كانت تاتي به الكهان وتذكره من المغيبات التي
تلقيها اليهم الشياطين بواسطة استراقهم لبعض كلام الملائكة
ثم القائه اليهم مع ما يضمونه اليه من الكذب كما مر آيات من جملة
الوحي وهو الكتابة والاشارة والرسالة والالهام والكلام
الخفي ولذلك كان الوحي الآتي اليه صلى الله عليه وسلم على اقسام
الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح
ما يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كالحديث الصحيح
ان روح القدس نفث في روعي لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها
فاتقوا الله واجملوا في الطلب تمثيل الملك له رجلا فيخاطبه
وصح انه كان ياتيه في صورة دحية اي لانه كان جميلا جدا اذا
قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه وتشكل جبريل مع عظم صورته

وإذا كان

وان كان له ستمائة جناح تسد الافق في صورة رجل غير بعيد
لان الاجسام النورانية تقبل الانضمام حتى تصغر الصورة
جدا كما ان القطن يقبل الانكباس فتصير الصورة الكبيرة منه
صغيرة وهذا اولى من قول بعضهم ان صورته الاصلية باقية
وصورة الرجل صورة اخرى وروحه متعلقة بها كما في الابدال
الذين تتعدد صورهم في الوجود وروحهم واحدة والتكليف
حينئذ مناط باي صورة ارادها الانسان ياتيه مثل
صلصلة الجرس وهو اشده عليه ولذا كانت ناقته صلى الله
عليه وسلم تبرك به وكان راسه على فخذ زيد بن ثابت فكادت
ترتض من شدة الثقل حتى انه يقول لا امشي بعد اليوم
على رجلي ابدا ياتيه على صورته الاصلية ووقع له ذلك
مرتين كما في سورة النجم كلام الله له بلا واسطة كموسى
واختص بالكليم لان ذلك وقع له وهو بالارض ونبينا محمد
صلى الله عليه وسلم انما وقع له ذلك وهو كقاب قوسين او ادنى
وصح عن الشعبي انه صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى
له ثلاث سنين وياتيه ويكلمه من الوحي والشيء ثم وكل به
جبريل فجاءه بالقرآن ثم وصف آيات الوحي بانهن ما لهن
انمحاء من محى يمحو او يمحي ومحا كذا ذكره بعضهم وعبارة
القاموس محاه يمحوه ويمحاه اذهب اثره وامحى كادعى والمحو كالسواد
في القمر انمحت كمحت والمعنى هاهنا اي ما لهن ذهاب
ولا تغير كيف وقد تكفل الله لهذه الشريعة الغراء بانها باقية

عليه الصلاة والسلام

عليه الصلاة والسلام

على ممر الدهور الى أن ينزل عيسى فيحكم بها ثم تضمحل عند قيام الساعة
بموت الطايفة التي أخبر الصادق بانهم لا يزالون قايمين بالحق
لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله أي ريح لينة تقبض أرواحهم
فحينيذ لا يبقى على وجه الارض من يقول الله الله فتقوم الساعة
وبين نحت وانجاس الاشتقاق **ثم ذكر** قصة زواجه صلى الله
عليه وسلم لخديجة رضي الله عنها ولو قدمها كما فعلت ليوافق الواقع
لانها قبل قوله بعث الله الى اخره لكان أولى فقال

ودرأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحيا

ودرأته أي علمته وأبصرته لما سبق لها من الفضل الذي فاقت
به ساير أمهات المومنين رضي الله عنها **خديجة** بنت خويلد بن أسد
ابن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت ذات شرف طاهر ومال
وافر وحسب فاخر وهي للحال **التقى** هو البراءة من كل شي سوى الله
وهذا غايته ومبداه اتقا الشرك وواسطته اتقا المحارم
وكذا ايتقا في التقوى وصح خبر ان اتقاكم وأعلمكم بالله أنا
وخبر اني لاعلمكم بالله وأشدكم له خشية **والزهد** هو أخذ أقل
الكفاية مما يتيقن حله وترك الزايد على ذلك لله وقد صح خبر
ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض وخبر
كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة وأهله طاويا لا يجدون
عشاء وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رأيت
نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما
يملا بطنه وخبر انه كان يمضي الشهران ولا يوقد في ابياته نارا

صلى الله عليه وسلم

وانما

وانما طعامهم التمر والماء وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه
مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعا من شعير أخذها قوتا لأهله
فيه كل منها **سجية** بالسين المهملة أي خلق غريزي طبيعي واختلف
في كون حسن الخلق غريزة أو مكتسبا يتعين أن يكون محله في غيره
صلى الله عليه وسلم وتمسك من قال بانه غريزة بالحديث الصحيح ان
الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم والتحقيق ان أصول الاخلاق
غرايز وملكات في نوع الانسان وانما التفاوت في ثمراتها
وهذا هو الذي به التكليف لان الغريزي لا تكليف به لانه
ليس في الطاقة نعم من فيه غريزة منه اعانة على المكتسب
حتى يكاد يكون غريزيا فيومر بالمجاهدة في الضعيف حتى يقوى
وفي غير المحمود حتى يصير محمودا **وقد صح** انه صلى الله عليه
وسلم قال للأشج ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم
والاناة قال يا رسول الله قديما كان في أو حديثا قال
قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خصلتين يحبهما فترديد
السوال وتقريره عليه يشعر بان في الخلق الجبلي والمكتسب
وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم كما احسنت خلقي
اي بفتح أوله فحسن خلقي **وكان** يقول في دعاء الافتتاح
واهدني لاحسن الاخلاق لا يهدي لاحسنها الا انت
ولما اجتمع في نبينا صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال وخصال
الجلال والجمال ما لا يحيط به احد أثنى الله تعالى عليه في كتابه
العزيز فقال موكدا لذلك بذكر على الاستعلايية وانك لعلى خلق عظيم

وَالخلق ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل ووصف بالتعظيم
مع ان الغالب وصفه بالكرم لان خلقه لم يقتصر على الكرم المقتضي
للسماحة والدماثة بل يعم صفتي الانعام والانتقام اذ كان رحيما
بالمؤمنين شديدا اغليظا على غيرهم **والحيا** فيه سجية ايضا على الكمل
غاياته **ففي البخاري** من حديث ابي سعيد كان صلى الله عليه وسلم
اشد حيا من العذرا اي البكر في خدرها وقيد به لان حياها فيه
اشد لانه مظنة ان يظفر منها طامع بدخل عليها فيه بشي بخلافها
بحضرة الناس والحيا بالمد لغة تغير وانكسار يعتري الانسان من
خوف ما يعاب به من الحياة ولذلك سمي المطر حيا لكنه مقصور وشرعا
خلق يبعث على اجتناب القبيح ومنه التقصير في حق من له حق **ومن ثم**
صح انه صلى الله عليه وسلم لا ياتي الا بخير وانه من الايمان وجعل منه وان
كان غريزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم

وأتاها أن الغمامة والسرح اظلته منهما افيآء ○

وأتاها الخبر بكرامتين عظيمتين وقعتا له قبل النبوة وهما **ان الغمامة**
وهي السحابة **والسرح** وهو كما في القاموس شجر عظام او كل شجر لا شوك
فيه او كل شجر طال انتهى وقضية سياق الحديث القصة الاتية ان
المراد هنا الاول او الثالث واما الثاني فلم ار ما يدل عليه **اظلته**
منهما حال من قوله افيآء جمع فيء وهو ما بعد الزوال من الظل من فاء
رجع لرجوعه من جانب الى جانب وفرق بعضهم بين الظل والفيء
بان الظل ما نسخته الشمس والفيء ما نسخها ومر ذكر هاتين الايتين
قبل قوله بعثه الله عند مبعث الشهب وحاصلهما مع بعض زيادة

خ بمعجزتين

افيآء

انها ارسلته

انها ارسلته في تجارة لها ومعه عبدها ميسرة الى بصرى فنزل
تحت شجرة فاظلته فقال راهب ثمة ما نزل تحتها الا نبي
وسال ميسرة أفي عينيه حمرة قال نعم لا تفارقه فقال الراهب
هو آخر الانبيا ليتني اني ادركه اذ يؤمر بالخروج وقال له من
خالفه في بيع وهو في سوق بصرى احلف باللات والعزى فقال
ما حلفت بهما قط فقال خصمه لميسرة هذا نبي والذي نفسي بيده
انه هو الذي تجده احبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة
وكان ميسرة يرى ملكين يظلانه في الهاجرة ورأت خديجة ذلك
لما اقبل صلى الله عليه وسلم وهي في علية لها فارتد نسا عندها فعجبن
من ذلك فلما جا ميسرة اخبرته بما رأت فاخبرها بجميع ما رآه
منه وبقول الراهب السابق وبقوله ما حلفت بهما قط **تنبيه**
ورد في تظليل الغمامة له صلى الله عليه وسلم احاديث اصحها ما رواه
جماعة وهو على شرط مسلم الصحيح الان في روايته غرابة
ان ابا طالب خرج به الى الشام في اشياخ من قريش فمروا
ببحيرا فخرج اليهم على خلاف عادته فجعل يتخللهم حتى اخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين **زاد**
البيهقي رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقالوا
له وما علمك قال انكم حين اشرفتم من الثنية لم يبق شجر ولا حجر
الا خر ساجدا ولا يسجدون الا لنبي واني لاعرفه بخاتم النبوة
اسفل من غضروف كتفه ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم
به كان صلى الله عليه وسلم في رعاية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل

اللهم صلى وسلم عليه وعلى آله وصحبه

وغمامة تظله فلما دنى الى القوم وجدهم قد سبقوا الى الشجرة فلما
جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال اليه
الحديث رواه ابو موسى الاشعري وهو اما ان يكون تلقاه عنه
صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ او من بعض كبار الصحابة او كان مشهورا
أخذه بطريق الاستفاضة فروى معضلا والبيهقي في الدلايل
موصولا انهم لما نزلوا قريبا من صومعة بحيرا صنع لهم طعاما كثيرا لانه رأى
النبي صلى الله عليه وسلم حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم اقبلوا
فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت
أي مالت وانعطفت اغصانها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل
تحتها القصة وورد ان حليمة رأت غمامة تظله وهو عندها
وورد ذلك ايضا عن اخته من الرضاعة واشار غير واحد ان تظليل الغمامة
له صلى الله عليه وسلم انما كان قبل النبوة ارهاصا وتاسيسا لنبوته كما
ياتي ومما يدل على انقطاع ذلك ان الصديق رضي الله عنه أظله
صلى الله عليه وسلم حين قدما المدينة في الهجرة لما أصابته الشمس فظلل
عليه بردائه وصح انه صلى الله عليه وسلم ظلل عليه بثوب وهو يرمي الجمرة
وظلل به مرة اخرى وهو بالجعرانة وانهم كانوا في أسفارهم اذا أتوا
على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وسياتي في شرح قوله واذا ما
ضحى محو نوره الشمس الخ ما له تعلق بذلك
واحاديث ان وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء
واتاها ايضا احاديث الاحبار والرهبان والكهان ان اي بان
وعد رسول الله مصدر مضاف للمفعول اي وعد الله له وهو عند

الاطلاق

الاطلاق لا يستعمل الا في الخير بالبعث اي الارسال الى الخلق كافة
حان اي قرب منه اي من رسول الله وهو متعلق بقوله الوفا اي قرب
وفا الله سبحانه بذلك الوعد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعته الى الزواج وما أحسن ما يبلغ المنى الاذكياء
وبسبب ما رأته منه وما بلغها عنه مما يحملُ من له ذرة من عقل
على أن يغسل قدميه ويشرب ما غسلهما دعته اي خطبته الى
الزواج اي الى أن يتزوج بها وعرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عمي
اني قد رغبت في نكاحك لما رأيته وعرفته منك ومر ان سنها
حينيذ كان أربعين سنة وسنه صلى الله عليه وسلم كان خمسا وعشرين
سنة على الاشهر فيهما وكانت تزوجت قبله برجلين وما أحسن
هذه احدى صفتي التعجب المنى اي الاماني جمع أمنية وهي ما يتمناها
الانسان الاذكيا جمع ذكي كغني والذكا بالمد حدة القلب ومزيد
تيقظه اي شيء عظيم حسن بلوغ الاذكيا كل ما يتمنونه وسيدهم
بل من كلهم خديجة رضي الله عنها فانها أدركت بفوة ذكائها وتفرسها
فيه صلى الله عليه وسلم منه وبه كلما تمنته وأملته مما لم تبلغه امراة
من هذه الامة اذ هي على الاصح أفضل امهات المومنين رضي الله عنهن
وهذا من أنواع البديع المسمى بارسال المثل وهو أن يذكر الشاعر
في بعض بيت ما يجري مجرى المثل السائر من حكمة أو نحوها كقول
ابي الطيب لان حلمك حلم لا تكلفه ليس التكحل في العينين كالكحل
وهو كثير في كلام الناظم ولما عرضت نفسها عليه صلى الله
عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه منهم حمزة حتى دخل

رضي الله عنه

علي أبيها خويلد فخطبها اليه فاجاب فتزوجها صلى الله عليه وسلم
وأصدقها عشرين بكرة وحضر أبو بكر ورؤسا مضر فخطب رضي الله عنه
ابو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم
وفرع إسماعيل وضيضي مجتنبين أو متمليين أصل معد
وعنصر مضر وجعلنا من حضنة بيته أي الكافلين له وسواس
حومه أي المتولين لأمره وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما أمنا
وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد
ابن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به وان كان في المال قل فان صلى الله عليه وسلم
المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن قد عرفتم قرابته وقد
خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما أجله وعاجله
من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل
فزوجها أبوها منه وذكر الدولابي وغيره انه صلى الله عليه وسلم
أصدقها ثنتي عشر أوقية ذهبا ونصف أوقية قالوا وكانت
كل أوقية إذ ذاك اربعين درهما ۞
وأتاه في بيتها جبرئيل ولذي اللب في الأمور ارتياء
ومما يدل على عظيم ذكائها وفرط معرفتها انه **أتاه** بعد النبوة
والرسالة **في بيتها جبريل** كعندليب لغة في جبريل ليلقي اليه
ما أمره به من الوحي وكان عندها من الايمان به علم اليقين فأحبت
أن تنتقل عنه الى عين اليقين كما وقع لابرهيم على نبينا وعليه أفضل الخليل
الصلاة والسلام في قوله بلى ولكن ليطمئن قلبي وكيف لا تريد
هذه المرتبة العلية **ولذي** أي صاحب **اللب** أي العقل الكامل تعالى

وخديجة رضي الله عنها من أكمل اولي الألباب وأذكاهم **في الأمور**
أي الأحوال التي قد تشتبه **ارتياء** أي استبصار من ارتيابه
أي نظرته بالعين أو القلب كما في القاموس وفراسة تقضي لها
على تلك الأمور بتمييز حسنها من قبيحها فعلم أن هذه
الجملة اعتراضية فان فيها غاية المناسبة لما قبلها وما بعدها
اذ الاعتراضية لا بد لها من نكتة فهي هنا الاشارة الى كمال
عقلها واستبصارها مع إفادة ان هذا أمر كلي جاري مجرى
المثل والحكمة فهو من ارسال المثل ۞
فأماطت عنها الخمار لتدري أهو الوحي أم هو الإغماء
فبسبب تلك المحبة مع ما عندها من كمال العقل **أماطت**
أزالت **عنها** أي عن رأسها **الخمار** وهو ما تخمر أي يغطى به الرأس
لتدري أي لكي تعلم علم اليقين **أهو** أي هذا الذي عرض له
صلى الله عليه وسلم حتى اخرجه عن حالته المألوفة منه
الوحي أي حامله وأمينه الذي كان يأتي به الأنبيا قبله وهو
أقسامه **أم** هي معادلة الهمزة المطلوب بها وبأم التعيين
ولها قسم ثان وهو أن تقع بعد همزة التسوية وسميت
فيهما معادلة لمعادلتها الهمزة في افادتها الاستفهام في
الأول والتسوية في الثاني وتسمى فيهما متصلة لأن ما
قبلها وما بعدها لا يستغني بأحدهما عن الآخر ويقابلها
المنقطعة وهي ثلاثة أقسام مبسوطة في محلها **هو**
الإغماء الذي هو من بعض الامراض الحادثة ومن ثم

جاز على الانبيا عليهم الصلاة والسلام دون الجنون ٥
فاختفى عند كشفها الراس جبريل فاعاد او اعيد الغطاء
فبسبب ازالتها الخمار عن راسها **اختفى عند كشفها**
الراس مفعول كشف المضاف لفاعله **جبريل فاعاد**
او اعيد الغطاء يعني الى ان اعادت غطا راسها فاعيد
ماض مبني للمفعول والغطا نايب المفعول **ووقع** ٥
للشارح هنا انه قال واعيد منصوب بان مضمرة بعد
او التي تصلح موضعها حتى والغطا فاعل اعيد انتهى وهو
سهو عجيب لما تقرر ان اعيد ماض الخ وكان
هذا الوهم سرى اليه مما يصرح به كلام النحاة ان او غير
العاطفة التي بمعنى الى انه لا تدخل الا على مضارع كما
في حتى الغايية المرادفة لاو المذكورة كما صرحوا به وحينيذ
فاضطره ذلك الى ما ذكره غفلة عن ان اعيد ماض لكن
كان عليه ان يقول وقول الناظم اعيد صوابه يعاد ويذكر
ما اشرت اليه واما كونه يبقى اعيد على حاله ويجعله منصوبا
باو فهو جلي الفساد لا يقال هو ماض لفظا مستقبل معنى فليجز
دخول او الناصبة عليه لما صرحوا به في حتى المرادفة لها
ان شرط النصب بعدها ان يكون الفعل مستقبلا او ماضيا
في حكم المستقبل نحو سرت حتى ادخل المدينة وهذا يوول
بالمستقبل نظرا الى انه غاية لما قبل حتى لانا نقول مع قولهم
انه ماضيا في حكم المستقبل لان لفظه لفظ المضارع

ومعناه

ومعناه ماض فكان قضية القياس ان لا يدخل عليه حتى
الغايية فاجابوا بان ما فيه من المضي موولة بالاستقبال
نظرا الى انه غاية كما تقرر واما لفظه فلا يدخل عليه حتى
الغايية اصلا **فان قلت** كيف هذا مع قوله تعالى حتى اتاهم
نصرنا حتى عفوا حتى جاءهم العلم **وفي** البخاري حتى فجاءه
الحق وهو بغار حرا **قلت** حتى هنا ابتدائية لا غاية واو النا
انما يكون بمعنى حتى الغايية لا غير **وقد** صرح بذلك الائمة
وقد لخصه الجلال السيوطي في شرح جمع الجوامع له حيث قال
ما ملخصه ان حتى الابتدائية تليها الجملتان الاسمية والمضارعية
والماضوية والمصدرة بشرط **واما** زعم ابن مالك انها جارة
غايية قبل الفعل الماضي باضمار ان بعدها على تاويل المصدر ٥
فغلطه فيه ابو حيان وتبعه ابن هشام فقال لا اعرف له
في ذلك سلفا وفيه تكلف اضمار من غير ضرورة **وردوا** زعمه
هو والاخفش انها جارة قبل اذا وان اذا في موضع جرها خلاف
ما عليه الجمهور انها ابتدائية واذا في موضع نصب بشرطها
او جوابها **ثم قال** الجلال قال بعض شيوخنا ضابط حتى انها
اذا وقع بعدها اسم مفرد مجرور او مضارع منصوب فحرف جر
او اسم مرفوع او منصوب فحرف عطف او جملة اي ماضية فحرف
ابتدا ولا محل لهذه الجملة انتهى وهذا كله صريح كما ترى في ان
كل جملة ماضوية دخلت عليها حتى في القران او غيره تكون حتى
حينيذ ابتدائية ولا تكون جارة بمعنى الى ان وان صح المعنى

لامران ذلك يحتاج لتقدير ما لا حاجة اليه واذا تقرر ان حتى
الغائية لا تدخل على الماضي فاو التي بمعناها اولى **فان قلت**
لم قست او على حتى الغائية في منع دخولها على الماضي ولم تقسها
على الى ان فهو ما ذكره ابن مالك وقد رد عليه حتى ولده ومن ثم
قال ابو حيان قد اغنانا ولده عن الرد عليه وعلى التنزل والا
ان لا تدخل على الماضي الا عند قوم بشرط ان يتقدمه فعل او
قد كما هو مقرر في محله واما كونها بمعنى الى ان فوجه ان حتى انما
امتنع دخولها على الماضي لكونها غائية كما مر مبسوطا وهذا
المعنى موجود في الى بطريق الاصالة فليمتنع دخولها على الماضي
بنص كلامهم لا بطريق القياس **فان قلت** تقرر ان او
بمعنى الى ان وهذه تدخل على الماضي كما في الحديث فامر الى
ان تورمت قدماه فلتكن او كذلك **قلت** هذا اشتباه
لان ان المتضمنة في هي الناصبة وهي خاصة بالمضارع فلم
يتصور دخول او المتضمنة لها على الماضي واما ان الملفوظ
بها بعد الى فهي التي لا يتصور لها عمل وهي تدخل على الماضي
فلا جامع بين هذه وتلك **فان قلت** بعضهم يقدر
او بالى ان وبعضهم يقدرها بالى فقط وهذا يدل على ان
ان لا نظر اليها **قلت** لا يدل ذلك بوجه وانما اختلفوا
في ناصب المضارع الداخل عليه او فالاصح ان ان مقدرة
بعدها وقال قوم هي الناصبة نفسها فعلى الاول يقدر بالى
ان وعلى الثاني بالى فقط **فان قلت** قد ادخل الناظم او

على الماضي

أو الا ان التي بمعناها قلت اما كونها بمعنى الا ان صح

على الماضي في موضع من البردة وسكت شراحها **قلت** الاعتراض في
ذلك ايضا واما الشراح فيحتمل انهم سكتوا عن ذلك نظرا للمعنى
وانهم غفلوا عما ذكرته من صريح كلامهم الدال على ان او الغائية
لا تدخل على الماضي **ثم رايت** شارحها العلامة ابن مرزوق
تنبه لما ذكرته فقال في او خلت البطاح لها ان او هنا عاطفة
ثم جعلها بمعنى الواو وبل او انها على حالها بالشك او التخيير
وتكلف بيان ذلك ولم يعرج على انها او الغائية بوجه
وليس سر ذلك الا امتناع دخولها على الماضي والا كان
معنى الغاية في البيت اقرب مما تكلفه ولا يتاتى نظير ما
تكلفه هنا والا لبادرت اليه ومما يصرح بذلك ايضا ان النحاة
لم يذكروا لاو الا قسمين عاطفة وناصبة وهي الغائية
فالعاطفة امرها واضح ولا كلام فيها والناصبة تختص
بالمضارع فمن اثبت لها قسما ثالثا وهو دخولها على الماضي
ولا يكون للعطف فعليه البيان ولا يجد ذلك كما دل عليه
كثرة البحث والتتبع فتامل ذلك كله فانه نفيس مهم غفل
عنه الناظم وغيره **فاستبانت خديجة** قيل صرفها
للضرورة ويرد بانه انما صرفه وان كان الوزن يجامع مع
عدم الصرف ليسلم من قبح زحاف الشكل وهو اجتماع الكف
والخبن لان مستفعلن بحذف سببه فيسمى خبنا كما مر وهو
على انفراده غير قبيح ويدخل مع ذلك الكف وهو حذف
حرفه السابع وهو النون ليصير متفعل وهذا هو الشكل

فاستبانت خديجة انه ليس الا
الذي جاء ولقد كان الحكيما
صح

القبيح الذي هو اجتماع هذين وان كان الاول وحده حسنا
والثاني وحده صالحا وهو من العجائب اذ اجتماع الحسن والصالح
يصير قبيحا عندهم اي ظهر لها اتم الظهور لانها علمت من ابن عمها
ورقة الاتي او من غيره ان جبريل لا ياتي محلا فيه امراة مكشوفة
الراس انه ما يعرض للنبي صلى الله عليه وسلم الذي طلبت الوقوف على
عين اليقين فيه الكنز اي الشي النفيس الذي لا انفس منه
الذي حاولته اي ارادت حيازته والظفر به وانه الكيميا
اي العلم البديع الذي يقلب الاعيان الردية الى الاعيان النفيسة
واستعار الكنز وهو المال المدفون والكيميا وهو العلم
المعروف للوحي لان بهما تحصل الذخاير النفيسة او المنتفع
به حالا ومالا كما ان الوحي كذلك وايضا هما لا يظفر
الا الفذ النادر كما ان الوحي لا يظفر به الا اكمل البشر
وهما في غاية الندرة والنسبة لبقية الناس واشار بذكر
ذلك ما وقع لخديجة الى سبب ذلك وهو قصد ابتدا بعثه
صلى الله عليه وسلم وخاصلها انه صلى الله عليه وسلم
لما بلغ اربعين سنة قيل وكسرا بعثه الله يوم الاثنين
كما في خبر مسلم لسبع عشرة من رمضان وقيل من ثمان
من ربيع الاول وقيل كان في رجب رحمة للعالمين ورسولا
الى كافة الخلق اجمعين كما قال صلى الله عليه وسلم وارسلت
الى الخلق كافة روى البخاري وغيره اول ما بدي به
صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى

رؤيا الا جاءت كفلق الصبح وابتدي بها لان الملك لو
فاجاه بغتة لم تحمله قواه البشرية وكان ياتي حرا فيتعبد
فيه الليالي الكثيرة ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها
حتى فاجاه الحق اي جاءه جبريل وهو بغار حرا
فقال له اقرا فقال ما انا بقارئ اي لست بقارئ قاله
امتناعا لانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب فغطه حتى بلغ
منه الجهد ثم ارسله وقال له اقرا قال ما انا بقارئ قاله
اخبارا بالواقع فغطه ثم ارسله كذلك وقال له اقرا
قال ما انا بقارئ اي ما الذي اقراه فغطه وارسله كذلك
وحكمة الغط ثم تكريره مزيد التاهل الى لقا الملك لما بين
البشرية والملكية من التباين ثم الى التلقي منه ثم
قال اقرا باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم
فرجع بها يرجف فواده حتى دخل على خديجة فقال
زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال
يا خديجة ما لي واخبرها الخبر ثم قال قد خشيت على
اي قبل ان تحصل لي العلم الضروري بان الجائي جبريل
اي خشيت ان لا اقدر على حمل اعبا الرسالة وان يقتلني
قومي فلا بدع انه بشر فقالت له كلا ابشر والله
لا يخزيك الله انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل
الكل وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق
ثم انطلقت به الى ابن عمها ورقة وكان شيخا كبيرا

رضي الله عنه

قد عمي وهو ممن تنصر من العرب وعرف الانجيل فقالت
له اسمع من ابن اخيك فاخبره صلى الله عليه وسلم ما رأى
فقال هذا هو الناموس الذي انزل على موسى يا ليتني فيها
جذعا اي شابا لابالغ في نصرتك اذ يخرجك قومك
قال أومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بما جئت
به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا
ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة
حتى حزن صلى الله عليه وسلم وتكرر ذهابه الى رؤس شواهق
الجبال ليرمي نفسه فيبرز له جبريل ويقول يا محمد انك
رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه واخرج
الشيخان وغيرهما انه صلى الله عليه وسلم انه قال جاورت
بحرا شهرا الا لطلب النبوة فانها موهبة لا تنال بكسب
الله اعلم حيث يجعل رسالاته فلما قضيت جواري هبطت
فتزودت فنظرت فلم أر شيئا فرأيت راسي فرأيت شيئا
لم اثبت له فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا
على ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر الاية وهذا بعد
نزول اقرأ بل وبعد فترة الوحي اذ اول ما نزل اقرأ على الاصح بل
الصواب وصح عن الشعبي انه قال نزلت عليه صلى الله عليه
وسلم النبوة وهو ابن اربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث
سنين فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن
على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل

عليه السلام

فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة وحكمة الفترة
ذهاب الروع الذي وجده صلى الله عليه وسلم ومزيد تهييجه
الى الاشتياق للعود وروى اصحاب السير انه صلى الله عليه
وسلم لما اخبر خديجة الخبر قالت له أتستطيع أن تخبرني
بهذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما جاءه جبريل اخبرها
به فقالت له أجلس على فخذي الأيسر ففعل فقالت أتراه
قال نعم فقالت فعلى الايمن ففعل فقالت اتراه قال
نعم فألقت خمارها ثم قالت أتراه قال لا قالت
فابشر فوالله انه لملك ما هذا شيطان ○
ثم قام النبي يدعو الى الله وفي الكفر نجدة وإباء
ثم بعد تلك الفترة ونزول قوله تعالى يا ايها المدثر قم
فانذر بادر صلى الله عليه وسلم الى امتثال ذلك فحينئذ
قام النبي اي جد واجتهد في حال كونه يدعو الى عبادة
الله والايمان به وبرسوله وترك ما هم عليه من عبادة الاوثان
وذلك لان ما وجب عليه صلى الله عليه وسلم الانذار والدعاء
الى التوحيد ثم فرض الله من قيام الليل ما ذكره في أول
سورة المزمل ثم نسخه بما في آخرها ثم نسخ بايجاب الصلاة الخمس
ليلة الاسراء بمكة قاله النووي وقال في فتح الباري
كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك اصحابه
ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس صلاة ام لا فقيل ان الفرض
صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لقوله تعالى وسبح بحمد ربك

صلى الله عليه وسلم

عليه السلام

قبل طلوع الشمس وقبل الغروب **وروي** ان جبريل بدا له صلى الله
عليه وسلم في احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرؤك
السلام ويقول لك أنت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى
قول لا اله الا الله ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ
منها جبريل ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلي وامره ان يصلي
معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله
عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام
عليك يا رسول الله حتى اتى خديجة فاخبرها فغشي عليها من الفرح
ثم امرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل وكان ذلك اول
فرضها ركعتين الحديث **وهي لجاج في الكفر نجدة** أي قوة تامة
وتجرب عليه **وإباء** أي امتناع عن اتباع رسول الله صلى الله
عليه وسلم والايمان به ○ **أمما أشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال**
أمما مفعول مقدم ليدعوا أي جماعات هم امة الدعوة **أشربت** بالبناء
للمفعول **قلوبهم الكفر** أي اختلطت به بتقدير محبته وتمكن فيها حبه
حتى صارت لا تقبل على غيره ولا تلتفت اليه لامتزاجها به امتزاج المشروب
بها فاستعار لفظ الشرب للمخالطة وشدة الممازجة وحينئذ **فداء الضلال**
أي الذي استقر فيهم أي مرضه والاضافة بيانية أي فالداء الذي استقر فيهم
وهو الكفر داء لا يرجى برؤه **عياء** بمهملة مفتوحة فتحتية أي داء
عضال أعيا الأطباء مداواته وحصول شفائه **ولما** قام صلى الله
عليه وسلم يدعو الى الله دخل في الاسلام رجال ونساء حتى كمل السابقون
الأولون وأولهم على الاطلاق خديجة ثم من الرجال أبو بكر ومن الصبيان علي

رضي الله عنه — رضي الله عنه — رضي الله عنها

وصح إسلامه مع صباه لأن الأحكام اذ ذاك كانت منوطة بالتمييز
ومن الموالي زيد ومن الارقاء بلال **وروي** ان ورقة اسلم فان صح
كان اول من اسلم من الرجال وبهذا تجتمع الاقوال المتباينة في اول
من أسلم ثم دخل الناس في الاسلام ارسالا وكان صلى الله عليه وسلم مخفيا
أمره بقوله فاصدع بما تؤمر قالوا وكان ذلك بعد النبوة بثلاث سنين
ولم تبعد منه قومه ولا ردوا عليه حتى عاب آلهتهم سنة اربع من النبوة
فاجمعوا على عداوته الا من عصمه الله بالاسلام او صدق المحبة
كابي طالب فانه حدب عليه ومنعه وقام دونه فاشتد الامر
وتضارب القوم وتواثبت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم
ومنع الله رسوله منهم بعمه ابو طالب وبنو هاشم غير ابي لهب فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم
يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وابو لهب وراءه يكذبه
ويرميه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وكان بعضهم يحثو
بالتراب ويجعل الدم على بابه ووطئ عقبة بن ابي معيط على عنقه
وهو ساجد عند باب الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان وخنقوه
خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط اكثر شعره فقام
أبو بكر فمنعه منهم **ثم اسلم حمزة** عمه رضي الله عنه سنة ست من
النبوة فعز به وكفت عنه قريش قليلا وسألوه ان يملكوه عليهم
ويبذلوا له من الاموال ما شاء ويترك ما هو فيه فأبى وقال
صبرا لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم **وفي** سنة خمس اذن الله
لأصحابه في الهجرة الى الحبشة فكان اولهم عثمان مع زوجته رقية

رضي الله عنها — رضي الله عنه

رضي الله عنه

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم **وأسلم عمر** بعد حمزة بثلاثة
أيام فعز صلى الله عليه وسلم كثيرا فاجتمعت قريش على قتله صلى
الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب
فأدخلوه صلى الله عليه وسلم شعبهم ومنعوه ۝

ورأينا اياته فاهتدينا ، واذا الحق جاء زال المراء

ورأينا معشر أمة الاجابة اي أبصر الصحابة وعلم من بعدهم
بطريق التواتر والشهرة ويصح انها بمعنى علم في الكل وهو في من
بعد الصحابة بالنسبة لمشاهدة حروف القران الدالة على اياته لا
تحصى **اياته** أي معجزاته وخلقه وخلقه وبديع صفاته **فاهتدينا**
أي وصلنا الى المطلوب منا من كمال الايمان والاتباع **و**انما بادرنا الى ذلك
لانا اصحاب عقول كاملة **و**قد رأينا الحق عيانا لا ريبة فيه ولا شبهة
فعلمنا انه **اذا الحق جاء** زهق الباطل وبين بجاء الحق ان الحق فاعل بجاء مثله
المحذوف لان اذا لا تدخل الا على الجملة الفعلية على الراجح **زال المراء**
أي الضلال والجدال فيه **وفي** هذا البلغ التعريض لكفار قريش حيث
لم يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم مع ما شاهدوه من كماله الاعظم خلقا
وخلقا وعلما وسيرة ومن معجزاته الدالة على صدقه يا ۝

رب ان الهدى هداك ، واياتك نور تهدي بها من تشاء

رب ان الهدى اتباع الحق ليس الا **هداك** اي ليس الا بتوفيقك وهدايتك
كما قلت في كتابك فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن
يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء من
يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له **و**ان **اياتك** التي

بلغ مقابله

أقمتها

٤٧



أقمتها أدلة على صدق أنبيائك ويصح رفعه على الأول كل من
الجملتين مؤكد لما قبلهما **و**على الثاني هي مؤكدة ايضا لكن فيها شبه
اعتراض بنا على جواز وقوعه بعد تمام الكلام **نور** كما قلت
قد جاءكم من الله نور **تهدي بها من تشاء** هدايته وتضل عنها
من تشاء غوايته ففي كلامه اقتباس من الايتين المذكورتين
كما اشرت اليه **و**ايما الى ان الايات لا تنفع مع سبق الشقاوة
وان الايات وحدها لا تجدي شيئا **و**لما قرر ان الهدى
هدى الله وانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ذكر ما يستغرب
من ذلك ويقربه **و**هو ان غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه
العاقل فقال

كم رأينا ما ليس يعقل قد ألهم ما ليس يلهمه العقلاء

كم مرة اي مرارا كثيرة فهي خبرية ويجوز حذف ضميرها
كما فعله الناظم فان ذكر جر باضافتها اليه عند البصريين ۝
وجوز بنو تميم نصبه **و**افراده اكثر وافصح من جمعه فان
فصل نصب حملا على كم الاستفهامية **رأينا** اى علمنا
وابصرنا نظير ما مر واستعمال المشترك في معنييه واللفظ
في حقيقته ومجازه جائز وعلى منعه الذي ذهب اليه
الاكثرون هو من عموم المجاز **ما** اي شخصا **ليس يعقل** أصلا
كالحيوان والجمادات **قد ألهم** من المصالح وهذه في موضع
ثاني مفعولي رأى **ما** اي كثيرا **ليس يلهمه العقلاء**

الجملة

إذ ظرف أو علة لراي **أبى** أي امتنع **الفيل** المذكور في الآية
من أن يفعل **ما أبى** أي عزم عليه **صاحب الفيل** وهو أبرهة
ملك صنعا وهو دخوله الحرم وهدم الكعبة وبين أبي وأبى الجناس
المصحف ومنه قوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا
ولم ينفعه الحجى أي العقل الوافر **والذكا** اللذان اتصف
بهما فلم يوفق لما وفق له الفيل مع وضوح فرقان ما بينهما
في الذكا والعقل فعلم أن الهداية والضلال ليسا إلا بتوفيق
الله وهدايته أو خذلانه وعدم رعايته وبسط هذه القصة
أن أبرهة ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة
بصنعا وكتب إلى النجاشي قد بنيت لك كنيسة وأريد أن
أصرف حج العرب إليها فجاء رجل من بني كنانة فأحدث فيها
فسمع بذلك فغضب وحلف ليسيرن إلى الكعبة العرب
وليهدمها فأمر الحبشة فتهيأت ثم سار وخرج معه بالفيل
فيل واحد يسمى محمودا وقيل بأكثر فخرج عليه ملوك فهزمهم
وأسرهم إلى أن قرب من المغمس عند عرفة فبلغ ذلك عبد
المطلب فقال يا معشر قريش لا يصل لهدم البيت أن له ربا
يحميه ثم أرسل أبرهة خيلا فاستاقت إبل قريش وغيرهم
ولعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة فركب في قريش حتى بلغ
جبل ثبير فاستدارت دايرة غرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على الكعبة

مثل السراج

مثل السراج فقال ارجعوا فقد كفيتم فوالله ما استدار هذا
النور مني إلا أن يكون الظفر لنا فرجعوا ثم أرسل أبرهة
رجلا لسيدهم وهو عبد المطلب يخبره أنه لا حاجة له
بدمائهم وإنما غرضه تخريب الكعبة فإن مكنتموني نجوتم
فقال له عبد المطلب لا طاقة لنا بحربه والبيت بيت الله
فإن منعه فهو بيته ثم حمل إليه فأكرمه وأجله وجلس عن سريره
وجلس معه على بساطه ثم قال له ما حاجتك قال
أن ترد علي إبلي فقال له كنت أعجبتني ثم زهدت فيك
تكلمني في إبلك دون بيت هو دينك ودين آبائك فقال
أما الإبل فأنا ربها وأما البيت فله رب يحميه فرد إليه إبله
فرجع فأخبرهم فتحرزوا في شعف الجبال والشعاب
ثم أخذ عبد المطلب ومعه نفر من قريش بحلقة باب الكعبة
ودعوا واستنصروا **وفي** رواية أن رسول أبرهة
لما دخل مكة ورأى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر
مغشيا عليه وخار كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر
ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد أنك سيد قريش حقا
وروي أن عبد المطلب لما ذهب إلى أبرهة أحضر فيله
الأبيض العظيم فلما رأى عبد المطلب خر ساجدا وقال
السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب تنبيه
مر آنفا أمران لا يخلوان عن إشكال وهما النور الذي في

جبهة عبد المطلب والذي في صلبه وأن ذلك نور محمد
صلى الله عليه وسلم مع ان الاشهر ان ولادته كانت بعد الفيل
بخمسين يوما فكلا ذلك جرى وهو صلى الله عليه وسلم حمل قريب
وضعه وسبب اشكال هذين ما علم مما مر ان نوره صلى الله عليه
وسلم كان ينتقل في اصلاب الآبا وارحام الامهات بحسب
ترتيبهم في الوجود فاذا وجد واحد انتقل اليه ما كان في
الذي قبله وهكذا وقضية هذا المعلوم المستقر ان النور
كله انتقل الى امنة ولم يبق منه شي في عبد الله فضلا عن عبد
المطلب ويؤيد ذلك ما مر في الكاهنة التي شاهدت ذلك النور
في عبد الله فبذلت له مالا عظيما ليتزوجها فينتقل النور اليها
فتراخى عن اجابتها ثم ذهب فواقع امنة فحملت فانتقل
النور اليها ثم جا لتلك فابت فقال لم فقالت لان النور الذي
الذي كنت اشاهده انتقل لغيرك فعلم انتقاله لامنة وقد
يجاب عن ذلك بان النور وان انتقل كما ذكر لكن الله تبارك
وتعالى اكرم عبد المطلب فاحدث كما يدل عليه سياق
القصة حتى احتاج الى كرامة تخلصه ومالهم من ذلك الملك
وجنده الذين بلغوا في العتو والجراة على الله وبيته الذي
اجمع الامم من لدن ابرهيم على صيانته وتعظيمه وانه لا
يحاكي ولا يغالب نورا يحاكي ذلك النور الذي استقر في امنة
بل مع زيادة حتى صار في جبهته كالشمس ثم اكرمه ثانيا
بنور اخر وجده في صلبه واطلع الفيل عليه فسجد ليعلم الخلق

الهاتين الكرامتين ان جميع ما وقع في قصة الفيل انما هو من كمال
الارهاص لتحقيق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده مع
الاشارة لانه سيظهر دينه على الاديان كلها وانه لا يؤذيه احد الا
اهلكه الله واستاصل اتباعه حتى لا يبقى منهم احد الا الشاذ ليخبر
الناس عن الكيفية التي اخذهم الله بها والى ان ربه سيعطيه
من خوارق المعجزات وباهر الايات ما لم يعطه لنبي مرسل
ولا ملك مقرب لان هذا الامر الباهر اذا وقع لاجله وهو حمل
لم يبرز في الوجود فما بالك بما سيقع له بعد وجوده ثم
في تنويع كرامة عبد المطلب لكون احد ذينك الباهرين تكون
ظهر للناس وشاهده كل احد والثاني بطن فيه ولم يطلع عليه
الا الفيل فسجد له الاشارة الباهرة ايضا الى ان الله سيظهر ذلك
الحمل وكراماته الى حد لا يمكن احدا ان يخفى عليه من ذلك
شي والى انه سيطلع على حقايق علومه الباطنة ما انبا صلى الله
عليه وسلم عنه بقوله في الحديث المشهور فعلمت علم الاولين
والاخرين والى ان تلك العلوم الباطنة يطلع الله على
بعضها خلفاءه وورثته ليتم لهم حقايق الخلافة
وغايات الوراثة والحاصل انه كان له مقامان باهران
ظاهر في العالم كالشمس وباطن يوجب خضوع ساير الارواح
الكاملة من البشر وغيرهم بين يديه واستمدادهم منه
وانه الممد لساير الكمل من لدن وجودهم الى ما لا غاية له
ولا انقضا ولما اصبح ابرهة بالمغمس هيا فيله وجنوده

ادخول مكة بترك الفيل في محله بناء على الاصح انهم لم يدخلوا الحرم
وقيل دخلوه وانما برك لما وصلوا الى وادي محسر ولذا سمي بذلك لانه
فيلهم حسر اي اعيى فيه فضربوه في راسه وزاق بدنه حتى بالحديد
فابى فوجهوه نحو اليمن فقام ثم نحو الشام فمشى ثم نحو المشرق
فمشى ثم نحو الكعبة فابى ثم ارسل الله عليهم طيرا ابابيل كامثال
الخطاطيف من البحر مع كل طاير منها ثلاثة احجار حجر في منقاره
وحجران في رجليه كامثال العدس لا تصيب احدا منهم الا قتلته
فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق واصيب ابرهة في جسده
بداء فتساقطت انامله انملة انملة حتى وصل صنعاء وهو مثل
فرخ الطاير فسال منه الصديد والقيح والدم فما مات حتى
تصدع قلبه **وقد** ذكر الله هذه القصة في سورة الفيل
وافتتحها بالم تر مع انها قبل مبعثه بل قبل ولادته اشارة
الى ان المراد من الرؤية العلم والتذكير وان الخبر بذلك
متواتر فكان العلم بذلك ضروريا مساويا للعلم الحاصل
بالرؤية البصرية **وقد** دلت هذه القصة على غاية
شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانهما كانت ارهاصا وتاسيسا
كما مر في تظليل الغمام والشجر والملكين بل جاء ان الشجر والحجارة
قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم كان لا يمر منها بشيء الا سلم
عليه سلاما يسمعه باذنيه وعلى شرف قومه وحماية الله
لهم ولذا دانت العرب لشرفهم لعلمهم بان ابرهة عليه
لا قدرة للعرب باسرهم على قتاله فاذ تولى الله نصرتهم

دل ذلك على عظيم اعتناء الله بهم ولقد معنى الارهاص بعد
مجيء النبوة وثبوتها بالدلايل القطعية املي للحجاج قبحه الله
حتى خرب الكعبة ولم يعاقب بشيء **ولما** ذكر ما يتعلق بالهام
الحيوان بذكر قصة الفيل ذكر ما يتعلق بالهام الجماد فقال

والجمادات افصحت بالذي اخرس عنه لاحمد الفصحاء

والجمادات وهي ما لا روح فيه **افصحت** اي اظهرت ونطقت
بكلام مبين فصيح لا تلعثم فيه قيل يخلقه الله فيها حينئذ
من غير حياة وان من شيء الا يسبح بحمده وقيل بل يخلق فيها
حياة ولسانا وادراكا فتنطق مختارة عارفة بما تنطق به
ويدل لهذا ما ياتي في حنين الجذع وانينه فان ذلك
يدل على ان الله تعالى خلق فيه الحياة والعقل والشوق
حتى حن وان ولا يعارضه ان مذهب الاشعري ان خلق
الصوت في محل لا يستلزم خلق الحياة والعقل فيه لانا لم
ناخذ الحياة من تصويته بل من اطلاق الصحابة عليه انه
حن وان ومذهب الاشعري ان الذكر المعنوي والكلام
النفسي يستلزمان الحياة استلزام العلم لها ولذا عامله
صلى الله عليه وسلم معاملة الحي بالتزامه كما يلتزم الغايب
اهله **ب**الشهادة بالانبياء والارسال **الذي اخرس عنه**
لاحمد متعلق بافصحت **الفصحاء** نايب فاعل
اخرس وفيه الطباق اي ان العرب قريشا وغيرهم
مع كونهم ارباب الفصاحة وفرسان البلاغة امتنعت

ألسنتهم من النطق له صلى الله عليه وسلم بالايمان به والشهادة
له بالرسالة المهم • ويشهد له بذلك الجمادات الصم بافصح
لسان • وأبلغ بيان • فمن ذلك تسبيح الحصى في يده ثم في
يد ابي بكر ثم في يد عمر رضي الله تعالى عنهما يسمع تسبيحهن من في
الحلقة رواه جماعة وهو مشهور لكن في سنده ضعف •
وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه • كنا ناكل مع النبي
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام
وفي سماعهم لذلك غاية الكرامة لهم • وصح ايضا اني لأعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث اني لاعرفه الآن
قيل هو الحجر الأسود • وقيل البارز بزقاق المرفق لانه كان يمر من صلى الله
عليه وسلم من دار خديجة الى المسجد وعليه أهل مكة سلفا وخلفا وصح
عن علي كرم الله وجهه • كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا
في بعض نواحي مكة فما استقبلنا شجر ولا حجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله • **وروى** البزار وابو نعيم لما استقبلني جبريل
بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله •
والبيهقي وابن ماجة انه صلى الله عليه وسلم غطى العباس
وبنيه بملائة فقال يا رب هذا عمي وصنو أبي • وهؤلاء
أهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملائتي هذه •
فقالت أسكفة البيت وحوائط البيت امين امين امين •
وصح انه صلى الله عليه وسلم كان هو وابو بكر وعثمان على أحد
وصح أيضا على حرا فتحرك • فقال اثبت وضربه برجله فما

عليك

رضي الله عنها

٤١

عليك الا نبي • أو صديق او شهيد • **وصح** انه صلى الله عليه وسلم
طلب من رجل الايمان • فقال له هل من شاهد قال هذه الشجرة
فدعاها صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فاقبلت
تخد الارض خدا أي تشقها شقا فقامت بين يديه • فاستشهدها
ثلاثا فشهدت ثم رجعت إلى منبتها **وفي** رواية قل لتلك
الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فمالت عن يمينها
وشمالها ومن بين يديها ومن خلفها فتقطعت عروقها •
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين
يديه فقالت السلام عليك يا رسول الله فقال الاعرابي
مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك
الموضع فاستقرت • فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك • فقال
لو كنت أمر أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المراة أن تسجد لزوجها
وصح ان اعرابيا قال له بم أعرف انك رسول الله قال
بأن ادعو هذا العذق من هذه النخلة يشهد باني رسول الله
فدعاه فسقط اليه ثم قال ارجع فعاد فأسلم الاعرابي •
تنبيه علم من كلام الناظم على مولده صلى الله عليه وسلم
وما بعده ان من دلايل نبوته ما وجد في كتب الله من
نعته وخروجه بارض العرب وما ظهر بين يدي مولده
ومبعثه من العجايب المبطلة لسلطان الكفر • والمنوهة
بشرف العرب • كقصة الفيل وما حل باصحابه • وخمود
نار فارس وما ذكر معها وما سمع من الهواتف الصارخة

باوصافه صلى الله عليه وسلم وانتكاس الاصنام المعبودة على وجوهها عن محالها
فيه من غير فعل فاعل مع شدة ثباتها واحكامها وما سبق بعضه من
العجايب التي ظهرت ايام رضاعه وبعده الى مبعثه واتباع الخلق
له مع انه لم يكن له مال يطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال مع ما كانوا عليه
من محبة الاصنام والمبالغة في الحمية لها بالمقاتلة وشن الغارات
لا يجمعهم الفة دين ولا يمنعهم عن سوء فعالهم النظر في عاقبة
ولا خوف لايمة فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم
حتى اتفقت الآراء واجتمعت القلوب فصاروا يدا واحدة على
من سواهم وهجروا اوطانهم واهاليهم في محبته وبذلوا مهجهم
لنصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بلا
دنيا افاضها عليهم في العاجل ولا وعدهم في الآجل بما اطمعهم
في نيله يتحرونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل
الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل تلتيم مثل هذه
الامور من قبل اختيار عقلي او تدبير فكري لا والذي بعثه بالحق
انما ذلك امر الهي وتاييد سماوي يعجز عن بلوغه قوى البشر
ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
وهذا الذي ذكرته يتضح تعقيب الناظم الماهر بقوله ۝
ويح قوم جفوا نبيا بارض ٭ الفته ضبابها والظباء
ويح منصوب بفعل محذوف او بحرف النداء اي يا ويح على حد
قوله تعالى يا حسرة على العباد اي احضري هذا وقتك كذا قيل
والذي صرح به الائمة انه حيث كان المصدر بدلا من اللفظ

بفعله

بفعله وجب نصبه وحذف عامله نعم بعض المصادر يجوز رفعه
لونح فقد قالوا ومما استعمل مفردا ومضافا قولهم ويح فلان
وويح لك قال ابن طاهر متى اضيفت ويح وجب النصب وامتنع
الرفع لانه مبتدا لا خبر له ومتى افردته جاز كل منهما وكذا ويل
والنصب فيه غير قوي لانه مصدر لا فعل له بخلاف حمدا وشكرا
ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال ابن ابي الربيع يجب رفعه
دون ويل نعم ان عطف ويح على تب تعين نصبه ومنع
المازني عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما ورد بان
ويح اخرج مخرج الدعا وليس معناه الدعا وتبا يستعمل كقاتله
الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل ونحوهما متى نصب فانما
هو بعامله المحذوف وجوبا وانه لا دخل للندا هنا واعلم
انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم نبيا لمن وقع في مهلكة لا يستحقها
وويل كلمة عذاب وقيل انهما بمعنى وعلى الاول فقد يستشكل
اتيان الناظم بها في هذا المحل لان الجافين له صلى الله عليه وسلم
يستحقون الهلاك الدايم وقد يجاب بان كثيرا منهم اسلم بعد
ذلك فالترحم لهم بعد ما آل اليه حالهم ويرد بان هذا
الاعتبار لا يقال فيهم ويح لانهم لم يقعوا في هلاك اصلا
فالاحسن الجواب بان الترحم من حيث النظر الى القرابة التي
بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم من عمود نسبه
وجلدته والترحم لهم من هذه الحيثية لا محظور فيه قوم
جفوا نبيا بلغ من مراتب الجلال والتعظيم ما لم يبلغه نبي

باعتبار

أي بغضوه وأذوه الايذا الغالب بل قصد واقتله كما مر أيضا
مبسوطا بأرض الفلاة ضبابها جمع ضب وحديثه مشهور
على الالسنة ورواه البيهقي في أحاديث كثيرة لكنه حديث
غريب ضعيف قال المزني لا يصح إسناده ولا متنا وهو
ان اعرابيا اصطاد ضبا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم طرحه
بين يديه وقال لا أومن بك حتى يؤمن هذا الضب فقال
له يا ضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد قال الذي في السما
عرشه وكلمات أخر قال من انا قال رسول رب العالمين فاسلم الاعرابي
الحديث بطوله قيل هو موضوع ورد بان نهايته الضعف لا الوضع
وفي معجزاته صلى الله عليه وسلم ما هو ابلغ من هذا والظباء
جمع ظبي روى حديثه من طرق البيهقي وابو نعيم والطبراني
وساق الحافظ المنذري حديثه في الترغيب والترهيب لكن
ضعفه الائمة بل قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب ورد بانه ورد في الجملة في
عدة احاديث يتقوى بعضها ببعض بل بالغ بعض المحققين
فزعم انه حديث صحيح قال التاج السبكي وهو وان لم يتواتر اليوم
فلعله استغنى عنه بغيره او لعله تواتر اذ ذاك وهو بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحرا إذا هاتف يهتف يا رسول
ثلاث مرات فالتفت فإذا ظبية مشدودة في وثاق
واعرابي نايم عندها فقال ما حاجتك قالت صاحبي هذا الاعرابي
ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى أذهب فارضعهما

وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه

كثيره

وارجع

وارجع قالت وترجعين قالت عذبني الله عذاب العشار أي الماكس
ان لم اعد فاطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها صلى الله عليه وسلم
فانتبه الاعرابي فقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه
الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحرا فرحا وهي تضرب
برجليها الارض وتقول اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله
ولم يرد المصنف الحصر في هذين فقد صح ان الذيب ألفه
واخبر بنبوته صلى الله عليه وسلم كما جا من طرق منها طريقان
صحيحان حاصلهما انه اخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال
ألا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله إلي فتعجب
الراعي من كلامه فقال ألا اخبرك باعجب من ذلك رجل بيثرب
يخبر الناس بأنبا ما قد سبق وفي رواية صحيحة بما مضى وما
هو كائن فاتى الراعي ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك فامر أن ينادي الصلاة جامعة ثم امر الراعي فاخبرهم
وفي رواية عند سعيد ابن منصور في سننه ان الذيب
جا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا وافد الذياب
جا يسالكم أن تجعلوا له شيا من اموالكم قالوا والله لا نفعل
واخذ رجل من القوم حجرا رماه به فادبر الذيب وله عوا
فقال صلى الله عليه وسلم الذيب وما الذيب وكلمه صلى الله
عليه وسلم الحمار على ما ورد في حديث طويل لكن قال ابن الجوزي
انه موضوع وكلمه ايضا الجمل كما جا في عدة طرق بعضها
سنده جيد وبعضها سنده صحيح وحاصلها ان جماعة من

الانصار شكوا اليه صلى الله عليه وسلم جملهم وانه امتنع من العمل
حتى عطش النخل والزرع فقال لاصحابه قوموا فقاموا ودخل الحائط
يمشي اليه فقالوا يا رسول الله انه صار كالكلب الكلب فقال
ليس علي منه باس فلما نظر الجمل اليه اقبل نحوه حتى خر
ساجدا بين يديه فاخذ بناصيته اذل ما كان قط حتى ادخله
في العمل الحديث وفي رواية صحيحة انه صلى الله عليه وسلم
دخل حائطا فراه جمل فحن اليه وذرفت عيناه فمسح ذفريه
راسه من قفاه ثم قال لربه الا تتقي الله في هذه البهيمة
التي ملكك الله اياها فانه شكى الي انك تجيعه وتدئبه
اي تتعبه وجا بسند ضعيف ان غنما سجدت له صلى الله عليه وسلم
وسلوه وحن جذع اليه وقلوه ووده الغربا
وسلوه اي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه حين نشاته فيهم
وعلمهم بغاية نزاهته ونهاية كماله **و**الحال انه قد **حن**
جذع اليه كما جا من طرق كثيرة صحيحة وغيرها يفيد
مجموعها التواتر المعنوي الموجب لتيقن وقوع ذلك والقطع به
وعلى التواتر المعنوي يحمل قول التاج السبكي الصحيح عندي ان
حنينه متواتر وسبقه لذلك عياض وحاصلها انه صلى الله
عليه وسلم قبل ان يعمل المنبر كان يخطب مستندا الى جذع
نخل من الجذوع المسقوف عليها المسجد فلما صنع المنبر ثلاث
درجات وضعه موضعه الان بمسجده ثم تخطى الجذع يوم جمعة
ليخطب على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه جميع من في المسجد

وفي رواية

بصاحبه

فسحه

وفي رواية انه خار كما يخور الثور حتى ارتج المسجد لخواره وفي
اخرى خار حتى تصدع وانشق وفي اخرى فجعل يئن انين
الصبي وفي اخرى حن حنين الناقة التي انتزع ولدها
فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه اليه رحمة له حتى سكن
وفي رواية فمسه بيده ولعله فعل به الامرين وفي اخرى
ان هذا بكى لما فقد من الذكر عنده وفي اخرى والذي نفسي بيده
لو لم التزمه لم يزل يصوت هكذا الى يوم القيمة تحزنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اكبر معجزاته صلى الله عليه
وسلم بل اشار الشافعي رضي الله عنه الى انه ابدع من احيا
عيسى عليه السلام للموتى لانهم عهدت لهم حياة رجعت اليهم
بخلاف هذا وفي رواية عند الدارمي انه صلى الله عليه وسلم
خيره بين ان يعيده الى مغرسه فيثمر كما كان وان يغرسه
في الجنة ياكل اولياء الله من ثمره ثم اصغى اليه فقال اختار
دار البقا على دار الفنا وامر به فدفن ومر في شرح
قولد والجمادات افصحت ماله تعلق بذلك **وقلوه**
اي ابغضوه **و**الحال انه قد **وده** اي احبه وبين السلو
والحنو والقلي والود الطباق كما هو بين الاخراج
والايوا الاتيين **الغربا** الذين هم ليسوا من عشيرته
ولا من قومه ولا عرفوا ما عرفته قريش من كماله الاعظم كالانصار
الاوس والخزرج وذلك انه صلى الله عليه وسلم خرج
في الموسم الذي لقيهم فيه يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان

يصنع في كل موسم فلقي بعض الخزرج عند العقبة فقال من أنتم
قالوا من الخزرج قال أفلا تجلسون أكلمكم فجلسوا فدعاهم إلى الإسلام
وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لأن يهود المدينة
كانوا يقولون لهم إن نبيا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فأجابوا
لئلا تسبقهم اليهود إليه وأسلم منهم ستة نفر فقال لهم تمنعون
ظهري حتى أبلغ رسالة ربي فقالوا ندعو قومنا إلى ما دعوتنا
إليه فإن أجابوا فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام
القابل فلما وصلوا إلى المدينة لم يبق دار إلا وفيها ذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه من العام القابل اثنا عشر
خمسة من الستة والبقية من الخزرج أيضا إلا رجلين
من الأوس وهذه هي العقبة الثانية فأسلموا وقبلوا ما
اشترطه عليهم ثم رجعوا وأظهر الله الإسلام فيهم وكان
أسعد بن زرارة يجتمع بالمدينة بمن أسلم ثم أرسلوا يطلبون
من يعلمهم القرآن فأرسل إليهم مصعب بن عمير فأسلم على يديه
جمع كثير منهم سيد الأوس بن معاذ وأسيد بن حضير وأسلم سعد
بإسلامهم جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد رجالهم ونساؤهم
إلا واحدا فيوم أحد ولم يكن فيهم أعني بني عبد الأشهل منافق
ولا منافقة ثم قدم في العام القابل في الموسم نحو سبعين رجلا
وهي العقبة الثالثة فبايعهم على أنهم يمنعونه مما يمنعون
نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود وصح عن جابر
مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم في

المواسم

٤٥

المواسم بمنى وغيرها فيقول من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة
حتى بعث الله له من يثرب وذكر الحديث وفيه وعلى أن تنصروني
إذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون به أنفسكم وأزواجكم
وأبناءكم ولكم الجنة وحضر العباس رضي الله عنه هذه المبايعة فأكد
عليهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ثم أمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بقي معه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالا وأقام ينتظر
الإذن له في الهجرة واستأذنه أبو بكر فقال لا تعجل لعل الله أن يجعل
لك صاحبا فطمع أبو بكر في أن يهاجر معه صلى الله عليه وسلم فلما
بلغهم أنه بويع وأمر من معه أن يلحقوا بالمدينة وأنه ظهر أمره بها
اشتوروا بدار الندوة ثم أجمعوا أنهم يحبسونه أو يقتلونه أو يخرجونه
فاعترضهم إبليس في صورة رجل جميل وأظهر لهم أن يريد نصحهم
وأمرهم أن يعرضوا عليه آراءهم ليختار أنفعها لهم فقيل يحبسه
فقال قد ينتزع منكم فقيل يخرجه فقال يا نكرتما لا طاقة لكم به
فقال أبو جهل أرى أن تأخذوا من كل قبيلة غلاما قويا
ثم تعطوهم شفارا فيضربه كل ضربة فيتفرق دمه
في القبائل فلم يقدر أهله على حرب قومهم فيأخذوا ديته
فقال إبليس لله دره هذا هو الرأي فأجمعوا عليه فأتاه
جبريل فقال لا تبت الليلة على فراشك فاجتمعوا في
الليل ببابه يرصدونه لينام فيثبوا عليه فأمر عليا
أن ينام مكانه ثم خرج عليهم فلم يبق أحد منهم إلا أخذ
الله على بصره فلم يروه ونثر على رأس كل واحد منهم

ثرابا كان في يده وهو يتلو يس الى يبصرون **فوضح** انه ما اصاب
احدا منهم تراب الا قتل كافرا ثم اعلموا بخبئهم فوضع كل يده
على راسه فوجد التراب وفي هذا نزل قوله تعالى واذ يمكر بك
الذين كفروا الاية ثم اذن الله لنبيه في الهجرة كما قال
اخرجوه منها واواه غار، وحمته حمامة ورقاء
اخرجوه بدل من جفوا **منها** اي كانوا السبب في خروجه من تلك
الارض التي هي مولده ومرباه ووطنه ووطن ابائه احب ارض
الله الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم كما صح عنه عليه السلام
ثم قال ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت وبقولي كانوا
السبب الى اخره اندفع ما يقال هو لم يخرج منها الا باذن
فهو السبب فقط ووجه اندفاعه ان تسببهم في خروجه
بمبالغتهم في ايذائه وايذاء اصحابه لا سيما ضعفاؤهم هو الحامل
على انتظاره للاذن له في الخروج مدة حتى وجد فتسببهم
سببا للاستيذان ووقوع الاذن فاسناد الاخراج اليهم
لذلك اظهر منه للاذن تعويلا على اسبق السببين مع كون
الاول سببا للثاني ايضا كما تقرر وكان ذلك بعد العقبة
الثالثة بنحو ثلاثة اشهر يوم الاثنين هلال ربيع الاول
او الخميس الذي يليه **ووصل** المدينة يوم الاثنين
ثاني عشر الشهر وجمع بان خروجه من مكة يوم الخميس ومن
الغار ليلة الاثنين وخلف عليا ليؤدي ما عنده من
الودايع وكان مجيئه بيت ابي بكر وقت الظهيرة فقال

لاستيذانه

انه قد

٤٦

فقال انه قد اذن لي في الخروج قال الصحبة يا رسول الله قال نعم
قال فخذ احدى راحلتي قال بالثمن اي لتتمحض هجرته لله ولا يكون
لاحد فيها منة فخرجا ليلا الى غار جبل ثور فاستخفيا فيه كما قال
واواه غار ولما فقدته قريش طلبوه بمكة اعلاها واسفلها
وبعثوا القافة اثره في كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور
اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور وشق
عليهم خروجه وخوفوا منه وجعلوا لمن رده مائة ناقة ولما
دخل الغار قيل انبت الله على بابه شجرة ام غيلان فحجبت
عن الغار اعين الناس وارسل الله حمامتين وحشيتين
فوقعتا على فم الغار كما قال **وحمته** منهم **حمامة** فيه جناس
شبه نظيره **ورقاء** وهي ما في لونها بياض يخالطه سواد قيل
وحمام الحرم من نسلها ومعنى حمايتهما له ان فتيان قريش من
كل بطن لما اقبلوا باسلحتهم جعل بعضهم ينظر في الغار
فلم ير الا حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه
فقالوا له ما لك قال رايت حمامتين وحشيتين فعرفت
انه ليس فيه احد وقال اخر ادخلوا الغار فقال اللعين امية
ابن خلف وما اربكم في الغار ان فيه لعنكبوتا اقدم من ميلاد
محمد **وروى** في مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت
فنسجت على وجه الغار ولذا قال الناظم
وكفته بنسجها عنكبوت ، ما كفته الحمامة الحصداء
وكفته بنسجها عنكبوت يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى

صح

ما اي الاعدا الذين كفتهم اياهم الحمامة الحصدا أخذه من قولهم
شجرة حصدا اي كثيرة الورق فاستعاره للحمامة لكثرة ريشها او وصف
الحمامة بورقا وحصدا لاجتماعهما فيها والممتنع انما هو الوصف
بمتضادين او متماثلين **وروي** ان الحمامتين باضتا في اسفل النقب
ونسج العنكبوت على اعلاه فقالوا لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج
العنكبوت قال الائمة وهذا ابلغ في الاعجاز من مقاومة القوم
بالجموع والجنود **وروي** انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم
أبصارهم فعميت عند دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا
حول الغار لظنهم ان الحمام لا يحوم حوله وان العنكبوت لا ينسج
عليه وفيه اخبار لما جرت العادة انهما مستوحشان مهما احسا
بالانسان فرا منه وما علموا ان الله تعالى يسخر ما شا من خلقه
لمن شا من عباده وان وقاية الله عبده بما اراده تغنيه
عن التحصن بالاكنة والاسلحة **وصح** ان ابا بكر قال يا رسول الله
لو ان احدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما
ولذا قال الناظم

واختفى منهم على قرب مرآه ومن شدة الظهور الخفاء

واختفى صلى الله عليه وسلم اي استتر والاحسن عطفه على آواه
غار منهم على اي مع قرب مرآه اي محل رؤيته وفي ذكر
الناظم لهذا تعجب للسامع وبيان لهذه المعجزة العظيمة
وحكمة استتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر احدهم الى
ما تحت قدميه كما تقرر ان من جملة شدة الظهور عليهم

ثم قابله

بالغلبة

٤٧

بالغلبة والمعونة الالهية له الخفا عنهم الذي حصل له خرقا للعادة
ظفرا عليهم وخيبة لهم واستعمال الظهور فيما ذكر مع ان مقابلته
بالخفا توهم انه اراد به ضده من الفن المسمى بالتورية والايهام
وهي ان يذكر لفظ له معنيان بالاشتراك او التواطي او الحقيقة
والمجاز احدهما بعيد فيقصد ويورى عنه بالقريب ليتوهمه
السامع من اول وهلة وهو هنا ضد الخفا المتوهم له قوله
واختفى **قال الزمخشري** لا ترى بابا ادق ولا الطف من التورية
ولا انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المتشابهات في كلام الله ورسوله
نحو الرحمن على العرش استوى اريد من الاستوا معناه البعيد الذي
هو الاستيلا دون القريب الذي هو الاستقرار في المكان
لاستحالته على الله تعالى انتهى ملخصا وهذه تسمى مجردة لانه
لم يذكر فيها شي من لوازم المورى به ولا المورى عنه والحق
بها ما ذكر فيه لازم كل منهما لانهما تكافيا حينئذ ومنه ما في
البيت فانه ذكر فيه لازم كل منهما بذكر اختفى وبالخفا اذ
المتبادر منه انه ليس المراد بالظهور ضد الخفا فان ذكر
لازم احدهما سميت مرشحة نحو والسما بنيناها بايد
فانه يحتمل الجارحة وهو المورى به ورشح له بذكر البنا
ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود **وزاد**
بعضهم في حد التورية مع صحة كل من المعنيين
ولا معنى لهذه الزيادة كما علم مما تقرر في اية الاستوا
والبنا ولعله اراد في الجملة لا بالنظر لما الكلام فيه

وعليه فوجد صحته الظهور الذي هو ضد الخفا هنا ان من العلوم
ان شدة قرب المرئي من العين يوجب عدم ادراكها
له فكذلك هنا لما اشتد قربهم منه لم يدركوه ولا يمنع منه
ان الاول عادي والثاني خارق للعادة وكالتورية في كونه
اشرف انواع البديع الاستخدام بل فضله بعضهم عليها
ولهم في حده عبارتان اشهرهما ان يوتي بلفظ له معنيان
فاكثر يراد به احد معانيه ثم يوتى بضميره ويراد به المعنى
الاخر **وروي** ان ابا بكر نظر الى قدميه صلى الله عليه
وسلم في الغار يقطران دما لانه لم يتعود الحفا فبكي
وانه دخل قبله ليقيه بنفسه وانه راي جحرا فيه فالقمه
عقبه فجعلت الحيات والافاعي تضربه وتلسعه فجعلت
دموعه تتحدر **وفي** رواية عند رزين فدخل صلى
الله عليه وسلم وجعل راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر
في رجله فلم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال مالك قال لدغت فتفل عليه
فذهب ما يجده **وروي** ان ابا بكر لما راي القافة
اشتد حزنه وقال ان قتلت فانما انا رجل واحد
وان قتلت انت هلكت الامة فقال صلى الله عليه
وسلم لا تحزن ان الله معنا اي بالمعونة والنصر
فانزل الله سكينته عليه اي ابي بكر لانه الذي انزعج وهي
امنة تسكن عندها القلوب وايده اي رسوله بجنود

لم تروها

سيهديهم ص
لم يكن بحر

لم تروها اي ملايكة يصرفون ابصار الكفار عنه وبين قول نبينا ان الله
معنا وقول موسى عليهما الصلاة والسلام كلا ان معي ربي سيهدين تنافيهما
اذ كمال الامداد للاتباع ليس الا لنبينا عليه الصلاة والسلام فامد ابا بكر
بشهود المعية ايضا وقصرها موسى على نفسه وايضا فشتان
بين معية الالوهية ومعية الربوبية والمشهور انه صلى الله
عليه وسلم مكث في الغار ثلاث ليال وكان عبد الله بن ابي بكر مع صغر
سنه ياتيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبايت
بمكة وكان عامر بن فهيرة مولى ابي بكر ياتيهما كل ليلة بما
يغذيهما من لبن واستاجر عبد الله بن الاريقط ليدلهما على
الطريق ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه
غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما وسار معهم عامر بن فهيرة
فاخذ بهما طريق البحر ○

ونحا المصطفى المدينة فاشتاقت اليه من مكة الانحاء

ونحا اي قصد **المصطفى** على الخلق كلهم محمد صلى الله عليه وسلم
المدينة المسماة بطيبة لان الله طيبها بهجرته اليها ○
ووقعت في طريق الهجرة غرايب منها انهم مروا بقديد
على ام معبد الخزاعية وكانت تسقي وتطعم من يمر لها
وكانت في سنة جدبا فطلبوا منها لحما ولبنا يشترونه
فلم يجدوه فنظر الى شاة خلفها الجهد عن الغنم فسالها
هل بها من لبن فقالت هي اجهد من ذلك فقال
اتاذنين لي ان احلبها فقالت نعم فدعا بها فاعتقلها

ابي سعد و ج

ومسح ضرعها وسمى الله فدرت وسقى القوم حتى رووا ثم
شرب أخوهم ثم حلب فيه مرة اخرى علا بعد نهل وتركوه
وذهبوا فجاء زوجها فتعجب منه فذكرت له القصة وأوصافه
صلى الله عليه وسلم فقال والله هذا صاحب قريش ولو
رأيته لاتبعته **وأخرج** ابو نعيم ان تلك الشاة بقيت
عندهم يحلبونها ليلا ونهارا الى زمن عمر ثم تعرض لهما بعديد
سراقة كما يأتي **وروى** البيهقي انه اجتاز بعبد يرعى
غنما فاستسقياه لبنا فأتاهما بشاة لا لبن فيها فحلبها
صلى الله عليه وسلم بعد أن دعاه وسقى أبا بكر ثم الراعي
ثم شرب وهذا محمول على علم سيد العبد مع ظن رضاه
والجواب بان هذا مال حربي غير صحيح لأن هذا قبل مشروعية
الجهاد ومع مشروعيته لا تحل اموال أهل الحرب كما لا يحل قتالهم
لان الواجب حينئذ مسالمتهم ولا يتم الا بترك التعرض لاموالهم
كنفوسهم ولما سمع المسلمون بالمدينة بمقدمه صاروا يخرجون
كل يوم الى الحرة ينتظرونه الى قرب الظهر فانتظروه يوما
وعادوا الى بيوتهم واذا يهودي علا على موضع عال فرآه
فصاح هذا جدكم اي حظكم يا بني قيلة اي الاوس والخزرج
فخرجوا اليه سراعا بسلاحهم فنزل بقبا فقام ابو بكر للناس
وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ساكتا فكانوا يحسبون
ان ابا بكر رسول الله لانه أسرع اليه الشيب مع انه أصغر سنا
منه حتى اذا أصابته الشمس ظلل عليه فعرفوه وكان ذلك

يوم الاثنين

يوم الاثنين قيل اول ربيع وقيل ثاني عشره وقيل غير ذلك وأدركه
علي بقبا ولم يقم بعده بمكة الا ثلاثة ايام ثم أمر صلى الله
عليه وسلم بالتاريخ فكتب من حين الهجرة واقام بقبا اربعة
عشر ليلة كما في مسلم وأسس مسجدها وهو اول مسجد بني
في الاسلام ولذا كان الأصح انه الذي اسس على التقوى
من اول يوم ثم ركب من قبا يوم الجمعة وصلاها بمسجد
الجمعة المشهور ثم ركب فكان كلما يمر بدار من دور الانصار
سألوه النزول عندهم فيقول خلوا سبيلها اي ناقته
فانها مأمورة وارخى زمامها فاستمر الى ان بركت موضع
باب المسجد ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت
بباب ابي ايوب رئيس بني النجار اخوال عبد المطلب
ثم ثارت منه وبركت في مبركها الاول ثم صوتت
فنزل صلى الله عليه وسلم عنها وقال هذا المنزل ان شاء الله
واشتاقت من الشوق وهو تحرك النفس وهو هنا
مجاز نحو واسأل القرية بل حقيقة اذ لا بدع في ميل الجمادات
له حقيقة بان يخلق الله فيها ادراكا حقيقيا ومنه
وان من شيء الا يسبح بحمده ولو انزلنا هذا القرآن على جبل
الاية وتسبيح الحصى وتأمين أسكفة الباب وحنين
الجذع ونحو ذلك مما مر اذ الاصح في مثل ذلك مما لا يحيله
العقل ولا الشرع حمله على حقيقته كما في حديث ما
بين منبري وقبري روضة من رياض الجنة ومنبري على

حوضي ولذا قال جماعة واختاره بعض المحققين انه صلى الله عليه
وسلم ارسل حتى الى الجمادات بتصريح خبر مسلم بذلك في قوله
صلى الله عليه وسلم وارسلت الى الخلق كافة **البه من مكة**
التي هي مولده وام القرى وافضلهن عند اكثر العلما **الانخاء**
اي الجهات والنواحي لانها كانت معمورة بانفاسه صلى الله
عليه وسلم فاستوحشت لفقده وبين نحت والانجاس
الاشتقاق ان قلنا ان الانخا جمع ناحية بمعنى منحوه
اي مقصودة ورد العجز على الصدر وكذا بين تغنت
والغنا ونادا والندا الابيات

وتغنت بمدحه الجن حتى ٭ اطرب الانس منه ذاك الغنا

وتغنت بمدحه اي اظهرت اوصافه الجميلة في صورة
الغنا الذي تتولع به النفس ولا يصبر فيها لعبره سمع
الجن المومنون ومرت قصة ايمانهم وارساله صلى الله عليه
وسلم الى جميع الجن امر معلوم من الدين بالضرورة فيكفر
منكره كما اجمع عليه الامة **حتى اطرب الانس** المومنين
بل وغيره **منه** اي الجن **ذاك الغنا** الذين سمعوه
والطرب خفة تعتري الانسان عند شدة حزن او سرور
ذكر اهل السير عن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما
انها قالت لما خفي علينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا
نفر من قريش فيهم ابو جهل فقال اين ابوك قلت
والله ما ادري فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي وطلام بذر

اين توجه

اين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل من الجن يسمعون
صوته ولا يرونه وانشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزايه ٭ رفيقين حلا خيمتي ام سعيد
هما نزلا بالبر وارتحلا به ٭ فافلح من امسى رفيق محمد
فيال قصي ما زوى الله عنكم ٭ به من فعال لا تجازى وسودد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ٭ ومقعدها للمومنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها ٭ فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حايل فتحلبت ٭ له بصريح ضرة الشاة مزبد

واخره

والضرة لحمة الضرع والصريح بمهملتين اوله الخالص اي
بلبن خالص مزبد نازل من ضرة الشاه

فغادرها رهنا لديها لحالب ٭ يرددها في مصدر ثم مورد

اي خلف الشاة عندها مرتهنة بان تدر فقالت اسما
فلما سمعنا قول الجن هذا علمنا اين توجه النبي صلى الله
عليه وسلم

واقتفى اثره سراقة فاستهوته في الارض صافن جردا

ولما وصل صلى الله عليه وسلم في سفر هجرته الى قديد محل
قرب رابغ **اقتفى** اي تبع **اثره سراقة** ابن مالك
ابن جعشم المدلجي قال جانا رسل كفار قريش يجعلون
فيهما ان قتلا او اسرا ديتين فركبت مستخفيا فلما دنوت
منهما عثرت بي فرسي فخررت ثم قمت وركبته حتى اذا سمعت
قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت

اي النبي وابو بكر

فبكى ابو بكر وقال يا رسول الله أتينا قال كلا ودعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدعوات **فاستهوته في الارض صافن**
اي طلبت ان تهوي به فيها هذا مقتضى القصة وليس مرادا
بل السين لمجرد التاكيد لان الذي في القصة انه صلى الله عليه وسلم
لما دعى بتلك الدعوات غاصت قوائم فرسه في الارض
حتى بلغت الركبتين فخر عنها ثم زجرها فنهضت ولم تكد تخرج
يداها فلما استوت قايمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في
السما كالدخان والصافن في الخيل الذي يقوم على ثلاثة
قوائم ويقيم الرابعة على طرف الحافر **جردا** اي رقيقة
الشعرة قصيرتها وهذه صفة مدح في الخيل واصله
للشجرة التي قل ورقها فاستعير للفرس

من ح

ثم ناداه بعد ما سيمت الخسف وقد يجد الغريق النداء

ثم ناداه سراقة النبي صلى الله عليه وسلم بعدما وصل اليه
وقال الامان يا محمد **بعدما** مصدرية **سيمت** الفرس
الخسف بفتح اوله وضمه قال الشارح في موضع اي
اولينه ذلا وقال في اخرى بعد اسامة الخسف للفرس
اي بعد حصول الذل للفرس المذكور وكان الحامل له على هذا
ان ظاهر النظم انه لم تخسف بالفرس حقيقة وليس كذلك
لما علمت ان قوايمها غاصت في الارض فحصل لها الخسف
الحقيقي لكن لبعضها فعبر الناظم بسيمت الخسف بالنظر
الى كلها اي سيمت ان تخسف بها كلها وحينئذ لا تحتاج

لما قاله الشارح فتامله ثم رايت بعضهم صرح بنحو ما ذكرته
فقال يقال سمته خسفا اوليته ذلا او كلفته مشقة
ويحتمل ان يريد بعدما قاربت ان تخسف بها **و**من الحكم
المناسبة هنا لانها كالسبب لما قبلها فهو تذييل انه **قد
يجد الغريق النداء** اي الدعاية بانكسار وتذلل
كما وقع ليونس عليه الصلاة والسلام حيث قال الله تعالى
وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه اي
نضيق عليه بسبب مغاضبته وفراقه لقومه لا باذنه عليه
فنادى في الظلمات الاية والندا رفع الصوت لطلب
تخليصه لانه قد لا يعلم اولا يعبأ به احد فاذا نادى وصاح
تنبه الناس له وانقذوه ولما طلب الامان قال اعلم انكما قد
دعوتما علي فادعوا لي ولكما ان ارد الناس عنكما ولا اضركما قال
فوقفا لي فركبت فرسي حتى جيتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت
ما لقيت ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرتهما
اخبار ما يريد بهما الناس وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزأني اي
لم ياخذا مني شيا وقالا اخف عنا فسالته كتابا امن به فامر عامر بن
فهيرة فكتب لي في رق من ادم اخرجه له يوم حنين فيفد ها
وامنه ومن يلوذ به **تنبيه** ذكر الناظم الهجرة وبعض
ما وقع فيها من المعجزات مع انه سيذكر وقايع وقعت له بمكة قبل
الهجرة كالاسراء وكان مقتضى الواقع ان يذكر هذا كله قبل ذكر
الهجرة ليوافق الترتيب في الذكر الترتيب في الواقع ولعله

اهتم بشان الهجرة فقدمها لتتنبه النفس الى حكمة ذلك وهي انه
انقطع بها عنه صلى الله عليه وسلم كل اذا كان يصل اليه من قريش وترتب
عليها الظفر منهم حتى استاصل ساقتهم وقطع دابرهم ○

سايرا

فطوى الارض والسموات العلى فوقها له اسرا

فطوى الارض في حال كونه سايرا عليها وهذا كما طويت له قبل ذلك
السموات العلى لما كان فوقها له اسرا ليلة الاسرا الى ان جاوزها
جميعها في اسرع وقت فقطع مسيره ثمانية آلاف سنة في
اسرع وقت اذ بين الارض والسما خمسماية عام وكذا سمك
كل سما وما بين كل سمايين هذا بالنسبة الى السما السابعة واما
ما بينهما وبين ما وصل اليه مما كان فيه قاب قوسين او ادنى فلا يعلمه
الا الله تعالى فيا لهما من مسيرين مسير في الارض ومسير في السما
اظهر الله عليه فيهما عظيم قدره في سيره واسرايه وافضليته
تقدمه على جميع خلقه في ارضه وسمايه **قال** بعض الايمة والمعارج
ليلة الاسرى عشرة سبعة في السموات والثامن الى سدرة المنتهى
والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف
الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والروية وسماع الخطاب
بالمكافحة والكشف الحقيقي **وقد** وقع له صلى الله عليه وسلم في سني
الهجرة العشرة ما كان منها مناسبات لطيفة لهذه المعارج العشرة
ولهذا ختمت بوفاته التي فيها القاربة والعروج بروحه الكريمة
الى الوسيلة وهي المنزلة التي لا ارفع منها كما ختمت بمعارج
الاسرى باللقا والحضور بحضرة القدس ○

فصف الليلة

فصف الليلة التي كان للمختار فيها على البراق استوا

فصف ايها الناظر في شمايله صلى الله عليه وسلم وخصوصياته
وما اكرمه الله به تلك **الليلة** وهي ليلة الاثنين او الجمعة
او السبت من رمضان او شوال او رجب وبه جزم النووي
في الروضة او الحجة او ثالث عشر ربيع الاخر وجرى عليه
النووي في فتاويه او من ربيع الاول وجرى عليه في
شرح مسلم بعد المبعث بخمس سنين ورجحه النووي او بعشر
او باحدى عشرة او ثنتي عشرة اقوال رجح كل قول **النبي** وقع
ذلك الاسرى فيها من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى السما ثم
الى حيث شا الله وما راى من ايات ربه الكبرى اي اذكر صفاتها الجليلة
بما يمكنك والا فمحال ان تستوعبها او ان تاتي بتفصيل ما يحيط
بها كيف وقصة الاسرا والمعراج من اشهر المعجزات واظهر البراهين
والبينات واقوى الحجج واصدق الانبا واعظم الايات ومن ثم
قال بعض المفسرين انها افضل من ليلة القدر ولكن بالنسبة
له صلى الله عليه وسلم لانه اوتي فيها ما لا يحيط به الحد ولهذا
كان الاسرا بالجسم في اليقظة من خصايص نبينا صلى الله
عليه وسلم وخالف في كونه بالجسم وكونه في اليقظة من لا يعتد
بخلافه وزعم تعدد الاسرا لتباين الروايات فيه تباينا منتشرا
لا يمكن الجمع بينها الا بدعوى التعدد بالجسم تارة والروح
اخرى مردود والاصح انه اسرا واحد بالجسم بالروح في اليقظة
وان ما خالف الجادة من الروايات ان امكن تاويله

تعين والا حكم عليه بانه وهم كرواية ان الاسرا كان قبل البعثة
فان الاجماع على انه بعدها على انها اولت **وكان للمختار** صلى الله عليه وسلم
فيها عجايب منها انه جاه جبريل وفي رواية وميكايل وفي اخرى ذكر
ثالث ولا مانع ان جبريل نزل اولا ثم ميكاييل ثم الثالث بالحطيم او شعب
ابي طالب او بيته او بيت ام هاني بعد ان افرج سقفه روايات
جمع بينها بانه بات في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب
واضيف اليه لانه كان يسكنه فاخرجه الملك منه الى المسجد
فاضطجع لاثر نعاس كان به ثم اخرجه من المسجد فاركبه البراق
فاستمرت يقظته وفي رواية انه كان بين النايم واليقظان
محمول على ابتدا الامر وفي رواية فلما استيقظت اي من شغل
البال بمشاهدة الملكوت وحكمة كونه لم ياتيه من باب البيت
انه انصب من السما انصبابة واحدة بازا محله الذي هو فيه
فلم يعرج به على غيره مبالغة في المفاجاة وتنبيها على ان المطلب
وقع على غير ميعاد لاظهار انه مراد ووقع في موسى بميعاد
تنبيها على انه مريد وشتان ما بينهما وايضا ففي فرج سقف البيت
والتيامه على عقبه تنبيه على شق صدره الشريف تلك الليلة
وانه لا باس عليه ومرت قصة شقه هنا عند ذكر الناظم لشقه
عقب رضاعه عند حليمة ومنها ان الملك لما اخرجه من المسجد
واركبه **على البراق** كان له عليه **استوا** اي استقرار وتمكن
مع انه لم يركبه قبل ذلك ولا هو من جنس ما يركبه الادميون
وهو كما صح به الخبر دابة يشبهها وهو ليس بذكر ولا انثى دون

البغل

البغل وفوق الحمار ابيض يضع خطوه عند اقصى طرفه وذكره باعتبار
كونه مركوبا ويسمى بذلك من البرق الذي هو لسرعة سيره او من البريق
او من قولهم شاة برقا اذا كان في خلال بياضها سواد **وقوله**
يضع خطوه الى اخره معناه انه يضع رجله عند منتهى ما
يراه بصره **قال** ابن المنير اي يقطع ما انتهى اليه بصره
في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض يقع على السما فبلغ
اعلى السموات في سبع خطوات انتهى وهذا انما ياتي على رواية فحملت
عليه اي البراق حتى انطلق بي جبريل الى السما الدنيا اذ ظاهرها
انه استمر عليه حتى وصل الى السما الدنيا الى ظاهرها والمشهور
انه استمر عليه الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج كما ياتي
وفي رواية لابي يعلى والبزار اذا اتى على جبل ارتفعت رجلاه
واذا هبط ارتفعت يداه وفي رواية شاذة له جناحان
واخرى ضعيفة له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوايم
كالابل واظلاف وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمرا وفي
رواية صحيحة اتي به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل
ما حملك على هذا ما ركبك قط اكرم منه فارفض عرقا وظاهرها
كصريح رواية النساي وابن مردويه وكان يسخر للانبيا قبله
ان الانبيا كانوا يركبونها ولم يطلع عليها بعضهم فنفى ركوب
غيره صلى الله عليه وسلم لها فاستصعابه ليس لعدم الفه الركوب
بل لبعد عهده او ليظهر جبريل له مرتبته صلى الله عليه وسلم
وانها علت على ساير المراتب وانما لم يكن البراق على شكل الفرس

ما يفعل هذا ان يكون قطع من الارض الى السما في خطوة رجله جبر

في سلم

اشارة الى ان ركوبه وأمن لا حرب ولا خوف والى ظهور المعجزة بوقوع هذا
الاسراع الباهر من دابة على هذا الشكل وصح ان جبريل حمله على
البراق رديفا له ورواه أحمد بلفظ على ظهره هو وجبريل حتى
انتهيا الى بيت المقدس وأقر بعضهم ذلك بما لا حاجة اليه اذ
ركوب جبريل معه لا ينافي كونه في خدمته وصح انهما مرا بيثرب
فامره أن ينزل ويصلي وبمدين فامره بذلك وببيت لحم الذي ولد
فيه عيسى فامره بذلك وأراه عجايب اخرى الى ان وصل الى بيت
المقدس فنزل وربطه اي جبريل كما مر في رواية لكن في اخرى
النبي صلى الله عليه وسلم ويجمع باحتمال انهما ربطاه معا بالحلقة
التي كانت الانبيا تربط بها ثم دخل وبعث له جماعة من الانبيا
فصلى بهم وصح في رواية اتي بارواح الانبيا اي مع أجسادهم
لرواية ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قايم وراكع ثم
أذن مؤذن فاقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ
بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم وفي رواية لاحمد فاذا النبيون أجمعون
يصلون معه وفيها زيادة على رواية جماعة منهم فيؤخذ بتلك الزيادة
وفي حديث ما يدل على انه صلى بهم في بيت المقدس من بعد العروج
أيضا وتلك الصلاة قبل الصبح بنا على انه صلى الله عليه وسلم صلى فيه بعد
العروج وقبل العشا اي بنا على انه صلى فيه قبله ولما فرغ من امامتهم
نصب له معراج كما في رواية ابن هشام والبيهقي وغيرهما ووضعت
له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وعن يمينه ملايكة وبيساره
ملايكة ثم صعد فيه هو وجبريل حتى انتهيا الى باب سما الدنيا

وساجد

فاستفتحاه

فاستفتحاه ففتح لهما وهكذا الى السما السابعة ورأى في السماء
الأولى آدم وعن يمينه ارواح بنيه المومنين فاذا نظر اليهم ضحك
وعن يساره ارواح الكفار فاذا نظر اليهم بكى أي انه يكشف له
عنهم وهم في النار التي هي مستقر ارواحهم والنيل والفرات
أي انتهاؤهما والا فابتداؤهما من سدرة المنتهى وفي الثانية
يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي حديث البيهقي وغيره
فاذا انا برجل اي يوسف أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن
كالقمر ليلة البدر على ساير الكواكب والمراد غير نبينا صلى الله عليه وسلم
لخبر الترمذي ما خلق الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا على ان للاصوليين قولا
مشهورا اعتمده النووي في موضع واعتمده آخرون ايضا ان المتكلم
لا يدخل في عموم كلامه ومن ثم قال بعض المحققين المراد أعطي
شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم وفي الرابعة
ادريس وفي الخامسة هرون وفي السادسة موسى وفي السابعة
ابرهيم وهذه مفرعة على رواية لم تضبط منازلهم وعلى
رواية ادريس في الثانية وهرون في الرابعة وابرهيم
في السادسة وموسى في السابعة لان سياقها يدل على انه
لم تضبط منازلهم كما صرح به الزهري فالاولى التي هي فيها
انه ضبطها أولى على انه يجمع بين الروايات المختلفة في ذلك
بانه رآهم في الصعود على كيفيات وفي الهبوط على كيفيات اخر
فلما جاوز موسى بكى فقيل ما يبكيك قال رب هذا

وغيره

غلام بعثته بعدي تدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي ●
وبكاؤه ليس بحسد حاشاه الله من ذلك ● بل غبطة وحزنا على ما فاته
من مضاعفة أجور نبينا بكثرة أتباعه وصالحيهم إلى ما لا نهاية له
أو رحمة لأمته لما وقع منهم بعده مما لم يقع نظيره لهذه الأمة ● وذكره
بغلام لأنه أصغر منه سنا ولأن قوة الشباب معه إلى سن الشيخوخة وحكمة
تخصيص هؤلاء باللقاء الإشارة بكل إلى ما سيقع له كالإخراج من الجنة
ثم العود إليها ● والهجرة من مكة ثم العود إليها وكمعادات اليهود له
أوائل الهجرة كما عادوا عيسى وأرادوا قتله ويحيى وقتلوه ● وكخروج
قومه إلى محبته كما رجع قوم هرون إلى محبته ● وكمعالجته لقومه
كما عالج موسى قومه وكتمكنه من مكة والكعبة ● وكتمتعه لها كما
وقع لإبرهيم ومن ثم رآه مسندا ظهره إلى البيت المعمور الذي بحيال
الكعبة ● ويدخله من حين خلق الله الخلق إلى الأبد كل يوم سبعون
ألف ملك ● فلا يعودون إليه وأخذ منه أن الملائكة أكثر
المخلوقات ● **واختلفوا** في رؤيته لهؤلاء الأنبياء صلى الله عليهم وسلم
وقيل لأرواحهم إلا عيسى فإنه رفع بجسده ● وكذا إدريس على قول
واختلف قائلوا هذا في الذين صلوا معه في بيت المقدس فقيل
الأرواح أيضا وقيل بل الأجساد ● وقيل خرق الله له الحجب حتى
رأى كلا في قبره من المحل الذي أخبر به ● وقيل رفعوا من قبورهم
تلك الليلة لتلك المواضع إكراما له صلى الله عليه وسلم وبعد
أن جاوز السماء السابعة رفعت له سدرة المنتهى فرآها
وقد غشيها من أمر الله ما غشي حتى تغيرت ● فما أحد من خلق الله

يستطيع

يستطيع أن ينعتها من حسنها ● ورأى النيل والفرات وسيحان
وجيحان تخرج من أصلها ● **وروايه** أنها من الجنة لا يعارض ذلك
لأن ذلك الذي ينبع منه تلك الأنهار في الجنة ● فلا ينافي ما قيل
أصلها في السماء السادسة ● وعليه يحمل رواية أنه رآها فيها
وأعلاها في السابعة ● وعليه يحمل ما مر أنها فيها ● وسميت بذلك لأنه
ينتهي إليها علم الخلق ولم يجاوزها أحد إلا نبينا صلى الله عليه
وسلم ● قال النووي وتعين حمله على أنه لا يجاوزها من
الملائكة الذين ينزلون إلى الأرض ويصعدون بالأعمال ●
لما يأتي أنه صلى الله عليه وسلم جاوزها إلى مستوى يسمع فيه صريف
أقلام الملائكة ● ثم أدخل الجنة وأحاط بها ثم عرج به صلى الله
عليه وسلم كما في رواية البخاري حتى ظهر بمستوى أي محل عال
يسمع فيه صريف الأقلام ● أي تصويت أقلام الملائكة بما يكتبونه
من أقضية الله تعالى ● وفي رواية لم تثبت كسائر روايات
الحجب ● ثم زج بي في النور فخرقت بي سبعين ألف حجاب
كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ● ثم دلي لي رفرف أخضر ثم
احتملني حتى وصلت إلى العرش ● وهذه الحجب بفرض صحتها
إنما هي بالنسبة إلى المخلوقين ● فأما هو تعالى فلا تحجبه شيء وهذه
صورة ● وصح عن أنس عنه صلى الله عليه وسلم قال عرج بي جبريل
إلى سدرة المنتهى ودنى الجبار أي بقربه المعنوي كما أرشد إليه
قوله رب العزة جل جلاله فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ●
كما قال الناظم وترقى به إلى قاب قوسين وتلك السعادة العظمى

وترقى أي صعد البراق به إلى قاب قوسين وقاب القوس ما
بين مقبضه وأخره ولكل قوس قابان ومن ثم قيل في
الاية قاب أي قابي قوس ويرد بانه لا يتعين ذلك بل المراد
تشبيه قربه صلى الله عليه وسلم المعنوي من ربه بقرب قاب
القوس اذا الصق بقاب قوس اخر ثم رأيت بعضهم قال
قاب قوسين أي مقدار قوسين وقاب قوس أي قدر طولها
وقيل قدر الوتر منها قال الجوهري يقول بينهما قاب قوسين
اي قدر قوسين **تنبيه** ما أفهمه كلام الناظم من ان
البراق ترقى به صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين هو ما دلت
عليه رواية البخاري ولفظها فحملت عليه فانطلق بي جبريل
حتى اتى السما الدنيا فاستفتح ثم قال ثم صعد بي حتى اتى
السما الثانية وهكذا لكن صحت الأحاديث بانه استمر
على البراق الى بيت المقدس ثم نصب له المعراج فارتقى فيه كما
تر وظاهرها انه لم يركب البراق الا من مكة الى بيت المقدس
لا غير ولهذا التنافي ذهب بعضهم الى ان الاسرا على البراق
وقع مرتين مرة الى بيت المقدس ومرة من مكة الى السما لكن رد
هذا بان الاصح انه لم يتعدد وانه لا ينافي وانما الذي ذكر ذهابه
عليه من مكة الى السما اختصر ذكر بيت المقدس وفيه نظر لان
رواية البخاري السابقة صريحة في انه لا معراج وانه استمر راكب
البراق الى السما الدنيا ثم التي بعدها وهكذا وجرى عليه الناظم
كما علمت فالاولى الجواب جمعا بين الروايتين بان من ذكر بيت المقدس

هكذا صورة الشعراوي في كشف الحجاب والران

والمعراج

والمعراج معه زيادة علم فقدم وعليه فيكون لما وصل في المعراج
الى السما الدنيا ركب البراق واخترق به السموات وما فوقها وبهذا أعني
رواية البخاري الظاهرة فيما في النظم والجمع بينهما وبين الرواية
الاخرى المشهورة التي عليها العمل يظهر عذر الناظم في ذكره انه
ركبه الى منتهى وصوله لكن في جزمه به نظر ظاهر والحاصل
انه بعد وصوله لسما الدنيا يحتمل انه استمر راكبا البراق على ظاهر
الرواية الاولى وانه جئ به له ثانيا على الرواية الثانية
ويحتمل انه ذهب من غير ركوب شيء تعظيما للسموات اذ هي افضل
من الأرضين عند الاكثرين وعلى مقابلة المنصور لان الانبيا
خلقوا من الارض وهي مدفنهم ومستقرهم وهم افضل من
الملائكة فتعظيمها لمن فيها ممن اجتمع به من الانبيا والملائكة
لا يقال السما لم يعص الله فيها بخلاف الارض لانا نقول هذه
مزية وقد يكون في المفضول مزايا على ان رد ذلك منتقض بما وقع لادم
وحوى وابليس وادعا انهم لم يكونوا في السما يحتاج لدليل
وعلى التنزل فكون المعصية يقع في محل دون محل يقتضي افضلية
الثاني لذاته غير مسلم فعلى مدعيه اثباته بدليل يدل له وانما
قلنا فالاولى الجواب الى اخره ولم يقل بالتعدد لان مجرد
اختلاف الروايات في هذا الامر الجزئي لا يقتضيه على انه
ما وقع تلك الليلة من فرض الصلاة وغيره ذكر في كل من رواية
الى السما ورواية الى بيت المقدس وهذا اصرح في اتحاد الاسرى
وعدم تعدده فتامل ذلك كله فانه مهم **واعلم** ان هذا

التدلي والدنو المذكور في حديث أنس وغيره من احاديث المعراج
غير الدنو والتدلي في اول سورة النجم فان هذا في حق جبريل كما
صح عنه صلى الله عليه وسلم وصح ايضا انه لم يره في صورته التي
خلق عليها الا في هذه المرة المذكورة في الاية ومرة اخرى عند
أوايل البعثة كما مر وتلك الرتبة التي وصل اليها صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج هي السعادة القعسا اي الثابتة الدايمة
التي لا يطرقها نقص ولا زوال ولما وصل صلى الله عليه وسلم
الى ذلك القرب الذي لم يصل اليه مخلوق فرض الله عليه وعلى امته
في كل يوم وليلة خمسين صلاة فرجع فمر على موسى فسأله عما فرض
عليه وعلى امته فاخبره فأمره ان يرجع الى ربه ويساله التخفيف
لامته فانهم لا يطيقون ذلك فرجع وسال فحط عنه خمسا
ثم رجع فامره بالرجوع ايضا فرجع فحط عنه خمسا وهكذا
إلى ان بقيت خمسا فامره بالرجوع وقال له ان بني اسرايل افترض
عليهم صلاتان فما قاموا بها فقال استحييت من ربي وفي
رواية علمت الها عزمة من ربي فلا اراجعه فقال تعالى هن
خمس اي في الفريضة وهن خمسون اي في الثواب لا يبدل
القول لدي وحكمة فرضها في هذه الليلة انه صلى الله عليه وسلم
لما شاهد تعبد الملايكة فيها وان منهم مديم القيام ومديم
الركوع ومديم السجود أعطاه الله ذلك كله في ركعة يصليها الواحد الامة
بشروطها وادابها واختص موسى صلى الله عليه وسلم بامر تلك
المراجعة لانه اطلع من صفات هذه الامة على ما حمله على قوله

اللهم اجعلهم

٥

57

اللهم اجعلهم امتي فقال الله تعالى تلك أمة احمد فقال اللهم اجعلني
منهم وهو حديث مشهور فكان اعتناؤه بهم كما يعتني بالقوم
من هو منهم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فمررت بموسى
ونعم الصاحب كان لكم وفي رواية كان أشدهم علي حين مررت به
وخيرهم لي حين رجعت فايدة اختلف العلما قديما
وحديثا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم راى ربه في هذا المقام الذي
وصل اليه دون غيره من الخلق بعين راسه أو بعين قلبه فقط
والذي صح عن ابن عباس في رواية انه راه بعين بصره وفي
اخرى انه راه بقلبه ولا تخالف لان الاصح كما رواه الطبراني باسناد
رجاله رجال الصحيح الا واحدا فوثقه ابن حبان انه راه مرتين
واحدة بالعين وواحدة بالقلب بمعنى انه تعالى خلق فيه ادراكا
كادراك البصر وليس المراد مجرد العلم لانه حاصل له بل ولغيره
فلا خصوصية ورواية ابن مردويه عنه لم يره لم تصح وبتسليمها
فالاثبات مقدم على النفي وجا عن انس باسناد قوي راى محمد
ربه واطلاق الروية انما ينصرف لروية العين وكان الحسن
البصري يحلف انه راى ربه وبذلك قال عروة وساير اصحاب
ابن عباس وجزم به كعب الاحبار والزهري ومعمر واخرون وهو
قول الاشعري وغالب اتباعه وانكرت عايشة وابن مسعود الروية
قال النووي لكن خالفها غيرها من الصحابة والصحابي اذا خولف لا يكون
قوله حجة اتفاقا ولا حجة لها فيما في مسلم عنها ان مسروقا قال لها
لم انكرت الروية الم يقل الله ولقد راه نزلة اخرى فقالت

بعينه ح

أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت
يا رسول الله هل رأيت ربك قال لا إنما رأيت جبريل وذلك لأنها إنما
سألت عما في الآية فأجابها بأنه لم يره في قصة الآية وقد مر أنها
غير قصة المعراج وأن التدلي والدنو الذي في قصة المعراج غيرهما في
الآية ولا حجة لها في لا تدركه الأبصار لأن المراد لا تحيط بحقيقة
ذاته العلي بدليل إلى ربها ناظرة وإذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا
لتساويهما بالنسبة للمرائي وسؤال موسى إياها في الدنيا أظهر دليل
على ذلك إذ لا يجوز على نبي أن يسأل محالا وإنكار المعتزلة فيحجبهم
الله لها في الآخرة من بدعتهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة
وعلى جوازها في الدنيا لم يقع إلا لنبينا صلى الله عليه وسلم وصح في
مسلم أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا ومعنى خبر مسلم عن أبي ذر أنه سأل حتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك نور أنى أراه أن النور حال
بينه وبين رؤيته ببصره فكيف أراه مع ذلك ومر وأنه رآه
مرة ببصره ومرة بقلبه فبسبب هذه حصول ذلك النور والا
لثاني وقوع الأولى وسئل أحمد رضي الله عنه عن قول عائشة من
زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية بم يدفع قولها
قال بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ربي قول النبي صلى الله
عليه وسلم أكبر وإذا تأملت ما وقع له صلى الله عليه وسلم ليلة الإسرا
من الكرامات التي تميز بها على سائر الخلق علمت أنها ٥
رتب تسقط الأماني حسرى دونها ما وراءهن وراء
رتب جليلة تسقط الأماني جمع أمنية حسرى جمع حسير من

حسر أعيي

٥٨

حسر أعيي دونها ظرف لتسقط أي لجلالة هذه الرتب وعزها
على الخلائق سقطت أمنيا لهم وتخلفت طلباتهم وأما لهم
عن نيل هذه الرتب فلم يستطيعوا التوجه إليها حال كونها عاجزة
عن التأهل لها ولما دونها ما وراءهن وراء أي ما قدامهن قدام
بمعنى أنه ليس بعدهن مرتبة ينالها مخلوق غيره صلى الله عليه وسلم
ثم وافا فحدث الناس شكرا إذ أتته من ربه النعماء ٥
ثم لما رجع صلى الله عليه وسلم من سفر الاسرى مر بعير لقريش تحمل
طعاما فيها جمل عليه غرارتان سودا وبيضا فلما حاذى بالعير نفرت
منه واستدارت وتصرع ذلك البعير فسلم عليهم فقال بعضهم
هذا صوت محمد ورأى بعيرا ضل وتبعه واحد منهم ثم وافا مكة
قبل الصبح فأصبح تحدث الناس بما رأى من تلك العجائب ٥
والكرامات امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث
شكرا أي من جهة الشكر لأجل قيامه بشكر ربه أو حال كونه
إذ شاكرا لأنعمه أي لأجل أو وقت أتته من ربه النعماء في تلك
الليلة وحينئذ ارتد ناس كانوا أسلموا فذهب مشركون لأبي بكر وذكروا
له أنه يخبر أنه ذهب إلى بيت المقدس قال نعم وجاء في ليلة فقال صدق
فأنكروا عليه فقال إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء
في غدوة وروحة ولذلك سمي الصديق رضي الله عنه وكرم وجهه
رواه الحاكم في مستدركه وابن إسحاق وروي أن أبا بكر جاءه
فقال يقولون إنك الليلة أتيت بيت المقدس قال نعم قال صفه
لي فإني جئته فوصفه له كما هو لأنه رفع إليه فجعل ينظر إليه ويصفه

وأبو بكر يصدقه. وقوله صفة انما هو ليرد به على من شك في ذلك
ورفع له حتى نظره رواه البخاري وكذلك مسلم وزاد انهم سألوه
عن أشيا فيه لم يثبتها فكرب كربا ما كرب مثله قط ورفعه له اما
بحمل مثاله ووضعه له قريبا منه. وعليه يحمل رواية يجي بالمسجد أي بمثاله
واما بحمل المسجد نفسه اليه. وهذا اظهر لما مر في واشاقت اليه
من مكة الاتخا ونظيره مجي عرش بلقيس الى سليمان عليه
الصلاة والسلام وعلى نبينا السلام في طرفة عين. واما بازالة الحجب
بينه وبينه. ولهذا ظهرت الحكمة في الاسرا الى بيت المقدس ثم
العروج الى السما لما تقرر ان فيهم من راى بيت المقدس فوصفه
لهم كما هو مع علمهم بانه لم يذهب اليه قط اوضح اية على صدقه في
جميع ما اخبر به من امر السما ومما اخبرهم به انه قال لهم ان من اية
ما اقول اني مررت بعيركم في مكان كذا وقد اضلوا بعيرا لهم
فتبعه فلان. وان مسيرهم ينزلون بمكان كذا ويأتونكم يوم
كذا يقدمهم جمل ادم عليه مسح أسود وغرارتان. فلما كان ذلك
اليوم أشرف الناس ينظرون حتى اذا قربت من نصف النهار
أقبلت العير كما وصف. وفي رواية اخبرهم بقدوم العير يوم الاربعا
ففي يومه كادت شمسه ان تغرب ولم يقدموا فدعى الله تعالى
فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف وعطف على وافا ٥
وتحدي فارتاب كل مريب، او يبقى مع السيول الغثا
وتحدي صلى الله عليه وسلم كفار مكة وغيرهم بما وقع ليلة الاسرا او ما
تقدمه من المعجزات كانشقاق القمر اي طلب منهم ان يعارضوا ما

تكلم

بجابه

جا به شاهدا على نبوته بابدا نظيره والا كانوا كاذبين مدحوضين
فارتاب اي شك وخرس كل مريب فانقطع عن المعارضة ولم يسعه
الا التسليم فمنهم من اسلم. ومنهم من مات كافرا وجحدوا بها
واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ويلزم من انقطاعهم عن
معارضته ايضاح أمره وانه لم يبق فيه شك. أ يتضح ذلك
الأمر ويبقى معه ريب لا بل اتضح ولا بقي معه وكيف يبقى
مع السيول حال من قوله الغثا وهو بضم المعجمة وبالمثلثة
ما تحمله السيل مما يجف من النبات. فكما ان هذا الغثا لا يبقى
مع السيل بل يذهب به ويحمله في أسرع وقت. وكذلك ما جاء
به صلى الله عليه وسلم من الايات البينات. والبراهين الواضحات
لا يبقى معه لولا الخذلان الالهي شك بل يذهب ويضمحل في أسرع
وقت. فعلم انه استعار السيول لما اتا به صلى الله عليه وسلم
لأن بها الحياة الحسية. وجعلنا من الماء كل شي حي كما انه
بما جا به الحياة المعنوية والغثا لما يجلوه لانه امر حقير
لا بقا له كما ان الغثا كذلك. وفي ارتاب ومريب جناس الاشتقاق
وفي الختم بالجملة الاستفهامية التذييل نحو وهل نجازي الا الكفور.
تنبيه ما قدرته بعد همزة الاستفهام وهو راي الزمخشري
ومن تبعه وهو التحقيق وان كان ما عليه سيبويه والجمهور فيقدر
في نحو أولم يسيروا في الارض امكثوا ولم يسيروا وفي أفلا تعقلون
أتجهلون فلا تعقلون. وفي أثم إذا ما وقع آمنتم اتكفرون ثم اذا
وقع آمنتم به فالهمزة في الكل في محلها الاصلي والعطف على جملة مقدرة

مراد الايات البينات والبراهين الواضحات

خلاف

بينها وبين العاطف محافظة على اقرار حرف العطف على حاله
من غير تقديم ولا تاخير ورد ابي حيان لذلك بانه تقدير ما لا
دليل عليه وابن هشام بان فيه تكلفا وانه غير مطرد فيه نظر بل
اليه حاجة وهي ان المعنى معه أقوم واوضح مع رعايته قاعدة
الهمزة وحرف العطف ودعوى عدم اطراده ممنوعة لأن
السياق حيث وجد فيه ذلك يكون قاضيا بذلك المحذوف
واعلم ان الهمزة أصل ادوات الاستفهام ومن ثم اختصت
بجواز حذفها نحو هذا ربي في المواضع الثلاثة اي أهذا ربي وفي
وتلك نعمة تمنها علي اي أو تلك وبانها ترد لطلب التصور تارة
والتصديق اخرى وهل تختص بالثاني والبقية بالأول وانها
يتقدم على العاطف كما هنا تنبيها على اصالتها والبقية تتاخر عنه
وبانها تدخل على الشرط نحو افاين مات أو قتل وعلى الاثبات والنفي
وهو يدعو الى الاله وان شق عليه كفره وازدرا
وهو يدعو حال من فاعل تحدى اي تحدى الناس والحال انه مع
إنكارهم وازدرائهم لا يغير عما امر به من التبليغ والدعا الى الاله
اي المعبود بالحق الذي لا يعبد غيره وهو الله تعالى وفي الى
والاله الجناس الناقص ولم ينظر الناظم الى كون الاله اسم جنس
في الاصل لكل معبود لان الايمة أعرضوا عن هذا الاصل واستعملوه
في المعبود بحق فقط فصار علما بالغلبة ولم يزل صلى الله عليه
وسلم يتجدد دعاؤه الى الله تعالى وان شق عليه كفره اي الاله
أو النبي وازدرا أي احتقار وانتقاص له فهو يديم ذلك

الدعا متحمل المشقة انكارهم وقبيح كفرهم وازدرائهم لما جاء به أخرج
أهل السير انه صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في منازلهم
يقول لهم يا ايها الناس ان الله يامركم أن تعبدوه ولا تشركوا به
شيئا وابو لهب عمه وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم
أن تتركوا دين ابائكم **ورماه** الوليد بن المغيرة لعنه الله
بالسحر وتبعه قومه على ذلك **وأذنه** قريش ورموه بالشعر
والكهانة والجنون **ومنهم** من كان يحثو التراب على رأسه
ويجعل الدم على بابه **ووطئ** عقبة بن ابي معيط على رقبته
الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه يبرزان
وخنقوه خنقا شديدا وجذبوا رأسه ولحيته حتى سقط
اكثر شعر رأسه فقام ابو بكر دونه قايلا أتقتلون رجلا أن
يقول ربي الله **وصح** ان عقبة ابن ابي معيط لف عنق رسول الله
صلى الله عليه وسلم بثوب وهو بفناء الكعبة فخنقه خنقا
شديدا فجا ابو بكر ودفعه عنه **وروى** احمد في مسنده أول
من اظهر الاسلام سبعة فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه
الله اي عن القتل بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه
واما سايرهم فاخذهم المشركون فالبسوهم ادراع الحديد وصهروهم
في الشمس وان بلالا هانت عليه نفسه في الله تعالى وهان على قومه
فاخذوه واعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة
وهو يقول احد احد اي يمزج حلاوة الايمان مرارة العذاب
ومر اللعين ابو جهل بسمية أم عمار بن ياسر وهي تعذب فطعنها

رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمار وامه سمية وصهيب
وبلال والمقداد

بجربة فى فرجها فقتلها **واخرج** البيهقي عن عروة ان ابا بكر رضي الله عنه
اعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة منهم الزنيرا اي بكسر الزاى وتشديد
النون المكسورة فعميت فقالوا اما اعماها الا اللات فقالت كلا والله
ماهو كذلك فرد الله عليها بصرها ○

وبدل الورى على الله بالتوحيد وهو المحجة البيضاء

وهو مع ذلك أيضا **يدل الورى** اى الخلق وكان الناظم اخذ هذا
من الحديث الصحيح وأرسلت الى الخلق كافة فاما الانس والجن
فبالاجماع المعلوم من الدين بالضرورة فيكفر منكره كما مر واما
الملايكة فعلى الأصح عند جميع المحققين كما يصرح به هذا
الحديث وقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا يشهد لذلك إذ
العالم ما سوى الله واستعماله هذا فى العقلا انما هو لتغليبهم
لفضلهم **وقول** الرازي اجمعنا على ان المراد الانس والجن
مردود واما بقية الجمادات فعلى ما ذهب اليه بعض محققي
المتاخرين ومعنى ارساله الى الملايكة وهم معصومون انهم
مكلفون بتعظيمه والايمان به واشاعة ذكره والجمادات
انه تركب فيها ادراكات لتؤمن به وتخضع له وان من شئ الا
يسبح بحمده أي حقيقة لا بلسان الحال فقط خلافا لمن زعمه
على الله اي على العلم بذاته واسمايه وصفاته وافعاله وبما
يجب له من اثبات كل صفة كمال وسلب كل صفة نقص بل
وكل ما لم يصل الى أعلا غايات الكمال وبما يجوز له من ايجاد الخلق
واعدامهم وبما يمتنع عليه من المحالات التي لا تتعلق به القدرة

كما هو مقرر في محله **بالتوحيد** اي بطلبه منهم توحيده تعالى
بأن يقروا بانه تعالى واحد فى ذاته فلا تعدد له بوجه وصفاته
فلا نظير له بوجه وافعاله فلا معين ولا شريك له بوجه وظاهر
المتن ان البا فى التوحيد بالآلة والاستعانة ككتبت بالقلم
ويوجه بان العلم بالتوحيد كما ذكر ينشا عنه العلم بما يليق
بذات الله تعالى واسمايه وصفاته وافعاله كما تقرر **وهو**
اي العلم بكل ذلك والدلالة عليه **المحجة** اى الطريقة الى رضى
الله تعالى التي أمر بها وبينت عليها **البيضاء** اى النيرة
المضيئة الواضحة لا يضل سالكها ولا ينقطع ولا يخشى فيها
من أفة وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم تركتكم
على الواضحة البيضا ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يزيغ
عنها الا هالك ولما صبر صلى الله عليه وسلم على تبليغهم
مع ما حصل له منهم مما اشار اليه الناظم بقوله
وان شق عليه الي اخره اطاع الله له اكثرهم حتى صاروا من
أكابر أتباعه كما قال ○

فبما رحمة من الله لانت صخرة من ابايهم صماء

فبما هي زايدة **رحمة** واصلة اليه **من الله** وهي في الأصل
ميل وعطف نفساني غايته التفضل والانعام واراد بها
والمراد هنا هذه الغاية لاستحالة العطف والميل على الله تعالى
وكذا كل صفة وردت فى القران او السنة لله تعالى واستحال
عليه معناها يراد بها غايتها اي فبسبب رحمة الله لهم

نحو

وعطفه عليهم لين رسوله وصبره عليهم كما يشير لذلك قوله تعالى
فبما رحمة من الله لنت لهم اقتبس الناظم منه هذا ايقظ قلوبهم
وازال ما فيها من كبر وغي فحينئذ لانت صخرة هي الحجر العظيم
من بيانية وجعل الشارح ذلك صفة الصخرة مع كون من
بيانية بعيد إبائهم اي امتناعهم صما اي صلبة لا تؤثر
فيها معول على خلاف العادة وبه يظهر جنس التقابل بين
لانت وصما وهي من الطباق ويسمى المطابقة والتضاد ايضا
وهو ان يجمع بين معنيين متقابلين في الجملة بتضاده أو
نفي او اثبات أو عدم وملكة أو نحو ذلك اي زال امتناعهم
عن طاعته فيما يامرهم فاطاعوه واتبعوه فعلم انه استعار
الصخرة التي في غاية الصلابة لإبائهم منه اولا اذ كانوا على
غاية النفرة عنه والبغض والايذا له ولين لينها وزوال
صلابتها لاتباعهم له وانقيادهم لجميع أوامره ونواهيه
اخرا وبين ان ذلك كله انما هو بواسطة رحمة الله وهدايته
لهم لا بحوله صلى الله عليه وسلم ولا بقوته انك لا تهدي من أحببت
ولكن الله يهدي من يشا ۝
واستجابت له بنصر وفتح بعد ذاك الخضرا والغبرا
وبعد ان لانوا له ببركة لينه لهم لم يزل لينهم يتزايد
حتى استجابت له اي اجابت دعوته وامتثلت اشارته
بنصر وفتح اي مع أو بسبب ما أعطاه الله من النصر على الاعدا
بكثرة الاتباع والقا الرعب في القلوب والفتح لبلادهم

باخماد شوكتهم واستيصال ساقتهم بعد ذاك اي الضعف الذي كان
به صلى الله عليه وسلم وباتباعه لقلتهم وتحزبهم قتال الاعدا وتصميمهم
على منا واته ومعاداته لقوة شوكتهم وكثرة عددهم وعددهم
الخضرا اي السما سميت بذلك لانها تزى كذلك فقد
قال القاسم بن ابي بزة ليست السما مربعة لكنها مقبوة يراها
الناس خضرا وبين الثوري سبب ذلك فقال بلغنا ان صخرة
تحت الارض اي خضرا كما في حديث البزار وغيره فيها خضرة
السما اي وليست في الحقيقة كذلك للحديث انهم قالوا يا رسول
الله ما هذه السما قال هذا موج مكفوف عنكم ومن ثم
سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن السما من أي شي هي فقال انها
موج مكفوف ويوافقه قول علي رضي الله عنه وكرم وجهه في خلقه
والذي خلق السما من ما ودخان وقال كعب السما أشد
بياضا من اللبن وقال الربيع بن انس السما الدنيا موج مكفوف
والثانية من درة بيضا والثالثة حديد والرابعة نحاس
والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة
حمرا وجا عن سلمان الفارسي لكن بسند واه السما الدنيا
من زمردة والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة
حمرا والرابعة من درة بيضا والخامسة من ذهبة
حمرا والسادسة من ياقوتة خضرا والسابعة من نور
والغبرا اي الارض سميت بذلك لان جميع طبقاتها
من طين كما جا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما اراد الله ان

خلق الاشيا اذ كان عرشه على الما واذ لا ارض ولا سما خلق الريح فسلطها على الما حتى اضطربت امواجه واثار ركامه فاخرج من الما دخانا وطينا وزبدا فامر الدخان فعلى وسما فخلق منه السموات وخلق من الطين الارضين وخلق من الزبد الجبال وبين الخضرا والغبرا ما مر في لانت وصما وكل هذا يسمى التدبيج لذكر الالوان فيه ومعنى استجابة السما والارض له صلى الله عليه وسلم استجابة اهلهما ويحتمل انه استعار السما للرفيع من الناس والارض للوضيع اي اجابة الرفيع والوضيع حتى لم يتخلف من اهل مكة وغيرهم احد عنه اذ لم يبق الا مسلم او مسالم وعلى الاول فتقييد الناظم استجابة اهل الارض بالنصر والفتح بتلك البعدية ظاهر واما تقييد اهل استجابة اهل السما بها فهو بمعنى انه لم تنزل الملايكة لنصرته الا ببدر وما بعدها وذلك انما هو بعد قوته والقا رعبه في القلوب والاذن له بالجهاد والفتح ۝

واطاعت لامره العرب العربا والجاهلية الجهلا

و من جملة استجابة اهل الارض له بعد ذلك انه **اطاعت لامره** وهو القول الدال على الطلب بلفظ او فعل ونحوه ولنبيه وحذفه لفهمه مما ذكره **العرب** بضم فسكون او بفتحتين كما هنا وهم ولد اسماعيل صلى الله عليه عليه وسلم **العربا** ويقال العاربة وهم الخلص من العرب ويقال لغير الخلص العرب المستعربة وفي القاموس

صلى الله عليه وسلم

والعرب

والعرب بالتحريك خلاف العجم اي بالضم والتحريك ايضا ذكره في مادته وهم سكان الامصار او عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له ويجمع على اعاريب وعرب عاربة وعربه وعربان وعربا صرحا ومتعربة ومستعربة دخلا فيهم قال ويعرب ابن قحطان ابو اليمن وقيل اول من تكلم بالعربية وفي النهاية الاعراب من العرب ساكنو البادية الذين لم يقيموا في الامصار ولا يدخلونها الا لحاجة والعرب اسم لهذا الجيل من الناس اقام بالبادية او المدن وفي الصحاح ليس الاعراب جمع عرب اي لان الجمع لا يكون اخص من واحده وانما العرب اسم جنس وذكر ابن قتيبة ان الاعرابي هو البدوي والعربي المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا والعجمي المنسوب للعجم انتهى وبين المبرد في كتاب في الطب عدنان وقحطان ان جميع العرب ترجع اليهما وعدنان هو الجد الاعلى للنبي صلى الله عليه وسلم وساير العرب العربا وبينه وبين اسماعيل ثمانية ابا وقحطان قال الكلبي هو الهميسع ابن نبت ابن اسماعيل صلى الله عليه وسلم **والجاهلية الجهلا** هو كالعربا فيه تجنيس الاشتقاق وشبه التاكيد اللفظي كليل اليل وخص هذين لان تصميمهما على الكفر بلغ من القوة والشدة ما لم يبلغه تصميم غيرهما ۝

وتوالت للمصطفى الاية الكبرى عليهم والغارة الشعوا

وتوالت اي تتابعت **للمصطفى** صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله **الاية** مفرد محلى بال فيكون في معنى الايات وايضا فالنوا

والاعجمي الذي لا يفصح وان كان بدويا و...

انما يكون في متعدد اي العلامات الدالة على نبوته والمدحضة لما
تقولوه وافتروه عليه وعلقه الشارح بتوالت وهو وان كان هو
الظاهر صناعة الا ان الثاني فيه افادة انما توالى له انما هو اياته
الخاصة به لا اية من تقدمه الكبرى عليهم كالقران وانشقاق القمر
و توالت له عليهم ايضا الغارة على بلادهم واموالهم ونفوسهم
وذراريهم وهو اسم مصدر لاغار الشعوآء اي الغاشية اي المتفرقة
المحيطة بهم ساير الجوانب التي لم تظفرهم بنفس ولا مال الا اهلكته
واذا ما تلى كتابا من الله تلته كتيبة خضرآء
وبعد ان استجاب له اهل السمآ والارض ودخل الناس في دين الله
افواجا وكثرت اتباعه جدا حتى صار اذا ما زايده تلى اي قرا
كتابا انزل عليه من الله وهو القران تلته اي تبعته لاجل
القراة معه واستماع قراته الكتايب مزدحمين عليه لا سيما
كتيبة بالفوقية اي جنس خضرآ اي يعلوها سواد السلاح والحديد
او من غلبة سواد العراق انه لكثرة شجره وهو من بعيد يرى اسود وهي
كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل مكة وهو فيها على ناقته
القصوى بين ابي بكر واسيد بن حضير ولما راها ابو سفيان راى
ما لا قبل له به فقال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك ملكا عظيما
فقال له العباس ويحك انه ليس بملك ولكنها النبوة وروى
البخاري عن عبد الله بن مغفل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرا سورة الفتح ويرجع وقال
لولا ان يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع وبين بلا وتلته

وظاهر

٦٤

وكتاب وكتيبة تجنيس الاشتقاق او شبهه ○
وكفاه المستهزئين وكم سآ نبيا من قومه استهزآء
وكفاه صلى الله عليه وسلم ربه فضلا منه وكرما النفر الاشقيا
الذين زادوا في ايذايه والعتو عليه المستهزئين به كما قال
تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون
منه ويبالغون في اذايه والسخرية به اي تولى اهلاكهم من كفيت
فلانا المونة اذا توليتها له فلم يحوجه اليها ومع توليته تعالى
لهلاك المستهزئين سلاه فاعلمه بان هذا بلى الانبيا قبله
كانوا كذلك بقوله عز وجل قايلا فاصبر كما صبر اولوا العزم من
الرسل ومن ثم اقتبس المصنف من هذا بقوله تعالى ولقد استهزئ
برسل من قبلك الاية وكم مرات كثيرة سآ اي احزن نبيا اي
سخر به ويسمى الجناس المصحف من قومه متعلق بقوله استهزآ
والبيت فيه اقتباس وتلميح وهو الاشارة الى قصة او شعر او مثل ساير
وذكرنا التلميح هنا مع كثرته في كلامه لانه هنا اظهر باعتبار
ظهور قصة المستهزئين وشدة الاعتنا بها وفيه ايضا
التذييل والمثل الساير في الجملة الاستفهامية ○
ورماهم بدعوة من فنا البيت فيها للظالمين فنآ
ورماهم اي اصابهم بدعوة منه عليهم وصلت اليهم فاهلكتهم
كما يصل السهم القاتل الى من رمي به فيهلكه من اي بدعوة كاينة
من فنا البيت اي حوالي الكعبة وقيل انه شكاهم لجبريل
فقال امرت ان اكفيكهم ثم اشار الى كل بما اصابه وذلك لا

لبس خاصابه حر

اى سخر به حر

لمقابلة

دعاه عليهم

ينافي لان دعاه كان سببا لاشارة جبريل عليه السلام اليهم بالهلاك • وتجويز تعلق من برمي واتها لابتدا الغاية بعيد لكن فيه دقة تشبيه وبلاغة ولعل الناظم قصد ذلك لاستقامة الوزن مع كل فا يثارها مع كونها خلاف المتبادر انما هو عن قصد ثم وصف الدعوة ايضا بقوله **فيها** اى تلك الدعوة **للظالمين** متعلق بما بعده والاصل لهم وعدل عنه ليبين ان سبب هلاكهم ظلمهم وبغيهم عليه صلى الله عليه وسلم والظلم وضع الشي في غير محله **فناء** اى استيصال لهم حتى لم يبق منهم واحد وبين فنا وفنا جناس محرف لاختلاف حركة الفا ۝

خمسة كلهم اصيبوا بدا والردى من جنوده الادوا

خمسة بدل من المستهزئين او الظالمين ويصح رفعه اي هم وخصهم • مع ان المستهزئين ابا لهب وزوجته وعقبة بن ابي معيط • والحكم بن العاص لانهم اشدهم ولذا عجلت عقوبتهم **اصيبوا بدا** عظيم **والردا** اي الهلاك **من** جملة **جنوده** المعينة عليه **الادوا** جمع دا وهو المرض وهذا ساقه مساق الحكم لمناسبته لما قبله فانه كالتعليل له اى انما اصيبوا بذلك الدا لانهم سعوا في تحصيل اسباب الردا لهم حتى وقعوا فيه • ولم يجدوا منه مخلصا وبين دا وادوا جناس ناقص كما مر ثم فصل ذلك الدا الذى اهلكهم الله به • فقال

فدهى الاسود بن مطلب اي عمى ميت به الاحيا

فدهي من الداهية وهو الامر العظيم المهلك **الاسود بن مطلب**

ابن اسد

كلام

٦٥

ابن اسد ابن عبد العزى فهو اسدي **اي عمى** اي عمى عظيم لانه طمس بصره وطمس بصيرته حتى لم يبق يميز بين الحسن والقبيح • ولبس العمى الاعمى البصيرة **ميت به** اى بسبب ذلك العمى **الاحيا** في حكم الاموات الذين لا ينظر اليهم ولا يعول عليهم • ويحتمل ان المراد ان عماه كان سببا لموته على خلاف العادة مبالغة في هلاك ذلك اللعين • وانه قتل بما لا يقتل عادة • لانه حققت عليه الدعوة فمات فورا من غير سبب ظاهر لذلكنه وبما تقرر علم ان ميت مبتدا وما بعده نسد مسد الخبر اي من شان هذا العمى انه لو وقع للاحيا صاروا به في حكم الموتى لا بصر لهم ولا بصيرة • فالجملة موكدة لما افاده تنوين عمى اى انه عمى بصرا وبصيرة ولم ينظر الناظم الى عدم اعتماد هذا المبتدا جريا على مذهب الكوفيين فانه قوي ومن ثم تبعهم الاخفش مع تقدمه وتحقيقه • وقال ابن مالك الاعتماد حسن لا واجب • فكانه يريد ان يجمع به بين راى البصريين والكوفيين لكنه خلاف ما صرحوا به فيكون رايا ثالثا لا يقال ميت خبر مقدم لانا نقول لو كان خبرا لقال ميتون • لوجوب المطابقة ولا حجة في قولهم خبير بنو لهب ان خبير خبر مقدم لان فعيل لا يلزم فيه المطابقة وبين ميت والاحيا الطباق ۝

ودهى الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كاس الردا استسقا

ودهى ايضا **الاسود بن عبد يغوث** ابن وهب بن عبد مناف ابن زهرة فهو زهري ويغوث في الاصل اسم صنم **ان سقاه كاس**

الردى اي الموت أستسقا حصل له واستمر في جوفه حتى أهلكه
وهو داء خبيث على انواع المراد منها هنا الزقي وهو امتلاء الامعا
بالماء الفاسد المبطل للحرارة الغريزية المفضي الى الهلاك وبين
سقا واستسقا جناس الاشتقاق وتشبيه الردي بالمشروب
حتى اثبت له ما هو من لوازم المشبه به من الكاس والسقي استعارة
بالكناية تتبعها الاستعارة التخييلية ٥

وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وأصاب الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فهو مخزومي
خدشة سهم اي اثر جرحه باسفل رجله من شخص في يده نبل
وقيل اصابت ذيله شوكة فمنعه الكبر من أن يلوى ليقلعها فضربها
بالسوط فاصاب رجله فتاكلت ومات منها قبل وقعة بدر
فكان سم ذلك الجرح اسرع الى هلاكه واشنع من سم الافاعي فلذلك
قصرت عنها اي تلك الخدشة الحية الرقطا اي التي تخالط
سوادها بعض بياض وهي اعظم الحيات اذا وجد قصورها
عنها في الافضا الى القتل ان الحية قد ينفع البرء ومن لسعتها
بخلاف تلك الخدشة فانها كانت قاتلة لاحتما لانها اثر تلك الدعوة
على المقتول ثم رايت بعضهم قال انما كان ما اصاب الوليد
أعظم لان الحية انما تهلك بواسطة السم وهذا بلا واسطة
انتهى وما ذكرته أوضح وأحسن كما لا يخفى ٥

وقضت شوكة على مهجة العاص فلله النقعة الشوكاء
وقضت شوكة دخلت في أخمص رجل العاصي على مهجة العاص

٦٦ ابن وايل بن هشام بن سعد فهو سهمي أي قتلته قتلا عجيبا ومن
ثم عقبه بما يفيد التعجب فقال فلله هذه النقعة من قولهم
الناس نقايع الموت اي انه يجزرهم كما يجزر الجزار النقيعة
الشوكاء من قولهم بردة شوكاء اي خشنة الملمس اي ما اعجب
هذه القتلة الشديدة التي حصلت له من تلك الشوكة القليلة
التاثير عادة فلله دره من شوكة نحوته في اسرع وقت

وعلى الحارث القيوح وقد سال بها رأسه وسا الوعاء
وقضت على الحارث مولى الطلاطلة بالموت الفظيع
القيوح جمع قيح هي المدة البيضا التي لا تخالطها دم والحال
انه قد سال بها رأسه وسا أي قبح ذلك الراس الوعاء
لتلك القيوح القاتلة لصاحبه وبين سال وسا الجناس
الناقص وفي الختم بسا الوعا الذي بيل هؤلا الملاعين

خمسة طهرت بقطعهم الارض فكف الاذى بهم شلاء
خمسة طهرت بقطعهم أي هلاكهم الارض اي مكة
ونواحيها او مطلقا لان ضررهم يسري الى جميع البلاد فكف
الاذى الذي كان يصل الناس لا سيما نبينا صلى الله عليه
وسلم منهم بهم اي بسبب فقدهم او مع فقدهم شلا
اي فاقدة الحركة فعلم ان سببه الاذى بالانسان من باب
تشبيه المعقول بالمحسوس لافادة ان الاذى لو جسم لكان
انسانا يقدر على ايصال ما يريده باي وجه كان ثم اثبت له
ما هو من لوازم المشبه به وهو الكف الذي يتناولها

ترشيح استعارة

سائر المضار التي يريدها ووصفها بالشلل لبيان أن الاذى
بفقدهم صار معطلا لا حركة فيه ولا تاثير ففيه استعارة
تخييلية وذكر الشلل الملايم للمشبه به ترشيح ○

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء

فديت بالبنا للمفعول يقال فداك بفتح أوله فيقصر وبكسر
فيقصر ويمد وهو دعا متضمن للتعظيم فهو من خبر الانشا
أي لو أمكن أن يكون أحد فدا احد من الموت لسالت ان يكون
هولاء فداهم والمراد اللهم اجعلهم فدا لهم من الموذيات
وقوله ان كان للكرام فدا الدال على انه لا فدا لهم بدل
على المعنى الاول خمسة الصحيفة الآتي بيانهم بالخمسة
الملاعين السابق ذكرهم أي جعلت هولا جميعهم فدا لكل
واحد من اوليك من كل مكروه فالمقابلة هنا للبست من باب
ركب القوم دوابهم ان جزاؤها محذوف لدلالة ما قبله عليه
كان للكرام فداء واوليك الخمسة الذين سعوا في
نقض الصحيفة من جملة الكرام الذين تعين فداهم عند
الحاجات والشدايد ان يقع الفدا لانهم بذلوا نفوسهم
في أمر عظيم جدا كما يعلم من ذكر قصتها وهو ان
قريشا لما رأت عزة النبي صلى الله عليه وسلم بامره في
سنة خمس من النبوة بضعة عشر من أصحابه منهم
عثمان وزوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة
إلى الحبشة واستقرارهم فيها وباسلام حمزة ثم بعده عمر

بثلاثة

بثلاثة ايام وبفشو الاسلام في القبايل أجمعوا على أن يقتلوا النبي
صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك ابا طالب فاتوا اليه بعمارة بن الوليد
اعز فتى فيهم لياخذه بدلا ابن أخيه فأبا وجمع بني هاشم
وبنو المطلب فادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم
ومنعوه ممن ارادوا قتله واجابوه لذلك حتى كفارهم حمية
على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وايتمروا
أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب
ان لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوا منهم شيا ولا يبتاعوا منهم
ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم للقتل وكتبوا ذلك في صحيفة بخط بعضهم فشلت
يده وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة تاكيدا في حفظها وبقايها
وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوة فانحاز بنو هاشم
وبنو المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه في شعبه إلا ابا لهب
فكان مع قريش لعنه الله فاقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا
حتى جهدوا وكان لا يصل اليهم شي الا سرا حتى ان حكيم بن حزام
حمل غلامه حبا يريد عمته خديجة رضي الله عنها فلقيه أبو جهل
اللعين فتعلق به وأراد أن يفضحه فانتصر له أبو البختري بن
هشام بن الحارث وقال خل سبيله فابى فأخذ له لحي جمل فضربه به
فشجه ووطيه وطا شديدا فلما مضت تلك المدة قام اوليك
الخمسة في نقض تلك الصحيفة وكان راسهم هشام بن الحارث
لعزته بعمه لامه الذي هو أخو عبد المطلب ومن ثم كان واصلا

لهم

ابن اسد

لبني هاشم فكان يأتيهم ليلا بالبعير وعليه الطعام الى فم الشعب
ثم يخلع خطامه ويضربه حتى يدخل ولعن هشام بعد هذا
مشى الى زهير بن عاتكة بنت عبد المطلب فقال ارضيت أن تاكل
الطعام وتلبس الثياب وتنكح النسا واخوالك حيث علمت
وشدد عليه حتى قال لو وجدت رجلا معي لنقضتها فقال
انا معك فقال ابغنا ثالثا فذهب الى المطعم واستنخاه حتى قال
لو وجدت رجلا قال انا معك قال ابغنا ثالثا قال قد وجدت
زهير بن ابي امية قال ابغنا رابعا فذهب الى ابن البختري واستنخاه
أيضا فقال وهل من معين فذكرله اوليك فقال ابغنا خامسا
فذهب الى زمعة فاستنخاه فقال هل من واحد فذكرله القوم
فاجتمعوا في الحجون واجمعوا على نقضها فقال لهم زهير وانا اول
من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير محلة فطاف
بالبيت سبعا ثم اقبل على الناس فقال يا أهل مكة انانأكل الطعام
ونلبس الثياب وبنوهاشم فيما ترون والله لا اقعد حتى تشق هذه
الصحيفة الظالمة القاطعة فقال له ابو جهل كذبت والله لا
تشق فقال زمعة انت والله اكذب ما رضينا كتابتها حيث
كتبت وقال البختري صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها
ولا نقربه وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك
نبرا الى الله منها نبرا الى الله منها ومما كتب فيها فقال
أبو جهل هذا أمر قضي بليل اشتور فيه بغير هذا المكان
وابو طالب جالس فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد

نحر
لتشويرين

الارضة

الارضة قد اكلتها الا باسمك اللهم ولا يعارض ذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قال لابي طالب يا عم ان ربي
سلط الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها إسما الا اسما
هو لله ومحت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال
أربك أخبرك بهذا قال نعم فاخبرهم ابو طالب بذلك وقال
انزلوها فان صدق انتهوا عن قطيعتنا والا دفعته
اليكم فنظروها فاذا هي كما قال صلى الله عليه وسلم فازدادوا
شرا وذلك لانه لا مانع لهم لما نظروا ذلك وازدادوا
شرا قام اوليك الخمسة فاذهبوها من أصلها فسعوا في
نقضها وبذلوا جهدهم فيه **قال** الشارح ويحتمل ان
ابا طالب انما اخبر بعد سعيهم في نقضها انتهي ويبعده ان
الاخبار بذلك حينيذ ليس له كبير جدوي فالاولى بل
المتعين ما قدمته اذا تقرر ذلك علمت ان قوله ۝
فتية بيتوا على نعل ءاخر حمد الصبح امره والمسا
فتية اي كرام جمع فتى وهو السخي الكريم وفيه تصريح
بما اومى اليه من وصفهم بمكارم الاخلاق **بيتوا** اي
دبروا واشتوروا بالحجون ليلا **على نعل ءاخر** هو نقضها
والمخاطرة دونه بالنفوس لشدة قريش في ابقايها مع كثرتهم
وعتوهم **حمد الصبح** اي الفجر او الصباح وهو من الفجر الى
الزوال ويدل على هذا مقابلته بالمسا الذي هو من الزوال
الى الغروب **امره** اي شانه وعاقبته **والمسا** واسناد الحمد

انه

لهذين الزمانين مجاز دال على شدة المبالغة في وقوع الحمد طلب
على فعل ذلك الخبر لان الزمان اذا حمل على ذلك فسائر العقلا
اولى واحق بذلك • وبين الصبح والمسا الطباق كالشدة والرخا
والنقض والابرام فيما ياتي • وجعل الشارح غير الاخيرين من
المبالغة وهما من الطباق لا ينافي على تفسيرهم الطباق
بانه الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة كما مر مبسوطا
يا لأمر أتاه بعد هشام زمعة انه هو الفتى الأتّاء
وزهير والمطعم بن عدي وأبو البختري من حيث شاء
يا لأمر بفتح اللام هو نقضها وناداه على طريق الاستغاثة
تنزيلا له منزلة العاقل مبالغة في تعظيمه ولذا كان ذلك
مفيدا للتعجب من وقوعه كقولهم يا للدواهي اذا تعجبوا من
كثرتها **أتاه بعد هشام** ابن الحارث بن حبيب بن حذيمة
ابن مالك بن حسل بن عامر بن لوي فهو عامري وقدمه لما مر
انه اول الخمسة والسبب في اجتماعهم **زمعة** بن الاسود
ابن المطلب بن أسد **انه** بالكسر استيناف ففيه مع أتاه
جناس الاشتقاق كما في فذيت وقدا التقليل لكونه اول من
كذب ابو جهل ورد عن هشام كما مر **الفتى** اي الكريم في قومه
الأتّاء صيغة مبالغة من أتى **وزهير** بن امية بن
المغيرة وامه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم **والمطعم بن عدي وأبو البختري**
واتى هولا الخمسة النقض عن غير اتفاق ومواطاة بل انما

أتوه

٢٩

أتوه اتيانا كائنا **من حيث** ظرف مكان حقيقة أو مجازا وجوز
الاخفش كونها ظرف زمان وتجوز فتحه وجره وحاث وحوث
واعرابها لغة قليلة وتلزم الاضافة لجملة وندرت لمفرد خلافا
للكسائي وعدم اضافتها بالكلية اندر فتعوضها ونصرفها نادر
بل انكره ابو حيان • والغالب كونها في محل نصب على الظرفية او خفض
بمن ولا تقع اسما ولا مفعولا به على خلاف قد زعم الفارسي انها
في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته مفعول بها والمعنى
انه سبحانه وتعالى يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه لا شيئا
في المكان • وناصبها يعلم المدلول عليه باعلم لا هو لان افعل التفضيل
لا تنصب المفعول به الا ان اول بعالم **شاء** اي من المكان الذي
قصدوه وانتح الانتجاح الذي دبروه ○
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدت عليه من العدا الانداء
أذكرتنا بأكلها أكل منساة سليمان الأرضة الخرساء
نقضوا بدل من فعل خبر من نقض العهد ابطله **مبرم** اي
محكم واصله كالبريم الحبل الذي جمع من مفتولين ففتلا حبلا وابرماه
الصحيفة التي توافقت قريش على ابقائها على الدوام اي ان تسلم
بنو هاشم والمطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم **اذ** اي
وقت او لاجل ان **شدت** اي ضمت **عليه** اي على ذلك الامر المبرم
وهو عدم نقض تلك الصحيفة **من العدا** بيان لقوله **الانداء**
جمع ناد وهو العشيرة ومنه فليدع ناديه واصله المكان الذي
يجلس فيه للتحدث والسمر سمي من فيه باسمه • اي نقضوا هذا الامر

المبرم الذي قواه عشا برهم وصمموا عليه **أذكرتنا** بعد نسينا بنا
جملة استئنافية لبيان ان لاكل الارضة للصحيفة نظيرا هو
أكلها لعصا سليمان **باكلها** لتلك الصحيفة والضمير للارضة
الاتية التي هي الفاعل فهو عايد على متقدم رتبة وهو تابع **أكل**
مفعول اذكرتنا الثاني **منسا ة** اي عصى **سليمان** بن داوود
صلى الله عليهما وسلم امات وهو متكئ عليها فصار كذلك سنة
والجن يعتقدون حياته فيدأبون فيما سخرهم فيه من الاعمال
الشاقة • وما علموا موته الا باكل الارضة لمنساته فخر ساقطا
وعلموا حينيذ ان لهم سنة مسخرين في العمل وانهم كانوا كاذبون
في ادعائهم علم الغيب • ولذا قال تعالى عز قايلا فلما قضينا عليه
الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تاكل منساته فلما
خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين **الأرضة** بفتح الراء وقد تسكن كما هنا وهي دويبة
تاكل حتى الخشب أكلا ذريعا **الخرسا** فيه تمام تعجب
من شانها اذ ليس من شأن الأخرس التذكير واثبات
الخرس لها مجازا اذ حقيقته فقد النطق عما من شانه أن ينطق
وبها اخبر النبي وكم أخرج خبا له الغيوب خبا
وبها أي وباكلها للصحيفة **أخبر النبي** صلى الله عليه وسلم عمه
ابا طالب وهو اخبر قريشا كما مر مبسوطا **وكم** مرات كثيرة
أخرج صلى الله عليه وسلم اي اظهر **خبا** اي شيا مخبا **له**
الغيوب خبا اي ساترة • وبين خبا وخبا الجناس المحرف •

وفي كم الي اخره تذييل • **تنبيهان** أحدهما يجب على كل احد
ان يعتقد ان الله تعالى هو المختص بعلم الغيب • وما حصل للرسل
وأوليايه منه فهو اما بوحي من الله أو إلهام والاستثنا في
قوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الى اخره متصل كما هو الاصل •
وذكر الرسول لا للاختصاص به بل لان كرامة أوليا اتباعه
من جملة كراماته ومعجزاته • وفي الحديث إني لا أعلم الا ما
علمني ربي ثانيهما في بيان ما اشار اليه الناظم من
كثرة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات • وحاصل شي من
ذلك ان مما يدل على كثرة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيوب
ما في القران منها مما لا يحيط به حد • وخبر الطبراني ان الله قد
رفع لي الدنيا فانظر اليها والى ما هو كائن الى يوم القيمة كانما انظر
الي كفي هذه • وخبر ابي داود قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقاما فما ترك شيا الى قيام الساعة إلا احدثنا به • وفي الحديث
الصحيح فعلمت علم الاولين والاخرين • وصح انه صلى الله عليه وسلم
اخبر بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى عليه باصحابه •
وانه وابا بكر وعمر وعثمان صعدوا أحدا فتحرك فضربه
برجله وقال له اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيدان ○
فاستشهدا وان ملك كسرى وقيصر ينقطع بعده من العراق
والشام فكان كذلك في زمن عمر وانه قال لسراقة كيف بك إذا
لبست سواري كسرى والبسهما عمر له لما زال ملك كسرى في زمنه
تحقيقا لذلك • واخبر عمه العباس ببدر بما تركه بمكة

من المال عند زوجته ولم يطلع عليه احد غيرهما واخبر بكتاب
حاطب الى مكة وبموضع ناقته حين ضلت وتعلقت بخطامها
في الشجرة وبان قريشا بعد الاحزاب لا يغزونه وباستشهاد
أمير الجيش الذي أرسله لموتة بأرض الشام فقتلهم زيد
ابن حارثة فجعفر بن ابي طالب فعبد الله بن رواحة رضي الله
عنهم وبان بنته فاطمة رضي الله عنها أول اهله لحوقا به فعاشت
بعده ثمانية اشهر أو ستة وبان اشقى الاولين والاخرين قاتل
علي كرم الله وجهه ورضي عنه يضربه في يافوخه فيبتل من دمها
لحيته فضربه الشقي ابن ملجم كذلك فمات منها وبان معاوية
رضي الله عنه يلي أمر أمته وبانه لم يغلب رواهما ابن عساكر ومن
ثم قال علي رضي الله عنه يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلته
وبان عثمان يقتل مظلوما وفي رواية تقتل وانت تقرا البقرة
فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله موضوعه وبوقعة
الحرة من عسكر يزيد عامله بعد له بالمدينة فاستبيحت نفوس أهلها
وابضاعهم واموالهم وقتل سبعماية يحفظون القران منهم
ثلاثماية صحابي وافتض فيها الف عذراء وبوقعة الجمل وصفين
وقتال عايشة والزبير لعلي رضي الله عنهم ولذلك قال علي للزبير
لما برز له يومئذ انشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير وقال بلى ولكن
نسيت وقد يستشكل الوصف بالظلم مع ان الزبير مجتهد فغايته
انه مخطي وهو له أجر بنص الحديث ويجاب بان أصل الظلم وضع

الشي

الشي في غير محله وان لم يكن له فيه اثم فالمراد وانت قد وضعت القتال
في غير محله خطا منك لا تعمدا او وانت له ظالم حقيقة لو نظرت
في الدليل حق النظر بقرينة ما تقرر ان المجتهد المخطي له اجر وبقوله
في الحسن رضي الله عنه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فيئتين
عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه بويع بعد أبيه فمكث
خليفه ستة أشهر ثم سار لمعاوية باربعين الفا فلما نزا الجمعان
علم كثرة الفريقين وانه لا يغلب أحدهما حتى يقتل الفريق الاخر
فرق على المسلمين ورحمهم ورفض الملك في جنب ذلك ابتغاء
لوجه الله تعالى كما جا عنه رضي الله عنه ثم ارسل لمعاوية بشرط
عليه شروطا وينزل له عن الخلافة فارسل اليه قرطاسا أبيض
وقال اشترط ما شئت فاشترط ونزل عن الملك فصار معاوية
من يومئذ خليفة حقيقة وبقتل الحسين رضي الله عنه
بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وصح خبر
استاذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فاذن
له وكان في يوم ام سلمة فامرها صلى الله عليه وسلم ان تحفظ الباب
فجا الحسين ففتحه فقبله النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
الملك أتحبه قال نعم قال ان امتك ستقتله وان شئت أريتك
المكان الذي يقتل به فاراه فجا بسهلة بالكسر رمل خشن أو تراب
أحمر فاخذته ام سلمة فجعلته في ثوبها قال الراوي كنا نقول
انها كربلا وفي رواية انه قال لها اذا صار دما فاعلمي انه قد
قتل واخبر ابن عمر بانه سيعمى لما راى جبريل معه في صورة

رجل واخبر عبد الله بن عباس رضي الله عنهم بانها ستلده وبانه
ابو الخلفاء وبان منهم السفاح والمهدي واخبر بان الترك
ستغلب على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم
وبقوله يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل فلا يجدون عالما
أعلم من عالم المدينة قال ابن عيينة وغيره هو مالك
ابن انس ومن ثم كان الناس يزدحمون على بابه لاخذ العلم حتى
يقتتلوا ومن روى عنه من الأكابر الزهري والسفيانان
والشافعي والاوزاعي امام اهل الشام والليث امام اهل مصر
وابو حنيفة وصاحباه ابو يوسف ومحمد وذا النون المصري
والفضيل وابن مبارك وابن أدهم وبعالم قريش وانه
يملا طباق الارض علما قال احمد وغيره تراه الشافعي لانه
لم ينتشر لقرشي صحابي او غيره ما انتشر للشافعي أي والذي
انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما مسائل قليلة جدا كما يعلم
ذلك من سبر كلامهم واطلع عليه وزعم الصنعاني
ان الحديث موضوع هو من فيه وانما فيه نوع ضعف
ذكروا له شواهد تجبره وقد جمع الحافظ العسقلاني
طرقه في كتاب مستقل واخبر بالخوارج الذين خرجوا
على علي كرم الله وجهه وان فيهم رجل اسود احدى
عضديه من ثدي المراة فقاتلهم علي فاخرج ذلك
الرجل حتى رآه الناس بالوصف الذي وصفه رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وانهم يرفضون

مطلب اخذ ابو حنيفة عن مالك

في طباق الارض ح

الاسلام

٧٧

الاسلام وبالقدرية والمرجئة وبان أمته ستفترق على ثلاثة
وسبعين فرقة وبانها كلها في النار الا الفرقة التي على ما كان
عليه هو واصحابه وهم الطائفة الذين اخبر عنهم بانهم لا
يزالون على الحق لا يضرهم من خالفهم الى قيام الساعة أي
قربه بقليل وبامارات الساعة الكثيرة جدا فوقع كثير
منها وينتظر وقوع الباقي ومما وقع منها النار الذي قال
عنها صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان لا تقوم الساعة
حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها أعناق الابل ببصرى
فخرجت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة المشرفة
وتقدمتها زلزلة عظيمة بعد عشاء الاربعاء ثالث جمادى الاخرى
سنة اربع وخمسين وستمائة ولم تزل تشتد وتغلي كغليان البحر
الى ان ارتجت منها الارض ومن عليها حتى أيقن أهل المدينة بالهلاك
وكثرت الزلازل حتى وقع منها في يوم واحد ثمانية عشر زلزلة
لكن ببركته صلى الله عليه وسلم كان يغشى المدينة نسيم بارد
ورؤيت من مكة وجبال بصرى وانطفت ليلة الاسرى سابع
عشرين من رجب وقد اوسع المؤرخون في اخبارها بما يطول
استقصاؤه واذا تاملت ما أطلعه الله تعالى عليه من الغيوب
لا سيما ما يتعلق بامر الصحيفة علمت ان ذلك من تمام عنايته
ربه به وانه لا يضيمه أحد قط ومن ثم عقب الناظم ذلك
بقوله لا تخل جانب النبي مضاما حين مسته منهم الاسواء
كل أمر نابت النبيين فالشدة فيه محمودة والرخاء

٢

لا تعتبن النصار من النار
للاخيار النصار الصالح

لا تخل بفتح التا الفوقية والمعجمة من خلت الشي خيلا ومخيلة ظننته
جانب هو في الاصل شق الانسان واريد هنا كله تعبيرا بالبعض
عن الكل والاضافة بيانية النبي مضاما اي مضيعا حين وفي نسخة
حيث والاول اظهر وهو ظرف لمضاما مسته صلى الله عليه وسلم
منهم متعلق بقوله الاسوآ اي الاذايات الكثيرة حال كونها صادرة
منهم كضربه وخنقه واغرا سفهائهم به فرموه حتى سال الدم على
قدميه وكشج وجهه وكسر رباعيته وغير ذلك مما لو حمله جبل
لم يحتمله بل جانبه لم يزل يرتقي مع ذلك في مراتب النصرة
والفتح الى ان بلغ غاية العز والجلالة قال تعالى اذا
جا نصر الله الايات ليظهره على الدين كله والله يعصمك
من الناس ثم ما اصابه صلى الله عليه وسلم من اذايتهم له
فيه اسوة بالانبيا قبله اذ اصابهم من اذايات اممهم مثل ذلك
او اكثر منه كل امر من الامور العظيمة ناب اي اصاب
النبيين فالشدة فيه التي تحصل لهم منه محمودة لانها لرفع درجاتهم
العلية والرخا اي السعة فيه محمودة ايضا لانه يكثر اتباعهم
ويفني اعداؤهم ومما يبين لك ذلك ويوضحه ان من المقرر
في العقول انه لو يمس النضار اي الذهب هون بالضم
اي هوان من ادخاله النار لاختبار خلوصه من الغش والنقص
لما اختير للنضار الصلا اي العرض على النار لعزته على النفوس
وشحها به من ادنى نقص يصيبه فالانبيا كالذهب والشدايد
التي تنوبهم كاصابة النار للذهب فكان النار لا تزيد الذهب

الا حسنا

الا حسنا فكذلك لا تزيد الانبيا الا رفعة وفي لا تخل الى هنا
الكلام النافع من الحكم والبلاغة ما لا يخفى عظيم وقعه
ولما ذكر ما يناسب قوله لا تخل جانب النبي مضاما برهن
عليه بقوله كم يد عن نبيه كفها الله وفي الخلق كثرة واجترآ
اذ دعى وحده العباد وامست منه في كل مقلة اقذآ
كم يد اي جارحة عن نبيه كفها الله اي منعها وخذلها
فلم تصل اليه بسوء قصد به صلى الله عليه وسلم والحال انه
قد وجد في الخلق اي المخلوقين الذين هم اعداؤه المريدون
لاهلاكه كثرة واجترآ اي شجاعة وتهور واقدام على فعل ما
خطر في النفس من غير نظر في عاقبته اذ ظرف لكف اي وقت ان
دعا طلب حال كونه وحده العباد كلهم الى عبادة الله وترك
ما هم عليه من الجهالات والاباطيل والضلالات وان امست
اي حصلت اذ امسى تستعمل كثيرا في ذلك منه في كل الازمنة
في كل مقلة منهم صح صح صح وهي شحمة العين التي
تجمع السواد والبياض اقذا جمع قذا وهو ما يسقط في العين مما
يولمها ويكدرها وذلك لانه صلى الله عليه وسلم في ابتدا امره
مع وحدته وقلة عضده وناصره كان يدعوهم الى الايمان بالله
وحده وينادي عليهم في انديتهم بتسفيه احلامهم وسب
الهتهم وذمها بكل عيب وسوء فيبالغونه حتى اقرب اقاربه
كعمه ابي لهب في اذيته والتجري عليه لكثرتهم ووحدته وهو
مع ذلك على ما هو فيه غير ملتفت لاذايتهم بل صابرا عليه

الصبر الجميل وامره لا يزداد الا ظهورا وعلوا واصحابه واعوانه يكثرون
ويتقوون على اعدائهم شيئا فشيئا الى ان امكنه الله من نواصي اعدائه
فاذاق من بقي منهم على كفره الهوان واحل من خضع منهم لعزته ما
من النفاق الامان ومما ينبيك بعظيم اذايتهم له وبصبره عليهم بلغ مقابلة
ما ذكره اهل السير ان عمرو ابن العاص قال للزبير ما اكثر ما رايت
قريشا اصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ان اشرافهم
اجتمعوا في الحجر فذكروا ما يفعله بهم من سبهم وسب الهتهم فطلع
عليهم صلى الله عليه وسلم فاستلم الركن وطاف فلما مر بهم انتقصوه
فسماه ذلك ثم مر بهم فاساوه ثم مر بهم فاساوه فوقف
ثم قال اتسمعون يا معشر قريش اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح
فاخذتهم كلمته وارتعدت منها فرائصهم فالانوا له القول وقالوا في الحجر
انصرف يا ابا القاسم فوالله ما كنت جهولا فاجتمعوا له في الغد وفعلوا
معه مثل ما ذكر ثم وثبوا اليه وثبة رجل واحد يوبخونه بسب
الهتهم فاخذ بعضهم بمجمع ردائه فقام ابو بكر وحال بينهم وبينه
كما مر **تنبيه** قرينة سياق النظم مصرحة بان القذى
في العين مستعار لما حصل لهم في عيون بصائرهم من اذلاله
صلى الله عليه وسلم لهم كما مر انفا واما قول بعضهم يحتمل ان
يريد بالقذى ما على اعينهم من الغشاوة المانعة من النظر
الحاجبة لهم عن اتباعه او يريد ما على قلوبهم من الران والصدا
الحاجب من الايمان فيكون عبر بالمقلة عن عين البصيرة عما
يعلوها من الران والصدا انتهى فهو غفلة عن سياق

المتن

٧٤

مما ذكره هو

المتن او عدم تامله بالكلية لانه انما حكم بانه صلى الله عليه وسلم
اسكن القذى بكل مقلة منهم وحينئذ فلا يصح تفسير القذى
بشيء وانما يصح تفسيره بما ذكرته فتامله والدليل على تلك
الحراسة الباهرة انه **هم قوم بقتله فابى السيف وفاء وفات الصفوا** الصفوا
هم قوم يدخل فيهم النسا تبعا **بقتله** بالسيف **فابى السيف**
اي امتنع من الوصول اليه والتاثير فيه **وفا** اي لاجل وفائه
بما اخذ عليه كيفية الخلق من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة تظله فبينما هو
تحتها اذ جاءه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال له من يمنعك مني
قال الله عز وجل فرعشت يده وسقط السيف وضرب براسه
الشجرة حتى سال دماغه كما روى وصح ان غورث بن الحارث
اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم فاستيقظ فوجده في
يده مصلتا فقال من يمنعك مني قال الله فسقط من يده
فاخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ
فعفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وورد
انه صلى الله عليه وسلم وقع له نظير ذلك في غزوة بدر مع
منافق تبعه لما خرج لقضاء حاجته ووقع نظير ذلك مع
رجل سيد لقومه شجاعة وغيرها اغروه على قتله فجاءه ثم رجع
اليهم مسلما فانكروا عليه فقال نظرت الى رجل ابيض طويل
دفع صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي
فعلمت انه ملك واسلمت **وفات** اي رجعت على اعقابها وبينه

واجلاله وتوقيره وتعظيمه وذلك لامتناع [illegible]
وقع غير ما مرة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم

وبين وفا الجناس اللاحق **الصفوا** اي رجعت الحجارة عن
اصابته بل جمدت في يد راميها الذي هم ايضا بقتله
وابو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كانه العنقاء
وهم **ابو جهل** بن هشام بن المغيرة المخزومي وكان من اشد
الاعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اجتمع
هو وقريش يوما لجاههم صلى الله عليه وسلم وبالغ في انذارهم
وتسفيه احلامهم وسب آلهتهم فاظهروا له شدة الاباء
والتعنت فانصرف عنهم حزينا عليهم فقال لهم ابو جهل
يا معشر قريش ان محمدا ابى الا ما ترون واني اعاهد الله
لاجلسن له غدا بحجر ما يطيق حمله فاذا سجد في صلاته
رضخت به راسه فاسلموني عند ذلك او امنعوني وليصنع
بي بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله ما نسلمك لشيء
ابدا فلما اخذ حجرا فلما سجد صلى الله عليه وسلم كعادته
وقريش ينظرون وحمل اللعين الحجر ثم اقبل نحوه حتى اذا
دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست
يده على حجره حتى قذفه فقاموا اليه وقالوا ما لك يا ابا الحكم
قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه
عرض لي دونه فحل من الابل لا والله ما رايت مثل هامته
ولا مثل صورته وانيابه لفحل قط فهم ان ياكلني وذكر انه
صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا مني لاخذه **اذ** ظرف
لهم المقدر قبل ابو جهل لانه معطوف على هم قوم بقتله وهم

أيضا

ايضا ابو جهل بقتله بالحجر الذي حمله وقت **رأى عنق** بسكون النون
وضمها **الفحل** وقد برز اليه **كانه العنقا** اي الداهية العظيمة
او الطائر العظيم المعروف وبين عنق وعنقا جناس الاشتقاق
او شبهه وما ذكر من ان ابا جهل معطوف على وان اذ فودهم
ظرف لهم هو ما جزم به الشارح وهو بعيد لانه يلزم عليه
انه وقت رؤية الفحل هم بقتله وذلك غير واقع بل حصل
له حينئذ من الهيبة والخوف والذلة ما اذهله والحق انه
معطوف على الصفوا اي رجعت الصفوا عن الوصول اليه
ورجع ابو جهل عن الرمي لها في وقت رؤيته الفحل فاذ حينئذ
ظرف لغات مع فاعلها وما عطف عليه ۝
واقتضاه النبي دين الاراشي وقد سا بيعه والشرا
واقتضاه معطوف على هم قال الشارح وكانه على نزع الخافض
اي اقتضى منه وظاهر قول القاموس واستقضى فلانا طلب اليه
ان يقضيه وتقاضاه الدين قبضه انه متعد بنفسه اي
طلب **النبي** صلى الله عليه وسلم من ابي جهل ان يؤدي
دين كهلة بن عصام بن كهلة بن اراش بن الغوث بن عمرو بن الغوث
الاراشي بكسر الهمزة لكونه لما قدم مكة بابله ليبيعها اشتراها
منه ابو جهل ثم مطله باثمانها فوقف الاراشي على ناد من قريش من
رجل يخلصني من ابي الحكم فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني
على حقي قالوا له لا نخلصك منه الا ذلك الرجل اي محمدا صلى الله
عليه وسلم فقال له يا عبد الله ان ابا الحكم قد غلبني على حقي وقد

قالوا له ذلك استهزاء به فجاء له صلى الله عليه وسلم

سئلت أولئك القوم فأشاروا اليك فخلصني منه يرحمك الله
فقام معه ليخلصه منه كيف **وقد سابعه** ذكر مع الكلام
ليس الا في الشر الا انه نظير له فهو من مراعاة النظير **والشراء**
اي بشرا ويبيع هذا الرجل وغيره ولما ذهب اليه امروا واحدا
منهم ان يتبعه لينظر ما يصنع فضرب صلى الله عليه وسلم
بابه عليه فقال من ذا قال محمد فاخرج الي فخرج اليه
وقد انتقع لونه فقال اعط هذا حقه قال نعم لا تبرح حتى
تأخذه فدخل فاخرج اليه فجا الى اولئك فاخبرهم بما وقع فجا
ابو جهل فقالوا له والله ما راينا مثل هذا الذي صنعت قط
قال ويحكم والله ما هو الا انه ضرب على بابي فسمعت صوته
فمليت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق راسي لفحلا من الابل
ما رايت مثل هامته ولا انيابه لفحل قط والله لو ابيت لاكلني

ورأى المصطفى اتاه بما لم ينج منه دون الوفا النجاء
هو ما قد راه من قبل لكن ما على مثله يعد الخطاء

و من ثم **راى** ابو جهل اللعين محمدا **المصطفى** صلى الله عليه وسلم
وقد **اتاه بما** اي بفحل ابل **لم ينج** بفتح ثم ضم ثم كسر مع تخفيف
الجيم ويجوز لا هنا لاجل الوزن تشديدها من نجا ينجو ونجا
ينجي فهو ناج ومنج **منه دون الوفا** لذلك الدين الذي للاراشي
النجاء بوزن الضراب مبالغة في ناج فالوفا مقصور ويجوز
تخفيف الجيم مصدرا فالوفا ممدود وفي القاموس نجا نجوا ونجاء
ونجاة ونجاية خلص كنجى واستنجا وانجاه الله ونجاه وعلى كل هو

فاعل ينج ونظيره في المصدر قول الجاجري

ملا الوجد فؤادي وسرح البرح

اي وذلك الفحل لا ينجي او لا ينجو منه النجا بالمبالغة اي
من تكررت نجاته من الامور الصعبة الا ان وفا ذلك
الدين او لا ينجو منه النجا بالتخفيف اي النجاة الا بعد ذلك
الوفا **هو** اي الفحل المراي في هذه الواقعة **ما** اي الفحل
الذي **قد راه من قبل** اي في الواقعة السابقة في قوله
الى اخره **لكن** لا استغراب في ذلك لان هذا اللعين
ما على مثله في العتو والتهور السالبين لادراكه
والموجبين لهلاكه وهو ابلغ من عليه لانه اثبات للحكم عليه بتنبيه
على حد مثلك لا يبخل **يعد الخطا** لان خطاه لا ينحصر
فلا يعد ومد الخطا لغة شهيرة **تنبيه**
قد يسئل عن الحكمة في كون ابي جهل منع في هاتين الواقعتين
من ان ينال من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء مطلقا اشد
المنع ولم يمنع من القاء سلا الجزور على ظهره صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي **قلت** كان سر ذلك امهاله حتى تنفذ فيهم
دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره عليهم للناس باهلاكهم
بدعوته والقائهم في القليب على اخس حالة وافحشها ولو
منع اللعين من ذلك لم تحصل هذه الكرامات فكان
تمكينه من ذلك الفعل هو عين اهلاكه واهلاك نظرائه
ومختصر تلك القصة انه صلى الله عليه وسلم كما في البخاري

كان يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قايل منهم
ألا تنظرون الى هذا المرائي أيكم يقوم الى جزور بني فلان فيعمد
الى دمها وفرثها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه
فانبعث أشقاهم فلما سجد وضعه بين كتفيه وثبت صلى الله
عليه وسلم ساجدا اي لانه لم يعلم بخصوص ما وقع عليه وانما لم ينقل
انه اعاد لاحتمال انه كان في نافلة بل هو الواقع لان هذه الواقعة
قبل فرض الخمس ولم يكن فرض من الصلاة يومئذ الا ما في سورة
المزمل وهو صلاة الليل فلما رأوا ذلك ضحكوا حتى مال بعضهم
على بعض فانطلق منطلق الى فاطمة وهي جويرية رضي الله عنها
فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى
ألقته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى صلى الله عليه وسلم
الصلاة ثم قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن
هشام وهو أبو جهل وقدمه لانه أشقاهم وأشدهم أذا له
به صلى الله عليه وسلم وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن الوليد والوليد
ابن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة بن الوليد
قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب
قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع أصحاب
القليب لعنة وظاهر السياق انه صلى الله عليه وسلم قال ذلك
عقب هذا الدعا فيكون من تمامه وفيه علم من أعلام نبوته
ويحتمل على بعد انه انما قال ذلك عند القائهم في القليب وقول عبد الله
ابن مسعود رأيتهم صرعى بالقليب مراده اكثرهم فان عمارة انما

مات بأرض الحبشة لكن على أشر قتله فانه تعرض لزوجة النجاشي
فأمر ساحرا فنفخ في احليله من سحره عقوبة له فتوحش وصار
مع البهائم الى ان مات في خلافة عمر وأيضا عقبة بن أبي معيط
انما قتل صبرا بالصفرا بعد بدر والقي ثمة وأمية بن خلف
قتل ببدر ولم يطرح بالقليب ○

وأعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كأنها الورقا •

وأعدت عطف على همز أي هيأت أم جميل بنت حرب بن أمية
حمالة الحطب لقبت به لانها كانت تحمل الشوك وتطرحه في
طريق النبي صلى الله عليه وسلم رضا لزوجها لعنهما الله الفهر
أي الحجر الذي يملأ الكف لما انزل الله فيها وفي زوجها تبت
يدا ابي لهب السورة والحال انها قد جاءت اليه وهو في المسجد
وأبو بكر عنده بذلك الحجر لترميه به وهي في غاية السرعة
والعجلة كأنها الحمامة الورقا أي الشديدة الاسراع أي حال كونها
شبيهة بها في ذلك فهي حال متداخلة يوم ظرف لاعدت
جاءت في حال كونها غضبى من شدة ما سمعت من ذمها
في تلك السورة وفي نسخة غيظا فهو تمييز والغضب
نار كامنة في طي الفؤاد يؤججها طرف السبب المحرك
لها فان لم يقدر على انفاذ شيء من المغضوب عليه
سمي غيظا كذا قيل وفي القاموس الغيظ الغضب أو أشده
أو سورة أو أوله وحال كونها تقول أفي مثلي وأنا ابنة
سيد بني مخزوم متعلق بيقال من أحمد حال من الهجا

صلى الله عليه وسلم

يقال الهجا أي السب والذم ونسبة القول اليه اما حقيقة
وهو الظاهر لانهم لا يعتقدون الهاً غير الهتهم فمن ابتدائية
نغرهم فرقة يعتقدون الا الله وان أصنامهم تقربهم اليه
فان كانت من هولا فمن تعليلية اى يقول اترك الهه ذلك لاجله
وتولت وما رأته ومن أين ترا الشمس مقلة عميا
وتولت عطف على أعدت والحال انها ما رأته وكيف
تراه وهو للقلوب السليمة والعقول المستقيمة كالشمس وهي
اعنى تلك المراة في غاية من عمى البصيرة وفساد السريرة
ومن أين ترى الشمس مقلة اى عين عميا ولما راها ابو بكر
قال يا رسول الله انها امراة بذية فلو قمت قال انها
لم تراني فجاءت فلم تره فقالت يا ابا بكر ابن صاحبك
كيف يهجوني لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله
اني لشاعرة وذكرت هجوا قبيحا له وهو لا يقول الشعر
فقالت انت عندي مصدق وانصرفت فقلت يا رسول الله
لم ترك قال لم يزل ملك يسترني منها بجناحه وفي رواية
قد اخذ الله بصرها عني فكان صلى الله عليه وسلم يقول اما تعجبون
لما يصرف الله عني من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما
وانا محمد صلى الله عليه وسلم **تتمة** قرا صلى الله
عليه وسلم سورة والنجم حتى بلغ افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى فجبذ القى الشيطان في امنيته
اي تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وفي

منهم

نحو

فوائده ح

ط ٢

رواية

رواية القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق الى اخره فعند
سجوده اخر السورة سجد المشركون معه لتوهمهم انه
مدح الهتهم وفي رواية ما ذكر الهتنا بخير قبل اليوم فسجد
وسجدوا فنزلت هذه الاية وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته
الاية ففشى ذلك في الناس واظهره الشيطان حتى بلغ
المسلمين في الحبشة فاتوا سراعا لما تبين للمشركين خلاف
ذلك رجعوا الى اشد ما كانوا عليه والغرانيق جمع
غرنوق وهو طير الما شبهت بها الاصنام لاعتقادهم
انها تقربهم من الله تعالى بطيور الما لكونها تعلو فى السما
وترتفع **تنبيه** كثر كلام العلما فى هذه القصة فمنكر
لوقوعها ومبالغ في بطلانها وانه لا يجوز لاحد القول كعياض
والفخر الرازي وسبقهما لنحو ذلك البيهقي وايدوا ان البخاري
وغيره رووا انه صلى الله عليه وسلم قرا سورة والنجم وسجد معه المسلمون
والمشركون والانس والجن ولم يذكروا فيها قصة الغرانيق وبان
من جوز على نبي تعظيم وثن فقد كفر وبانها من وضع الزنادقة
والحق خلاف ذلك كله بل لها اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة
جدا ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر وابن مردويه والبزار
وابن اسحاق في السيرة وموسى بن عقبة وغيره لكن في المغازي
وابو معشر كما نبه على ذلك الحافظ ابن كثير وغيره لكن قال
ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح انتهى

فمنكر

وردّ عليه وعلى عياض وغيره الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر
بانّ طرقها كثيرة ثلاث منها رجالها رجال الصحيح وباقيها
امّا ضعيف أو منقطع وبعضها تفرّد بوصله امية
ابن خالد وهو ثقة مشهور فزعم ابن العربي وعياض بأنّ
رواياتها كلها لا أصل لها ليس في محله اذ لا يتمشى على القواعد
فانّ الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دلّ ذلك على
أنّ لها أصلا وقال وقد ذكرنا انّ ثلاثة من اسانيدها
على شرط الصحيح وهي مراسيل تحتج بمثلها من يحتج بالمرسل
وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وحينئذ يتعيّن
تاويل ما وقع فيها مما يستنكر كقوله القى الشيطان على لسانه
تلك الغرانيق الى اخره فلا يجوز حمله على ظاهره لانه صلى الله
عليه وسلم يستحيل عليه أن يزيد في القران عمدا او سهوا واختلف
في تاويله فاخرج الطبراني عن قتادة بانه اصابته سنة
تجري على لسانه ولم يشعر به فلما علم اظهر بطلانه واحكم ربه
اياته واعترض بانه لا ولاية للشيطان عليه في النوم ويجاب
بانّ هذا لا يثبت للشيطان ولاية عليه وانما غاية الامر
انّ الشيطان لما رأى اصابته تلك السنة حكى قرائته بصوت
يشبه صوته ثم بيّن الله للناس على لسان رسوله بطلان
ما وقع من الشيطان حتى لا يغتر به احد ثم رأيت من
أجاب بما يؤيد ما ذكرته وهو انه صلى الله عليه وسلم
كان يرتل قرائته فارتصد الشيطان سكتة ونطق بتلك

الكلمات

الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنا
اليه منهم فظنها من قوله فاشاعها واستحسن هذا الكلام ۞
والجواب غير واحد من المحققين كعياض وابن العربي وأيدوه
بما جاء عن ابن عباس من تفسير تمنّى بتلا فمعنى في أمنيته اي في
تلاوته وفي ذلك اخبار منه تعالى بانّ رسله اذا قالوا قولا
زاد الشيطان فيه من قبل نفسه محاكيا له ثم بيّن الله تعالى
بطلانه فعلم انّ هذا نصّ في انّ الشيطان زاد في قول
نبينا صلى الله عليه وسلم لا انّ نبينا صلى الله عليه وسلم قاله
وقد سبق الى هذا المعنى الامام المجتهد ابن جرير الطبري
مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في العلوم
فصوّبه وارتضاه واما الجواب بانّ الشيطان ألجاه
الى التلفظ بذلك من غير اختيار فمردود بانّ الشيطان
لو قدر على ذلك لم يكن أحد يقدر على طاعة الله أو بانه
غلط بحفظه ما كان يسمعه منهم من مدح آلهتهم فجرى
على لسانه سهوا فهو افسد مما قبله أو بانه قاله توبيخا
للكفار فهو بعيد وان ارتضاه عياض كالباقلاني
فقال هذا جائز مع قرينة تدل على المراد لا سيما والكلام
في الصلاة اذ ذاك جائز او بانه لما وصل الى قوله الثالثة
الاخرى خشوا ان ياتي بذم آلهتهم فبادروا بذلك
الكلام وخلطوه بتلاوته صلى الله عليه وسلم على عادتهم
في قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ونسب

للشيطان لانه الحامل لهم عليه ففيه نوع تعسف اوبان المراد
بالغرانيق الملائكة وكان منهم من يعبدهم زاعمين انهم بنات الله
فيشق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الانثى فلما
سمعوه حملوه على الجميع وقالوا قد عظم الهتنا فنسخ الله تلك الكلمة
واحكم اياته فهو ابعد مما قبله انتهى ۞

ثم سمت له اليهودية الشاة وكم سام الشقوة لاشقياء

ثم بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من هذه الكرامات وقع
له كرامة اخرى في غزوة خيبر سنة سبع من الهجرة وهي
انه صلى الله عليه وسلم سمت له زينب بنت الحارث
امراة سلام بن مشكم اليهودية الشاة اي جعلت فيها
سما قاتلا لوقته لانها شاورت يهود في سموم فاجمعوا
لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة جميعها لكنها
اكثرت منه في الذراع والكتف لما قيل لها انه صلى الله
عليه وسلم يحب الذراع وكم مرات كثيرة سام من
السوم الذى هو مقدمة الشرا والذى هو الرعي وبين سام
وسمت شبه الاشتقاق الشقوة اى ثابر عليها وحملها
الاشقياء الذين صاروا كالانعام بل هم اضل سبيلا
ومنهم تلك المراة وبينهما تجنيس الاشتقاق وقول الشارح
ان سام وسمت من هذا تساهل وفي البخاري انه صلى الله
عليه وسلم لما علم ان فيها سما قال اجمعوا لي من هنا من اليهود
فجمعوا له فسالهم عن اشيا منها من ابوكم قالوا فلان

تجنيس

فقال كذبتم

قال كذبتم ابوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم سالهم من
اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها قال
اخسئوا فيها والله لا نخلفكم ابدا ثم قال لهم هل جعلتم
في هذه الشاة سما قالوا نعم قال ما حملكم عليه قالوا ان
كنت كاذبا استرحنا منك او نبيا لم يضرك وروى
ابو داود انها سمت شاة مصلية ثم اهدتها اليه صلى
الله عليه وسلم فاكل منها واكل رهط من اصحابه فقال
صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فارسل الى اليهودية فقال
سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك قال اخبرني هذا
الذراع ومن ثم فاذاع الذراع ما فيه من سر بنطق
فاذاع اى اظهر له صلى الله عليه وسلم الذراع ما فيه من سر
اي سم بنطق معجزة له صلى الله عليه وسلم كما يصرح بذلك
اعني انه اخبره بالنطق قوله صلى الله عليه وسلم اخبرني هذه
الذراع اخفاؤه عن الحاضرين ابداء له صلى الله عليه وسلم
اى هو ان خفي عليهم ظهر له صلى الله عليه وسلم وفيه طباق وقال
قالت لها ذلك صدقته ثم قالت قلت ان كان نبيا فلن يضره
ذاك وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفى عنها صلى الله عليه
وسلم ولم يعاقبها وتوفي اصحابه الذين اكلوا من الشاة فاحتجم
صلى الله عليه وسلم على كاهله من اجل الذي اكل منها وفي رواية
غير ابي داود انها جعلت تسال اي الشاة احب اليه فقيل
لها الذراع فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت

اخفاؤه ابدا

صلى الله عليه وسلم ما حملكم على ذلك

الى سم موح اي يقتل الوقت فسمتها به واكثرت منه في الذراع والكتف
ثم وضعتها ما بين يديه ومن حضره من اصحابه وفيهم بشر
ابن البرآ فتناول النبي صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منها
وتناول بشر عظما اخر فازدرد لقمتيهما واكل القوم فقال
صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع اخبرتني انها مسمومة
وفيه ان بشر مات وانه صلى الله عليه وسلم دفعها الى اوليايه فقتلوها
رواه الحافظ الدمياطي وروايته انه قتلها تعارضها رواية البيهقي
عن ابي هريرة وجابر انه لم يعاقبها ومن ثم قال

وتخلق من النبي كريم لم يقاصص بجرحها العجما

وتخلق من النبي كريم بالاكرم منه قال له وانك لعلى
خلق عظيم اى بسبب ما تحلى به من كمال الحلم والعفو والصفح
لم يقاصص بجرحها بواطنهم ذلك السم اذ هو بجرح الباطن
كما يجرح الظاهر **العجما** اي المراة ويقال ايضا للبهيمة وقال
الزهري اسلمت فتركها وفي مغازي سليمان التيمي نحوه والها
قالت استبان لي الان انك صادق واني اشهدك ومن
حضرني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وجمع البيهقي بانه يحتمل انه تركها اولا فلما مات بشر قتلها
به وبذلك اجاب السهيلي وزاد انه تركها لانه كان لا
ينتقم لنفسه ثم قتلها ببشر قصاصا ويحتمل انه تركها
لاسلامها فلما مات بشر تحقق بموته وجوب القصاص عليها
فقتلت وقولكم انه قتلها قصاصا فيه نظر اذ لم نر احدا روى

عن الصحابة انه قتلها قصاصا وانما الوارد انه قتلها وهو محتمل لكونه
قتلها بنقضها العهد بما فعلته ويدل عليه ما جاء في رواية
انه اصلبها اذ لو قتلت قصاصا لم تصلب بل لو فرض انه لم يصلبها
لم يكن قتلها بالسيف دليلا للقصاص لان المماثلة فيه معتبرة
فقياسها ان يقتلها بمسموم كما ان اليهودي الذي رض راس
الجارية بحجر امر به صلى الله عليه وسلم فرض راسه بمثل ذلك الحجر
ايثارا للمماثلة المقصودة من مشروعية القصاص لا يقال
الصلب لا يدل على ابقا القصاص لان للامام ان يصلب من يريد
قتله اذا راى ذلك زجرا او تنكيلا ولانا نقول ليس للامام
الصلب في قتل القصاص كما صرح به كلام ايمتنا لما تقرر
ان المراد فيه على المماثلة ما امكن فلا يجوز للامام الزيادة عليها
ولا النقص عنها ولم نر احدا من ايمتنا ولا من غيرهم جوز
الصلب في غير قاطع الطريق فمن اتاه فعليه البيان بغير
هذا الحل والنزاع الذي نحن فيه **فان قلت** هو يرد على
هذا الحصر لان هذه غير قاطعة طريق وصلبت **قلت** الذمي
اذا انتقض العهد ملحق بقاطع الطريق في احكام فلا يبعد ان هذا
منها على ان ذلك صار كحربي واحكام الحربيين لا يقاس بها احكام
المعصومين **فان قلت** قولكم ايثارا للمماثلة الى اخره انما
يتاتى على القول بتعقيبها في القود اما المخير بينها وبين
السيف فيما ليس بمحرم او المخير بينها وبين السيف في القتل
بمسموم فلا يتاتى عليه ذلك البحث **قلت** يتاتى على التخيير ايضا

لان القتل بالسيف لا تعين القود ايضا لاحتمال انه يحتمل ويحتمل
انه لنقض العهد والمدعى انما هو ان قتلها بالسيف لا يدل
على خصوص كونه قودا وتاخير قتلها الى موت بشر لا يدل على
القود ايضا لاحتمال انه ليتحقق عظيم جنايتها وبهذا كله
تعلم ان ما في هذه القصة من قتلها بتقدير صحته لا يرد
على قول ايمتنا من اضاف انسانا فقدم له طعاما مسموما
فاكل منه فمات لا قود عليه لانه تناوله باختياره والمضيف
لم يلجيه الى الكله لانه لم يثبت انه قتلها بقيد كونه قودا وبهذا
الذى قررته تعلم تحقيق الناظم حيث نفى القصاص مع اطلاعه
على الروايات المتخالفة فى ذلك **فان قلت** لا نسلم ان
نفيه لذلك بل لان ثبوته بقيد كونه قصاصا لم يصح والاصل
عدمه **قلت** هذا يحصل منه مدعانا ايضا لان ثبوته اذا
لم يصح من اصله وبذلك القيد فلا دلالة فيه للخصم بوجه
وخلق من النبي الكريم **من فضلا على هوازن اذ كان له قبل ذاك**
من هو معطوف بحذف حرف العطف على لم يقاصص خلافا لما
يوهمه كلام الشارح انه استيناف اي انعم نعمة عظيمة **فضلا**
مفعول مطلق كفرحت جذلا او مفعول لاجله وهو الاولى لان
المراد بالمن هنا ما ذكره الله تعالى بقوله عز قايلا فاما منا بعد
واما فداء ثم تخليته سبيلهم بعد ان ملكهم المسلمون
اي دفع الرق عنهم لاجل فضله اى احسانه العام عليهم وعلى غيرهم
بلا عوض وعلى هذا فمعنى هذه العلة والعلة التى تليها المستفادة

مودة

من اذان منه معلل بشيئين عموم احسانه عليهم وعلى غيرهم وخصوص
كونه تربى فيهم وعليه فحرف العطف مقدر الثبوت ويصح ان يكون
الثانية علة للاولى والجاهة قصر فضلا عليهم غير مؤثر لانه لم يرد
مطلق الفضل بل فضلا يتعلق بهم سواء علق على هوازن بمن
او فضلا اكتفاء بقرينة السياق **على هوازن** قبيلة حليمة
السعدية رضى الله عنها وهم اهل حنين المذكور في القران وهو
واد قريب من ذي المجاز السوق المشهور من اسواق الجاهلية
بناحية عرفة بين ذلك الوادي وبين مكة نحو ثلاث ليال غزاهم
صلى الله عليه وسلم عقب فتح مكة لما اتفقت اشراف هوازن
وثقيف على حربه صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم سادس شوال
سنة ثمان فى اثنى عشر الفا عشرة جاءهم والفان من
طلقاء مكة فلما هزمهم صلى الله عليه وسلم قصد الطايف
وامر ان يجعل سبي هوازن وغنايمهم بالجعرانة حتى ياتي
اليهم وكان السبي وهو النساء والذراري ستة الاف
راس والابل اربعة وعشرون الفا والغنم فوق اربعين
الفا واربعة الاف اوقية فضة ولما رجع صلى الله عليه
وسلم من الطايف انتظر هوازن بضعة عشر يوما ليقدموا
عليه مسلمين ثم اخذ في قسمة الغنايم فجاؤا مسلمين فقالوا
يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم
يخف عليك وقام رجل من فخذ حليمة فقال يا رسول الله
انما فى الحظاير عماتك وخالاتك امهاتك من الرضاع لانهن قريبات حليمة

أو حاضنا تك اللاتي كنّ يكفلنك ولو انا ارضعنا الحارث
ابن ابي شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل بنا بمثل الذي نزلت
فيه رجونا عطفه وانت خير المكفولين فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم أحب اليكم
ام اموالكم فقالوا أبناءنا ونساءنا فقال اما ما كان لي
ولبني عبد المطلب فهو لكم واذا صليت فقوموا وقولوا
انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين
وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابنائنا ونسائنا
فسأعطيكم عند ذلك واسأل لكم ففعلوا ذلك فقال صلى
الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون
وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت الانصار
مثل ذلك وامتنع بنو تميم وبنو فزارة وعباس بن مرداس
من بني سليم فوعدهم صلى الله عليه وسلم من اول سبي يصيبه
بما طابت به نفوسهم فردوا من بقي عندهم ومن صلى الله عليه
وسلم **اذ** اي لاجل انه صلى الله عليه وسلم **كان له قبل ذاك** اي
وهو طفل **فيهم ربا** بفتح الراء والداء تربية من ربوت
في بني فلان وربيت فيهم اذا انشأت بينهم أو طولب باعتبار
ما وصل اليهم من لبن حليمة وتربيتها **تنبيه** جعل
الناظم اذ تعليلية خلاف ما عليه الجمهور قالوا ولا دليل في
ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم الاية لان التقدير بعد اذ ظلمتم
وعلى الاول هل هي حينئذ حرف بمنزلة لام العلة او ظرف

بمعنى

ونساؤكم

بمعنى وقت والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ
قولان المنسوب الى سيبويه الاول وعلى الثاني في الاية اشكال
ليس هذا محل بسطها وترد اسما للزمن الماضي وهو الغالب
ثم الجمهور ولا يكون الا ظرفا او مضافا اليها الظرف نحو
يومئذ تحدث اخبارها وقال الاقلون يكون مفعولا بها
نحو واذكروا اذ كنتم قليلا وكذا المذكورة اوايل القصص
كلها بتقدير اذكروا وبدلا منه بدل اشتمال او كل من كل ورده
الجمهور بان المفعول او المضاف اليه محذوف وزعم
الزمخشري انها تكون في محل المبتدا مما تفرد به وجوز
كثيرون ورودها للمستقبل نحو سوف يعلمون اذ الاغلال
في اعناقهم اذ الاستقبال في يعلمون لفظا ومعنى واجيب
بانه من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة الواقع
وأتى السبي فيه اخت رضاع وضع الكف قدرها والسباء
واتى ذلك **السبي** واصله الاسر والمراد هنا للشيء الماسور
الى الجعرانة بأمره صلى الله عليه وسلم كما مر ليقسمه فيها على المسلمين
وكان ذلك السبي **فيه اخت** النبي صلى الله عليه وسلم من
رضاع واسمها الشيماء كما مر ولما شقوا عليها عند سبيها
قالت والله اني اخت صاحبكم فاتوا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اختك قال وما علامة
ذلك قال عضة منك في ظهري نعرفها لكن **وضع** اي خفض
الكف القائم بها **قدرها و**كذلك وقع قدرها **السباء**

أي الأسر القايم بهافا ضمحل في جنب ذلك الهاذين ما فيهما
من أخوته صلى الله عليه وسلم كما اضمحل في جنب الكفر ما
في نحو ابي طالب من العمومة والتربية ومنع الأعدا بكل طريق
أمكنه ثم من الله عليهما بالاسلام وبمعرفته صلى الله عليه وسلم ○

فحباها برا توهمت الناس به أنما السبا هدا.

فحباها اى اعطاها ما لم يكن في حسابها وجاد على قومها
لأجلها **برًّا** اي لأجل بره لها أو رحم الرضاع كرحم النسب
ويجوز ان يكون هذا المفعول الثاني ويؤيده انه ابدل
منه قوله بسط الي أخره كما يأتي ولما بسط لها ردآ وأجلسها
عليه ثم خيرها وقال ان أحببت فعندي محببة مكرمة وإن
أحببت أن امتعك وترجعي الي قومك فعلت فاختارت
قومها فمتعها وزاد في الاحسان اليها كما هو شانه وردها
الى قومها وأعطاها غلاما له يقال له مكحول وجارية فزوجته
لها فلم يزل فيهم من نسلهما نفسه **توهمت الناس** الذين رأوا
ذلك البر اى وقع في وهمهم أي ذهنهم واشار ذلك اليهم
باعتبار ما من شانه **به** أي بسبب ذلك البر الذي وصل
اليهم منه **أنما** بفتح الهمزة أداة حصر كمكسورها **السبآء**
اللواتي معها وبينه وبين الباس الجناس المقلوب **هدآء**
بالكسر مصدر هديت المرأة إلى زوجها اى مهديات كرجل عدل
والجملة في محل مفعول توهمت الثاني اي توهموا ان النسوة
اللاتي معها في السبي لم يسبين لعظيم ما قابلهن من الاكرام

وانما

[illegible]

وانما حين لا هدا عروس وجلا بها عليه صلى الله عليه وسلم لا لكونهن
مسبيات لان ذلك الاكرام انما يفعل مثله لنسآ يهدين عروسا
لا لنسآ مسبيات **تنبيه** استعمال الناظم الا انما
هذه في الحصر تبع فيه الزمخشري والبيضاوي وغيرهما
وجعل الاول منه قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد
فقالا انما لقصر الحكم على شي او لقصر الشي على حكم نحو انما زيد
قايم وانما يقوم زيد وقد اجتمعا في هذه الآية فقل انما يوحى الي
مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة انما زيد قايم
وفايدة اجتماعهما الدلالة على ان الوحي اليه صلى الله وسلم عليه
مقصور على استيثار الله بالوحدانية مردود بانه حصر مجازي
باعتبار المقام ومن جملة ذلك البر انه ○

بسط المصطفى لها من ردا أي فضل حواه ذاك الردا.

بسط فهو بدل من برا كما مر ويصح كونه بدلا من حبى **المصطفى**
صلى الله عليه وسلم **لها من** الظاهر انها زايدة على مذهب الأخفش
وجماعة **ردآء** كان عليه اى نشره وجعله لها فراشا تجلس عليه
والاول اقرب وعلى كل حال فمنيئا لها ذلك الاكرام كيف وهو ردآء
أي فضل اى شرف عظيم لاغاية له **حواه** اى جمعه **ذاك الردآء**
لمماسة جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وما افهمه هذا
التقرير من ان أي فضل الى أخره جملة نعت لردآ ومن زايدة
أو تبعيضية هو المتبادر كما لا يخفى ويصح ان اى مفعول
لبسط وان فضل بمعنى فضله فمن تبعيضية وانه على حاله

وصح جعل من للتبعيض فتكون
صلى الله عليه وسلم بسط لها
بعض التي تلبس عليه

فمن تعليلية داخلة على مضاف أي نشر لها من أجل فرشه رداءه لها
فضلا عظيما حواه ذلك الردا اي تمييزا ظاهرا على نسا هوازن
وفي الردا ردّ العجز على الصدر ٥

فغدت فيه وهي سيدة النسوة والسيدات فيه إماء

فغدت اي صارت مدرجة فيه أي ذلك الفضل والحال
انها هي سيدة اولئك النسوة اللواتي معها من سبي هوازن
لما حصل لها من التمييز الباهر عليهن وان اولئك النسوة
اللواتي هن السيدات قبل اسرهن فيه اي ذلك الفضل اماء
اي صارت كانها سيدتهن وكانهن مع كونهن سيدات إماء لها
وبين السيدات والاما طباق وهذه موكدة للجملة الاولى التي
هي حال من فاعل غدت كما علم مما قررته ولما ذكر ما اختص به
صلى الله عليه وسلم من الرفعة والرقي لما لم يصل اليه مخلوق
وما يتعلق بذلك من صفات تنقطع اعناق الاطماع عن ان
تميل اليها وخصال لم تعول امال الكل الا عليها طلب من كل سامع
غاية مشاهدة رؤيته أن ينزه سمعه بالاصغا الى صفات
ذاته ومعانيه فقال

فتنزه في ذاته ومعانيه استماعا ان عز منها اجتلاء

فتنزه قال الشارح هو من قولهم خرجنا نتنزه في
الرياض انتهى وكانه جرى في ذلك على العرف اذ التنزه كما في
القاموس التباعد ثم قال وارض نزهة بعيدة عن الريف
اي الخصب والزرع وعفن المياه وذباب القرى ومدّ البحار

وفساد

٢٥

وفساد الهوى ثم قال واستعمال التنزه في الخروج الى البساتين
والخضرة والرياض غلط قبيح في أوصاف ذاته من الكلام
عليها في تلك ذات العلوم ومعانيه اى صفاته الخارجة عن
أوصاف ذاته استماعا اي من جهة إصغائك الى استماع
اوصاف ذاته وجميل صفاته الاتية في هذا النظم الجامع البديع
وبين ذاته ومعانيه جناس المقابلة كالاستماع والاجتلا
الاتي ان عز اى فقد منها متعلق بقوله اجتلا من
جلوت العروس جلا وجلوة واجتليتها اذا نظرت اليها
مجلية اي مكشوفة مزينة اى ان فاتك رؤية ذاته الكريمة
ومشاهدة صفاته العلية فلا يفتنك تقريع سمعك
لكل ما يتلى عليك من أوصاف ذاته وعلو صفاته وبه يظهر
ان من زايدة في الايجاب وهو ما اجازه جماعة وخرجوا
عليه قوله تعالى ولقد جاءك من نبإ المرسلين يحلون فيها
من اساور من جبال فيها من برد يغضوا من ابصارهم
وفيه نظر لامكان نحو التبعيض فلا زيادة فتامله

واملا السمع من محاسن يمليها عليك الانشاد والانشا

و لا تقتصر على سماعك القليل من ذلك على املا السمع بان تكثر
من سماع ذلك حتى لو فرض انما يسمعه شيء محسوس وان سمعك
انا واسع لملاذ ذلك المسموع من محاسن اشتمل عليها صلى الله
عليه وسلم لا يلحق احد اثارها ولا يسبق كامل غبارها
وهو جمع على غير قياس من ان مفرده حسن لا محسن الا

من ذهب حم

تقديرًا يمليها من أمليته الكتاب وتجوز أملته عليك من
هذه القصيدة وغيرها الانشاد لها من حسن الصوت بأتم
الاعراب فقد قالوا من أقوى الاسباب الباعثة على
محبته صلى الله عليه وسلم سماع الأصوات المطربة بالانشادات
في الصفات النبوية اذا صادفت محلًا قابلًا فانها تحدث للسامع
سكرًا وادخية وطربًا وذلك تحدث عندها شيئين أحدهما
انها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر فيها العقل الثاني
انها تحرك النفس الى جهة محبوبها فيحصل بتلك الحركة
والشوق تخيل المحبوب واحضاره في الذهن وقرب صورته
من الذهن واستيلايها على الفكر وفي هذا من اللذة ما يغمر
العقل باجتماع لذة الالحان وكثرة الاشجان فيحصل
للروح ما هو اعجب من سكر الشراب واقوى في اللذة من
عناق الشواب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله
تعالى يقول لداود عليه السلام في الجنة مجدني بذلك الصوت
الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول وكيف وقد اذهبته
فيقول انا اردده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده
فاذا سمع اهل الجنة استغرق نعيم أهل الجنة واعظم
من ذلك اذا سمعوا الكلام الرب جل جلاله وخطابه لهم
لا سيما اذا انضم الى ذلك رؤية وجهه الكريم فان لذة ذلك
تغني عن الجنة ونعيمها وهو شي لا تدركه العبارة ولا
تحيط به الاشارة والانشا واسناد الاملا اليها مجاز ومما

تحملك

صلى الله عليه وسلم

يحملك على استفراغ وسعك في ذلك التنزه واملا السمع من
تلك المحاسن انه تجب عليك ان تعتقد ان محاسن ذاته
وكمال صفاته لا يمكنك أن تحيط بها كيف وكل وصف
له ابتدات به استوعب اخبار الفضل منه ابتدا
وكل وصف له من صفاته الذاتية والمعنوية ابتدات
أنت وأنا به في الذكر أو ابتدات بذكره لتحيط بغايته
استوعب اخبار الفضل مفعول مقدم أي جميع أخبار
الفضايل والكمال منه متعلق بقوله ابتدا أي كلما ابتدات
بوصف له صلى الله عليه وسلم وتاملت ما اشتمل عليه صريحًا
وانما جميع ذلك الوصف المبتدا جميع الفضايل وغايات
الكمال ولا يستبعد ذلك فان كل وصف من أوصافه
صلى الله عليه وسلم تجر بقية تلك الأوصاف اذ لا يتحقق كمال
وصف من صفات الانسان كالحلم مثلًا الا ان كمل وصف
في بقية أوصافه كالعلم والكرم والشجاعة والخلق الحسن
وغيرها حينيذ وكل من صفاته صلى الله عليه وسلم يدل على ما
وضع له مطابقة وعلى ما عداه تضمنًا أيما أو استلزامًا كما لا
يخفى على من سبر ذلك وتامله ولهذا التحقيق الذي تنبه
له الناظر يعلم انه سقى الله عهده ثاقب النظر كامل المعرفة
متضلع من العلوم والمعارف وليس ذلك بكثير على من حل
عليه نظر القطب الكبير والعلم الشهير سيدي ابي العباس المرسي
وارث أبي الحسن الشاذلي قدس الله سرهما ونور ضريحهما

وبما قررته من شرح هذا البيت تعلم انه من غرر ابيات
القصيدة وانه لا تعتقد فيه خلافا للشارح وانه يجب عليك
ايضا ان تعتقد انه من تمام الايمان به صلى الله عليه وسلم فان الله
تعالى اوجد خلقه بيده الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده
في ادمي مثله وسر ذلك ان محاسن الذوات دليل على ما بطن فيها
من بدايع الاخلاق وجلايل الصفات ونبينا محمد صلى الله عليه
وسلم قد بلغ الغاية التي لم يصل اليها غيره في كل من ذينك ومن
ثم قال الناظر في بردة المديح **فهو الذي تم معناه وصورته**
البيتين فبين ان حقيقة الحسن الكامل تمت فيه وحده
ولم تنقسم بينه وبين غيره لانه الذي تم معناه دون غيره ولو
شورك لم يتم معناه **وما احسن** قول بعضهم لم يظهر لنا
تمام حسنه والا لما اطاقت اعيننا النظر اليه وبين ابتدات
وابتدا جناس الاشتقاق **تنبيه** شرح الناظر بيان تمام
معناه بما مر وياتي ولم يشرح تمام حسن ذاته كذلك وانما
اشار لذلك بقوله برؤية وجدا الى اخره ضحكه التبسم وتقبيل
راحته الى اخره فتعين علينا ان نشير الى شي من ذلك فنقول
اما وجهه الشريف فصح عن البرا كان احسن الناس وجها
واحسنهم خلقا **وعن** ابي هريرة ما رايت شيا احسن منه كان
الشمس تجري في وجهه وعن البرا انه قيل له اكان وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم كالسيف قال لا بل كالقمر اي لم يكن كالسيف
في الطول واللمعان بل كالقمر في التدوير وفوق لمعان السيف

وصح عن جابر بن سمرة لم يكن كالسيف بل كالشمس والقمر
وكان مستديرا فنبه بهذا انه جمع بين الحسن والاشراق
والملاحة والاستدارة **وجا** عن علي رضي الله عنه لم يكن
بالمكلثم اي شديد استدارة الوجه بل فيه تدوير قليل وهو
احلا عند العرب وهو معنى قول ابي هريرة كان اسيل الخدين
اي فيهما طول وسلامة من ارتفاع الوجنة وتشبيه غير
واحد له وجهه كشقة القمر اي عند النقابة وقيل احترازا عما
في القمر من السواد وبرده تشبيه ابي بكر وغيره له بدارة
القمر **وفي** النهاية انه كان اذا سر صار وجهه كالمراة فيرى
خيال الجدر فيه وفي رواية يتلالا وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر
وانما كان الاكثر يشبهه بالقمر دون الشمس لان من شاهده بنظره
كمال النظر ويانس البدر به ولا يتاذى منه لان الشمس في الكل
ولذا كان من اسمايه صلى الله عليه وسلم البدر **ومن ثم**
قال الخارجون لملاقاته عند مرجعه من تبوك

طلع البدر علينا ۞ من ثنيات الوداع

ثم هذه التشبيهات جرت على عوايد العرب والا فلا يحدث
تعاد اصفاته الخلقية كالخلقية **واما بصره**
فيكفيك فيه ما زاغ البصر وما طغى وصح انه كان في الصلاة
يرى من خلفه كما يرى من امامه اي رؤية ادراك هي بالبصر
اذ الرؤية الواقعة على جهة الكرامة لا يتوقف عليه ولا على شعاع
ولا على مقابلة عند اهل السنة وما قيل كان له عينان بين

يعتقد

صلى الله عليه وسلم

ليسه خصى

صلى الله عليه وسلم

مقابلة

وصح عن جابر

٨٧

صلى الله عليه وسلم

وصح عن ابن عباس كان يرى بالليل كما يرى بالنهار في الضوء

مقابلة

كتفيه كسم الخياط يرى بهما ولا تحجبهما الثياب لم يثبت ما يدل
عليه والاصل عدمه كزعم ان صورهم كانت تنطبع في قلبه
صلى الله عليه وسلم أو انها رؤية قلب أو ان المراد بها العلم
بوحي أو الهام **وحديث** اني لا اعلم ما وراء جداري لم
يعرف له سند وانما ذكره ابن الجوزي في بعض كتبه بلا اسناد
وبفرض وروده فهذا غير ما نحن فيه لان المنفي علم الغيب
بما وراء الجدار حيث لم يعلم به بوحي أو الهام ومن ثم لما
ضلت ناقته **وقال** بعض المنافقين هو يزعم علم الغيب
والله اني لا اعلم الغيب الا ما علمني ربي وقد دلني ربي عليها وهي
في موضع كذا احتبستها شجرة بخطامها فذهبوا فوجدوها
كما اخبر صلى الله عليه وسلم وبفرض التعارض فيما مر في حالة
الصلاة وهذا خارجها **وجا** انه كان اذا التفت التفت
جميعا اي لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة كالطايش
الخفيف وان جل نظره النظر بلحاظه وهو جانب العين الذي
يلي الصدغ **وانه** عظيم العينين اهدب الاشفار مشرب
العينين بحمرة **وروى** مسلم اشكل العينين والشكلة
الحمرة في بياض العين وهي محمودة والشهلة حمرة في سوادها
وفي رواية ادعج العينين اي شديد سوادهما اهدب
الاشفار اي طويلهما **واما** سمعه فحسبك خبر الترمذي
اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون أطت السما
وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك

واضع

88

واضع جبهته ساجدا لله تعالى **وفي** رواية لابي نعيم او قائم
صلى الله عليه وسلم
واما شعره فصح انه كان بين كل شعرتين لا رجل بفتح
وكسر وهو ما ينكسر قليلا ولا سبط ولا جعد قطط كان
بين اذنيه وعاتقيه وانه رجل ليس بالسبط والجعد ولا
تخالف لان فيه رجولة قليلة فالاولى ينفي كثيرها وانه
الى شحمة اذنيه فانه الى أسفلها وانه الى المنكبين ولا
تخالف ايضا لانه ربما ترك تقصيره فيطول وربما تداركه
فيقصر وكان اذا انفرق انفرق بنفسه والا تركه معقوصا
ولعل هذا كان اولا والا فالذي صح انه يسدله اي يرسله
ثم فرق ثم رأيت ان العلما قالوا الفرق سنة لانه الذي رجع
اليه صلى الله عليه وسلم وكان في عنفقته وصدغيه شعرات بيض
دون العشرين وانما لم يكثر فيه مع انه نور لرواية ما شانه
الله بالشيب اي لان النسا يكرهنه غالبا ومن كره منه شيا
كفر واختلفت الروايات في تغييره صلى الله عليه وسلم للشيب
بنحو الحنا ولا تخالف لانه فعله كثيرا وترك اكثر ومن ثم
كان سنة عندنا **وصح** انه كان كثير شعر اللحية وجا انه
كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وكان اشعر الذراعين
والمنكبين واعالي الصدر ولم يرد انه حلق رأسه في غير
حج او عمرة وفي رواية انه كان ياخذ من عرض لحيته وطولها
غريبة بخلاف رواية أعفوا اللحا ومن ثم اخذها ائمتنا
وورد انه كان ينظر في المراة اذا سرح لحيته وانه كانت
صلى الله عليه وسلم

له مكحلة يكتحل منها بالاثمد في كل عين ثلاثة قبل النوم

واما جبينه وحاجباه وانفه وراسه فقد جاء انه واضح الجبين مقرون الحاجبين اي شعرهما في رواية سابغين كما في اخرى دقيقتين كما في اخرى فهما مع كثرة شعرهما تسوغ الى اخر العين ودقة في طرفيهما ولكثرة شعرهما يريان من بعيد كانهما متصلان وليسا في الحقيقة كذلك وصح انه ضخم الكراديس اي رؤس العظام وجاء انه اقنى الانف اي طويله اي طويلة مع دقة ارنبته وحدب في وسطه وعبر بعضهم بانه سايل مرتفع وسطه وانه دقيق العرنين اي اعلى الانف وان من لم يتامله تحسبه اشم اي طويل قصبة الانف واما فمه فقد صح انه واسعه يفتتح الكلام ويختمه باشداقه اي لسعة فمه والعرب تمدحه وتذم ضده وانه اشنب اي لاسنانه غاية البريق واللمعان وانه اذا تكلم رئي كالنور يخرج من ثناياه وانه مفلج الاسنان اي متفرقها وفي رواية مفلج الثنيتين اي اكثر من البقية واما ريقه فقد صح انه يوم تفل في عين علي كرم الله وجهه ورضي عنه وكان به رمد فبرئ منه لوقته واعطاه الراية ففتح الله على يديه وجاء انه مج في بئر ففاح منها رائحة المسك وانه بزق في اخرى فلم يكن بالمدينة اطيب ماء منها وانه كان في يوم عاشورا يبصق في فم رضعايه وصبغا

فيها ح

فاطمة

٨٩

فاطمة ويمنعهن من رضاعهم فيجزيهم ريقه الى الليل وانه مضغ قطعة لحم واعطاها لخمس نسوة فمضغنها فمتن فلم يوجد لافواههن ريح خلوف واما فصاحة لسانه وجوامع كلمه وبديع ثنايه وحكمه فامره اظهر من ان يذكر واشهر من ان ينشر كيف وقد ارتقى في كل ذلك الغاية التي لم يدركها مخلوق حتى قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقران واما صوته فروى ابن عساكر خبر ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الصوت والبيهقي خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في خدورهن وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم قال للناس يوم الجمعة على المنبر اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة وهو في بني تميم فجلس مكانه وابن سعد انه خطب بمنى ففتح الله اسماعهم فسمعوه وهم بمنازلهم واما ضحكه فهو انه سيد ضحكه التبسم والمشي الهوينا ونومه الاغفا سيد للعالمين والاخرين مما مر مبسوطا اول الكتاب ضحكه الذي يظهر به سروره التبسم كما رواه البخاري عن عايشة ما رأوه مستجمعا قط ضاحكا اي مقبلا على الضحك بكليته انما كان يتبسم ولا ينافيه خبر البخاري ايضا في المواقع اهله في رمضان فضحك حتى بدت نواجذه وهو بالجيم والذال المعجمة الاضراس وهي لا تكاد تظهر الا عند

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

الوجه حسن ح

صلى الله عليه وسلم

اي

رضي الله عنها

المبالغة في الضحك لان عايشة نفت رؤيتهما وذلك لا ينافي
وقوع غير التبسم منه نعم الذي دل عليه مجموع الاحاديث
ان اكثر اوقاته هو التبسم وربما ضحك والمكروه انما
هو الاكثار والافراط من الضحك سيما كان معه قهقهة
املا ومن ثم روى البخاري في ادبه وابن ماجه
النهي عن كثرته وانه يميت القلب والفرق ان التبسم مبادي
الضحك من غير صوت والضحك انبساط الوجه حتى تظهر
الاسنان من السرور مع صوت خفي فان كان فيه صوت
يسمع من بعيد فهو القهقهة واما بكاؤه فكان من
جنس ضحكه لم يكن بشهيق ولا برفع صوت ولكن تدمع عيناه
حتى تهملان ويسمع لصدره أزيز أي غليان يبكي رحمة
للميت وخوفا على امته وشفقة من خشية الله تعالى
وعند سماع القرآن وأحيانا في صلاة الليل وجاء
انه صلى الله عليه وسلم حفظ من التثاوب بل جاء ان كل
نبي كذلك واما يده فقط وصفه غير واحد بانه كان
كما في عدة طرق بانه شثن الكفين اي غليظ أصابعهما
وبانه عبل الذراعين رحب الكفين ووصف ايضا بان
يده الين من الحرير والديباج وأبرد من الثلج وأطيب
ريحا من المسك ولا ينافي هذا اللين ما مر ايضا لانه جمع
له لين الجلد وغلظ العظام وقوتها وتفسير الاصمعي
الشثن بغلظ في خشونة مردود بل نقل ابن خالويه

صلى الله عليه وسلم

عنه انه قيل له ورد في صفته صلى الله عليه وسلم انه لين الكفين
فاقسم انه لا يفسر شيئا في الحديث وبتسليمه فهو صلى الله عليه
وسلم ربما حصلت له خشونة في كفيه من جهاد أو عمل
في مهنة أهله وتفسير ابي عبيد له بغلظ الاصابع مع
عرضها يرده ما جاء انه كان سائل الاطراف والتحقيق ان
الشثن الغليظ من غير خشونة ولا قصر وروى الحاكم وغيره
انه صلى الله عليه وسلم مسح بيده الدم عن وجه وصدر
من جرح في وجهه فكان أثر يده غرة سايلة كغرة الفرس
وصح انه مسح راس ولحية ابي زيد الانصاري ثم قال اللهم
جمله فبلغ بضعا وثمانين سنة ما في لحيته بياض ولا في وجهه
انقباض وروى احمد وغيره انه مسح راس حنظلة
بيده وقال بورك فيك فكان يمسح محل يده صلى الله
عليه وسلم الورم فيذهب واما ابطاه فكانا ابيضين
كما جا عن عدة من الصحابة رضوان الله عليهم لكن تعارضه
الرواية الصحيحة كنت انظر الى عفرة ابطيه والعفرة
بياض ليس بالناصع وقد يجمع بحمل البياض في الأول
غير الناصع وذكر بعضهم انه لا شعر بابطيه ورد بانه
لم يثبت بوجه وكان يسيل منهما مثل ريح المسك وكانت
له مسربة وهو خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة
بل في رواية له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب
ليس على صدره ولا بطنه غيره واما بطنه وظهره فجاء انه

كما ذكر

على البياض

معاض البطن اي واسعه وقيل مستوي الظهر مع الصدر وان
بطنه كالقراطيس المثني بعضه على بعض وانه بعيد ما
بين المنكبين اي عريض الصدر **واما قلبه** فهو اول قلب
اودع الاسرار الالهية والمعارف الربانية لانه اول الخلق كما مر
وصورته اخر صورة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فهو
اولهم واخرهم في حيازة اهل الكمالات الخلقية والخلقية
ومما ينبيك بان **قلبه** صلى الله عليه وسلم اودع ما لم يودعه غيره
تكرر شقه واملا قلبه ايمانا وحكمة واخرج حظ الشيطان
منه كما مر ذلك مبسوطا في مبحث رضاعه صلى الله عليه وسلم
ومحاسنه الظاهرة التي هي اعلام على الاخلاق الباطنة
كما ان تلك لم يساوها فيها مخلوق فكذلك هذه **واما**
جماعه فقد صح عن انس كنا نتحدث انه اعطي قوة
ثلاثين رجلا في الجماع **ويروى** عن الاسماعيلي قوة اربعين رجلا
زاد ابو نعيم عن مجاهد كلهم من رجال اهل الجنة والرجل
في الجنة يعطى قوة مائة كما صححه الترمذي وقال غريب
واربعون في مائة باربعة آلاف ومع ذلك كان على غاية
في تقليل الغذا بجري الله العادة في الارض ولم يحتلم قط
وكذا الانبيا عليه وعليهم الصلاة والسلام لانه من الشيطان
لكن ظاهر قول عائشة صايما جنبا من جماع غير احتلام
انه يحتلم وبتسليمه فالاول محمول على ما اذا كان عن رؤية
وقاع لانه هذا هو الذي من الشيطان بخلاف مجرد نزول المني

في النوم

صلى الله عليه وسلم
في النوم **واما قدمه** فجا عن غير واحد انه شثن القدمين
اي غليظ اصابعهما وكانت سبابة قدميه اطول من اصابعه
ومن روى ذلك في اليد فقد غلط كما بينه غير واحد
وكانت خنصرهما متظاهرة وكانا الاخمص لهما اي ليس
كثير انخفاض بحيث يطا به كله فهو معتدل الخمص ومعنى
رواية مسيح القدمين ان فيهما مع ذلك لين وملاسة دون
تكسر وتشقق **واما طوله** صلى الله عليه وسلم فكان ربعة لكن الى
الطول اقرب كما جات به الاحاديث الكثيرة وفي حديث ما
يفيد ان مشى وحده او مع قصير او طويل الا طال على من ماشاه
وهو ينسب الى الطول بل اذا اكتنفه طويلان طالهما فاذا
فارقاه نسب الى الربعة **واما مشيته** فقد صح عن
علي كرم الله وجهه ورضي عنه انه كان اذا تكفا تكفيا كانما
ينحط من صبب وفي رواية عنه كان اذا مشى تقلع والتقلع
والانحدار من الصبب قريب اراد به كان يستعمل التثبت
ولا يتبين منه وهذه الحال استعجال ومبادرة وهذا هو
مراد الناظم بقوله **والمشي** الكاين منه **الهوينا** تصغير
الهون وهو السكينة والوقار للتعظيم نحو ۝
وكل اناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الانامل
وقد مدح تعالى ذلك فقال عز قائلا وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا ولا ينافي ذلك رواية
الترمذي عن ابي هريرة ما رايت اسرع مشية من رسول الله

اذ هذا ح
مشي ح
بالمشي ح

ليس صح

صلى الله عليه وسلم كأن الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وهو
غير مكترث لأن عجزهم عن لحوقه لأنه كان يجهد نفسه في
المشي كما يدل عليه غير مكترث بل إنه كان يبارك له في مشيه
كما يدل عليه قوله كأن الأرض تطوى له فهو مع هونه مشيه
لا يلحق ومعنى رواية ذريع المشي أي واسع الخطوة وقال
ابن القيم في رواية كان إذا مشى تقلع التقلع الارتفاع
من الأرض بجملته كحال المنحط في الصبب وهو مشية أولي
العزم والهمة وهي أعدل المشيات وأروحها للأعضاء
فكثير من الناس يمشي قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة
فهي مذمومة كالمشي بالانزعاج كالجمل وهذا يدل على قلة
عقل صاحبها إن أكثر فيها الالتفات وكان صلى الله
عليه وسلم إذا مشى مع أصحابه قدمهم أمامه وقال خلوا ظهري
للملائكة وكان إذا مشى في قمر أو شمس لا يظهر له ظل
وسره قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا
وأما لونه فقد وصفه جمهور أصحابه بالبياض كما
صح عنهم من طرق متعددة ولا ينافيه رواية مشرب بحمرة
لأنه مع ذلك يسمى أبيض نعم قد ينافيها رواية أبيض شديد
البياض إلا أن يحمل المشرب بالحمرة على الوجه فقط وما عداه
شديد البياض كما يدل عليه رواية فنظر إلى ظهره
كأنه سبيكة فضة وعلى الوجه يحمل رواية أمهق أي أحمر ليس
بأبيض وقول عياض إنها وهم غير صحيح وكذا رواية ليس

الانزعاج صح

مشي صح

صلى الله عليه وسلم

بالابيض

بالأبيض ولا بالآدم أي وقول عياض إن هذه ليست بصواب
مردود بأن المراد ليس شديد البياض ولا شديد الأدمة فإنما
يخالط بياضه حمرة والعرب تطلق على من هو كذلك أنه أسمر
الوارد في رواية ويوافقها رواية أبيض بياضه إلى السمرة
ورواية أحمر إلى البياض أو المراد أنه كان تحصل له السمرة
إذا سافر لتأثره من الشمس وتظليل الغمام وغيره له إنما
كان إرهاصا كما مر وقد انقضى وقته وقد ذهب بعض المالكية
إلى من زعم أنه كان أسود قتل أي لأن السواد يشعر بالنقص
وأما طيب ريحه وعرقه وفضلاته فكان في ذلك
الغاية العليا وإن لم يمس طيبا كما صح عن أنس وغيره
روى أبو يعلى والطبراني أن رجلا استعان به في تجهيز
بنته فاستدعى بقارورة وسلت فيها من عرقه وقال
مرها فلتطيب به فكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة
ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وصح أنه كان إذا مر
في طريق فمر الناس منه وجدوا رائحته وعرفوا بذلك أنه
مر منه وحديث خلق الورد من عرقه أو من عرق جبريل أو من
عرق البراق موضوع وجاء من وجه غريب أنه كان ما يخرج منه
صلى الله عليه وسلم تبلعه الأرض وأين الحافظ عبد الغني
بأن أحدا من الصحابة لم يذكر أنه رآه بخلاف البول فإنهم
يستشفون به كرمه ومن ثم اختار جماعة من أئمتنا طهارة
جميع فضلاته وأما نومه فهو الإغفاء أي أخف النوم بحيث

صلى الله عليه وسلم

انه صح

عليهم السلام

لا يستغرق لان الاستغراق انما يتولد من نوم القلب وغفلته
المتولدين عن الشبع المفرط وهو صلى الله عليه وسلم كساير الانبيا
كان تنام عينه ولا ينام قلبه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ومن
ثم لم ينتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم بالنوم وسبب ذلك
كمال حياة قلبه ويقظته لانه لا يدري ماهو فيه ولا ينافيه
نومه صلى الله عليه وسلم بالوادي عن صلاة الصبح حتى حميت
الشمس لان رؤيتها من رؤية العين والقلب انما يدرك نحو
الحدث والالم مما يتعلق به دون العين فهي نايمة والقلب
يقظان وكانه انما يدرك مرور الوقت الطويل فانه نام
قبل الفجر الى ان حميت الشمس لانه كان مستغرقا في شهود ربه
وما يفيض عليه من معارفه وانما لم ينتبه لتقع التشريع
بتلك الاحكام الكثيرة جدا التي استفيدت من تلك
الواقعة كسهوه في الصلاة **وقيل** كان له نوم ينام فيه
قلبه ايضا وهو الذي كان حينئذ ورد وه بانه لم يثبت فهو
مردود على قايله كتاويل بعضهم قوله لا ينام قلبي بما يخرجه
عن ظاهره بغير دليل وايراد قد انتهى الكلام على شيء من محاسن
اخلاقه وصفاته التي لم يخلق الله اشرف منها ايضا فنقول
ما سوى خلقه النسيم ولا غير محياه الروضة الغناء
ما سوى اي ليس غير **خلقه النسيم** اي الريح التي في غاية اللطافة
واللين والطيب يعني لا يشبهها خلق احد الا خلقه
الكريم وهذا مقتبس من قول ابن عباس رضي الله عنهما

ودوام شهوده وعليه وعلى ثم كان صلى الله عليه وسلم اذا نام لا يوقظ ح

ظ

على ذلك

فلنذكر شيئا مما يتعلق بمحاسن اخلاقه وصفاته التي لم يخلق الله تعالى اشرف منها ح

كان

٣ ألطف

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير ثم قال فلرسول الله
صلى الله عليه وسلم اجود بالخير من الريح المرسلة **فان قلت**
صريح هذا ان خلقه افضل من النسيم بل لا نسبة بينهما فكيف
هذا التشبيه المؤذن بشرفها عليه **قلت** هذا الايراد انما هو
باعتبار الغالب والا فقد يشبه الافضل بالمفضول لنكتة كما في
صليت على ابرهيم الى اخره فكذا هنا تشبيهه بها البليغ انما
هو باعتبار ما فيها مما ينعش الروح ويحيي القلب ويجلوا
صدا النفس وغير ذلك مما لا قيام لحقيقة الحيوان الا به وانما
قلت يعني لا يشبهها الى اخره لا بين ان هذا المراد من العبارة
لا نفي هي به لان نفي مشابهة غير خلقه لها لا يفيد انه لا يشبهها
الا خلقه لان هذا الحصر لا دليل عليه في الكلام بل صريح كلام
الراغب انه لا مفهوم للنفي بغير وعبارته غير يقال على اوجه
الاول ان يكون النفي المجرد من غير اثبات بمعنى به نحو مررت
برجل غير قايم وقال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله وقال تعالى وهو في الخصام غير مبين انتهى المقصود
منه وسياتي شرح قوله وما سواي هو العاصي ماله بما هنا تعلق
فاستحضره والخلق بضم فضم او سكون قال الراغب هو والمفتوح
في الاصل بمعنى واحد لكن نخص المفتوح بالهيآت والصور
المبصرة والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة
ثم قيل المضموم غريزة لخبر البخاري ان الله قسم بينكم اخلاقكم
كما قسم بينكم ارزاقكم والحق اصله غريزي ونماه مكتسب

لما صح انه صلى الله عليه وسلم قال للاشج ان فيك لخصلتين
يحبهما الله الحلم والاناة قال يا رسول الله قديما كان او حديثا
قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله فترديده
السؤال وتقرير النبى صلى الله عليه وسلم له على ذلك يدل على ان
بعضه غريزى وبعضه مكتسب ويدل له ايضا الحديث الصحيح
اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وما صح انه كان يقول
فى دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها
الا انت فهى جبلة فى نوع الانسان وهم متفاوتون فيه
فمن غلب حسنه او كماله امر بالمجاهدة والرياضة حتى يقوى
ويصير محمودا وقد عرف الخلق الحسن بانه ملكة يسهل على
ذيها فعل الجميل وتجنب القبيح ولما اجتمع فيه صلى الله
عليه وسلم من خصال الكمال وصفات الجمال ما لا
يحصره حد ولا يحيط به عد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه
الكريم فقال عز قايلا وانك لعلى خلق عظيم فوصفه
بالعظيم وزاد فى المدحة باثنائه تعالى المشعر بانه
صلى الله عليه وسلم استعلى على معالى الاخلاق واستولى
عليها فلم يصل اليها مخلوق غيره ووصف بالعظم دون
الكريم الغالب وصفه به لان كرمه يراد به السماحة والدماثة
وخلقه صلى الله عليه وسلم غير مقصور على ذلك بل كما كان عنده
غاية الرحمة للمومنين عنده غاية الغلظة والشدة على
غيرهم فاعتدل فيه الانعام والانتقام ولم يكن همه سوى

الله تعالى

الله تعالى فعاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه **ومن** ثم ورد
بسند فيه ضعف ان الله بعثنى بتمام مكارم الاخلاق
وكمال محاسن الافعال **وفى** رواية الموطا بلاغا بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق فكل خلق حميد اندرج تحت خلقه
ومن ثم قالت عايشة رضى الله عنها كان خلقه القران
وقال السهروردى فى عوارفه فى قولها ذلك رمز
غامض وايما خفى الى الاخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة
الالهية ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تعالى فعبرت
عن المعنى بقولها كان خلقه القران استحيا من سبحات
الجلال وستر الحال بلطف المقال وهذا من وفور
عقلها وكمال ادبها انتهى **وقال** بعض العارفين لما
كان خلقه اعظم خلق بعثه الله الى جميع العالمين وعلم من
كلام عايشة رضى الله عنها ان كمالات خلقه لا تتناهى
وان التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر ثم ما
انطوى عليه صلى الله عليه وسلم من كرايم الاخلاق لم يكن
باكتساب ورياضة وانما كان فى اصل خلقته بالجود الالهى
والامداد الرحمانى الذى لم يزل يشرق انواره فى قلبه الى ان
وصل لاعظم غاية واتم نهاية **واعلم** ان كمال الخلق
انما ينشا عن كمال الخلق العقل لانه الذى يقتبس به الفضايل
وتجتنب الرذايل والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة
فهو جوهر الانسان ولكن جوهره البصيرة **وفى** القاموس

كما انه معانى القران لا تتناهى

بعد الاشارة الى الاخلاق فى تعريفه والحق انه روحانى به تدرك
النفوس العلوم الضرورية والنظرية وابتدأ وجوده عند
اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو ابه الى ان يكمل عند البلوغ انتهى
والحديث المشهور اول ما خلق الله العقل قال له اقبل
الى اخره موضوع وعقل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصل
فى الكمال الى غاية لم يصل اليها ذو عقل ومن ثم روى ابو نعيم
وابن عساكر عن وهب انه وجد فى احدى وتسعين كتابا ان الله
لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل
فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمال جميع
الدنيا ومما يقطع بصحة ذلك سياسته صلى الله عليه وسلم
للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة وصبره على طباعهم
المتنافرة المتباعدة حتى قتلوا دونه اهاليهم وهجروا
فى رضاه اوطانهم واحبابهم مع انه لم يطلع على سير
الماضين ولا تعلم من العقلا المحدثين وفى هذا ما فى
الذى قبله انفا ولا غير محياه اى وجهه الروضة الغناء
اى الكثيرة النبات والازهار والثمار اى ليست الروضة
الغناء الا وجهه لانه احسن الخلق وجها كما مر مبسوطا
رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحيا
رحمة وهو عطف وميل نفسانى غايته التفضيل
والانعام اى عينها مبالغة او ذووها وهو خبر مقدم
واخبر هذه وما بعدها بلفظ المصدر اشارة الى انها

قد امتزجت بذاته واستحال انفصالها عنه حتى كانها هو
وكانه هي اى ركب منها وطبع عليها وخلق منها كله كما قال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ويجوز نصب
رحمة على الحال على انها اسم فاعل او مفعولا لاجله على حذف
مضاف اي ذا رحمة والعالمون هنا قيل الجن والانس وعليه
الجمهور وقيل والملائكة وعليه غير واحد من المحققين ويدل
له ايضا ليكون للعالمين نذيرا ونقل الفخر الرازى وغيره
الاجماع على انه لم يرسل للملائكة مردود بل اخذ بعض ائمتنا
بظاهر خبر مسلم وارسلت الى الخلق كافة كما مر وعلى كل فهو
رحمة للمؤمنين بالهداية والامان من القتل والكافرين بتاخير
العذاب ولساير الحيوانات لان بوجهه يستسقى الغمام
ويدعا به القطر من السما فينبت النبات فيكون لها
سقيا ورعيا ولمنافع وقال ابن عباس رحمة للبر
والفاجر لان كل نبى اذا كذب اهلك الله من كذبه ومحمد
صلى الله عليه وسلم اخر من كذبه الى الموت او الى يوم القيمة
واما من صدقه فله الى يوم القيمة الرحمة فى الدنيا والاخرة
فعلم ان ذاته رحمة للمومن والكافر قال الله تعالى وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم وروى الدارمى
والبيهقى حديث انما انا رحمة مهداة وقال بعضهم
زينه ربه بزينة الرحمة فكان وجوده وجميع شمايله
رحمة على الخلق وقال اخر الانبيا خلقوا كلهم من الرحمة

صلى الله عليه وسلم

عليهم الصلاة والسلام

وَنبينا محمد صلى الله عليه وسلم عين الرحمة لا يقال كيف هو عين الرحمة
وقد جا بالسيف واستباحة الاموال لانا نقول انما ذلك
لمن ادبر واستكبر ولم ينفع فيه وعظ ولا ارشاد ومن
اوصافه تعالى الرحمن الرحيم والجبار المنتقم وفي الشفا وحكي
انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة
شي فقال نعم كنت اخشى العاقبة فامنت ولما شج وجهه
وكسرت رباعيته يوم احد قالوا له لو دعوت عليهم فقال
اني لم ابعث لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون اي اغفر لهم هذا الشي المخصوص
لا مطلقا والا لاسلموا كلهم ذكره ابن حبان وانما دعا
عليهم يوم الخندق بان يملأ الله قبورهم نارا لانهم
شغلوه عن الصلاة الوسطى فكان الدعاء لله لا لحظ نفسه
وحزم كله اي كل جميع احواله التي تصدر منه انما تصدر
على غاية من الضبط والقوة والشدة الباطنة والظاهرة
لان منشا ذلك العقل الكامل وقد مر انه لا اكمل من عقله
بل لا مساوي له من نبي ولا ملك وعزم كله من عزم على
شي قطع به اي جميع ما يفعله بوحي او اجتهاد انما يفعله
مع امضائه والقطع به من غير اعراض عنه ومن ثم
كان من خصايصه صلى الله عليه وسلم اذا فعل خيرا لزم ادامته
كما وقع له ان ناسا شغلوه عن سنة الظهر البعدية
حتى دخل وقت العصر فصلاها حينئذ واستمر يصليهما بعد

صلى الله عليه وسلم

بعد

٩٦

بعد العصر الى وفاته صلى الله عليه وسلم ووقار كله لان الله تعالى
القى عليه من المهابة ما لا غاية له ومن ثم قال خارجة
ابن زيد كما رواه ابو داود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقر
الناس في مجلسه وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه كان
اذا جلس في المسجد احتبى بيديه وكان كثير السكوت لا يتكلم
في غير حاجة وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا
تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم مجلسه مجلس علم
وحيا وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه
الحرم اذا تكلم صلى الله عليه وسلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم
الطير جاءه رجل فقام بين يديه فاخذته رعدة
شديدة ومهابة فقال له هون عليك فاني لست بملك
ولا جبار انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد بمكة فنطق
الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس
اني اوحي الي ان تواضعوا الا فتواضعوا حتى لا يبغي احد
على احد ولا يفخر احد على احد وكونوا عباد الله اخوانا
وراته قيلة بنت مخرمة في المسجد قاعدا القرفصا فارعدت
من الفرق رواه ابو داود وروى مسلم عن عمرو بن العاص
رضي الله تعالى عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما ملات عيني منه قط حياء منه وتعظيما له صلى الله عليه
وسلم ولو قيل لي صفه لما قدرت واذا كان وهو من اجلاء
الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك فما بالك بغيره فعلم

أي صلى الله عليه وسلم

انه صلى الله عليه وسلم ولا انه كان يباسطهم ويمزح معهم
ومع ذلك لا يقول الا حقا ويتواضع لهم ويؤنسهم لما قدر
أحد منهم أن يجالسه ولا يحادثه لما القى الله عليه من المهابة
والجلالة **وقد** خير صلى الله عليه وسلم بين أن يكون نبيا
ملكا أو نبيا عبدا فاشار جبريل عليه الصلاة والسلام
بستشيره فاشار اليه أن تواضع فاختار العبودية
وعصمته كله اى حفظ يستحيل شرعا وقوع خلافه من سائر
الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوة وبعدها
في سائر حركاته وسكناته في باطنه وظاهره سره وعلانيته
جده ومزحه رضاه وغضبه والخلاف في بعض ذلك
لا يعول عليه كيف وقد اجمع الصحابة رضي الله تعالى عنهم
اجمعين على اتباعه صلى الله عليه وسلم والتأسي به في كل ما
يفعله من قليل وكثير وصغير وكبير لم يكن عندهم في ذلك
توقف حتى اعماله صلى الله عليه وسلم في السر والخلوة يحرصون
على العمل بها وعلى اتباعها علمهم صلى الله عليه وسلم او لم يعلم
ومن تأمل أحوالهم معه استحى من الله كما قاله الامام المجتهد
التقي السبكي ان يخطر له تشكك في انه معصوم في
كل ما ذكرناه وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم
معصومون كما ذكر وحكى في عصمتهم قبل النبوة خلاف
ومحله في غير الجهل بالله وصفاته اما هذا فهم معصومون منه
اجماعا بل لم ينشأ والا على اكمل الاحوال من الايمان بالله تعالى

بلغ مقابلة

ومعرفته

٩٧

ومعرفته كما ينبغي وحكى في عصمتهم من الصغائر بعد النبوة خلاف
أيضا وهو في غاية الضعف بل الزم قايلوه بخرق الاجماع وما لا يقول
به مسلم ومحله في غير صغائر الخسة كسرقة لقمة وفي غير ما يتعلق بطرق
التبليغ اما هذان فهم معصومون منهما اجماعا **واما قوله**
تعالى ووجدك ضالا فهدى فللمفسرين فيه اقوال كثيرة وا
ما جاء عن ترجمان القران ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وآخرين من
صحابة وتابعين ان معناه وجدك ضالا عما اتاك من معالم
النبوة فهداك اليها **ويؤيده** قوله تعالى ما كنت تدري اى قبل
الوحي ما الكتاب اي القران ولا الايمان اى الدعا اليه ولا الفرايض
والاحكام اذ الايمان يطلق عليها حقيقة نحو وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس كما يصرح به سبب النزول وما
جاء مرفوعا اي وجدك ضالا عن جدك عبد المطلب حتى كاد الجوع
يقتلك فردك او هو من ضل الماء في اللبن اذا انغمر فيه اي وجدك
مغمورا بين كفار مكة فنصرك عليهم **واما قوله** تعالى ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك فاختلف المفسرون فيه على
اقوال كثيرة بها يبطل الاحتجاج للقول الساقط السابق آنفا
ومن احسنها خففنا عنك اعبا النبوة التي اثقلت حقوقها
والقيام بموجباتها ظهرك حتى كاد أن يكون له نقيض اي
صوت او المراد عصمناك من الوزر الذي لو تحملته صوت ظهرك
من ثقله فسمى العصمة وضعا مجازا او رفعنا عنك أوزار
امتك التي اثقل ظهرك خوف غايلتها حتى امنك الله ذلك في
العاجل بقوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واعطاك

ان المعنى

الشفاعة فيهم في الآجل وأما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فاختلفوا فيه كذلك وأحسن ما قيل فيه أيضا قول
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان
أو المراد بالذنب ذنوب أمته على وزان ما مر أو ترك الأولى
والأحرى كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين وعليه قوله
تعالى عفى الله عنك لم أذنت لهم أي محا عنك ما ارتكبته من
خلاف الأولى ووقع لبعض مشاهير المفسرين في بعض
هذه الآيات ما لا ينبغي من التساهل وسوء الأدب فاحذره
وحفظ صلى الله عليه وسلم أيضا من أعدائه الحريصين
على قتله فكان أصحابه يحرسونه حتى نزل والله يعصمك من
الناس فأخرج صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة وقال
يا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني ربي وتواعد جماعة
على قتله فلما هموا به سمعوا صوتا مهولا فغشي عليهم ثم تواعدوا
مرة أخرى فلما رأوه جاءت الصفا والمروة فحالتا بينه وبينهم
وواعد أبو سفيان أبو جهل قريشا ان رآه ليطأن على
عنقه فأعلموه بذلك فذهب إليه فولى هاربا فسئل فقال
لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا فكدت أهوى
فيه وأبصرت هولا عظيما وخفق أجنحة قال صلى الله عليه وسلم
تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ووفد
عليه عامر بن الطفيل وأربد بن قيس ليقتلاه فشغله عامر فأراد
أربد قتله فلم ير إلا عامرا وحيا كله كما يصرح به خبر البخاري
عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

أشد حيا

أشد حياء من العذراء أي البكر في خدرها وقيد ذكره من باب التتميم
لأن العذراء في خدرها يشتد حياؤها أكثر مما تكون خارجة عنه لأن
الخلوة مظنة الوقوع بها وقيل الظاهر أن المراد تقييده بما إذا
دخل عليها في خدرها لا حيث تكون وحدها فيه والحيا بالمد لغة
تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به وشرعا
خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق
ذي الحق من الحياة وكذا الحيا المقصور وهو المطر وقوته وضعفه
بقوة حياة القلب وضعفه وهو أقسام ثمانية يطول
استقصاؤها منها حيا الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم ممن
دعاهم إلى وليمة زينب فطولوا عنده المقام أن يقول
لهم انصرفوا ومن ثم كان لا يواجه أحدا بما يكره بل إذا
بلغه عن أحد شيء قال ما بال أقوام ولم يقل ما بال فلان
قالت عائشة ما رأيت منه ولا رأى مني ومنها حيا المحبة
وهو ما يخطر بقلب المحب في غيبة محبوبه فيهيجه إليه
ومنها حيا العبودية وهو ممتزج بين محبة وخوف وغايته
شهود عدم صلاح عبوديته لمعبوده فيستحي منه لا محالة
ومنها حيا المرء من نفسه ان رضيت بالنقص أو قنعت
بالدون حتى كان له نفسين يستحي بأحديهما من الأخرى وهذا
أكمل ما يكون من الحيا وهو حيا النفوس الشريفة الرفيعة وهو
الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحيا لا يأتي إلا بخير الحيا من
الإيمان رواهما البخاري وجعل من الإيمان مع أنه غريزة

بكونه

لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم فالحيا
المكتسب هو الذى جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به دون
الغريزى غيران من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب
حتى يكاد غريزيا وهو صلى الله عليه وسلم جمع الله له النوعين فكان
من الغريزى أشد حيا من العذرا فى خدرها **ومن** ان عقله
صلى الله عليه وسلم أوسع العقول ولذلك اتسعت اخلاق نفسه
الكريمة اتساعا لا يحد فمن ذلك اتساع خلقه العظيم فى الحلم والعفو
مع القدرة وصبره على ما يكره لا سيما فى الشدة حتى انه لا تحل
البأسا أى الشدة وان افرطت لا سيما فى الحروب وقد استعرت
نيرانها واصطلمت عقول شجعانها منه متعلق بما بعده من
المضاف او المضاف اليه عرى الصبر وهو حبس النفس على
ما تكره أي اسبابه من الحلم والصفح والشجاعة المشبهة فى اشتمالها
على من قامت به حتى منعته من وقوع بادرة منه عند ثوران
الغضب بحبال ربطت على شى واحكمت فى عرى فاستمسكت عليه
ولم يمكن حلها ولا نقضها فذكر العرى استعارة تخييلية وتشبيه
الصبر بالثوب السابغ ذى الازرار والعرى المحكمة استعارة
بالكناية وذكر لا تحل ترشيح وحسبك صبره صلى الله عليه وسلم
على من حاربوه يوم احد فى اشد ما نالوه به من كسر رباعيته
وشج وجهه فسال الدم على وجهه الشريف وشق ذلك على اصحابه
فقالوا يا رسول الله لو دعوت عليهم فقال اللهم اغفر لقومى او
اهد قومى فانهم لا يعلمون اى لا تعاجلهم بالعقوبة من اجل انهم

لا تحل البأسا منه عرى الصبر
ولا تستخفه السراء

لا يعلمون تفاصيل ما يترتب عليهم فى ذلك من أنواع العذاب واصناف
العقاب **وروى** عن عمر رضي الله عنه انه قال بابى وامى يا رسول الله
لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الاية ولو
دعوت علينا مثلها اهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي
وجهك وكسرت رباعيتك فابيت أن تقول الا خيرا فقلت اغفر
لقومى فانهم لا يعلمون وانما قال صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
حين شغلوه عن صلاة العصر اللهم املا قلوبهم نارا لان
الحق لله تعالى وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن يغضب لنفسه وانما يغضب
ان انتهكت حرمات الله امتثالا لقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم **ومن** ثم غضب صلى الله عليه وسلم فى اماكن
متعددة لاسباب مختلفة لكن مرجعها الى انه لم يغضب لنفسه
بل لربه عز وجل **وقد** صح عن زيد بن سعنة بمهملة ونون
مفتوحتين وهو من اجل احبار اليهود الذين اسلموا انه
قال لم يبق من علامات النبوة شى الا وقد عرفته فى وجه
محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم
اخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما
فكنت أتلطف له لان اخالطه فاعرف حلمه فابتعت منه تمرا
الى اجل فاعطيته الثمن فلما كان قبل محل الاجل بيومين أو ثلاثة
اتيته فاخذت بجامع ردايه وقميصه ونظرت اليه بوجه
غليظ ثم قلت الا تقضينى يا محمد حقي فوالله انكم يا بنى عبد المطلب
مطل فقال عمر اى عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ما أسمع لولا ما احاذر فوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله
عليه وسلم ينظر الى عمر في سكون وتؤدة ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال
انا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن
التقاضي اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان
ما رعته ففعل فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اثنين وذكر له ما مر وقد
عرفتهما فاشهدك اني قد أسلمت **وروى** ابو داود ان اعرابيا
جاء اليه فجذبه بردائه وكان خشنا حتى اثر في عنقه الشريف
وقال له احملني على بعيري هذين فانك لا تحملني من مالك ولا
من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم لا واستغفر الله وكررها
ثلاثا حتى تقيدني في جذبتك التي جذبتني كل ذلك والاعرابي
يقول له لا اقيدك أبدا ثم امر له بحمل بعير تمرا وبعير شعيرا
وروى البخاري ان اعرابيا جذبه حتى أثرت حاشية البرد
في صفحة عنقه الشريف من شدة جذبته وقال يا محمد مر لي من
مال الله الذي عندك فضحك ثم أمر له بعطا **وروى** الترمذي
عن عايشة رضي الله عنها لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فحاشا
ولا متفحشا ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اي
لم يكن له الفحش خلقا ولا تكسبا **وروى** البخاري ان رجلا
استاذن عليه فلما راه قال بئس اخو العشيرة وبئس ابن العشيرة
فلما جلس اليه ألان له القول وانبسط اليه فلما سألته
عايشة عما قال وعما فعل فقال صلى الله عليه وسلم متى عهدتني

فحاشا

فحاشا والعشيرة القبيلة وانبساطه اليه تألف له لانه رئيس
قومه وتعليم للامة وفيه جواز المداراة اتقاء الشر وهي بذل الدنيا
لصلاح الدين أو الدنيا او هما بخلاف المداهنة فانها بذل الدين
لصلاح الدنيا وهو صلى الله عليه وسلم انما بذل له من دنياه حسن
عشرته ولم يمدحه فكان قوله فيه حق وفعله معه حسن عشرة
وهذا الرجل بين بعضهم انه عيينة بن حصين الفزاري
وقد كانت منه أمور في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد موته
تدل على ضعف ايمانه بل ارتد في زمن الصديق وحارب
ثم اسلم في زمن عمر رضي الله عنه فما قاله صلى الله عليه وسلم فيه
من علامات النبوة ولا ينافي ما مر انه لم ينتقم لنفسه واما
امره صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن
خطل وغيرهما ممن كان يؤذيه صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع
ذلك ينتهكون حرمات الله تعالى فايس من ايمانهم **ومن ثم**
لما طمع في ايمان المنافقين أمهلهم مع شدة ايذائهم له بما لا
يصبر عليه بشر وصبره على من اعلم بعدم ايمانه للمصلحة العامة
كما اشار لذلك صلى الله عليه وسلم بقوله لمن قال له اقتلهم لا يتحدث
الناس ان محمدا يقتل أصحابه **وصح** عن أنس كان صلى الله عليه وسلم
أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وان اهل المدينة
فزعوا ليلة فخرجوا فرأوه راجعا من جهة الصوت متقلدا
سيفه على فرس لابي طلحة فقال لهم صلى الله عليه وسلم لن تراعوا
ما رأينا من بأس **وصارع** صلى الله عليه وسلم أبطالا معروفين

ابو بكر رضي الله عنه

بانهم لا يصرعون فصرعهم صلى الله عليه وسلم وفي البخاري
عن البرا بن عازب انه قيل له أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كان
هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على المغانم
فاستقبلونا بالسهام ولقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بغلته البيضا وان ابا سفيان بن الحارث أخذ بزمامها
وهو صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب وثباته حينئذ نهاية الشجاعة كيف وقد فر جيشه
عنه ولم يبق معه الا بضعة عشر رجلا فوقف صلى الله
عليه وسلم في الوف مؤلفة على بغلة لا تصلح لكر ولا فر
وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه
من جهله ومن ثم قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم كنا
اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي
جعلناه بيننا وبين العدو وقمنا خلفه مجتمعين به ولما
قال اللعين أبي بن خلف يوم احد أين محمد لا نجوت إن
نجا تناول صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة
وقال لاصحابه بعد أن ارادوا التعرض له خلوا سبيله
فطعنه في عنقه طعنة كان فيها اتلاف نفسه الخبيثة
اللعينة ولا تستخفه اي لا تخرجه عن ثباته وتواضعه
ومقاله السرا أي الرخا والسعة في الجيوش والفتوح
التي منحها في أواخر حياته صلى الله عليه وسلم بل هو معهما

تكون

صلى الله عليه وسلم

هو معهما

كهو قبلهما لم يزدد الا تواضعا وحلما وعفوا وصبرا ومن ثم
لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح في تلك الجيوش الهائلة
التي لما رآها ابو سفيان قال للعباس لقد اصبح ملك ابن اخيك
ملكا عظيما فقال له ويحك انه ليس بملك ولكنها نبوة قال
نعم وهو صلى الله عليه وسلم على ناقته القصوى في كتيبته الخضرا
بين ابي بكر واسيد بن حضير جا انه وضع راسه تواضعا
لله تعالى لما رأى ما اكرمه الله تعالى به من الفتح حتى ان راسه ليكاد
يمس رحله شكرا وخضوعا لعظمته أن احل له بلده ولم يحله
لاحد قبله وانما اتصف صلى الله عليه وسلم بهذه الكمالات
التي لم توجد في غيره لانه صلى الله عليه وسلم كرمت نفسه لانه
تعالى لما اراد ايجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من انواره ٥
الصمدية في حضرته الاحدية ثم سلخ منها العوالم كلها
علوها وسفلها على ما اقتضاه كمال حكمه وسبق في ارادته
وعلمه ثم اعلمه تعالى بكماله ونبوته وبشره بعموم دعوته ورسالته
وبانه نبي الانبيا وواسطة جميع الاصفيا وابوه آدم
بين الروح والجسد بل ولا روح ولا جسد ثم انبجست
منه عيون الارواح فظهر بمد لها في عالمها المتقدم
على عالم الاشباح وكان هو الجنس العالي على جميع الاجناس
والاب الاكبر لجميع الموجودات والناس فهو صلى الله عليه وسلم
وان تأخر وجود جسمه الشريف متميز على العوالم كلها
برفعته وتقدمه اذ هو خزانة السر الصمداني ومحتد

كرمت نفسه فلا يخطر السو
[illegible] ولا الفحشا

صلى الله عليه وسلم

نفرد الامداد الرحماني فبسبب كرامة نفسه صلى الله عليه وسلم
وتشريفها عن كل رذيلة ونقيصة ما تخطر السو على قلبه
ولا الفحشا كيف وقد طهره الله تعالى بشق الملايكة
المرات المتعددة عند تنقله في الاطوار المختلفة كما مر
بيانه واخراج ما فيه مما جبل عليه النوع الانساني مما يقتضي
ذلك ثم طهر وغسل وحشي من الحكم والعلوم ما لا يحيط
به الا الماتن به صلى الله عليه وسلم وذكر الفحشا مع العلم
بانتفايها بالاولى من انتفاء السو لانها السو الذي جاوز
حده لان المقام مقام الاطناب واذا تاملت ما
اتاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم مما مر من تلك الكمالات
التي لا تحد ولا تعد علمت انه قد عظمت نعمة الاله عليه
فاستقلت لذكره العظما ○ عظمت نعمة الاله عليه
عظمت قطعت ساير الخلق عن ان يصل احد منهم الي
مبادي غاياتها ومقاصد نهاياتها فبسبب هذه العظمة
المذكورة استقلت لذكره اى عند او وقت ذكر ما انعم الله
به عليه ونظيره اقم الصلاة لذكري العظما اي جميع
ما انعم الله به عليهم لانه صلى الله عليه وسلم اوتي غايات
الكمالات الباهرة التي لا يدرك شاوها مخلوق ولو عرض
معها على ذوي العقول الكاملة جميع النعم والفضايل التي
اوتيها غيره من المخلوقات لاستقلوها وعدوها دون
كمالاته وقطعوا بان اعظم ما عنده اعظم واجل وافخم

اي قلبه الشريف

واعدت

واعدت ضمير ذكره وحملت العظما على ما ذكرته لان المتن صريح
في ذلك باعتبار انه فرع الاستقلال على عظم النعمة وحذرا
من اي لو لم افعل ذلك لاوهم ذكر الاستقلال على ما هو المتبادر
منه عرفا الاحتقار للعظما الشامل لبقية الانبيا والمرسلين
والملايكة المقربين لا سيما وقد استعمله الناظم فيه تعديته بفي
حيث قال مستقل دنياك ولا نظر مع ذلك الى قبول ذلك
الايهام للمنع بان يقال استقلال الشي عده قليلا حتى في
العرف ولا شك ان ما عداه صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه
كنسبة القليل الى الكثير فان قلت يلزم على تسليم ذلك الايهام
ان الاحقار متبادر على ما ذكرت لان اضافة الاستقلال الي
النعم توهم احتقارها وهو محذور ايضا قلت ممنوع لان النعم
الواصلة للعظيم وغيره توصف بالقلة تارة وبالكثرة اخرى فلم
يوهم ذكر الاستقلال فيها احتقارا اصلا بخلاف الذوات فان وصفها
بانها استقلت يوهم احتقارها اذ لا يستعمل الاستقلال فيها الا
لهذا المعنى غالبا ثم قرينة المقام لا سيما مع مراعاة وصفهم
بالعظمة تدفع ذلك الايهام كما هو جلي وبين عظمت والعظما
تجنيس الاشتقاق وكان صلى الله عليه وسلم من الحلم على من
اذاه وزيادة الاحتمال لاعدايه وفرط الحلم عليهم والاغضا
عنهم بالغاية التي لم يصل اليها غيره ومن ثم قال
جهلت قومه عليه فاغضي واخو الحلم دابه الاغضا
جهلت قومه اي قريش وغيرهم عليه اي اذوه اذى لا يطاق

حتى م

فضربوه وخنقوه وأغروا به سفهاءهم وصغارهم فضربوه
ورجموه بالحجارة الى أن أدموا رجليه فسال منهما الدم على
نعليه وشجوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالسحر والكهانة
والجنون وتواعدوا على قتله مرات وحصروا الاجله بني هاشم
وبني المطلب في شعبهم سنين حتى كادوا أن يهلكوا من
الجوع كما مر جميع ذلك في رواية البخاري ومسلم من حديث
عايشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل اتى عليك يوم أشد
من أحد قال صلى الله عليه وسلم لقد لقيت من قومك وكان
أشد ما لقيت منهم يوم العقبة وذكر ما مر من ذهابه الى ثقيف
فأغروا به سفهاءهم وصبيانهم فضربوه ورجموه **فأغضى**
عنهم حلما وتكرما لا سيما وقد جاءه لما اشتد ايذاؤهم له ملك
الجبال كما رواه البخاري ومسلم من حديث عايشة السابق آنفا
فانه قال بعد ان ذكر ما اذاه به ثقيف لما خرج اليهم بعد
موت ابي طالب يدعوهم الى الله ويستنصرهم على قريش
فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب
أي ميقات أهل الحجاز فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد أظلتني
فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول
قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال
لتامره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد
ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربك
اليك لتامرني بأمرك ان شئت أن اطبق عليهم الأخشبين

سفهاهم اذم

فقال صلى الله عليه وسلم

142

فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله
وحده لا يشرك به شيئا فكان الامر كما رجا صلى الله عليه وسلم
واخو الحلم اي التأني في الامور وعدم الانتقام ممن
اتى بمكروه وان عظم اي الذي طبع عليه حتى صار غريزة له
مختلطا بلحمه ودمه **دأبه** أي شانه وعادته المستمر هو عليها
الاغضا اي التغافل عن أن يلتفت الى اذية او ذي فضلا
عن أن ينتقم ممن اذاه **و** في كلامه المقابلة لما قررته ان المراد
بالجهل لازمه من ايذايه بما لا يطاق **ومن** ثم لما اوذي يوم
أحد بشج وجهه وكسر رباعيته قيل له ادع عليهم فقال صلى الله
عليه وسلم اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون أي علما ينتفعون
به إما لجهلهم اي اعتقادهم الشي على خلاف ما هو عليه وكثير
منهم كانوا كذلك فكانوا يعتقدون حل ايذايه صلى الله عليه
وسلم ومقاتلته غفلة عما لو التفتت قلوبهم اليه أدنى التفاتة
من معجزاته صلى الله عليه وسلم لعلموا الحق واتبعوه من فورهم
واما لعنادهم وهم الاكثرون قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا فنزل علمهم منزلة الجهل بل هو أضر منه
كما لا يخفى وبهذا يعلم ان في تعبير الناظم بالجهل تضمينا
لجملة قوله لا يعلمون وان المراد بالحلم لازمه من عدم الانتقام
وفيه المقابلة ايضا بين الامساك والاعطا والتحقيق والظن
الاثبات وفيه أيضا جناس الاشتقاق بين اغضى والاغضا
والتذييل بالمثل السائر **واصل** الاغضا اطباق العين

عن رؤية المكروه فاستعير لما ذكر بجامع الاعراض عن المكروه فيهما
واذا كان اخو الحلم دابه ذلك فكيف بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وهو الذي وصل من الحلم الى غاية لم يصل اليها مخلوق ولان الله
تعالى هو الذي تولى تاديبه بنفسه وافاض عليه من حقايق حلمه
وقدسه حيث قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وفسرها جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم حين ساله فقال يا محمد
ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفوا
عن من ظلمك وكل من اثر له حلم واحتمال عرفت له زلة او
هفوة تنافي الحلم الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه لا يزيد
على كثرة الاذى الا صبرا وعلى جهل الجاهلين وان بلغ الغاية
الا حلما ولقد قالت عايشة رضي الله تعالى عنها ما رايته منتصرا
من مظلمة ظلمها قط الا ان تكون حرمة من محارم الله تعالى
اي المتعلقة به تعالى كما مر ذلك مبسوطا في شرح قوله لا تحل البأسا
منه عرى الصبر ومنه قصة الاعرابي الذي جذبه بردايه
حتى اثر في عنقه الشريف وقال له اعطني من مال الله لا من
مالك ولا من مال ابيك فقال صلى الله عليه وسلم المال مال الله
وانا عبده ثم طلب القود فقال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة
السيئة فضحك وامر له بحمل بعيره ومر في قصة اليهودي
الذي اسلم ان من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ان حلمه يسبق
غضبه وانه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما ولما
دخل في غزوة فتح مكة على قريش وقد جلسوا في المسجد الحرام

واصحابه

واصحابه ينتظرون امره فيهم من قتل او غيره قال لهم
ما تظنون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال
صلى الله عليه وسلم اقول لكم كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم
اذهبوا فانتم الطلقا وسع العالمين علما وحلما ۝ ۝
فهو بحر لم يعيه الاعبا ۝ وسع بالكسر العالمين
جمع عالم وللمحققين في الاية كلام منتشر لا باس بتلخيصه وتحريره
هنا وهو مع اشتقاقه من العلامة اسم لما يعلم به كالخاتم اسم لما
يختم به مع كونه مشتقا من الختم ثم غلب فيما يعلم به الخالق تعالى
فصار اسما لكل ما سواه تعالى من الجواهر والاعراض فانها لامكانها
وافتقارها الى موثر واجب لذاته تدل على وجوده وجمع ليشمل
ما تحته من الاجناس المختلفة ولا يعارضه ان المفرد وهو العالم
ادل على الشمول والاستغراق اذ الجمع قد يجي لغير الشمول لان
الغرض هنا افادة ان له اجناسا مختلفة كالجن والانس والملائكة
والافلاك والدواب والجماد وغير ذلك واستغراق جميعها
بطريق المطابقة ولو قيل العالم لاوهم استغراق بعض افراد
تلك الاجناس فقط ولاصحاب حواشي الكشاف هنا كلام منها ان
هذا احسنه وغلب في جمعه بالواو والياء والنون العقلا لشرفهم
وجمع جمع قلة مع ان الظاهر مستدع للاتيان بجمع الكثرة تنبيها
على ان العوالم وان كثرت قليلة في جنب عظمة الله وكبريايه
وقيل العالم اسم وضع لذوي العلم وهم الانس والملايكة والجن
وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع فهو مشتق من العلم وقيل

عنى به الناس فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر
ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض التي يعلم بها الصانع
ولذلك سوى بين النظر فيهما فقال تعالى وفي انفسكم افلا
تبصرون **وقد** بين حجة الاسلام في كتابه الانتصار لما
في الاحيا من الاسرار وجه اشتمال الانسان على نظير ما في
العالم بما فيه طول فراجعه فانه بديع **ومنه** ان العالم
انقسم الى عالم الملك وهو الظاهر للحواس والى عالم الملكوت
وهو المدرك بالعقل وعالم الجبروت وهو المتوسط الذي اخذ
بطرف كل عالم منهما والانسان كذلك فالمشابه للاول اجزا
بدنه وللثاني نحو روحه وعقله وارادته وللثالث الادراكات
الموجودة في الحواس والقوى الموجودة باجزا البدن **علما**
تمييز اي وسع علمه صلى الله عليه وسلم علوم العالمين الانس والملائكة
والجن لان الله تعالى اطلعه على العالم فعلم علوم الاولين والاخرين
ما كان وما يكون كما مر **وحسبك** في ذلك القرآن الذي اوتيه
صلى الله عليه وسلم ومثله معه كما صح عنه صلى الله عليه وسلم
وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ويلزم من احاطته
صلى الله عليه وسلم بالعلوم القرآنية ومثلها الذي اوتيه
ايضا انه صلى الله عليه وسلم احاط بعلوم الاولين والاخرين
وان علومهم مندرجة ومنغمرة في علومه صلى الله عليه وسلم **وحلما**
تمييز اي وسع حلمه حلم العالمين باسرهم كما عرف مما سبق انه ما
من حليم قط الا وقد عرفت له زلة وهفوة تخدش في كمال

حلمه

حلمه الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه لا تزيده شدة الايذا له والجهل
عليه الا حلما وعفوا وصفحا وبين حلما وما قبله الجناس المضارع **فهو**
بسبب جمعه لتلك المعاني التي لم تجتمع لغيره **بحر** اي واسع العلم
والحلم وغيرهما من اخلاق نفسه الزكية وصفاتها العلية فهو
تشبيه بليغ او استعارة على قول مردود اي كالبحر الذي هو خلاف
البر والنهر سمي بحرا لاتساعه وعمقه **لم يعيه** من اعيى فلان
في مشيه اي تعب او وقف **الاعبا** جمع عب بكسر اوله والموحدة
والهمز وهو الحمل والثقل من اي شي كان اي لم يكد بحر علمه شك ولا
شبهة وبحر حلمه ايذا ولا جهالة فاستعار الاعيا للكدورة والاعبا
للشبه والجهالات **واذا** تاملت ما تقدم من اوصاف كماله
الباهرة وعصمته ونزاهته الظاهرة وانه البحر الذي اندرجت
البحار كلها في يمه والحليم والكريم الذي دخل كل كريم وحليم
تحت حيطة كرمه وحلمه علمت انه صلى الله عليه وسلم لعصمته
عن التلفت لما سوى الله تعالى **مستقل دنياك ان ينسب**
الامساك منها اليه والاعطا مستقل اي محتقر **دنياك** اي
الاموال التي هي من جملتها اذ هي في الاصل اسم لما بين السما والارض
ان ينسب الامساك منها اليه او ان ينسب اليه ايضا **الاعطا**
منها لانها لفنائها وكثرة الاشتغال بها عن المعالي حقيقة
بمزيد الاعراض عنها وعدم الالتفات الى امساكها واخراجها
ولو لمستحقها احتقارا لشانها وتعليما للامة عدم الاعتداد
بها ودليل اعراضه صلى الله عليه وسلم عنها اشد الاعراض

بحر متردده

المشرب ح

خبر الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال عرض على ربي أن يجعل
لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما
فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك
وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الاستلذاذ بخطابه تعالى
والا فهو عالم بالاشيا جملة وتفصيلا وروى الطبراني باسناد
حسن انه صلى الله عليه وسلم كان هو وجبريل على الصفا
فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة من
دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه باسرع من أن
سمع هدة من السما افزعته فقال صلى الله عليه وسلم أمر
الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن أمر اسرافيل أن ينزل
اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله سمع
ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزاين الارض وأمرني أن
أعرض عليك أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا
وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت
نبيا عبدا فاومى اليه جبريل أن تواضع فقال بل نبيا
عبدا ثلاثا فانظر الى همته العلية كيف عرضت عليه
خزاين الارض فأعرض عنها وأباها مع انه لو أخذها لم
ينفقها الا في طاعة الله تعالى لكن اختار العبودية
المحضة فيا لها من همة شريفة رفيعة ما أسناها ونفس
زكية كريمة ما أبهاها وقد اشار الناظم الى ما هنا بقوله
في بردة المديح وراودته الجبال الشم من ذهب

الابيات

الابيات الثلاثة ومعنى البيت الثالث كيف تدعو ضرورة
سيد المعصومين الى زخرف الدنيا وزينتها وهي وما فيها انما
خلقت لاجله كما صرح به الخبر السابق تنبيه قوله هنا
مستقلا الى آخره أحسن من قوله ثم وأكدت زهده فيها
ضرورته لان بعض العلما انكر وصفه صلى الله عليه وسلم
بالزهد ويؤيده قول محمد بن واسع وقد قيل له فلان زاهد
فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها واذا انكر وصفه بالزهد
فالضرورة من باب أولى وفي السيف المسلول للتقي السبكي
عن الشفا وأقره ان فقها الاندلس أفتوا باراقة دم من
وصفه صلى الله عليه وسلم في أثنا مناظرته باليتيم ثم زعم ان
زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات أكلها وذكر
البدر الزركشي عن بعض الفقها المتاخرين انه كان يقول لم
يكن النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا من المال قط ولا حاله حال
فقير بل كان اغنى الناس بالله تعالى قد كفي أمر دنياه في نفسه
وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا
ان المراد استكانة القلب لا المسكنة التي هي ان لا يجد ما يقع
موقعا من كفايته وكان يشدد النكير على من يعتقد خلاف
ذلك انتهى واما خبر الفقر فخري وبه افتخر فموضوع وقد
صح انه صلى الله عليه وسلم استعاذ من فتنة الفقر كما استعاذ
من فتنة الغنى فايدة اكثر القران يشتمل على ذم الدنيا
وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الآخرة بل هذا هو المقصود

بالذات من سائر الشرائع كيف وهي عدوة لله تعالى لقطعها طريق
الوصلة اليه ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها وعدوة لأوليائه
لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها
وعدوة لاعدائه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها
حتى وثقوا بها فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها وروى جماعة
في قصة ثعلبة بن أبي حاطب الذي نزل الله فيه ومنهم من عاهد
الله لئن أتانا من فضله لنصدقن الايات انه سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال له
صلى الله عليه وسلم قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فأعاد
السؤال فقال له صلى الله عليه وسلم أما لك في اسوة أما ترضى
أن تكون مثل نبي الله أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير
معي الجبال ذهبا وفضة لسارت الحديث بطوله وصح
انه صلى الله عليه وسلم رأى شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده
للدنيا أهون على الله عز وجل من هذه الشاة على أهلها ولو
كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها
شربة ماء وفي الخبر الحسن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها
الا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم وصح ان ابا بكر رضي الله عنه
دعا بشراب فاتي بماء وعسل فبكى حتى ابكى أصحابه ثم بكى ثم
مسح عينيه فسألوه فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرأيته يدفع عن نفسه شيئا ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله
ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي فقلت

لها اليك عني

لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك أفلت مني لم يفلت مني
من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله ما الفقر
أخشى عليكم ولكن اخشى عليكم أن تسلط عليكم الدنيا كما سلطت
على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما
أهلكتهم تنبيهان أولهما المراد بالدنيا المذمومة في
الاحاديث وغيرها ما في قوله تعالى زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين الاية ومجمع ذلك كل ما لك فيه عاجل حظ أو شهوة
من غير ان يعين على عمل اخروي ولا يقصد به ثانيهما تعارض
الاحاديث في ذم المال ومدحه لانه تعالى مع ما سبق من ذم الدنيا
سمى المال خيرا وفي الحديث نعم المال الصالح للمرء الصالح وكل
ما جاء في ثواب الصدقة والضيافة والاحسان والزكاة
والحج ونحوها فهو ثناء على المال وصح على نزاع فيه ولذلك
قال بعض الحفاظ انه حسن وزعم بطلانه غلط صريح
خبر اللهم من آمن بي وصدقني وعلم ان ما جئت به هو
الحق من عندك فأقلل ماله وولده وحبب اليه لقاءك وعجل
له القضاء ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت
به الحق من عندك فاكثر ماله وولده وأطل عمره وطرقه
كثيرة مختلفة منها وهي صحيحة على شرط الشيخين ان ابا ذر
أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني احبكم أهل البيت فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم الله قال الله قال فأعد للفقر تجفافا
فان الفقر أسرع الى من يحبنا من السيل من أعلى الاكمة الى

رضي الله عنه

أسفلها مع دعايه صلى الله عليه وسلم لخادمه أنس بان الله يكثر
ماله وولده رواه الشيخان **ووجه** الجمع ان المدعو به في الاول
من قلة المال والولد المراد منه قلة فتنتهما لان الغالب فيهما
الفتن كما هو واضح من الايات والاحاديث وفي الثاني كثرتهما
فالمراد به كثرة فوايدهما وثمراتهما الاخروية **فالمال** ليس له
خيرا محضا من كل وجه ولا شرا محضا من كل وجه وانما هو كالسيف
في يد المقاتل يقتل به معصوما تارة ومهدرا اخرى او كحية
في يد انسان فيها سم وترياق لكن سمها اكثر واغلب واوحى
للنفوس واغلب **واذا** تاملت ايضا ما تقرر من كمالاته العلية
علمت انه صلى الله عليه وسلم شمس فضل تحقق الظن فيه انه
الشمس رفعة والضيا ۝ شمس سما العلوم والكمالات
باسرها كيف وكل فضل تحلى به كل كامل فانما هو بواسطة
استمداده من فضله واذا كان الامر كذلك تحقق من حق
بمعنى ثبت الظن يعني الاعتقاد الجازم المطابق للواقع
فيه اي في ذاته وصفاته انه بالنسبة الى بقية الكمل
في اشراقه ورفعته عليهم الشمس المشرقة على هذا العالم
البائنة عنه رفعة فلا يصل اليها احد منهم وانه
الضيا المفيض عليهم اضواء الكمالات وخوارق الامدادات
وبين الشمس والضيا تجنيس مراعاة النظير وفيهما التشبيه
البالغ او الاستعارة الاصلية المطلقة على القول الذي
مر رده ومر اوايل الكتاب ما للبلغا في التشبيه بالشمس

فراجعه

فراجعه لكن ليس كون المشبه به اعلى من المشبه امرا مطردا بل قد
ينعكس الحال كما في صلاة التشهد كما صليت على ابرهيم على احد
الاجوبة فيه وما هنا من ذلك كما تنبه الناظم رحمه الله لذلك
حيث بين انه صلى الله عليه وسلم اعلى شانا في الضيا من الشمس
فقال عاطفا بفاء السببية اشعارا بالنكتة التي ذكرنا
انه تنبه لها فـ بسبب ان المشبه قد يكون اعلى من المشبه
به كان شانه صلى الله عليه وسلم انه اذا ما لم يتكلم الجمال ابن هشام
على هذه في المغني مع انها في القران في غير موضع وتكلم على اذ ما
كونها ليست فيه وتكلم على تلك البها السبكي في عروس الافراح
في ادوات الشرط لكنه لم يتعرض الى ان زيادة ما حولها الى الحرفية
او لا قال الجلال السيوطي يحتمل ان يجري فيها قولا اذ ما قول
سيبويه انها حرف والمبرد وغيره انها باقية على الظرفية ويحتمل
ان يجزم ببقائها على الظرفية لانها ابعد عن التركيب بخلاف
اذ ما انتهى وفيما علل به الجزم نظر لانه قابل للمنع فالذي يتجه
جريان الخلاف وان الاصح بقاؤها على الظرفية لان ما تزاد
في نحو ذلك كثيرا وحينيذ فيجري فيها احكام اذا غير الفجائية
من الغالب انها ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص
بالجملة الفعلية ولو مقدرة كاذا السما انشقت وتحتاج الجواب
وتقع في الابتدا عكس الفجائية وجوابها ما فعل كما هنا او جملة
اسمية مقرونة بالفا او باذا الفجائية نحو اذا هم يستبشرون
او فعلية طلبية كذلك وقد يقدر الجواب لدلالة السياق

فاذا ما محمد نعوره النظر
وقد اثبت الظلال النعماء

وَالمقام عليه • ثم المحققون على ان ناصبها شرطها والاكثرون على ان
مَا في جوابها من فعل أو شبهه ولا تخرج عن الظرفية عند الجمهور •
وزعم الأخفش في حتى اذا جاؤها انها مجرورة بحتى وابن جني في
اذا وقعت الواقعة بنا على نصب خافضة رافعة ان اذا الاولى
مبتدا والثانية خبر • والمنصوبان حالان • وكذا البس ومعمولاتها
نعم قد تخرج عن الاستقبال فترد للحال نحو والليل اذا يغشى
وللماضي نحو واذا رأوا تجارة الآية فانها نزلت بعد الرؤية
والانفضاض وبغير الظرفية نحو واذا ما غضبوا هم ٥
يغفرون • فهي ظرف لهم المبتدا • فزعم انه جوابها بتقدير فهم
في غفلة عن ان حذف الفاء ضرورة وانهم تاكيد لواو يغفرون
الذي هو جوابها تعسف • وان جوابها محذوف تكلف بلا
ضرورة • وقد تستعمل لاستمرار الازمنة نحو واذا قاموا الى
الصلاة قاموا كسالى • وقد ينظر فيه بان الاستمرار هنا وفي
نظائره التي استدلوا بها انما اخذ من قرينة السياق دون
موضوع اذا وتفارق ان اذا في احكام كثيرة منها ان اذا
للمتيقن والمظنون الكثير الوقوع كما هنا في اذا ما وان للمشكوك
الموهوم النادر ولا يرد ولين متم لان الموت لكثرة الغفلة
والجهل بوقته نزل منزلة الموهوم ولا نحو واذا مس الانسان
الضر لانه لتخويفهم • واخبارهم بانه لا بد أن يمسهم
شي من العذاب ضحى اى مشي عقب طلوع الشمس وهذا
ليس لتقييد الجزاء به اذ محو نوره الظل يكون في هذا

الوقت

لكنه في
وغيره هذا الوقت
صح

الوقت أظهر لقوة ضيا الشمس ومحو نورها حينئذ محى نوره
وبين محى وضحى التجنيس اللاحق وهذا والضحى تجنيس الاشتقاق
الظل مفعول اى ظل ذاته الكريمة أو مطلق الظل مبالغة بل
حقيقة لان نوره صلى الله عليه وسلم أصل كل نور وهو لا يبقى معه ظلمة
ومنها الظل او المراد بالظل كل ضلالة ونقص وبنوره ما جاء به
صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة والعلوم والآداب والحال
انه قد أبث الظلال جمع ظل وهو ما تنسخه الشمس أو ينسخها
هو • وأخص من الفي لانه اسم لما بعد الزوال من الظل فهو ما نسخ الشمس
وقيل كلما نسخته فهو في وظل وكلما لم تنسخه فهو ظل لا في الضحى
اى ارتفاع الشمس ومده لضرورة النظم فنبينا محمد صلى الله عليه
وسلم أكمل من الشمس فقد وضوء لأن نورها يثبت الظل
ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يمحوه • ويدل على المعنى الأول
ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه اذا مشى في الشمس لا يظهر
له ظل لطهارة ذاته عن كل نقص • ولان الله تعالى استجاب له
دعاءه المشهور انه يجعل كله نورا فكان بدنه الشريف في غاية
الاضاءة التي لا تحجب ما يقابلها قيل مد الضحى لضرورة النظم
انتهى وفيه نظر • بل الذي في القاموس ان الممدود بفتح أوله
ما قرب من انتصاف النهار كما مر • ثم ذكر ان المقصور الشمس
وحينئذ ان اريد بالضحى الشمس كان مده ضرورة أو قرب
انتصاف النهار كان مده صحيحا لا ضرورة فيه تنبيه لك أن
تستشكل تركيب قوله شمس فضل الخ بان حكمه عليه بانه شمس الفضل

لكن المراد بضحى على هذا مطلق
ظهوره في هذا الكون
باوصافه الكاملة
٤

يعني عن قوله تحقق الظن الخ لانه اذا اثبت أولا انه شمس الفضل
الذي هو اسم لكل كمال علم انه الشمس في الرفعة وانه الضيا فقوله
تحقق الخ لاحاجة اليه وجوابه ما اشرت اليه في محله من ان
جملة تحقق الظن فيه الخ حال مؤكدة لما قبلها وصاحب الحال
الضمير العايد عليه صلى الله عليه وسلم اذ مستقل وشمس فضل
معطوفان على نحر بحذف حرف العاطف أو بقدر لكل مبتدا
إستئنافا التعداد شمايله صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان
كلا مستقل كامل في ذاته لتضمنه للبقية كما مر في شرح
قوله كل وصف له ابتدات الخ ولما ورد على ظاهر ما قرره
نظرا للاحتمال الثاني من ان نوره صلى الله عليه وسلم يمحوا الظل
ما سبق له صلى الله عليه وسلم ان الغمامة كانت تظله بان يقال
كيف يمحوا نوره الظل والغمامة أظلته فلم لم يمح نوره ظل الغمامة
ولم احتاج اليه مع انه الضيا الأعظم من ضيا الشمس فلا يوثر
فيه اشار الى جواب ذلك لكن بما تقصر عنه عبارته ببادي
الراي فقال **فكأن الغمامة استودعته من أظلت من ظله الرفقاء**
فبسبب محو نوره الظل الحسي على ما مر صار صلى الله عليه وسلم
هو الظل المعنوي الأعظم على جميع اتباعه حتى **كأن الغمامة**
لما أظلته قبل النبوة إرهاصا وتاسيسا لما سيصير اليه أمره أعلمته
بانها **استودعته** الأمة بأسرها لكن أصحابه بلا واسطة وهم
الرفقا ومن بعدهم بواسطة استمداد الأولين من ظله
وامدادهم لمن بعدهم من ذلك الظل فالذين بواسطتهم

من أي الذ

من أي الذين **أظلت** هم **من** بعض **ظله** الأعظم **الرفقاء**
جمع راف كعلما جمع عالم وهم جيوشه سمي الجيوش بذلك
لانهم يرفون نحو العدو أي يسيرون إليه لدفعه واستيصاله
وحاصل الجواب ان ذلك التظليل الذي كان قبل النبوة
كان لحكمتين احداهما الارهاص كما تقرر وثانيتهما إعلامه
صلى الله عليه وسلم بما سيؤل اليه أمره من ان الله سيجعل له أمة
أكثر الأمم وانهم قرون متفاوتون وان كل قرن مستمد
من القرون الذين قبلهم وان الكل مستمدون وممدون من
ظله وحينيذ فلا تنافي بين محو نوره الظل وبقا الظل مع
نوره عند تظليل الغمامة له لان المحو هو الأصل المستمر
والبقا انما كان على خلاف الأصل للحكمتين المذكورتين
أحدهما الارهاص والثانية الاعلام له بعموم ظله المعنوي
على الامة من أولهم الى اخرهم فتامل ذلك فانه مهم بل
لتعليق معنى هذا البيت على الشارح قال انه وجد هذا البيت
في نسخة وانه غير مفهوم المعنى وبسبب انغلاقه عليه جعل
الضمير المفعول في استودعته الظل لا يقال بل ما قاله من
رجوعه للظل يتضح به المعنى لكن ان جعلنا الرفقا الطيور
ويكون في البيت حينيذ التمليح الى قصة هي ان الطيور
كانت تظل الانبيا كداود وسليمان بل بني اسرايل كما قال تعالى
وظللنا عليهم الغمام فحينيذ فكانه يقول الغمامة لما أظلته
استودعته الظل للانبيا الذين أظلتهم الطيور من ظله لانا

الذي

فسائر القرون مستمدون من أصحابه وأصحابه مستمدون منه من ظله ...

نحو
التعلق

عليهم الصلاة والسلام

قبلهم

مع مقابلة

نقول هذا المعنى لا يطابق اللفظ سلمناه مع ما فيه من البعد
والتكليف فوزن فروفا فعلا وهذا انما كان جمعا لفعيل اذا
كان وصف ذكر عاقل بشروط اخرى كشجاع وشجعا وصالح وصلحا
وشاعر وشعرا وجاهل وجهلا فعلم انه لا يصح حمله على الطيور
أصلا لانه انما يكون جمعا لرفاف لصفة عاقل مذكر او سجية حمد
او ذم بشرطها على ان الذى سمع فى الطيور رفوف لعقاب و فعلا
لا يجتمع عليه أصلا أو رفاف فيما يطير بجناحيه ولا يصف وهو
وصف لغير عاقل ورفيف وهو ليس وصفا للطائر وبتسليم انه
وصف له هو غير عاقل **فان قلت** المعنى الصحيح ان الغمامة
لما اظلته استودعت الظل الطيور التى اظلت الانبيا
من ظله فهل لا يحتمل النظم عليه **قلت** يعارضه ما تقرر فى قافية
جمع فعلا و بتسليمه تجوزا فى الجمع فالنظم ينبوا عن هذا المعنى
بكل وجه كما هو واضح **فان قلت** كلام الناظم فى البردة انه
احتاج لتظليل الغمامة لتقيه حر الشمس فينافى ما مر ان تظليلها
للحكمتين السابقتين **قلت** ما افهمه كلامه ثم تعارضه ان تظليلها
لم يكن الا قبل ظل النبوة ارهاصا كما مر ولو كان كما ذكره لكان
بعد النبوة ايضا **فان قلت** قد ظلل عليه الصلاة والسلام
عند رميه للجمرة بثوب وهو يشعر بالاحتياج **قلت** هذا من
ضرورة الجبلة البشرية وما نحن فيه من حيث الحقيقة والامور
الاصلية فتامله ايضا فهو صلى الله عليه وسلم برز للشمس فى عرفة
ولم يظلل اشارة الى ان السنة للمحرم ان يبرز للشمس وظلل عند

الرمي

الرمى اشارة الى انه لا يسن البروز للشمس هنا كذا ذكروه وعليه فلا
اشكال أصلا ومرت تظليل الغمامة والسرح أظلته منها
أفيا وإذا تقرر ان نوره يمحوا الظل على ما سبق فى معناه
علم انه قد خفيت عنده الفضائل وانجابت عن عقولنا الاهوا
خفيت عنده اى فى جنب ما اوتيه الفضائل التى اوتيها
غيره من الانس والملائكة والجن و انه قد انجابت اي
انكشفت به اى بسبب ما بينه فينا من علومه وآدابه واخلاقه
عن عقولنا معشر أمة الاجابة والعقل لغة المنع واصطلاحا
غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وفيه خلاف
طويل اشار اليه فى القاموس وعبارته العقل العلم او بصفات الاشيا من
حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين
أو مطلق لامور او لقوة يكون بها التمييز بين القبح والحسن
ولمعان مجتمعة فى الذهن يكون لمقدمات تستتب بها الاغراض
والمصالح اولهيئة محمودة للانسان فى حركاته وكلامه والحق انه
نور روحانى به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية
وابتدأ وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل
عند البلوغ انتهت الأهوا اى الضلالات والنقائص
فلم يقع فى ورطة شى منها كما وقع فيها من أعرض عن الهدى وسلك
سبيل الردا ثم استدل على ذلك الجفا وكشف الهوى بما افاده
الاستفهام الانكارى فقال رحمه الله تعالى

أمع الصبح للنجوم تجل أم مع الشمس للظلام بقاء

أي انما اخفيت الفضايل عنده لانه الفجر الصادق وغيره من سائر
الكمل كالنجوم لا يبقى لها نور مع الفجر فكذلك سائر الكمل وانما
كشف عن عقولنا الأهوا لانه الشمس كما مر والاهوية والنقائص
كالظلام فكما ان الظلام لا يبقى مع الشمس فكذلك الأهوية
والضلالات لا تبقى مع اشراق الشمس من غير حايل بينها
وبين ما اشرقت عليه وبين الصبح وبين النجوم والشمس والظلام
التقابل وفي البيت الكلام الجامع ولما قرر ما يتعلق بقوله
شمس فضل مما بعده الى هنا لانه مناسب له عطفه بحذف حرفه
واستانف نظير ما مر فقال **معجز القول والفعال كريم الخلق والخلق مقسط معطاء** ⊙ **معجز القول**
لان الله تعالى امتن عليه بجوامع الكلم التي اوتيها دون
غيره ومن ثم قال بعض العلماء ان كلامه معجز كالقران وكان الناظم
اعتمد هذا القول حيث عبر بما يوافقه وان احتمل ان يريد ما
يوافق مذهب الاكثرين من ان كلامه غير معجز **و معجز الفعال**
فلا يقدر مخلوق ان يوجد فعلا مطابقا لفعله لسائر المصالح
الظاهرة والباطنة في ذلك الوقت الذي اوجد فيه ذلك
الفعل غيره صلى الله عليه وسلم وهذه هي مرتبة وارث
الحضرة الالهية التي لا يدخل احد اليها باذنه **كريم** الخلق
كما تعلم مما قدمته مبسوطا في شرح قوله ما سوى خلقه النسيم
وبين القول والفعل والخلق والخلق تجنيس التقابل مع
تجنيس التحريف في الثاني **مقسط** أي عادل في أحكامه

وأقواله

وأقواله وافعاله فلا يصدر منه شي قط الا على غاية العدل باطنا
وظاهرا باتفاق كل من رآه وعلم احواله حتى اعدايه ومناويه
ألا ترى ان قريشا لما بنوا الكعبة والنبي معهم قبل النبوة
فوصلوا الى موضع الحجر الاسود اختلفوا فيمن يضعه في محله
ثم أجمعوا على انهم يحكمون اول داخل المسجد فكان النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا هذا الامين نحكموه فامر بوضعه في ثوب وأمر كل
رئيس قبيلة أن يمسك بطرف الثوب ثم يرفعوه ففعلوا
الى أن بلغوا به محله فاخذه صلى الله عليه وسلم ووضعه في محله
وصح ان رجلا قال له وهو يقسم اعدل فقال ويلك فمن يعدل
ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم أعدل **وكان** صلى الله عليه وسلم (في الهامش: يقول ح)
أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من بلغ حاجة من لا
يستطيع ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر **وكان** عليه الصلاة
والسلام لا يواخذ أحدا بقوله ولا يصدق احدا في أحد **معطاء**
أي كثير العطا الذي يعجز عن أدناه الملوك **فقد صح** عن أنس
رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس واشجع الناس
وأجود الناس واقتصاره على هذه الثلاثة من جوامع الكلم التي
منحها من امداده صلى الله عليه وسلم لانها أمهات الاخلاق
اذ في كل انسان قوى الغضبية وكمالها الشجاعة والشهوانية
وكمالها الجود والعقلية وكمالها اكتساب الفضايل واجتناب
الرذايل **فصح** عنه ايضا ما سئل صلى الله عليه وسلم شيئا الا
أعطاه فجاءه رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى

قومه فقال أسلموا فان محمدا يعطي من لا يخاف الفقر وأعطى صفوان
ابن امية يوم حنين حين أسلم مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة **وصح**
عن جابر ما سئل صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا اي لا ينطق
بالرد ان كان عنده المسئول وشاع الاعطا بانه لم يرصد ما
عنده لما هو أهم الا اعطاه ولا سكت كما في حديث مرسل
فحينئذ لا ينافي الحديث الاية **فان قلت** قلت لا أجد ما احملكم عليه
فهو لا يقولها منعا للعطا بل اعتذار حيث لا ينفع السكوت لنحو جهل
السايل **وفي** حديث الترمذي انه حمل اليه تسعون الف درهم
فقام اليها فما رد سايلا حتى فرغ منها وقال للسايل ما عندي شي
ولكن ابتع علي فاذا جا شي قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله على
ما لا تقدر فكره منه ذلك فقال انصاري أنفق يا رسول الله ولا
تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر
في وجهه وقال بهذا امرت **وقوم** ما أعطاه يوم حنين فكان
خمسماية الف الف قيل هذا غاية الجود الذي ما سمع لاحد بمثله
وصح انه اتي بمال من البحرين فامر بصبه في المسجد وكان
أكثر مال اتي به صلى الله عليه وسلم **وفي** رواية مرسلة كان مائة الف
فخرج للصلاة فلم يلتفت اليه ثم بعدها جلس اليه ففرقه
ومع هذا الجود الواسع كان صلى الله عليه وسلم يعيش عيش الفقرا
وياتي عليه الشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط الحجر على
بطنه الشريف من شدة الجوع **وجاء** سبي فسالته
فاطمة في خادم يكفيها مؤنة بيتها فامرها ان تستعين

مطلب غاية الجود

بالتسبيح

بالتسبيح والتكبير والتحميد وقال لا اعطيك وأدع أهل الصفة
تطوى بطونهم من الجوع وإذا علمت انصافه صلى الله عليه وسلم
بهذه الاوصاف الجليلة التي لم يوجد مثلها ولا ما يقاربها
في مخلوق غيره علمت ان من الواجب على كل من عرف ذلك
ان يقول لمن لم يعرفه حق معرفته **لا تقس بالنبي في الفضل خلقا فهو البحر والانام اضا**
لا تقس من قست الشيء بغيره قدرته على مثاله اي لا تشبه
بالنبي الموصوف بما ذكر وهو نبينا صلى الله عليه وسلم **في**
الفضل الجامع لتلك الصفات بل ولا في كل وصف منها
على حدته لان كل وصف من أوصافه وصل فيه الى غاية لم يخالطه
مخلوق فيها **خلقا** نبيا أو ملكا او غيرهما اي لا تعتقد ان
مخلوقا يساويه أو يقاربه في وصف من أوصاف كماله
كما مر اول الكتاب في شرح قوله لم يساووك في علاك الخ
فهو لا غيره **البحر** الجامع لكل وصف من أوصاف الكمال
البالغ النهاية فيه **والانام** هو كما في القاموس كسحاب والانام
بالمد والانيم كامير الخلق او الجن والانس او جميع ما على
وجه الارض انتهى والمراد هنا الاول بدليل قوله الاتي في
العالمين **اضاء** بالكسر والمد جمع إضاة كقناة وهو الغدير
ويجمع ايضا على أضا كقنا وشتان ما بين البحر والغدير
وكيف لا **كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعاره الفضلاء**
وكل فضل وجد **في العالمين** الانس والملايكة والجن **ف**هو كاين
من فضل ذلك **النبي** الاكرم على ربه من ساير الانبيا

والمرسلين والملايكة المقربين وبين فضل والفضلا تجنيس
الاشتقاق **استعاره** حال من ضمير الظرف المستقر
الفضلا لانه الممد لهم اذ هو المتلقي عن الحضرة الالهية
والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فانه لا يستمد منها الا
بواسطة فلا يصل منها فضل لكامل بشي الا وهو من بعض
مدده وعلى يديه فايات كل شي انما هي مقتبسة من نوره لانه
الشمس وهم كالكواكب فهي غير مضيية بذاتها انما هي
مستمدة من نور الشمس فاذا غابت ظهرت انوارها فهم
قبل وجوده صلى الله عليه وسلم انما كانوا يظهرون فضله وانوارهم
مستمدة من نوره الفايض ومدده الواسع الا ترى ان ظهور
ادم واحاطته بالاسما كلها انما هو مستمد من جوامع الكلم المخصوص
به نبينا صلى الله عليه وسلم ثم توالت الخلايف الى زمن بروز
جسمه فلما برز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور وانطوى
تحت منشور ايات كل ايات لغيره من الانبيا
فلم احد منهم كرامة وفضيلة الا وقد اعطي مثلها او اعظم منها
كما سبره الايمة وصححوه ومن ذلك ان ادم لما اعطي خلق الله بيده
اعطي نبينا شق صدره فملاه ذلك الخلق النبوي فتولد
من ادم الخلق الجسمي ومن نبينا الخلق النبوي الذي كان
هو المقصود من خلق ادم ومن ثم لم يكن سجود الملايكة
الا لنور محمد الذي في جبهة ادم كما قاله الفخر الرازي ۝
وادريس لما اعطي المكان العلي اعطي نبينا المعراج الافخم

نبط

صلى الله عليه وسلم

الاعظم ونوح

٢

صلى الله عليه وسلم

الاعظم ونوح لما ان نجى وقومه أعطي نبينا ان الله لم يهلك امته
بعذاب عام **ووقع** في تفسير الرازي انه أعطي مكان السفينة
انه دعا حجرا وهو على شط ما فانقلع وسبح الى أن جا اليه
وشهد له بالرسالة وابرهيم لما نجي من النار نجى نبينا من نار
الحرب قال الله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفاها الله **وروى**
النساي انه احترق جلد طفل كله فمسحه صلى الله عليه وسلم فصار
صحيحا ولما أعطي مقام الخلة أعطي نبينا ذلك وزاده
مقام المحبة الارفع من كل مقام ومن ثم يقول ابرهيم
في الموقف لما يسال في الشفاعة العظمى انما كنت خليلا
من ورا ورا ولما اعطي بنا الكعبة أعطي نبينا وضع الحجر
الذي هو زوجها في محله لما بنته قريش ولما اعطي موسى قلب
العصي حية اعطي نبينا حنين الجذع الذي هو أبهر واغرب
وذكر الرازي وغيره ان ابا جهل اراد أن يرميه بحجر فراي
على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبا ولما اعطي موسى اليد
البيضا التي بياضها يغشي البصر اعطي نبينا عباد بن بشر
وأسيد بن حضير كل منهما عصى فخرجا من عنده ليلا فاضا عصى
أحدهما فمشيا في ضويها فلما افترقا أضاات عصى الاخر
صححه الحاكم **واخرج** البخاري في تاريخه والبيهقي وابو نعيم
عن حمزة الاسلمي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر
فتفرقنا في ليلة مظلمة فأضاأت أصابعي حتى جمعوا عليها
ظهرهم وما هلك منهم وان أصابعي لتنير وانفلاق البحر لموسى

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

عليه الصلاة والسلام

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

عليه الصلاة والسلام

صلى الله عليه وسلم

عليه الصلاة والسلام

أعطى نبينا انشقاق القمر الذي هو أبهر ولانه يتصرف في
العالم العلوي على انه نقلات بين السما والأرض بحرا يسمى
المكفوف بحر الارض بالنسبة إليه كقطرة من البحر المحيط
فعليه يكون انفرق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى
وتفجير الماء من الحجر لموسى اعطى نبينا تفجيره من بين اصابعه
الكرام وهو أبلغ لان الحجر من جنس الارض التي ينبع منها الماء
والكلام لموسى أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسرا
وزيادة الدنو والرؤية بعين البصر وشتان بين جبل الطور
الذي نوجي موسى عليه وما فوق العرش الذي نوجي نبينا عليه
وأعطى هارون الفصاحة وأعطى نبينا أبلغ منها وأبهر
على انها في العبرانية والعربية افصح منها ومن ثم لم تكن فصاحته
معجزة بخلاف فصاحة نبينا فانها معجزة عند بعضهم وكذا
عند الكل لكن بالنسبة لما اشتمل عليه من الاخبار بالمغيبات
ولم يتحد نبي بها الا نبينا ولقد قال بعض اصحابه ما
رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وانما
نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين واعطى يوسف شطر
الحسن وتاويل الرؤيا اعطى نبينا الحسن كله كما في الحديث
وعبر من المرائي فوقعت كما عبر ما لا يدخله الحصر وتعبير يوسف
انما كان في ثلاث مراي كما في سورته وداود تليين الحديد
أعطى نبينا العود اليابس اخضر بين يديه وان شاة ام معبد
درت ببركة يده ولم تلد قط وكلمه ذراع الشاة والظبي وشكا

البعير والريح التي غدوها شهر ورواحها شهر اعطى نبينا
البراق وهو اسرع من الريح بل من البرق الخاطف فحمله من الفرش
الى العرش في لحظة واحدة واقل مسافة ذلك فوق سبعة
الالاف سنة وما فوق العرش الى المستوى لا يعلمه الا الله تعالى
وايضا سخرت لسليمان الريح تحمله الى نواحي الارض ونبينا
زويت له الارض اي جمعت حتى رأى مشارقها ومغاربها
وفرق بين من سعى الى الارض ومن تسعى له الأرض وتسخير الجن
لسليمان اعطى نبينا ان الله مكنه من شيطان تفلت عليه في صلاته
فاراد ان يربطه بسارية المسجد وسخر له الجن حتى اسلموا
ولم يسخروا لسليمان الا في العمل وعد الطير من جملة جنوده تقاومه
حمامة الغار وعنكبوته بل هذا أعجب لان فيه الحماية من العدد
الكثير بالشيء القليل وعيسى أبرأ الاكمه والابرص وأحيى الموتى
أعطى نبينا رد العين الى محلها بعد ما سقطت فعادت
أحسن ما كانت **وذكر الرازي** انه صلى الله عليه وسلم مسح برضي
فشفيت وذكر البيهقي ان رجلا قال لا أومن بك حتى تحيي لي
ابنتي فاتى قبرها فخاطبها فاجابته وتسبيح الحصى وحنين
الجذع أبلغ من تكلم الموتى لان هذا من جنس من يتكلم وبالجملة
فقد اوتي صلى الله عليه وسلم ما اوتي الانبياء عليهم السلام وزاد
خصائص لا تحصى أعلاها بانه الممد لهم دائما وعدل عن استغراق
ليصفهم بالفضل اي هم مع كونهم فضلاء كاملين على بقية العالم
انما يستمدون من محمد صلى الله عليه وسلم الاعلى وجه الاصالة

والاستقلال بل على وجه الاستعارة المستحقة الرد اذا أراده
المعبر ولم لا يكون كذلك وقد **شق عن صدره وشق له البدر**
ومن شرط كل شرط جزاء ○ **شق عن صدره** المرة
بعد المرة الى ان تكرر ذلك الشق اربع مرات أو خمسا مبالغة
في التطهير والتخليص من الاغيار ولم يحصل لاحد من الكمل نظير
ذلك ولا يقاربه وقد مر الكلام على ذلك مستوفى في مبحث
رضاعه صلى الله عليه وسلم فراجعه فانه نفيس **وشق له** أي
لاجله **البدر** اي القمر بمكة قبل الهجرة بنحو خمس سنين ولما
كذبه كفار قريش وبالغوا في ايذائه فطلبوا منه اية برهانهم
تدل على صدقه وهي أن ينشق لهم القمر نصفين فسال ربه
فانشق له كذلك كما نص عليه في القران وتواترت به الاحاديث
كما حققه التاج السبكي وغيره واجمع عليه المفسرون
واهل السنة اعلامات بصدقه في دعواه الرسالة
والوحدانية لله تعالى وان ما يعبدونه باطل لا يضر ولا
ينفع ولم يقع انشقاقه لغيره صلى الله عليه وسلم وهو من
أمهات معجزاته لا يكاد يعدلها شيء من ايات الانبيا لظهوره
في ملكوت السموات والارض خارجا عن جملة الطباع لما في هذا
العالم المركب من الطبايع فلم يطمع احد في الوصول اليه
بحيلة ومن روايات ما يوهم تعدد الانشقاق مرتين وظاهر
كلام بعضهم حكاية الاجماع عليه لكن رد بان احدا من أيمة
الحديث لم يجزم بذلك وبان من قال مرتين اراد فرقتين

في روايات

في روايات او فلقتين كما في اخرى وفي روايات ان فرقة كانت
فوق جبل حرا واخرى كانت أسفله وفي رواية انه كان بمكة
المراد منها ان ذلك وهم بمكة قبل الهجرة فلا دليل فيه على انه صلى الله
عليه وسلم كان بمكة ليلتيذ وفي رواية لاحمد فصار فرقتين فرقة
على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل وفي رواية انه قال اللهم
اشهدوا فقالوا سحرنا محمد ثم اتفقوا على انهم يسالون السفار
فجاؤا من كل جانب واخبروا به فقال بعضهم لبعض لا يستطيع
محمد ان يسحر الناس كلهم وانكار جمهور الفلاسفة ومن
وافقهم من المبتدعة ذلك مبني على انكارهم خرق الاجرام
العلوية والتيامها وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى
عقولهم معاندين للشرايع فيما وردت به واما قول بعض
الملاحدة لو وقع هذا الفعل متواترا واشترك اهل الارض
كلهم في معرفته ولم تختص بها اهل مكة لتواتر الدواعي على نقل
العجايب فهو من هوراته لان ما قاله انما يتوجه لو كان نهارا او
الليل والناس مستيقظون اما اذا وقع لحظة والناس الا القليل
قد ناموا ومن لم ينم لم ينظر الى السما فلا يلزم ما ذكره بوجه
على ان الاجماع الموافق للقران او السنة لا يخدش فيه الموافق
مثل هذه التخييلات الفاسدة وكأن هذا الملحد لم يسمع بما
هو الواقع البديهي ان الكسوف قد يدركه اهل قطر دون اهل قطر
أخر وما قيل ان القمر دخل في جيبه صلى الله عليه وسلم وخرج من
كمه باطل لا اصل له **تنبيه** البدر القمر ليلة اربعة عشر وظاهر

بتعبير النظم به دون القمر ان الشق كان ليلة اربعة عشر ولم ار
لذلك سلفا ولعله اراد بالبدر مطلق القمر وسمي بذلك لانه
يبادر الشمس بالطلوع كانه يعجلها المغيب وقيل لتمامه ويناسبه
هذه المعجزة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم بعد ما غابت حقيقة
لما نام صلى الله عليه وسلم وراسه في حجر علي بالصهبا قرب خيبر
حتى غابت الشمس ولم يمكنه ايقاظه لاحتمال انه يوحى اليه فلما
استيقظ ساله صلى الله عليه وسلم اصليت العصر قال لا فدعا أن
يردها عليه لانه كان في طاعة الله ورسوله فردت له ليصلي
العصر اداء كرامة له صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث طعن
في صحته جماعة بل جزم بعضهم بوضعه وصححه اخرون وهو الحق
وقول أسما في الرواية الصحيحة فرايت الشمس قد طلعت بعد ما غربت
حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضى وصلى
العصر ثم غابت فيه رد لزعم انها انما وقفت ولم ترد ولزعم
ان حركتها أبطات فقط وفي رواية سندها حسن
أمر صلى الله عليه وسلم الشمس فتاخرت ساعة من نهار
ومر انها ردت عليه بعد الاسرى لما اخبرهم بعيرهم ولا
يعارض ذلك كله الحديث الصحيح لم تحبس الشمس على احد
الا ليوشع بن نون حتى قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما
أن أدبرت الشمس خاف أن تغيب قبل ان يفرغ منهم
ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعا الله فردها عليه
حتى فرغ من قتالهم وذلك لان المراد على احد غيري على

على ان كثيرين او الاكثرين من الاصوليين ان المتكلم لا يدخل في
عموم كلامه وروي حبسها يوم الخندق حين شغل عن صلاة
العصر **وذكر** البغوي في تفسير ردوها علي انها حبست
لسليمان عليه الصلاة والسلام ورد بان المراد الصافنات لانها
المذكورة دون الشمس وبين شق وشق التجنيس التام وهو
أن يتفق اللفظان حروفا وعددا وهيئة **ومنه**
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
واعترض بان الساعة في الموضعين بمعنى واحد وشرطه
اختلاف المعنى وان لا يكون أحدهما حقيقة والاخر مجازا
بل حقيقتين وزمان الساعة وان طال لكنه عند الله في حكم الساعة
الواحدة فاطلاق الساعة على القيمة مجاز على الاخر حقيقة
وذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا والقيت
حمارا يعني بليدا انتهى فإن **قلت** هذا ياتي هنا لان الشق
في الموضعين بمعنى واحد وبتسليم الاختلاف فهو في احدهما
حقيقة وفي الاخر مجازا **قلت** يمكن أن يقال انه فيهما مختلف
وحقيقي اذ شق الاجرام الجمادية غير شق الاجرام الحيوانية
من حيث الصورة والالة وايضا فشق القمر شق جرمه كله
وشق الصدر ازالة غشاوة لا غير وكفى بهذا اختلافا ثم المتبادر
من كل منهما انه حقيقي كما لا يخفى قيل ليس في القران من
الجناس التام غير هذه الاية واستدرك عليه شيخ الاسلام
ابن حجر بانه يكاد سنا برقه يذهب بالابصار فانه استعمل الابصار

اولا بمعنى العيون وثانيا بمعنى البصائر وقد ينظر فيه بان استعمال
الابصار في البصائر مجازي وقد تقرر انه لا يكفي وقد يجاب
بادعا انه حقيقة عرفية وعلى كل فاقول في القران اية اخرى
أظهر من تبينك وهي يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من
الكتاب وما هو من الكتاب فالاول ما كتبوه بايديهم
المذكور في فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم والثاني
التوراة والانجيل والثالث الجنس الشامل لكتب الله كلها
اي ما هو من شي من كتب الله **فان قلت** هذا أعم من
الثاني فليس مغايرا له من كل وجه **قلت** بل يسمى مغايرا
له حقيقة كما صرحوا به وعلى التنزل فان هذا التغاير
لا يكفي هنا فيكون التغاير بين اللفظين الاولين فيتحقق
الجناس التام فيهما **فان قلت** لم لم يعدوا منه ان النفس
بالنفس الى اخره **قلت** كانه يقول هنا تمييزا يمنع تمام
التجنيس وهو البا الدالة على المقابلة فتامله **فان قلت**
لم اكتفوا في التورية بكون احدهما مجازا لا هنا **قلت**
لو صرح الفرق اذ مبنى التورية على قصد المعنى البعيد المجاز
قد يكون كذلك ولا كذلك الجناس التام فلم يكف فيه كون
احدهما مجازا ومن ثم اقر بعض المحققين فشترط كونهما
حقيقيين وعليه يحتمل أن يقال لا بد ان يكون كل حقيقة
في الشرع أو في العرف أو في اللغة فلا يكفي كون احدهما حقيقة
شرعية والاخر حقيقة لغوية مثلا لان هذين كالحقيقة

والمجاز وقد تقرر انهما لا يكفيان ويحتمل ان يقال يكفي ذلك
ويؤيده اطباقهم على ان الاية فيها الجناس التام مع ان حقيقة
الساعة لغة او عرفا او شرعا شي واحد وانما الاختلاف من
حيث انها في مطلق الزمن حقيقة لغوية وفي القيمة حقيقة
شرعية وهذا الثاني اقرب ومما يؤيد اشتراط كونهما
حقيقيتين ان ما من لفظ غالبا او دايما الا وله حقيقة
ومجاز فلو قلنا بانه يكفي كون احدهما مجازا لزم وجود التجنيس
في غالب الالفاظ أو كلها وهو بعيد جدا ولك أن تاخذ
من قولهم ليس في القران جناس تام الا ما مر مع ما فيه من نحو
النفس بالنفس الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم الحر بالحر ونحو ذلك ان شرط الجناس التام ان لا يكون
في اللفظ قرينة ظاهرة تدل على تغاير معنى اللفظ
المتحد وهو متجه لانه مع فهم التغاير ليس فيه تعمية اصلا
ومبنى الجناس التام انما هو التعمية على السامع ما أمكن
وظن التورية ولم ار لاحد من أهل البديع في هذا البحث
ما ينبغي فتامله **فان قلت** ما ذكر في شي من الاختلاف
انما هو بالنظر لمتعلق الشقين دون موضوعهما وذلك
لا يكفي **قلت** هذا وان كان ظاهر كلامهم لا انه لا
يمنع من ان يلحق به اختلافهما من حيث المتعلق اذا تباينت
به صورتهما وانما شق له القمر لانه شق عن صدره حتى أخرج
قلبه ثم شق وطهر فجوزي على ذلك من شرط كل شرط

ولو في البدن لغرض مقصود أن يكون له جزآ من برء من مرض
أو غيره فكذا هنا لما روع صلى الله عليه وسلم بشق قلبه المرة
بعد المرة وبما حصل له من الخوف والتألم جوزي على ذلك
بخير أعظم مشابهة له في الصورة وهو شق القمر الذي هو
أظهر معجزاته وأبهرها بعد القرآن العظيم وفي كلامه الجناس
التام بين شرط وشرط اذ هما مختلفان معنى وحقيقيان ولا
يقدح فيه كون الأول حقيقة نحوية والثاني حقيقة عرفية
على أن الأول يحتمل أن يكون بمعنى العلامة فيكون مع كون
الثاني بمعنى الجرح كل منهما حقيقة لغوية في التجنيس التام
اتفاقا ونفرض أن احدهما مجاز يكون فيه التورية او حقيقة
ايضا لكنه أبعد فهما من اللفظ يكون فيه الجناس التام
والتورية ومر الكلام فيها مستوفى في الشرط اذ المراد به في الأول
ما علق بحصوله حصول شئ آخر يسمى جزاءه وفي الثاني شق الجلد
واللحم والجزا فيه تورية ايضا اذ هو يطلق على الجزآ النحوي
والجزآ العرفي وهو المجازاة على صنيع وقع منه ومنه جزيته
وجازيته بما صنع جزاء ومجازاة ورمى بالحصى فأقصد جيشا
ما العصى عنده وما الالقاء ن ومن معجزاته صلى الله
عليه وسلم ايضا انه في غزوة بدر وغزوة حنين رمى أعداءه
بالحصى فأقصد اى أصاب فأهلك ففي القاموس أقصد السهم
أصاب فقتل مكانه جيشا عظيما تألبوا عليه حتى ظن
أنهم لا يبقون احدا من المسلمين وبيان ذلك انه لما التقى

الجمعان يوم بدر تناول صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى فرمى به في
وجوههم وقال شاهت الوجوه أي قبحت وانهزمت فلم يبق مشرك
مع كثرتهم وقلة ذلك الحصى الا دخل في عينيه ومنخريه منها
شئ فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر
من اشرافهم قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ صلى
الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم
وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شاهت
الوجوه فانهزموا وكذلك روى غير واحد انها نزلت في رميه
يوم بدر وان كان رمى في غيره ولاهل الجبر في هذه الاية غلط
لا بأس بذكره ثم رده قالوا فيها سلب فعل النبي صلى الله عليه وسلم
عنه واضافته الى ربه هو عين الجبر وابطال نسبة افعال العباد
اليهم وليس كما زعموا اذ اللازم منهم ان لا تكليف ولا عقاب وسر
ما في الاية ان تلك الرمية من البشر لما لم يبلغ لهذا المبلغ
كان منه صلى الله عليه وسلم مبدؤها وهو الحذف ومن الرب
تعالى نهايته وهو الايصال واضاف اليه رمي الحذف الذي هو
مبدؤه ونفى عنه رمي الايصال الذي هو نهايته ونظير هذا
في الاية بعينها فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم فاخبر تعالى
انه المنفرد بالتاثير وان غيره ليس منه الا اسباب تظهر
للناس قيل ورماهم بالحصى يوم الاحزاب وفيه نظر وانما
نقل انه صلى الله عليه وسلم لما بلغت القلوب الحناجر دعا عليهم

فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب
اللهم أهزمهم وزلزلهم فأرسل الله عليهم الريح فرمتهم بالحصى
وسفت عليهم التراب وقلعت أوتاد خبائهم فسقطت
عليهم وكفأت قدورهم وسمعوا في أرجاء معسكرهم التكبير
وقعقعة السلاح فادخلوا خائبين ايسين ومن ثم أخبر صلى الله
عليه وسلم انهم لا يغزوهم بعد اليوم فكان كذلك **ولما**
التقى الجمعان يوم حنين استقبل المسلمين من هوازن ما لم يروا
مثله في السواد والكثرة فحملوا حملة واحدة فانهزم المسلمون
ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم يومئذ الا ناس قليلون من اهل
بيته العباس وابو سفيان بن الحارث وعلي والفضل ومن اصحابه ابو بكر
وعمر واخرون فامر صلى الله عليه وسلم ان ينادي في الناس ليرجعوا
فلما سمعوا ندآءه أقبلوا كانهم الابل اذا حنت على اولادها يقولون
يا لبيك يا لبيك فاقتتلوا مع الكفار واشتد القتال حتى قال
صلى الله عليه وسلم حمي الوطيس وهو التنور الذي يخبز فيه أي اشتد
حر الحرب حتى اشبهت التنور وحينئذ تناول صلى الله عليه وسلم
حصيات من الارض ثم قال شاهت الوجوه ورمى بها في
وجوه المشركين فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه من تلك
القبضة **وفي رواية** لمسلم قبضة من تراب والجمع انه
يحتمل انه رمى بكل مرة وانها قبضة واحدة لكنها مختلطة
وفي رواية عند احمد وغيره ان المسلمين لما ولوا قال
صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله انا عبد الله ورسوله ثم

اقتحم

صلى الله عليه وسلم

اقتحم عن فرسه واخذ كفا من تراب فضرب به وجوههم وقال
شاهت الوجوه فلم يبق منهم أحد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا
ولاحمد والحاكم عن ابن مسعود فحادت به بغلته فقال
ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم
فامتلأت اعينهم ترابا وجاء المهاجرون والانصار سيوفهم بايمانهم
كانها الشهب فولوا المشركين الادبار فاذا علمت ما ترتب على
رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى من تشتيت جمعهم وافتراق
شملهم وهزيمتهم أن لك أن تقول لمن قال لك ان القاء موسى
العصى في السحرة لحبالهم وعصيهم يعادل الرمي بالحصى
ما استفهام انكار **العصى** ألقاها موسى على حبال سحرة فرعون
وعصيهم حتى ابتلعت ذلك **عنده** أي الحصى المرمي
وما الا لقاء لتلك العصى على تلك الحبال والعصي
الذي فعله سحرة فرعون اى لانتقاص معجزة نبينا صلى الله عليه
وسلم في إلقا تلك العصي بمعجزة موسى عليه الصلاة والسلام
في إلقا عصاه على ما ذكر لأن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
أظهر وأبهر اذ إلقا موسى لعصاه حاكاه القا السحرة لحبالهم
وعصيهم ومعجزة نبينا لم تحاك قط ووصول تلك الحصيات
القليلة الى جميع ذلك الجيش الذي هو ألوف مؤلفة حتى هزمهم
عن آخرهم وشتت شملهم أبهر من قلب العصى ثعبانا
وابتلاعها لتلك الاحبال من حيث انها مع ذلك لم
تقهر العدو ولا شتت شملهم بل زاد بعدها طغيانه

وعنوّ على موسى وقومه وجاسَ بين الحصى والعصى وعابر بين
رمى وألقى **تنبيه** اكثر معجزات بني اسرائيل كانت حسيّة
لبلادتهم وعمى بصيرتهم واكثر معجزات هذه الأمة عقلية
لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولانّ هذه الشريعة لما كانت
باقية على صفحات الدهر الى يوم القيمة خصّت بالمعجزة
العقلية الباقية ليراها ذوو البصاير كما قال عليه الصلاة
والسلام في حديث البخاري ما من الأنبياء نبيّ الا أعطى ما مثله
امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا أوحاه الله الي
فأرجوا ان اكون اكثرهم تابعا وفي معناه قولان غير متنافيين
اذ يرجع حاصلهما الى انّ المرادات معجزات الانبيا انقرضت
بانقراض أعصارهم مع كونها حسّية تشاهد بالأبصار كعصى
موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة
القران تشاهد بالبصيرة وتستمر الى القيمة لا يمرّ عصر الا
ويظهر فيه شي أخبر بانه سيكون فكان من يتبعه لاجلها اكثر
اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جا بعد الأول **ث**

ودعا للانام اذ دهمتهم ٭ سنة من محولها شهباء

و من معجزاته ايضا انه **دعا للانام** مرّ تفسيره لكن المراد به
هنا غيره ثم ادهم هنا أهل المدينة ومن ضاهاهم
اذ اى وقت او لاجل ان **دهمتهم** اي غشيتهم **سنة من**
أجل **محولها** يتعلق بما بعده أي شدّة جدبها وقحطها
شهباء أي لا خضرة فيها ولا مطر والسنة زمن الجدب

والحال

١٢١ عليه الصلاة والسلام

والحال ويطلق على الزمن المخصوص فعلى الاول شهباء تاكيد وعلى
الثاني تاسيس **وسبب دعائه** ما في الصحيحين ان الناس
أصابتهم سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام
اعرابي وهو صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقال
يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا
فرفع يديه وليس في السما قطعة سحاب فما وضعهما حتى
صار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل حتى أصابه المطر
واستمرّ الى الجمعة الثانية فقام ذلك الاعرابي أو غيره
فقال يا رسول الله تهدّم البنا وغرق المال فادع الله
لنا فرفع يديه فقال اللهمّ حوالينا ولا علينا فاقلعت
السحاب وخرجوا يمشون في الشمس وسال وادي قناة
شهرا ولم يجي أحد من ناحية الا حدّث بالجود وهو بفتح
الجيم المطر الواسع الغزير **فاستهلّت بالغيث سبعة** **أيام عليهم سحابة وطفاء**
فبسبب دعائه **استهلّت بالغيث** أي صبّ المطر بشدّة
سبعة أيام كوامل لما علمت انه من خطبة الجمعة الى خطبة
الجمعة الاخرى فالغى الكسر **عليهم سحابة** فاعل استهلت
وطفا اى مسترخية الجوانب لكثرة مائها حال كونها
تتحرّى مواضع الرعي والسقي وحيث العطاش توهي السقاء
تتحرّى اي تقصد تلك السحابة بمائها واسناد ذلك اليها
مجاز نظير ما يأتي في جدارا يريد أن ينقضّ الا ان يراد الملائكة
الموكلون بها **مواضع الرعي** اى الكلا الذى يرعى **و** مواضع **السقي**

التى تجتمع الما فيها لتشرب منه البهايم وفى الرعي والسقي
مراعاة النظير والسقي والسقا تجنيس يشبه الاشتقاق
وتحري ايضا حيث العطاش اي مواضعهم التى يوهي بالبنا
للمفعول اى تخرق السقا منهم فيها اى تلك السحابة عمت
جميع الاماكن بمايها حتى انها تحرى الامكنة المعطشة
التى تخرق اسقية العطاش فيها فيحتاجون الى الغدران
للشرب منها وهذا اظهر واولى مما سلكه الشارح كما يعرف
بتاملهما لا يقال مواضع السقي يشمل مواضع الشرب فلا احتاج
لقوله وحيث الى اخره لانا نقول قرينة قرن السقي بالرعي يصرفه
الى سقيا البهايم فاحتاج فى افادة عمومها الى التصريح لمواضع
شرب العطاش ايضا قال الشارح وفى قوله حيث العطاش
الى اخره اقتباس المثل وهو قولهم خل سبيل من وهى سقاؤه
ومن هريق فى الغدير ماؤه ۝ يضرب لمن لا يستقيم امره
فضرب به المثل هنا فى المحل والجدب انتهى ملخصا وفيه
نظر لبعد معنى المثل مما نحن فيه الا بتكلف لما تقرر
ان مراد الناظم ما دلت عليه عبارته من النص على عموم ذلك
الغيث لجميع الاماكن **والى الناس يشتكون اذاها**
ورخا يوذى الانام غلا ۝ **و**لما استمرت عليهم سبعة
ايام وكادت ان تهلكهم **اتى الناس** اليه صلى الله عليه وسلم
وهو على المنبر كحاله يوم سالوه ان يدعو لهم **يشتكون**
اذاها اى تلك السحابة اي الما النازل منها كقطعة السبل

وتعطيله المعاش وتخريبه البيوت وذكر الناس مع ان الشاكي
واحد لان ما به بهم فكان الكل شاكيا بلسان الحال كذا اسنده
الي كلهم ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم ان المراد بالناس الاول واحد كما هنا **ورخا**
اى سعة من المطر **يوذي الانام غلا** اي شدة عظيمة
واصله ارتفاع السعر المودي الي الشدة وبين اذاها ويوذي
جناس الاشتقاق والرخا والغلا التضاد **ف**بسبب ان
هذا الرخا الذى المقصود منه حياة النفوس انتقل الي
ضده وهو اهلاكها **دعا** صلى الله عليه وسلم ربه ان
يكشفه عنهم **فانجلا الغمام** اى السحاب عقب دعائه
وخرجوا يمشون فى الشمس كما مر واذا تقرر هذا **فقل**
ايها العالم بهذه الواقعة ما شيت من الكلام الدال علي
التعجب او فتعجب **في وصف غيث اقلاعه** اى انكشافه
استسقا اى ذو استسقا على خلاف المتعارف اذ الاستسقا
غالبا انما يكون لطلب وجوده لا لطلب دفعه وبهذا ايدفع قول
الشارح الاحسن ان الاستسقا بمعنى السقي لانه يلزم فوات
هذه النكتة التى هى سبب التعجب **ثم اثري الثري وقرت**
ثم بعد ذلك الغيث الواسع النافع ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم
اثري الثري اى كثر المطر الواقع عليه حتى كثرت فوايد التراب
لكثرة انباته الزرع والثمار المودية الى كثرة الاموال من
اثرى الرجل كثر ماله **و**بسبب هذه الكثرة **قرت** اى فرحت

فدعا فانجلا الغمام فقل
۝ في وصف غيث اقلاعه استسقا ۝

ثم اثري الثرى وقرت عيون
بقراها واحييت احياء

واطمأنت من أقر عينه اى حين أعطاه لا تطمح عينه الى من
فوقه عيون لاهل المدينة بسبب ما زال عنهم من الكرب
وحصل لهم من الخصب وبسبب عمارة قراها اى العيون
أو العيون او المدينة وبلادها بتلك الفوايد الكثيرة بعد
خرابها واحييت بعد ما حصل لها من الجدب والشدة
ما صيرها كالموتى من احياه الله يحيى بالفك وحى بالادغام
وهو الاكثر احيا جمع حى اى قبايل العرب بواسطة احيا
نفوسها ومواشيها وفيه تجنيس الاشتقاق في اثرى الثرى
وقرت قراها واحييت احيا فترى الارض غبة كسما
اشرقت من نجومها الظلما ۝ فترى انت لو شاهدت
تلك الواقعة الارض غبة اى عقب ذلك الغيث المتولد عنه
ما يدهش الابصار من النبات والزهور كسما حال ان جعلت
راى بصرية وهو الظاهر أو مفعول ثان ان جعلت علمية
اشرقت اى زالت عنها من اجل نجومها الظلما ففيه تجوز
اذ الاشراق انما يستعمل للنور ووجه الشبه ما حصل للارض
باصابة الغيث ولا سيما في النجوم من ازالة ظلمتها الحقيقية
في السما والمجازية في الارض وبين الارض والسما والاشراق
والظلمة الطباق وتراها ايضا تخجل الدر واليواقيت
من نور رباها البيضا والحمرا ۝ تخجل اى تحير وتدهش
الدر اى اللؤلؤ واليواقيت وهى فارسى معرب واسناد
الخجل اليهما مجاز او هو على حذف مضاف اى اهلهما بمعنى ان

من بايديهم

١٠٢

من بأيديهم تلك الجواهر يشاهدونها ليلا ونهارا لا تمل نفوسهم
الرؤية لتلك الازهار الغريبة والاعشاب العجيبة من نور بفتح
النون اى زهر وهو بيان لفاعل تخجل الاتى رباها بضم الراء
المحال المرتفعة منها وخصت لان ما بها انضر وابها من بقيتها
البيضا راجع للدر والحمرا راجع لليواقيت اى تخجل نورها
الابيض الدر ونورها الاحمر اليواقيت ففيه اللف
والنشر المرتب ومراعاة النظير بذكر المعدنين والتقابل
بذكر الضدين ويسمى التدبيج لانه الوان وما تقرر ان الناظم
انما اراد القصة المذكورة التى كانت بالمدينة وصحت بها
الاحاديث هو الظاهر ويجوز ان يريد ايضا ما وقع بمكة
على ما ورد ان قريشا لما أبطأوا عن الاسلام ودعا عليهم
صلى الله عليه وسلم بالقحط فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها واكلوا
الميتة والعظام جاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت
بأمر الصلة والرحم وان قومك هلكوا فادع الله فدعا فسقوا
الغيث واطبقت عليهم سبعا فشكا الناس كثرة المطر فسأل
الله دفعه ولما ذكر من صفاته صلى الله عليه وسلم الباهرة
ما شوق كل سامع لشئ منها الى رؤية وجهه الكريم تمنى ذلك فقال
ليته خصنى برؤية وجه زال عن كل من رآه العنا
ليته هى لتمنى ما لا طمع فى حصوله أو ما فيه عسر خصنى برؤية
وجه اى ليتنى ادركت زمنه لاكون من اصحابه اذ هم افضل
من جميع من جا بعدهم عند الاكثرين وذهب ابن عبد البر

رفعه

الشفاء

الى انه يمكن أن يكون فيمن بعدهم من هو افضل من بعضهم
للخبر الحسن بل قيل انه يرتقي الى درجة الصحة مثل امتي
كمثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره • وللخبر الحسن ايضا
ليدركن المسيح اقواما انهم لمثلكم أو خير ثلاثا • وفي حديث
ابي داود والترمذي يأتي ايام للعامل فيهن أجر خمسين قيل
منهم أو منا قال منكم ويجاب عن الأول باحتمال انه قبل أن يعلم
أفضلية الصحابة فلما علمها صرح بها بقوله لو أنفق أحدكم ملئ
الأرض ذهبا لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه • وبقوله خير القرون
قرني • وعن الثاني بأن أو فيه تحتمل ذلك • وعن الثالث بأنهم
صرحوا بان مجرد زيادة الثواب لا تقتضي الافضلية على ان
افضلية الصحبة لا يعادلها عمل • ومن ثم لما سئل ابن المبارك
عن عمر ابن عبد العزيز ومعاوية رضي الله عنهما أيهما أفضل
قال الغبار الذي دخل في انف فرس معاوية مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير من مائة مثل عمر بن عبد العزيز • وأشار
بعضهم الى ان محل الخلاف في صحابي لم تحصل له الا مجرد
الرؤية • واما من زاد على ذلك بنحو رواية أو غزو فلا نزاع
فيه • أو ليتني أراه في الموقف وعلى الحوض وفي الجنة شافعا
نافعا أو ليتني أراه في النوم رؤية تدل على عظيم اعتنائه
بي لاخباره صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة بأن من
رآه فيه رآه حقا وان الشيطان لا يتمثل بصورته ولا يتشبه
بها • وبأن من رآه فيه فقد رآه في اليقظة • أي كأنه رآه في — أي في النوم

اليقظة

أي الشيطان

اليقظة لما تقرر ان الشيطان لا يتشبه به فهو وان مكن
من التصور بأي صورة أراد لم يمكن من التصور بصورة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مطلقا • **وقال** جمع ان رؤيته
بصورته التي كان عليها **وقال** بعضهم ان رؤيته بصفته — بصفته
التي قبض عليها حتى عدد شيبه • **وصح** هذا عن ابن سيرين
وعن ابن عباس بفهمه • وفي حديث ضعيف إني أرى في
كل صورة • وصحح النووي وغيره انه يرى حقيقة ولو على غير
صفته • **قال** ابن العربي وغيره لكن رؤيته على غير صفته مثال
فرؤيته مقبلا أو بصورة حسنة كاملة يدل على خير وعكسه
بعكسه • **وقال** عياض عن رواية مسلم من رآني فسيراني في
اليقظة يحتمل ان المراد رؤيته على صفته موجبة لرؤيته
في الآخرة على نوع مخصوص من قربه أو شفاعته له • وفي هذا
اقوال اخر كثيرة • وقال الغزالي في رؤيته على صفته ليس المراد
رؤية ذاته حقيقة بل مثال تخيلها على التحقيق كما في رؤية
الله تعالى اذ لا صورة له ترى بل معرف لها من نور أو غيره • أو
ليتني أراه في يقظتي بناء على امكان ذلك وهو ما حكاه
ابن ابي جمرة والبارزي واليافعي وغيرهم عن جماعة من
التابعين • ومن بعدهم انهم رأوه في المنام فرأوه بعد
ذلك في اليقظة وسألوه عن أشيا غيبية فاخبرهم بها
فكانت كما اخبر • قال ابن ابي جمرة وهذه من جملة كرامات
الأوليا فيلزم منكرها الوقوع في ورطة انكار كراماتهم وفي

سيعد الغزالي ان ارباب القلوب في يقظتهم قد يشاهدون الملايكة
ويسمعون منهم اصواتهم ويقتبسون منهم فوايد **وقال**
البدر حسين الاهدل وقوعها للاوليا تواترت باجناسها الاخبار
وصار العلم بذلك قويا انتفى عنه الشك وما تواترت عليه
اخبارهم لم يبق فيه شبهة ثم اخذ يبطل ذلك ويفسده
ويعظم النكير على مجوزه بما لا يجدي فيه ومما يبطل جميع ما اتى
به وجاوز فيه الحد ان من المعلوم انه صلى الله عليه وسلم حي
في قبره وانه لا يراه في اليقظة الرؤية النافعة الا الاوليا
وانه لا يبعد ان من اكرم برؤيته ان يكرم بازالة الحجب بينه
وبينه فهو صلى الله عليه وسلم مع كونه في قبره تراه الاوليا
في اليقظة في قبره ويحادثونه وان بعدت ديارهم واختلفت
مراتبهم في الحالة الواحدة ولا يلزم من وقوع ذلك لهم على جهة
الكرامة الباهرة انهم صحابة لان الصحبة انقطعت بموته
صلى الله عليه وسلم واذا كان من رآه بعد موته وقبل دفنه
غير صحابي فهولا كذلك بالاولى فاندفع قول فتح الباري هذا مشكل جدا
ولو حمل على ظاهره كانوا صحابة انتهى ومما يؤيد ان الناظر يحتمل
اراد ذلك انه تلميذ القطب ابي العباس المرسي فهو الذي حلت
عليه بركته حتى وصل الى النظم البالغ الذروة العليا والقطب
المذكور وارث القطب الاكبر ابي الحسن الشاذلي وكل منهما
حفظت عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة
بل قال ابو الحسن لو حجب عني النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين

واعلم ان من خصوص رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام انه لم يرَ في ارض جدب الا اخصبت او في ارض قوم مظلومين الا نصروا او مغمومين الا فرج الله غمهم او خايفين الا امنوا
قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ثم ان رؤيا الشخص له صلى الله عليه وسلم بحسب حال الرائي فان راه على صفته المعروفة من الكمال فهو يدل على حسن حال الرائي في دينه
وان راه بغير صفته او راى نقصا في عضو او حالة في اللباس او غيره من صفات النقص فهو راجع الى حال الرائي او حال اهل ذلك الموضع فليتنبه الرائي لذلك وليسع في اصلاح
والاقلاع عما هو متلبس به وان راه الرائي وهو صلى الله عليه وسلم متبسم فان ذلك بشارة له فيما قام به في يقظته من طاعة ربه تعالى او في سنته صلى الله عليه وسلم وشريعته
قيل كيف يراه خلق كثير في غير حالة واحدة فيراه بعضهم شيخا ويراه اخر شابا ويراه بعضهم ضاحكا واخر يراه باكيا الى غير ذلك من اختلاف الاحوال فالجواب ان هذه
راجعة الى الرائين الى المرئي صلى الله عليه وسلم ومثاله الانسان يرى وجهه في المراة الكبيرة كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا الى غير ذلك فتلك
راجعة الى الاشكال الرائين وشبهه ايضا بجماعة ينظرون خلف جامات من الزجاج ملونة فوقع طاير ابيض وراء الجامات الى لون جاماتهم يراه اصفر واخر يراه احمر واخر
ابيض فالاختلافات راجعة الى اختلاف مناظرهم لا الى المرئي انتهى من شرح الفقيه عبد الملك على دخر العاد في معارضة بانت سعاد رحمه الله تعالى

ماعددت

ما عددت نفسي مسلما والقطب علي بن القطب محمد بن ابي الوفا
وهما من جملة المنتسبين الى القطب الشاذلي ومن ثم قالوا
طريقة الوفائية خلاصة طريقة الشاذلية ممن حفظت
عنه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة مرارا لا سيما عند قبر والده
بالقرافة كما هو مسطور في كراماته فكون الناظر منسوبا لهولا
الواقعة لهم الرؤية يقظة يقرب انه سال رؤية وقوع ذلك
له كما وقع لهم **ولقد كان** شيخي وشيخ والدي الشمس محمد
ابن ابي الحمايل يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة كثيرا حتى يقع
له انه يسال في الشي فيقول حتى اعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يدخل راسه في جيب قميصه ثم يقول قال النبي صلى الله عليه
وسلم فيه كذا وكذا فيكون كما اخبر لا يتخلف ذلك ابدا فاحذر من
انكار ذلك فانه السم الموحي **تنبيه** ما ذكرته من
المعنى الاول والثاني بعيد اذ لا يناسبه لفظ خصني بل
ولا تخصني ولا معناه لان الذي تمناه رؤيته في حياته
ليكون من اصحابه او في الموقف والجنة وكل مسلم يتمنى
ذلك فالتمني امر عام لا خصوصية فيه ومن الثالث
قريب يناسب لفظ خصني ومعناه اي ليته خصني فيما
مضى برؤيتي له في النوم الرؤية السابقة فالمعنى فيه صحيح
وكذا الخصوصية لان مراى الناس له في النوم متعددة
الانواع والدلالات فلا بدع ان يتمنى وقوع رؤية
تخصه دون غيره باعتبار ما يدل عليه من الحظ والامداد

مناسبة

وغيرهما ولا نظراً الى كونه مفضولاً بالنسبة لاكثر الأولياء والعلماء لان ذلك
لا يمنع ان يحصل له من ذلك الجناب من نوع امداد وحظ ما لم يحصل
لغيره. ومن المعنى الرابع قريب أيضاً لكن على القول بوقوعه
حينئذ ينبغي ان احسن هذه الاحتمالات الذي لا نزاع فيه هو ينبغي
الثالث تنبيه آخر من المقرر عن المحققين ان الباء في
حيز الاختصاص وما اشتق منه يجوز دخولها على المقصور
والمقصور عليه فهي هنا داخلة على الاول على كل من الثالث
والرابع واما على الأولين فخصني فيهما بمعنى أعطاني والماضي
قد يستعمل مراداً به الاستقبال تنبيه آخر أيضاً ما تقرر من
ان خص وما اخذ منه يفيد الحصر وانه يفيد في نحو خصه بكذا
قصره عليه قصر قلب تارة وافراد اخرى هو المشهور وأيضاً
خلافاً لمن فرق بين الاختصاص والحصر وفي القاموس خصه
بالشيء خصاً وخصوصاً وخصوصية وقد يفتح وخصيصى ويمد
وخصيته وتخصيته فضله وبالمعكوس ذلك ثم قال والتخصيص
ضد التعميم ولا يتوهم منه ان الاختصاص غير الحصر لانه لا سيما
فضله به الا ان حصره فيه ويؤيده قوله التخصيص ضد التعميم
الصريح في ان التخصيص قصر العام على بعض افراده فتأمل ذلك كله نفيس
فانه مهم زال اي تحول فزال هنا تامة لا ناقصة عن كل من
رآه مؤمناً في حياته او بعد موته في يقظة الرائي لان ذلك
لا يقع الا لاكابر الأولياء او في النوم على صفته التي كان
عليها كما مر ان ذلك يدل على الخير ورؤيته المخصوصة في الآخرة

الشقا

الشقا اي جميع انواعه لان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم كلهم
عدول كما يشهد له الكتاب والسنة نحو أصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم. وما وقع لبعضهم مما يخالف ذلك تداركه
الله برحمته للمتصل من وصمته وحباه بجعله من أحبته ببركة
حلول نظر نبيه صلى الله عليه وسلم ولما ذكر ذلك الوجه الكريم
وزوال الشقا عن كل من رآه أتبعه بذكر صفاته وخصوصيات
له ذاكراً مع كل ما يناسبه كما هو شأن البلغاء فقال
مسفر يلتقي الكتيبة بساماً اذا أسهم الوجوه اللقاء فهو صفة ح
مسفر ذلك الوجه حسناً ثانيه لوجه اي مشرق نوره الذي
يكاد يخطف الابصار يلتقي ذلك الوجه أيضاً الكتيبة
اي الجيش بالمثلثة او المثناة من تكتبت بنو فلان اذا
اجتمعوا حال كونه بساماً اي متبسماً يفتر عن مثل سنا
البرق أو عن مثل حب الغمام اذا أسهم اي غير من سهم يفتح
عينه أو ضمها وجهه اذا احمر وتغير الوجوه اللقاء للعدو
نحو في الحالات التي فيها ينزعج غيره ويضطرب ويتغير
وجهه على غاية من الطمأنينة والثبات والتبسم لعظيم
ما آتاه الله من الشجاعة التي لم يصل غيره الى ادناها.
وقد صح كما مر عن أنس انه كان أشجع الناس وان صياحاً
وقع بالمدينة ليلاً فخرج صلى الله عليه وسلم الى أن بعد فلم ير
شيئاً فلما رجع رأى الناس خارجين فقال لن تراعوا صلى الله عليه وسلم
اي روعاً عن حقيقة ما رأينا من شيء وصح انه صرع ركانة

صلى الله عليه وسلم

مرات ولم يصرع قط ركانة قال له متعجبا منه ان شانك
لعجيب وصرع آخر بلغ من شدته انه كان يقف على جلد
البقرة ويتجاذب اطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه
فيتفرى الجلد ولم يتزحزح عنه وصح انه في غزوة حنين
لما تفرق عنه اصحابه ولم يبق معه الا بضعة عشر
ثبت على بغلته مع انها لا تصلح للكر ولا للفر وهو مع ذلك
يركضها الى وجه العدو ينوه باسمه ليعرفه من لا يعرفه
قايلا انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اذ لا شجاعة وراء
ذلك ومن ثم قال الصحابة رضي الله عنهم كنا اذا حمي الوطيس
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلناه امامنا
واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وذهب بعض المالكية
الى ان من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب
فان تاب والا قتل لانه تنقيص اذ لا يجوز ذلك عليه في
خاصة نفسه لعلمه بان الله تعالى ناصره وحافظه واعترضه
بعض المالكية بما حاصله انه حيث كان ذلك تنقيصا
لم يستتب ولم تقبل له توبة انتهى وقياس مذهبنا خلافا
لمن اخطا فيه انه ان نوى بذلك تنقيصه كفر والا فلا
واذا قلنا بكفره فذهب بعض ايمتنا الى انه لا تقبل توبته
وحكى فيه الاجماع والمعتمد قبولها منه جعلت مسجدا له
الارض فاهتز به للصلاة فيها حراء ○ جعلت
مسجدا له اي لذلك الوجه الكريم ولامته بطريق التبع له

بلغ مقابلة

الارض كلها

١٢٧

الارض كلها كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة
قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة
شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي
ادركته الصلاة فليصل والمراد بقوله مسجدا موضع سجود
اي السجود لا يختص بموضع منها دون غيره قيل ويمكن ان يكون
مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت
الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وقيل المراد جعلت
لي الارض مسجدا وطهورا ولغيري مسجدا لا طهورا لان عيسى عليه
الصلاة والسلام كان يسيح فيها ويصلي حيث ادركته الصلاة
وقيل المراد ان الصلاة لم تبح الا في اماكن يتيقنون طهارته
بخلاف هذه الامة ابيحت لها في كل الارض الا ما يتيقنون
نجاسته والاصح الاول وهو انها لم تبح لمن قبلنا الا في اماكن
مخصوصة كالبيع والكنايس والصوامع للخبر المصرح بذلك
وكان من قبلي يصلون في كنايسهم ويوافقه رواية لم يكن
احد من الانبيا احد يصلي حتى يبلغ محرابه وبهذين يرد
الاحتجاج بقصة عيسى المذكورة بمنع ما ذكر فيها لدلالة
هذين على خلافه وبفرض صحته فهو لا ينافي الخصوصية
لانها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم وامته بخلاف عيسى
فبسبب هذا الجعل اهتز اي تحرك طربا وفرحا به
صلى الله عليه وسلم للصلاة اي لاجلها فيها اي الارض حراء
بالكسر والمد ويجوز قصره وصرفه وعدمه باعتبار

بلغ

المكان والبقعة كسائر أسماء الامكنة وهو الجبل الذى كان صلى الله
عليه وسلم يتعبد فيه قبل النبوة وهو مشهور ودليل ذلك انه
صلى الله عليه وسلم كان على حرآ هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي
وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم أسكن
حرا فما عليك الا نبي او صديق أو شهيد وفي رواية
وسعد ابن ابى وقاص ولم يذكر عليا خرجهما مسلم وخرجه الترمذى
وذكر انه كان عليه العشرة الا ابا عبيدة وقال اثبت حرا
وفي رواية اهدا حرآ ورواه البخاري في احد بلفظ انه
كان معه ابو بكر وعثمان فرجف بهم فضربه صلى الله عليه وسلم
وعمر ح
برجله وقال اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
ورواه النساى والترمذي فى ثبير وهو جبل مقابل لحرآ انه
صلى الله عليه وسلم كان عليه ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك
حتى تساقطت حجارته الحضيض اي التي في قراره واسفله
فركضه صلى الله عليه وسلم برجله وقال اسكن ثبير فانما
عليك الا نبي وصديق وشهيدان وما اشار اليه الناظم
بتعبيره فاهتز من أن ذلك التحرك انما كان للطرب
والفرح لا للغضب نقله شارح البخارى ابن المنير في احد
فقال قيل الحكمة فى ذلك انه لما ارجف أراد صلى الله عليه وسلم
أن يبين ان هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل
بقوم موسى لما حرفوا الكلم وأن تلك رجفة الغضب وهذه
هزة الطرب وهذا نص عليه صلى الله عليه وسلم على مقام النبوة

والصديقية

والصديقية والشهادة التى توجب سرور ما اتصلت به لا رجفانه
فأمر الجبل بذلك فاستقر انتهى واستشكل ما ذكر بأن الهز
طربا نوع العلم ممن فوقه وقوله اثبت الى اخره يقتضي ان تحركه
لغير السرور واجاب بانه علم من الاحاديث الصحيحة
التى منها أحد يحبنا ونحبه ان أحدا اودع علما به صلى الله
عليه وسلم ومحبة له وميلا اليه فاذا اهتز لاجل ذلك
دل على نوع طيش وخفة فناسب أن يركضه صلى الله عليه
وسلم برجله الكريمة وأن يذكره بان مقام النبوة والصديقية
والشهادة كل منها يقتضى الرزانة وعدم التحرك فلما علم الجبل
ذلك سكن وخضع فكان ما منه اولا هزة الطرب واخرا
سكون الحيا والامتثال والأدب ويحتمل انه ارتعد هيبة
لجلالته صلى الله عليه وسلم فأمره صلى الله عليه وسلم بترك ذلك
وذكره بان ما عليه من المقامات الثلاث السابقة تقتضي
هزة الجنان واللقا المنبئين عن غاية الفرح والسرور
قال الطبري وغيره واختلاف الروايات يحتمل على انها قصص تكررت
وهو واضح لان كلا منهما صحيح فلا وجه الا التعدد وأيده شيخ
الاسلام الحافظ العسقلانى بعد ما توقف فيه بأن الذي
معه بحرا أزيد ممن معه باحد فان قلت ما وجه التعليل
فى قول الناظم للصلاة فيها قلت كانه يشير الى ان الله تعالى
لما اقطع نبيه الارض وجعلها كلها مسجدا له وشرفها بصلاته
فيها دخل في ذلك جبالها فاذا صعد بعضها تذكر الجبل

ذلك الجمل وتلك الصلاة اللذين حصل لهما الجمل كيفية الأرض
غاية الشرف وتحرك اعلاما للامة بما حصل له مما يوجب السرور
والطرب ثم رايت بعضهم جعل ضمير فيهما للجمل وجعل
المراد بالصلاة صلاته صلى الله عليه وسلم فيه لما كان يختلى
فيه قبل البعثة وهذا الكلام ساقط لانه لم يعرف انه صلى الله
عليه وسلم صلى قبل النبوة ولان الاهتزاز بعد النبوة بكثير
لرواية ان العشرة الا واحدا كانوا معه ۝

مُظْهِر شجة الجبين على البرء كما أظهر الهلال البراء

مُظْهِر ذلك الوجه الكريم شجة الجبين اي جرح جبينه وهو
المنحرف عن الجبهة فوق الصدغ وفي التعبير به خلاف وتجوز
لما باتي ان الذي شج جبهته وفي رواية وجنته والجبين غيرهما
فالتعبير بالجبين من مجاز المجاورة على البرء اي فيه أو معه
من برئ من المرض بالكسر برءا بالضم وبرأ برءا بالفتح فيهما
وهذه الشجة كانت يوم احد اخرج ابن هشام عن ابى سعيد
الخدري ان عتبة بن ابى وقاص اخا سعد بن ابى وقاص اول
من رمى بسهم في سبيل الله وكان صلى الله عليه وسلم يناوله السهام
يوم احد ويقول له ارم فداك ابى وامى قال فلم يجمع أبويه لغيري
وكان يفتخر به ويقول هذا سعد خالى اى لانه زهري فليرني امرء
خاله فشتان ما بين هذين الاخوين رمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم احد فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته
اليسرى وان عبد الله بن هشام الزهري شجه في جبهته

وان ابن قمية جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها
ووقع صلى الله عليه وسلم في حفرة وفي رواية وهشموا
البيضة على راسه ورموه بالحجارة حتى رموه لشقه في حفرة
وروى الطبراني وغيره ان عبد الله بن قمية رمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشجه في وجهه وكسر رباعيته فقال
خذها وانا ابن قمية فقال صلى الله عليه وسلم أقماك الله
فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة
قطعة واحمد والترمذي والنسائي عن انس كسرت رباعيته
صلى الله عليه وسلم يوم احد وشج وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وجعل يمسحه ويقول
كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل
الله تعالى ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم او يعذبهم فانهم
ظالمون وفي رسالة فوري ان وجهه صلى الله عليه وسلم ضرب يومئذ
بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها كما مصدرية
أظهر الهلال البراء بفتح الموحدة وهو اول ليلة من الشهر
اى ان وجهه الكريم اظهر اثار تلك الشجة مع برئها ظهورا
واضحا ليس فيه أدنى شين بل فيه غاية الكمال كظهور الهلال
ليلة استهلاله لحكمتين ليتذكر الراوون لذلك والراوون عنهم
ما وقع له صلى الله عليه وسلم من المحنة وعظيم الصبر عليها حتى
يقتدوا به في ذلك وليعلموا ان تلك لم تشنه حاشاه من ذلك
بل زادته جمالا على جماله لانها صارت بعد البرء كالهلال
في وجهه الاحسن من الهلال كما قال الناظم رحمه الله ۝

الكريم

سَتَرَ الحُسْنَ مِنْهُ بِالحُسْنِ فَاعْجَبْ لِجَمَالٍ لَهُ الجَمَالُ وِقَاءُ

سَتَرَ ذلك الوجه الحُسْنَ الأصلي مِنْهُ بِالحُسْنِ العارض بالشجة فَاعْجَبْ لِجَمَالٍ أصلي لَهُ الجَمَالُ العارض وفي هذا كالذي قبله الجناس التام المماثل بناءً على ما مرّ الكلام عليه في شرح شق عن قلبه وشق له البدر وأما جزم الشارح بانه من ذلك مع اختلاف موضوعه باعتبار الأصلي والعارض كما تقرر لا من حيث الوضع فغير صحيح ولو حصل تمام التجنيس بين اللفظين مع اتفاق الوضع واختلاف المراد لعدّ وامثه الذين قال لهم الناس ان الناس النفس بالنفس الى اخره نعم يمكن أن يقال قد يقاس اختلاف المراد باختلاف الوضع حيث لا قرينة مميزة كما هنا بخلاف باقي الآيات فان قرينة التغاير فيها ظاهرة بمنع التجنيس فلو عبّر الشارح بيحتمل أو نحوه لسلم من الجزم بما كلامهم الصريح في رده وفي البرء والبرأ الجناس المحرف وِقَاءُ وسبب ذلك ان الله تعالى أعطى نبيه صلى الله عليه وسلم غاية الجمال لم يعطها لمخلوق كما مرّ بدليله في باطنه وظاهره ويكفيك شاهداً على ذلك ما مرّ ان الله تعالى جعله كله نوراً ولم يظهر له ظل فكان جلده ساتراً لجماله الباطن فاذا أزالته الشجة ظهر من أنواره الباطنة ما صيّرها كالهلال في وجهه وصار حينئذ حسن ظاهره مستوراً بما ظهر من حسن باطنه فهما جمالان عظيمان صار باطنهما وقاية لظاهرهما وهذا مما يستغرب ويتعجب منه ولذلك شبهه بتشابيه

توضح

كالصّبح

البحو

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أي الجلد

توضح ذلك وتكشفه فقال فَهُوَ كَالزَّهْرِ لَاحَ مِنْ سَجَفِ الأَكْمَامِ وَالعُودُ شُقَّ عَنْهُ اللِّحَاءُ

فَهُوَ أي ما ظهر بالشجة من باطن بدنه كَالزَّهْرِ اي نور النبات اذا لَاحَ أي ظهر مِنْ سَجَفِ بفتح أوله وكسره أي ستر الأَكْمَامِ هو كالأكمة جمع كِمّ بالكسر وهو غطاء النور المشبه به هنا ظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وَهو أيضاً كَالعُودِ الذي يتطيب به اذا شُقَّ عَنْهُ اللِّحَاءُ وهو قشر الشجرة من لحوته ألحوه قشرته فظاهر الجلد كاللحاء وباطنه كالعود وفي هذين التشبيهين ما يعلمك ان جمال باطنه ربما فاق جمال ظاهره ومن ثم قال

كَادَ أَنْ يُغْشِيَ العُيُونَ سَنًا مِنْهُ لِسِرٍّ فِيهِ حَكَتْهُ ذُكَاءُ

كَادَ ما ظهر بالشجة أَنْ يُغْشِيَ بالغين المعجمة اظهر من المهملة وهي وما بعدها سدّت مسدّ مرفوع كاد وخبرها العُيُونَ اي يغطي عليها سَنًا بالقصر اي ضوء عظيم خارج مِنْهُ لِسِرٍّ عظيم وفي نسخة بسرّ فِيهِ اي في ذلك الباطن الذي ظهر هو مصيّره كله ضياء أعظم من ضياء الشمس ومن ثم كان أصل ذلك السرّ لا كماله حَكَتْهُ اي شابهته ذُكَاءُ بضم المعجمة وعدم الصرف ويمتنع دخول ال عليها اي الشمس وذكرها بعد سنا من مراعاة النظير ومما تقرر علم ان من أسباب عدم تشبيهه بتلك الشجة ما أوتيه من الحسن الذي لم يؤته غيره ومن ثم قال

صَانَهُ الحُسْنُ وَالسَّكِينَةُ أَنْ تُظْهِرَ فِيهِ آثَارَهَا البَأْسَاءُ

وَتَخَالُ الوُجُوهَ إِنْ قَابَلَتْهُ أَلْبَسَتْهَا أَلْوَانَهَا الحِرْبَاءُ

صَانَهُ ذلك الحُسْنُ لو انفرد فكيف وَقد انضم اليه السَّكِينَةُ

أي وقار الظاهر مع طمانينة القلب وعدم تحركه مما يمحى به
من الموذيات التي لا يسكن عندها غيره أن تظهر فيه آثارها
هو ضمير الفاعل المتقدم رتبه وهو البأساء أي الشدائد فلذلك
لم يظهر عليه من تلك النتيجة إلا غاية الطمانينة ونهاية الجمال
كما مر فعلم أنه لما أودعه الله فيه من كمال الجمال وتمام البهاء
في حالة السراء كهو في حالة البأساء فلا تؤثر فيه البأساء البتة
وتخال أي تظن أنت الوجوه إن قابلته أي عاينت وجهه
وجواب إن محذوف لدلالة ما قبله عليه خجلت من فرط جماله
وتلونت بالالوان المختلفة كما يشاهد من قوي خجله حتى
كأن تلك الوجوه عند ذلك التلون ألبستها ألوانها ضمير
الفاعل المتقدم رتبة وهو الحرباء المشهورة من شأنها أن
أنها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت وتتلون بالألوان
العجيبة المختلفة فإذا شمت بشره ونداه أذهلتك الأنوار والأنواء
فبسبب هذا الجمال الباهر المستلزم للباهر الإفضال والإحسان
إذا شمت بالمعجمة من شمت البرق نظرت إلى سحابه بشره أي
طلاقة وجهه ونداه أي جوده أي إذا تطلعت إلى مخايله ببصرك
منتظرا إليه أذهلتك أي أنستك ما أنت بصدده الأنوار
الباهرة التي تحصل لك من بشره عند رؤية وجهه والأنواء
جمع نوء وهو ما تضيف العرب الأمطار إليه من النجم أي وقته
نحو مطرنا بنوء الثريا وهي هنا كناية عن الخيرات الواصلة
منه صلى الله عليه وسلم لمن قصد نداه وأمله ففيه لف

ونشر

١٢١

ونشر مرتب لرجوع الأنوار للبشر والأنواء للندا وفيهما الجناس
اللاحق ونوع من مراعاة النظير يسمى تشابه الأطراف وهو أن
يختم بما يناسب ابتداءه في المعنى نحو لا تدركه الأبصار الآية
فاللطيف يناسب لا تدركه الأبصار والخبير يناسب وهو
يدرك الأبصار ولما تمنى رؤية الوجه الكريم المكرم واستتبعه
بأوصافه العلية أخذ في تمني تقبيل راحته الكريمة ووصفها بأوصافها
الباهرة فقال أو بتقبيل راحة كان لله وبالله أخذها والعطاء
أو لينه خصني بتقبيل راحة أي بالتمني في اليقظة أو النوم
نظير ما مر لكفه التي كان لله أي لأجله ابتغاء لوجهه تعالى دون
غرض آخر وبالله أي بسبب شهود إعانته وقدرته أخذها
والعطاء أي وإعطاؤها لبراءتها عن كل غرض بنا في الجمال الأعظم
فلم يقع تصرف منها في شيء منذ أفاض الله عليها خوارق جوده
الا مع شهود سلب كل حول وقوة عما سواه تعالى ولهذا
الشهود الأعظم في تصرفها كانت تتقي بأسها الملوك وتحظى بالغنا من نفع نوالها الفقراء
لا تسأل سيل جودها إنما يكفيك من وكف سحبها الانداء
تتقي بفتح التاء أي تخاف وتحذر بأسها أي شدتها في الحرب
الملوك قيصر وكسرى والمقوقس إلى أن ظفرها الله بجميعهم
وكانت تحظى أي تفوز بالغنا الحسي والمعنوي من نفع
نوالها أي اعطائها الفقراء لأنه كان أجود الناس فيعطي
عطاء تعجز عنه الملوك ومع ذلك يعيش عيش الفقراء إيثارا على
نفسه وعياله وكان جوده كله لله تعالى وفي ابتغاء مرضاته ببذل

الاموال تارة للفقرآء والمحتاج وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة
يتألف به من يقوى اسلامه او من يسلم باسلامه نظراؤه وبين
الاخذ والعطاء والملوك والفقرآء وشتى وتخطى التقابل
لا تسل اصله بالهمز ثم خفف بحذفه كما قرئ فى سال سائل سيل
هو الماء الكثير الجارى وبينهما تجنيس التحريف والتصحيف جودها
بفتح الجيم وهو المطر الغزير اى لا تسل هذا الامر المكنى به عن سعة
عطايه وجوده فان هذا شئ لا يقدر احد من البشر قدره انما الذى
يليق بك ان تسال ما يكفيك وهو ان يصل اليك من وكف اى
قطر سحبها جمع سحاب الانداء جمع ندآء وهو البلل اعلم ان بلل هذا
القطر فيه الغنى الكلى فمن وصلت اليه بلة من قطرة منه كانت
سببا لغناه فى الدنيا والاخرة ومن اوصاف تلك الراحة العلية ايضا
انما درت الشاة حين مرت عليها فلها ثروة بها ونماء
درت اى ارسلت لبنها الغزير حين مرت عليها فبسبب ذلك
صار لها بعد فقد اللبن منها بالكلية اذ لم يطرقها فحل قط ثروة
اى كثرة اللبن بها اى بسبب تلك الراحة الكريمة ونماء اى زيادة
فى تلك الكثرة وهذه القصة وقعت له صلى الله عليه وسلم لما
خرج من غار ثور مهاجرا الى المدينة ومعه ابو بكر ومولاه
عامر ابن فهيرة فاخذ بهم الدليل طريق الساحل فمروا بقديد
قريب رابغ على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية نذرت لا
تسقى ولا تطعم وكانوا فى غاية القحط والجهد فطلبوا منها
لبنا ولحما يشترونه فلم يجدوا عندها شيئا فنظر صلى الله عليه وسلم

الى شاة

يقال سال يسال مثل خاف يخاف والامر منه
سل مثل خف قال حسان رضى الله تعالى عنه
سالت هذيل رسول الله فاحشة
ضلت هذيل بما سالت ولم تصب
وحينئذ يكون الامر منه سل مثل خف
فلما سكنت اللام حملا للامر على المجزوم
التقى ساكنان فحذفت العين لذلك
فوزنه على هذا فل بحذف عين الفعل
والامر من المهموز اسئل القيت
حركة الهمزة على السين تخفيفا الى
آخر ما ذكره فى الدر المصون
عند اعراب قوله تعالى
سل بنى اسرائيل

الشاة

رضي الله تعالى عنه

وكانت برزة تسقى وتطعم
ما سقط من الاصل

الى شاة فى كسر الخيمة تخلفت عن الغنم لشدة الجوع فسألها
هل لها من لبن فقالت هى اجهد من ذلك والله ما ضربها
من فحل قط فقال اتاذنين لى ان احلبها قالت نعم ان
رايت فيها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها
فسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يشبع الجماعة
فملأه من حلبها وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم
ثم حلب فيه مرة اخرى عللا بعد نهل ثم تركه عندها وذهبوا
ذكر ذلك اصحاب السير وغيرهم ومن اوصاف تلك الراحة
الجليلة ايضا انه نبع الماء اثمر النخل فى عامه بها سبحت بها الحصباء
نبع الماء بها اى بسببها وعدل اليها عن منها المتبادر ليفيد
انه نبع تارة منها وتارة ببركتها من غيرها اما الاول فقال
القرطبى قصة نبع الماء من بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله
عليه وسلم فى عدة مواطن فى مشاهد عظيمة ووردت من طرق
كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعى المستفاد من التواتر المعنوى
ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم حيث نبع
الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه ذكر المزنى صاحب
الشافعى رضى الله عنهما ان هذا ابلغ من نبع الماء من الحجر بضرب
موسى عليه الصلاة والسلام لان الحجر يؤلف منه خروج الماء
ولا كذلك البدن فمن جملة تلك المواطن ما فى الصحيحين عن
انس ان الناس احتاجوا لصلاة العصر فلم يجدوا الماء
فاتى بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فنبع الماء من بين اصابعه

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم

١٤٢

صلى الله عليه وسلم

رضي الله عنه

صلى الله عليه وسلم

حتى توضؤوا كلهم • زاد البخاري كانوا ثمانين • وان الماء نبع من بين اصابعه
ومن اطراف أصابعه • وفي رواية لابن شاهين انه وقع نظير ذلك
في غزوة تبوك لما شكوا اليه فطلب فضلة ماء فاتي بها فصبها
في صحفة ثم وضع راحته فيها فتخللت عيون بين اصابعه فرووا
هم وابلهم وتزودوا منه • وفيهما عن جابر انه صلى الله عليه وسلم
كان يتوضأ من ركوة فجاؤوا يشكون العطش • فوضع يده في الركوة
فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون • فتوضؤوا كلهم •
وكانوا الفا وخمسماية • بل قال جابر لو كنا ماية الف لكفانا •
وفي رواية لاحمد عنه فوالذي ابتلاني ببصري لقد رايت العيون
عيون الماء تخرج من بين اصابعه • وظاهر الروايات ان الماء نبع
من نفس اللحم الكاين في الاصابع • وهو ما صححه النووي وجزم به
غيره • وانما استدعا قليل ماء تادبا مع ربه فانه المنفرد بايجاد
المعدومات من غير اصل • نعم في رواية عند جماعة انه فعل ذلك
مرة من غير ماء لكن استدعا بشن يابسة فوضع يده فيها
فنبعت عيون الماء • واما الثاني ففي مسلم انكم ستاتون
غدا ان شا الله تعالى عين تبوك • وانكم لن تاتوها حتى يضحى النهار
فمن جاها فلا يمس من مايها شيئا حتى اتي • فسبق رجلان وسياه
قبل ان ياتي فسبهما ثم اغترف واله قليلا فغسل به وجهه ويديه •
ثم صب الغسالة في العين فجرت العين بماء كثير ثم قال يا معاذ
يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ها هنا قد ملي بساتين
وعمرانا • وفي رواية الموطا وغيره • فانخرق من الماء ماله حس

لحس الصواعق

كحس الصواعق • وصح على مقال في بعض رواته ان العطش اشتد بهم — رضي الله عنه
في غزوة تبوك • حتى كادت رقابهم تنقطع • وكان الرجل ينحر بعيره
يعصر فرثه فيشربه ويجعل الباقي على كبده • فسأله ابو بكر أن يدعو
لهم فقال أتحبون ذلك قالوا نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت
السماء فانسكبت • فملاؤا ما معهم من آنية ثم ذهبوا ينظرون فلم
يجدوها جاوزت العسكر • وفي البخاري في غزوة الحديبية
نحو ذلك مرتين مرة أمرهم بوضع سهم من كنانته في محل الماء — صلى الله عليه وسلم
ففاض • ومرة وضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين
أصابعه • ومن أوصافها انها ايضا أثمر النخل في عامه
اي في سنة غرسه بها أي بسبب تلك الراحة الكريمة لذلك
النخل في قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه التي ذكرها أصحاب
السير ابن هشام وابن سيد الناس وغيرهما • وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة أتاه سلمان وآمن به وكان مسترقا فأمره صلى الله
عليه وسلم أن يكاتب سيده فكاتبه على غرس ثلثمائة ودية
وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا • ثم اخبره صلى الله عليه
وسلم بذلك فأمر أصحابه أن يعينوه بالودي فأعانوه به ثم وضعه
صلى الله عليه وسلم بيده • فما ماتت منها واحدة بل اثمرت كلها في
عامها • وفي رواية فوقعت منها واحدة فقلعها صلى الله
عليه وسلم واعادها فساوت البقية • فأداها وبقي عليه الذهب
فجيء النبي صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة دجاجة من ذهب من
بعض المعادن فأعطاها له فقال وأين تقع هذه مما علي •

فقال خذها فان الله سيؤدي بها عنك فوزن لهم منها اربعين
اوقية **ومن اوصافه** انها **سبحت بها** اى فى راحته
الحصبا اى الحصا كما رواه البزار والطبرانى فى الاوسط
عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان عنده ابوبكر وعمر وعثمان
فقبض حصيات فسبحن فى كفه حتى سمع لهن حس كحس النحل
فناولهن ابابكر فسبحن فى كفه ثم عمر كذلك ثم عثمان كذلك
ثم اخذها الحاضرون فلم يسبحن مع احد منهم **قال** الحافظ
شيخ الاسلام الحافظ العسقلانى ليس لحديث تسبيح الحصى
الا طريق واحدة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس انتهى
نعم اخرج البخارى من حديث ابن مسعود كنا ناكل مع النبى
صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام وفى فتح
البارى عن الشفا انه صلى الله عليه وسلم مرض فاتاه جبريل بطبق
فيه رمان وعنب فاكل منه فسبح **تنبيه** تسبيح الجماد
كالطعام معناه ان الله تعالى خلق فيه اللفظ الدال على التنزيه
معناه خرقا للعادة ومع ذلك اضافة التسبيح اليه مجاز
لان اللفظ انما يضاف حقيقة لمن قام به **ومن**
اوصافه العلية ايضا **احيت المرملين من موت جهد**
اعوز القوم فيه زاد وماء فتغدى بالصاع الف جياع
وتروى بالصاع الف ظماء **انها احيت المرملين**
اى الذين نفد زادهم من القحط حتى اشرفوا على الموت فتسميتهم
موتى حتى وصفوا بالحياة مجاز كما ان اسناد الاحيا الى الراحة

رضي الله تعالى عنهم اجمعين

عليه السلام

التنزيه

مجاز ايضا

١٢٢

مجاز ايضا فهو استعارة تبعية **من موت جهد** اى قحط شديد والاضافة
بيانية مبالغة بادعاء ان ذلك الجهد لما كان سببا قريبا للموت
اطلق عليه اسمه **اعوز القوم** عدل اليه عن اعوزهم الذى هو
القياس لازالة ايهام لفظ المرملين انه خاص بذكورهم وان كان
التغليب فى مثله شايعا ذايعا **فان قلت** شمول القوم للاناث
انما هو بطريق التبع فساوى المرملين **قلت** الفرق بينهما
واضح لان شمول القوم للاناث لفظى وان قلنا بالتبعية ومن ثم لم
يحتج لقرينة بخلاف المرملين فافاد القوم ما لم يفده المرملين **فيه**
اى ذلك الجهد **زاد وماء** من اعوزه الشئ اذا احتاج اليه وعبر
بزاد مع انه انما يقال فى طعام المسافر اشعارا بانهم لما حصلت
لهم تلك الشدة التى ادت بهم الى الاشراف على الموت صاروا
كالمشرفين على الهلاك وبين الموت والاحيا والزاد والماء
الطباق كالرى والشبع المفهومين مما ياتى **ف**بسبب
احيائه لهم كثر الله كرامة ومعجزة له الطعام والماء القليل جدا
حتى **تغدى** بالدال المهملة اى اكل وقت الغداء وهو ما قبل
الزوال **بالصاع** وهو قدحان بالكيل المصرى تقريبا **الف**
جياع وتروى بالصاع الف ظما جمع ظامى اى عاطش اما
تروى الالف الظما بالماء القليل النابع من بين اصابعه تارة
وببركته تارة اخرى فقد مر الكلام مستوفى والتعبير بالصاع
فيه المراد به الماء القليل جدا كما يعلم مما مر وانما ذكره على وجه
المجاز المشاكلة لما قبله نحو وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله

تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وبالألف المراد به العدد الكثير
ففي بعض المواطن كالحديبية كانوا ألفا وأربعمائة أو وخمسمائة
وفي بعض المواطن كانوا ثلاثمائة وفي بعضها كانوا أقل وفي
غزوة تبوك كانوا ألوفا مؤلفة **وأما تغذي** الألف
الجياع بالصاع فهو ما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه رأى النبي
صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق جوعا شديدا فذهب لامرأته
وأخبرها فأخرجت صاعا من شعير وشاة داجنا أي سمينة
فذبحها وطحنت الشعير فلما وضعت اللحم في البرمة ذهب
للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره وطلب أن يأتي بنفر معه
فصاح صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق إن جابرا صنع سورا
فحيهلا بكم ثم أمره أن لا ينزل البرمة وأن لا يخبز العجين
حتى يجيء فلما جاء بصق في العجين ثم في البرمة وبارك ثم أمرها صلى الله عليه وسلم
أن تدعو خابزة تخبز معها وأن تغرف من برمتها ولا تنزلها
فأكلوا وهم ألف حتى تركوه وإن عجينهم وبرمتهم كما هما وفيهما
أيضا الا بعض زيادات ففي مسلم عن أنس في غزوة الخندق
أيضا أن عمه زوج أمه أبا طلحة عرف جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في صوته فذكر ذلك لأم سليم زوجته فأخرجت أقراصا
من شعير ولفتها بخمار وأعطتها لأنس ولفت طرف الخمار على
رأسه مرتين كالعمامة وأرسلته إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجده بالمسجد أي الموضع الذي أعده لمحاصرة الأحزاب
ومعه الناس فقال له أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال بطعام

قلت نعم فقال لمن معه قوموا فتقدمهم أنس فأخبر عمه فقال
يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه بالناس وليس عندنا طعام
نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فتلقى أبو طلحة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال صلى الله عليه وسلم هلمي يا أم سليم ما عندك فأتت
بذلك الخبز فأمر به صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت فأدمته
ثم قال فيه صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة
فأكلوا حتى شبعوا فخرجوا فقال ائذن لعشرة وهكذا فأكلوا
وشبعوا وهم ثمانون ثم أكل صلى الله عليه وسلم وأهل بيته
وتركوا بقية **وفي طرق** هذه ما يقتضي تعددها وإدخالهم
عشرة عشرة لاتحاد القصعة وصغرها وقول أنس نعم إنما
لاستحيائه من كثرة الناس فقال ذلك لتبعية النبي صلى الله
عليه وسلم وحده وأما الان من أرسله ذكر له أنه إذا رأى كثرة
الناس دعاه وحده **وفي** رواية أن أبا طلحة قال إنما
أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى
فقال ادخل فإن الله سيبارك فيما عندك **وفي** رواية
أنه صلى الله عليه وسلم مسح القرص فجعل ينتفخ ويتسع في الجفنة
وفي أخرى أن أبا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئ رضي الله عنه
أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجرا
وروى مسلم أنهم في غزوة تبوك جاعوا فسأل عمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يدعو بفضل أزوادهم ثم يدعو لهم
عليها بالبركة ففعل فاجتمع شيء يسير فدعا صلى الله عليه وسلم

بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه
فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال صلى الله عليه وسلم
أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله الحديث وفيهما
عن أنس أيضا أن أمه أرسلته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحيسة في تور وهو عروس بزينب فأمره أن يدعو من لقي
فكانوا زهاء ثلاثمائة فوضع صلى الله عليه وسلم يده في تلك
الحيسة وتكلم بما شاء الله ودعا عشرة عشرة فأكلوا حتى
شبعوا فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وصح
عن سمرة بن جندب أنهم تداولوا قصعة من غدوة إلى الليل
يقوم عشرة ويقعد عشرة فقيل له مما كنت تمد فقال
ما كانت تمد إلا من ها هنا وأشار بيده إلى السماء ۝

يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ۝

وَوَفَا قدرَ بيضةٍ من نُضارٍ دَيْنَ سلمانَ حين حانَ الوفاءُ

ومنها أنه **وفى قدر بيضة** أي بيضة دجاجة **من نضار**
أي ذهب **دين سلمان** الفارسي رضي الله عنه الذي كان من جملة
ما كاتبه عليه سيده وهو أربعون أوقية من الذهب كما مر
آنفا مع صغر تلك البيضة وعظم ذلك الدين لكنه ببركة
مسحه لتلك البيضة براحته الكريمة **حين حان** أي قرب **الوفاء**
أي حلول الأجل وبين وفا والوفا الجناس الناقص ورد العجز على
الصدر وحين ودين وحين وحان الجناس اللاحق وسبب
هذا الدين على سلمان أنه **كان يدعى قنا فأعتق لما**
أينعت من نخيله الأقناء ۝ **كان يدعى قنا** أي أرق

بالباطل

١٤٦

بالباطل وتمحض قصته كما حكاه هو عن نفسه أنه من أصبهان
واجتهد في المجوسية حتى صار رئيسها فمر بكنيسة للنصارى
فأعجبوه فذكر لأبيه فقيده وقال له دينك ودين آبائك خير
من دينهم وكان سألهم عن أصل دينهم فقالوا بالشام فأرسل
إليهم إذا جاءكم أحد من الشام فأخبروني ففعلوا فحل القيد ولحق
إليهما فسأل عن أعلمهم فدل عليه فخدمه إلى أن مات
ثم خدم من أقيم مقامه فلما احتضر قال له لمن توصي قال
لفلان بالموصل فجاءه فأخبره وخدمه فلما احتضر قال له
لمن توصي قال لفلان بنصيبين فجاءه فأخبره وخدمه فلما
احتضر ذكر ذلك له فقال لفلان بعمورية من أرض الروم
فلما احتضر قال لمن توصي قال يا بني ما أعلم أحدا على ما كنا عليه
أمرك أن تأتيه وإنه أظل زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم
يخرج من أرض العرب يهاجر إلى أرض بين حرتين به علامات
لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة
فإن استطعت أن تلحق بأرضه فافعل ثم مات فمر به نفر من
كلب فقال لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم ما عندي فحملوه
فلما بلغوا وادي القرى ظلموه فباعوه من يهودي فباعه من ابن
عم له من بني قريظة بالمدينة قال فحملني إليها فعرفتها
فبعث صلى الله عليه وسلم بمكة فلم أسمع له ذكرا ثم هاجر إلى المدينة
فبينما أنا أجني لسيدي ثمر إذ جاءه ابن عمه فقال قاتل الله
بني قيلة وهي أم الأوس والخزرج إنهم الآن يجتمعون بقبا

وسلمان علم على الفارسي الصحابي
رضي الله عنه ويقال له سلمان الخير
وسلمان ابن الإسلام وفي الصحابة
رضي الله عنهم ستة كل منهم يسمى سلمان
هو أحدهم انتهى ۝

اللهم صل وسلم وبارك
على سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين ۝

على رجل قدم اليهم من مكة يزعمون انه نبي فاخذتني علة شديدة
حتى ظننت انى ساقط فنزلت فقلت لسيدى ماذا قال لك
هذا فغضب ولطمنى لطمة شديدة وقال مالك ولهذا اقبل على
عملك فلما امسى اخذ شيا جمعه وذهب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو بقبا فقال له هذا صدقة فامر اصحابه باكله ولم
ياكل فجمع شيا اخر واتاه به وهو بالمدينة فقال له هذا هدية
فاكل هو واصحابه ثم جاءه بالبقيع وقد تبع جنازة فجعل ينظر
الى ظهره فعرف انه بما تمله للشى وصف له فالقى رداءه عن ظهره
فرأى خاتم النبوة فقص عليه حديثه واسلم فامره صلى الله عليه وسلم
ان يكاتب فكاتب نظرا لحالته الراهنة والا فهو من جملة
الاحرار الذين هم اتباع حوارى عيسى عليه الصلاة والسلام على غرس
ثلثمائة نخلة وتعهدها حتى تثمر واربعين اوقية ذهبا فغرس
له النخل فاثمرت واعطاه مثل بيضة من ذهب فوفت الاربعين
فاعتق باداء النجوم **لما ابنعت من نخيله** حال من قوله
الاقنا جمع قنو وهو العذق اى العرجون ولاجل ما ذكر
عن سلمان انه بمجرد سماعه لذكر النبى صلى الله عليه وسلم اخذته الرعدة
والشدة وهو على راس نخلة يجنيها لسيده وشاهدها سيده
منه ومع ذلك الدال على نبوة محمد وانه بلغ امره وتبعه
الاباعد والاقارب لما سمع ان له تلفتا الى سماع خبر النبى صلى الله
عليه وسلم لطمه لطمة شديدة لانه كان من جملة اليهود الذين
كانوا يفتخرون على الانصار بانه قرب زمان نبى عربى يكونون

صلى الله عليه وسلم

اول من يتبعه ويقتلونهم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم المدينة
كفر به اكثرهم كما قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **عوض**
الناظم رحمه الله بموالى سلمان منكرا عليهم اذ لم يؤمنوا بنبينا صلى الله
عليه وسلم مع ما شاهدوه من حال سلمان بل زادوا فى الطغيان
بضربه فقال **أفلا تعذرون سلمان لما ان عرته من ذكره العرواء**
أتلطمون سلمان وتمنعونه من الاجتماع بمحمد صلى الله عليه وسلم
حتى لا يؤمن به **فلا تعذرون سلمان** اى ترون له عذرا يمنعكم
من اذايته وقد وضح الدليل عندكم على نبوته **لما** اى حين **ان**
عرته اى غشيته **من** اجل **ذكره** اى ذكر اليهودى لقربه
النبى صلى الله عليه وسلم واجتماع الناس به فى قبا **العرواء**
اى قوة الحمى ومشقتها فى اول اخذها الانسان بالشدة والرعدة
وما ذكرته فى تقرير هذا البيت المطابق لما فى قصة سلمان
والذى فيه غاية المناسبة للمقام وغاية الانكار على اليهود
ورميهم بالعناد والبهتان اولا مما وقع للشارح فى تقريره
على ما فيه من النظر كما يعلم بتامله وبين عرته والعرواء
تجنيس شبه الاشتقاق **وازالت بلمسها كل داء اكرته**
أطبة واساء ومن اوصاف تلك الراحة الكريمة
انها ايضا **ازالت بلمسها** لمن به امراض اتعبت الاطباء
كل داء به **اكرته** اى استعظمته وعجزت عن برئه **اطبة**
جمع طبيب وهو العالم بعلم الطب الذى هو حفظ صحة الانسان
بمنع الواصل ورفع الحاصل **واساء** بكسر الهمزة جمع اسكراع

قابلة التعديل والمرو الحا النافض
والرجل الحمى التالب والرحضاء الحميم التى
ياخذ بالعرق والمطفاة التى ياخذ بالتمطى والنواء
التى ياخذ بالتثاؤب والكل تمد وتعلو فى الحول ... انتهى

وشرحها

ودعا وروى الدارمي ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه لياخذه عند غدائنا
وعشائنا فمسح صلى الله عليه وسلم صدره ففقا من جوفه مثل الجرو
الاسود فشفي فايدة روى البخاري ان سلمة اصيب يوم خيبر بضربة
في ساقه فنفث فيها صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكى
قط **وعيون مرت بها وهي رمد فأرتها ما لم تره الزرقاء**
ومن أوصافها ايضا انه بري بها **عيون** باصرة ○
مرت بها تلك الراحة **وهي رمد** أي معطلة الابصار
فأرتها اي تلك الراحة تلك العيون **ما** أي الشيء البعيد
الذي **لم تره** فيه مع أرتها جناس الاشتقاق **الزرقاء**
المشهورة بزرقاء اليمامة التي كانت ترى من مسافة
ثلاثة ايام روى البخاري في غزوة خيبر انه صلى الله عليه
وسلم قال اين علي اي ليعطيه الراية ويكون الفتح على يديه
كما في رواية اخرى قالوا يشتكي عينيه قال ارسلوا اليه فاتي
به فبصق صلى الله عليه وسلم ودعا فبرئ حتى لم يكن به وجع
وعند الطبراني عن علي فما رمدت ولا صدعت منذ دفع
الي صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند الحاكم عنه
فوضع صلى الله عليه وسلم راسي في حجره ثم بصق في راحته
فدلك بها عيني وعند الطبراني فما اشتكيتهما حتى
يومي هذا فايدة روى ابن ابي شيبة والبغوي والبيهقي
والطبراني وابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم نفث في عيني

فذلك

١٢٧

فذلك وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئا وكان وقع على بيض
حية فكان يدخل الخيط في الابرة وانه لابن ثمانين سنة
وان عينيه لمبيضتان **وأعادت على قتادة عينا** **فهي حتى مماته النجلا**
ومنها أيضا أنها **أعادت على قتادة** بن النعمان **عينا**
له ذهبت **فهي حتى** أي الى **مماته النجلا** أي الواسعة
والمراد واسعة النظر وقصته ان عينه اصيبت يوم
احد فوقعت على وجنته فاتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ان لي امرأة أحبها وأخشى ان رأتني تقذرني
فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم
اكسها جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت
لا ترمد اذا رمدت الاخرى **ووفد** على عمر بن عبد العزيز
رجل من ذريته فقال عمر من أنت فقال
أبونا الذي سالت على الخد عينه فردت بكف المصطفى أيما ردّ
فعادت كما كانت لأول أمرها فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدّ
فوصله عمر وأحسن جائزته **وقال السهيلي** وفي رواية
اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت
بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما
فعادتا تبرقان **قال الدارقطني** هذا حديث غريب
تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة واخرج الطبراني
وابو نعيم عنه كنت يوم احد أتقي السهام بوجهي دون وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما بدرت منه حدقتي

فاخذتها بيدي وسعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها
فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق وجه قتادة كما وقا وجه
نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا ويجمع بين
رواية الواحدة ورواية الثنتين على تقدير صحتهما بأن احد
الرواة ظن ان الساقط واحدة وبعضهم علم انه ثنتان
فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة
وبها تترجح رواية الثنتين **أو بلثم التراب من قدم**
لانت حيا من مشيها الصفوا أو ليته خصنى فى اليقظة
او النوم نظير ما مر **بلثم** اى تقبيل **التراب** المنفصل **من قدم**
له موصوفة باوصاف جليلة كسابقتها منها انها كانت
اذا مشت على حجر **لانت حيا** اى لاجل او من جهة استحيائها
منها واجلالا لها **من** اجل **مشيها** اى تلك القدم الكريمة
لها **الصفوا** اى الحجارة الصلدة فاعل لانت واعيد ضمير اليابسة
مشيها وما بعده عليها لتقدمها رتبة ونبه بذلك على
انه ينبغى لك ايها العاقل من مخالفتك ما جاء عن نبيك صلى الله عليه وسلم
لانك اذا علمت ان الحجر الاصم استحى منه ان يبقى على صلابته
مع مشيه عليه فتشق عليه صلابته فلان حتى يتسهل مشيه
عليه فلانت اولى بالاستحيا منه ان تبقى على مخالفته
مع علمك بجليل اوصافه وعلى اخلاقه ثم هذا الذي
ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا
سند وعبارة الحافظ السيوطي فى خصائصه وما اورده

رزين

رزين اى صاحب الصحاح فى خصائصه انه صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا وطئ على الصخر أثر فيه **وذكر** الحافظ التبريزي
الحنبلي تلميذ ابن القيم ذلك فى خصائصه فقال الانة الحديد
لداود عليه الصلاة والسلام فان الانة الحديد معروفة
بالنار وقد الان الله تعالى الحجارة لمحمد صلى الله عليه وسلم
ولا يعرف لين الحجارة بالنار ولا غيرها وهذا ابلغ **ثم**
قال واعجب من هذا انه كان اذا مشى على الصخر لان
تحت اقدامه واذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه خرقا للعادة
الجارية **وقال** فى اول كتابه ونحن نذكر ما نقل عن كل
نبي من المعجزات وما ثبت لنبينا صلى الله عليه وسلم من الخصائص
وما له من الفضائل الفواضل **موطئ الأخمص الذي منه**
للقلب اذا مضجعي اقض وطأ موطئ بدل من تراب
الأخمص بضم الميم المراد به الجنس اى الاخمصين وهو
التعبير بالبعض عن الكل اذ الاخمص من القدم الموضع
الذي لا يلتصق بالارض منها عند الوطئ والخمصان المبالغ
فيه ولا يرد على كلامه ما رواه البيهقي عن ابى هريرة
رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا وطئ بقدمه وطئ
بكلها ليس له اخمص وابن عساكر عن ابى امامة كان
النبى صلى الله عليه وسلم لا اخمص له يطأ على قدمه كلها
لان المراد ان اخمصه معتدل الخمص ومن ثم
قال ابن الاعرابي اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع

جداً ولم يستو أسفل القدم جداً فهو أحسن ما يكون وان استوى
أو ارتفع جداً فهو ذم الذي نعت للمضاف ولا يصح كونه
نعتاً للمضاف اليه الا بالتكلف منه صفة للمبتدا الذي هو
وطآ فقدمت عليه فصارت حالا للقلب خبر مبتدا وهو
الفؤاد وقد يعبر به عن العقل ومر المراد بالقلب والخلاف
في العقل وذكر القلب بعد الاخمص فيه تجنيس مراعاة
النظير اذا مضجعي اي جنبي الذي اضطجع عليه أقض بالقاف
والمعجمة اي أصابه القضض وهو التراب الذي يعلو الفراش
كما في القاموس وطآ اي فراش وصف ذلك التراب الذي هو
موطئ القدمين الشريفين بانه لو فرض أن مضجعه اصاب
تراب فراشه الذي من جملة ذلك التراب سرا يسر ذلك
التراب الاكبر الى قلبه فاناره واراحه من الاغيار وصيره على
اكمل الاحوال وصانه عن قبائح الخطرات والأحوال كما ان
الفراش يصون من فرشه عن ذلك وهذا اولى واظهر
مما حل به الشارح هذا البيت فتأملها ومن اوصافه
أيضا انه حظي المسجد الحرام بممشاها ولم ينبش
حظه ايليا ٥ حظي يعني جميع حرم مكة اذ المسجد
الحرام يراد به ذلك كثيرا كما في القرآن في مواضع كثيرة بل كل
ما ورد فيه من ذلك المراد به مكة الا في نحو قوله وجهك
شطر المسجد الحرام بممشاها اي بممشى تلك القدم
فيه اي فضل حرم مكة سائر البقاع ما عدا موضع قبره

المسجد الحرام

المكرم كما عليه اكثر العلما بواسطة ولادة النبي صلى الله عليه وسلم
وتربيته ونشأته فيه ومن ثم صح من غير نزاع فيه لاحد
انه صلى الله عليه وسلم قال بمكة والله إنك لأحب أرض الله
إلي ولولا اني اخرجت منك كرها ما خرجت والحديث
المعارض لذلك الذي يرويه مفضلوا المدينة المنورة
موضوع كما اعترف به امام المالكية ابو عمرو بن عبد البر
وصرح بان افضلية مكة هي الحق عند من الهم رشده
وبرئ من التعصب ولم ينبش حظه منه ايليا اي
بيت المقدس بل شرفه بمشيه ايضا وصلاته فيه بالانبيا
ليلة الاسرا كما جا في حديث ذلك في الاحاديث الصحيحة
ولم يذكر المدينة لانه الذي انشا شرفها كما قال
في الحديث الصحيح اللهم ان ابرهيم حرم مكة واني حرمت
المدينة الحديث فقوله حرمت المدينة اي نزل تحريمها
على لساني ولم يسبق زمني بخلاف مكة فان تحريمها من يوم
خلق السموات والارض كما في الحديث الصحيح وغيره فحديث
البخاري وغيره ايضا ان ابرهيم حرم مكة معناه أظهر
حرمتها لا غير جمعا بين الحديثين فانه متعين ما امكن
وليس الكلام فيمن انشا حرمته وانما هو فيمن عرفت حرمته
من قبله على لسان غيره من الانبيا لكن ازدادت حرمته
ببركة حلوله به ومشيه فيه ففضل غيره حينئذ ففضل
مكة وبيت المقدس ليس لتقدم حرمتها قبله صلى الله عليه وسلم

على نبينا وعليهم الصلاة والسلام

على نبينا وعليهم الصلاة والسلام

بل لاجل حلوله ومشيه فيهما وبين خطى وخطه كورمت ورمى
تجنيس شبه الاشتقاق **ومن اوصافها** ايضا انها
ورمت اذ رمى بها ظلم الليل الى الله خوفه والرجا
ورمت كما فى حديث الصحيحين بانه صلى الله عليه وسلم
قام من الليل فورمت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا
اكون عبدا شكورا **وفى** رواية لهما عن عايشة رضى الله
عنها قام نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ۞
وفى رواية حتى تفطرت قدماه فقلت له لم تصنع
هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال
افلا اكون عبدا شكورا فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا
اراد ان يركع قام فقرا ثم ركع والفا للتشبيه والتقدير
أأترك تهجدى فلا اكون عبدا شكورا **والمعنى** ان المغفرة
سبب لكون التهجد محض الشكر فكيف أتركه قال ابن بطال شارح
البخارى فى هذا الحديث اخذ الانسان على نفسه بالشدة
فى العبادة وان أضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا
فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم فضلا عمن
لم يخصل له عن من لم يأمن انه استحق النار انتهى **قال** بعض المفسرين
قام صلى الله عليه وسلم طول ليله على قدميه الا قليلا فلما تورمت
قدماه كان يقف على اطراف أصابعه فانزل الله عليه طه
اى طإ الارض بكل قدمك واسترح مما انت فيه من التعب

مطلب قوله تعالى طه

فانت

فانت ما انزلنا عليك القرآن لتشقى **اذ** أى وقت او لاجل انه
رمى بها ظلم الليل فيه استعارة بالكناية شبه القدم
الشريفة بسهم صايب من حيث ان قيام القدم فى طاعة
الله تعالى أوجب زوال ظلمة الليل ووحشته كما ان رمى
السهم فى طاعة الله تعالى ردت سورة عدوه ووطأته
تشبيه القدم بالسهم فى ذلك استعارة بالكناية لبنائها رة
على هذا التشبيه المكنى فى النفس واثبات الرمى لها استعا
تخييلية وبهذا التقرير البديع المبقى للبا على حالها يندفع
زعم الشارح انها بمعنى من او عن وانه لا يصح بقاؤها على حا لها
ولما كان قيام الليل لذلك ينشا اما عن مزيد خوف
او سعة رجا بين الناظم رحمه الله تعالى ان قيامه صلى الله عليه وسلم
لم يكن لاجل ذلك وانما كان لمحض الشكر كما افاده قوله افلا اكون
عبدا شكورا مع التلذذ بمناجاة الله تعالى والقيام بين يديه
وان خوفه ورجاه اللذين وصل فيهما الى الغاية لم يصل اليها غيره
انما كان بمحض التقرب بهما الى الله تعالى فقال **الى الله** خبر
متقدم **خوفه** منه قال صلى الله عليه وسلم انا أعلمكم بالله واخوفكم
منه **والرجا** أى سعة أمله فيما عنده لا الى غرض آخر
لان الله عصمه عن أن ينظر او يميل الى غيره طرفة عين
وهو دائم المثول فى حضرات الشهود والتملى بمعانى القرب
الانفس ووقع للشارح حل هذا البيت على خلاف ما ذكرته
وما ذكرته أولى بمقامه صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على متامل

ثم رأيت القرطبي اشار لما ذكرته حيث قال ظن من سأله في حديث
الصحيحين المذكور عن سبب تحمل المشقة في العبادة انه انما
يعبد الله خوفا من الذنوب وطلبا للمغفرة والرحمة فمن تحقق انه
غفر له لا يحتاج الى ذلك فافادهم ان هنا طريقا اخر وهو الشكر
اذ هو الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة فمن كثر ذلك منه
سمي شكورا لكنه قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور
وفي الحديث بيان ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاجتهاد
في العبادة والخشية من ربه **قال** العلماء انما الزم الانبياء
انفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله عليهم وانه
ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته
ليؤدوا بعض شكره مع ان حقوق الله اعظم ان يقوم بها
العباد انتهى **وقيام الليل** كان في اول الاسلام واجبا عليه
وعلى امته كما ذكره الله تعالى في اول سورة المزمل ثم نسخ بما في اخرها
ثم نسخ عن الامة بالصلوات الخمس وكذا عنه على الاصح كما نص عليه
الشافعي رضي الله عنه ولكن اكثر الصحابة على انه لم ينسخ عنه لقوله
تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي عبادة زائدة في
فرائضك لان الامر للوجوب وقيل معناه زيادة خالصة
لك لان تطوع غيره يكفر ذنبه وتطوعه خالصا له لكونه
لا ذنب عليه فسائر تطوعاته صلى الله عليه وسلم محض زيادة
الدرجات والقرب **واما** حديث اللهم اني اسئلك الجنة
وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها

عليهم الصلاة والسلام

من قول او عمل

من قول او عمل هو تعليم لامته وبين الخوف والرجا المقابلة **ومن**
اوصافها ايضا انها دميت في الوغى لتكسب طيبا ما اراقت من الدم الشهدا
دميت اي خرج دمها في الوغى قال الشارح هو الصوت
والجلبة ويقال للحرب لما فيها من الصوت والجلبة وكثرة
اختلاط الاصوات وهو المراد هنا انتهى لتكسب هي طيبا
ما اي الذي اراقته من الدم ببيان لما الشهدا جمع شهيد
اي فعيل بمعنى فاعل لانه يشهد الجنة وهو ما اعد الله له
فيها عند طلوع روحه او مفعول لان ملائكة الرحمة تشهده
عند ذلك وهو فاعل اراقت اي من حكم خروج الدم من رجله
المشرفة ان يعود طيب ذلك الدم وبركته على جميع دم
الشهدا حتى تكون رائحة دمهم كريح المسك كما اخبر صلى الله
عليه وسلم عن دمهم بانه كذلك **وكان** ينبغي للناظم ان يذكر
هذا من اوصاف يده الكريمة لان الذي في البخاري انه
صلى الله عليه وسلم دميت اصبعه فقال هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت وقد يحمل كلام الناظم على ما سبق انه
صلى الله عليه وسلم خرج الى ثقيف يدعوهم الى الله فابوا واغروا
به سفهاءهم فرموه بالحجارة الى ان ادموا رجليه فجلس
من شدة الالم وزيد مولاه يحميه منهم **فان قلت**
ليس هنا حرب والناظم قيد ذلك بالوغا **قلت**
قد علمت ان اصل الوغا الصوت والجلبة وهذا موجود
هنا على ان لنا ان نمنع قولك ليس هنا حرب وسند المنع

الكبيت

صلى الله عليه وسلم

انه اقام عندهم شهرا يدعوهم فهم لا يجيبونه بل يغرون به
سفهاهم وعبيدهم يسبونه **قال موسى** بن عقبة ورجموا
عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدما **زاد غيره**
وكان اذا اذلقته الحجارة قعد الى الارض فياخذونه بعضديه
فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة
يقيه بنفسه حتى لقد شج فى راسه شجاجا وهذا حرب اي حرب
لان من اقام بين ظهراني العدو يواجههم بما يكرهون من
غير ان ينزجر بزجرهم ولا ينكف عنهم بضربهم محارب لهم
اى محارب وبذل لذلك ان ايمتنا عدوا من المتحاربين
الصفين اذا تقابلا بحيث يصل سلاح كل الى الاخر وان لم
يقع قتال بل ولا سل سيف ولا رمي سهم تنزيلا لما بالقوة منزلة
ما بالفعل فكذلك هنا بل اولى لانه وجد من جانبهم ضرب وجرح
وغيرهما ومن جانبه غلظة عليهم وسب لهم ولالهتهم ومما
قررته يعلم عذر الشارح فى صرفه الوغا عن معناه الحقيقى
الى معناه المجازى وقال انه المراد هنا اي كما يقتضي
به سياق النظم لكن كان عليه ان يبين ما يشهد بذلك
المراد من كتب السير او غيرها **واذا تقرر** انه صلى الله
عليه وسلم قام على قدميه حتى تورمتا وانها دميت فى
الحرب ليكتسب دمهما دم الشهدا طيبا ○
فهي قطب المحراب والحرب كم دارت عليها فى طاعة ارحا
فهي حينئذ قطب المحراب وقطب الحرب اي انتهى اليها

طيب ح

الثبات

١٤٢

الثبات فى الصلاة والحرب اي حالة لم توجد فى غيرها لانه صلى الله
عليه وسلم لا اتقى ولا اخشع لله منه ولا اشجع منه كما مر
فهى قطب العبادات والجهاد فى سبيل الله لا تتحرك ولا تنتقل
عن مكانها فلذا دارت عليها قبايل العرب الذين اكرمهم الله
بطاعته للاقتدا به والمجاهدة معها كما قال **وكم دارت**
اي مرات كثيرة **عليها فى طاعة** لله حال من قوله **ارحا** اي
قبايل وهذا تذييل وقطب الرحا ما تدور عليه وسمي
امير الجيش قطب رحا الحرب لانها انما تدور عليه واستفيد
من ذلك انها مركز دايرة الوجود فهو نقطة الكون المخلوق
لاجله ابتدا والمتصرف فيه انتها وبين الحرب والمحراب
تجنيس الاشتقاق **واراه لو لم يسكن بها قبل حرا اما جت بيد الدما اما**
واراه اى اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم **لو** هي مع شرطها
وجوابها سدت مسد المفعول الثانى ويصح انها ماجت
هو المفعول وجواب لو محذوف دل عليه ماجت **واعلم**
ان الكلام على لو كثر اختلاف العلما فيه وقد اوردت هنا
ايراد خلاصته لانه مما يضطر الي معرفته **فاقول** هي شرط
للماضى غالبا واختلفت عبارات النحاة فى معناها حتى
انهم لم يفهموه **قال** سيبويه هي حرف لما كان سيقع لوقوع
غيره وقال البصريون حرف امتناع لامتناع واختلف فى
مرادهم بذلك فقال ابن الحاجب مرادهم امتناع الشرط لامتناع
الجواب لا عكسه لان انتفا السبب لا يدل انتفا مسببه
على

قبل ح

لجواز ان يكون للنفي أسباب واستدل لذلك بقوله تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا لانها مسوقة لنفي تعدد الآلهة
بامتناع الفساد لا عكسه اذ لا يلزم من انتفائها انتفاؤه
اذ المراد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جائز انه قدر
له الا الاله الواحد سبحانه انتهى وردوا عليه وأطالوا وصوبوا
ان المراد امتناع جوابها لامتناع شرطها كما هو المتبادر للافهام
واعترض ذلك بان الجواب قد لا يمتنع في اماكن كثيرة نحو ولو ان
ما في الأرض من شجرة اقلام الاية وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد
صهيب لو لم يخف الله لم يعصه لان عدم النفود محكوم به
وجد الشرط ام لا وكذلك عدم العصيان وجد الخوف ام لا
فكذلك حول جمع محققون العبارة عن معناها فقالوا انها
حرف يقتضي امتناع ما يليه واستلزامه لتاليه من غير تعرض
لنفي التالي فقيام زيد من لو قام زيد قام عمرو محكوم بانتفائه
وبكونه مستلزما ثبوته لثبوت قيام من عمرو وهل لعمرو
قيام اخر غير اللازم عن قيام زيد او ليس له لا تعرض لذلك
ثم ان مناسبته بان لزم الثاني الاول عقلا او شرعا
او عادة ولم يخلف المقدم في ترتيب الثاني عليه غيره
لزم انتفاؤه بانتفائه كلو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
ففسادهما لازم لتعدد الالهة على وفق العادة عند
تعدد الحاكم من التمانع في الشيء ولو لم يخلف التعدد في
ترتب الفساد غيره فينتفي الفساد بانتفاء التعدد المفاد

ان يجعله الالهة الواحد

بلو وان خلفه لم يلزم كلو كان انسانا لكان حيوانا فالانسان
لازم للحيوان عقلا لانه جزؤه وتخلف الانسان في ترتب الحيوان
غيره كالحمار ويثبت الثاني بانتفاء الاول ان لم يناف انتفاؤه
وناسبه اما بالاولى كاثر عمر والمرتب فيه عدم العصيان على عدم
الخوف وهو بالخوف المفاد بلو انسب للترتب عليه ايضا في قصده
والمعنى انه لا يعص الله مطلقا لا مع الخوف فهو ظاهر ولا مع انتفائه
اجلالا لله تعالى عن ان يعصيه او المساوي كقوله صلى الله عليه
وسلم في بنت ام سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت
لي انها لابنة أخي من الرضاعة رواه الشيخان اي لا تحل لي اصلا
لان لها وصفين متساويين المصاهرة والرضاع لو انفرد كل
منهما حرم او الادون كلو انتفت اخوة الرضاع ما حلت
للنسب الادون منه الرضاع لم يسكن هو بها اي بقدمه قبل
بالبنا على الضم حراء مفعول يسكن بالصرف هنا لا غير لئلا ينزحف
الوزن وفي غير هذا يجوز كل منهما بالاعتبارين المعروفين ماجت
اي تحركت واضطربت به اي القدم او النبي صلى الله عليه وسلم
وفي نسخة بها الدأما اعلم ان الشارح تكلم على هذا البيت
بما فيه خفا ونظر لانه قال في الدأما هي بالمعجمة كانه اراد بها
سرعة الحركة وقال في حله ومن اوصافه انه لو لم يكن يسكن
بالقدم المذكورة حراء لما اراد البحث فيه ماجت به سرعة
الحركة واستمر به صلى الله عليه وسلم كما انه لما صعد احدا
تحرك به فقال اثبت احد فذاك التسكين بالقول وهذا بالفعل انتهى

٢٤٤
المتوقف
اضطرابه

ولم يظهر من هذا الحل معنى مطابق للنظم وجعل سرعة الحركة
فاعل ماجت في غاية الخفاء مع عدم المناسبة لما قبله على انه في
القاموس لم يذكر الذاما بالمعجمة أصلا ولا الذأمة بالمعجمة
معنا مناسبا لسرعة الحركة ولا موادياً لها أصلا وانما ذكر
لافادة ما قدمناه سبب سرعة الحركة وهو الرعب وعبارته
في ذأمة بالمعجمة كمنعه حقره وذمه وطرده وخزاه والاسم
ذام الرعب وما سمعته له ذأمة كلمة انتهت وانما ذكر الداماء
بالمهملة فقال دام الحائط كمنع دعمه وندام الماء الشي عمره
والنحل الناقة تخللها وتدامه الامر كتفاعله تراكم عليه
وتزاحم والداماء البحر ثم قال وحبش مدام كمنبر يركب على كل
شيء انتهى والذي يتجه في خلدي ان الداما بالمهملة والها البحر
وان فيها الاستعارة المصرحة لانه شبه الجبل بالبحر
لانه لما تحرك به صلى الله عليه وسلم أشبه تحركه حينئذ
تحرك البحر براكبه وان ماجت استعارة مرشحة لانها
تناسب المشبه به وهو البحر اذ لا يستعمل ماج إلا في
الما كما صرح به كلام القاموس وحينئذ فالمعنى مناسب
واعلم انه لو لم يسكن بقدمه حرا قبل اي عند ابتدا تحركه
به لقوله له اثبت حرا الى اخر ما مر في شرح قوله
فاهتز به للصلاة فيها حراء لماج اي استمر اضطرابه
وتحركه الى اخر الدهر لما مر انها هزة الطرب والسرور
برقيه صلى الله عليه وسلم وكان القياس لو لم يسكن بقدمه قبل حرا

متغايران

انه ماجت جواب لو وهو

ماج

ماج لكن لما احتاج الى تشبيه الجبل بالبحر فيما ذكر عدل عن ذلك الى ماجت
الداما لافادة ما في تشبيه الجبل بالبحر من البلاغة المبنية على الا
ستعارتين بين المذكورتين **فان قلت** الذي مر في حرا انه انما
قال له اثبت أو نحوه ولم يضربه بقدمه وانما الذي ضربه بقدمه
أحد وثبير فمن اين للناظم قوله لو لم يسكن بها قبل حرا **قلت** كأنه
نظر الى ما في بعض الطرق في مسند الحارث بن ابي أسامة اذ فيها
أحد او حرا بالشك وصح في رواية حرا وفي رواية أحد فاقتضى
ذلك ان الضرب بالقدم الكريمة في حرا كما انه في أحد ولك ان تحمل
النظم على ان المراد لو لم يسكن حرا قبل أي قبل طلوعه عليه ثانيا هو
واصحابه بقدمه اي مشيه عليه واقامته فيه للتعبد قبل النبوة
استمر تموجه واضطرابه حين طلع عليه ثانيا هو واصحابه
وحينئذ لا يرد على الناظم شي الا ان يقال المسكن له كل من قدمه
وقوله له اثبت أو اهدأ حرا فلا وجه لتخصيص القدم بالذكر
وقد يجاب بانه لا مانع ان المسكن له كل من الامرين فنسبته الى القدم
لا ينافي انه لا يسكن غيرها ولك ايضا ان تجعل الداما الارض
تسمية للمحل للحال باسم وحينئذ فالمعنى لو لم يسكن بقدمه حرا
اي بتعبده فيه قبل النبوة لماجت به الارض بعد النبوة فرحا
وطربا الى اخر الدهر وخص حرا لانه صلى الله عليه وسلم خصه
بتعبده فيه دون غيره **تنبيه** اشار صلى الله عليه وسلم في
أحد الى ان سبب تحركه به محبته له فقال أحد جبل يحبنا ونحبه
رواه الشيخان **قال** الخطابي والمراد يحب أحد حب أهل المدينة

حتى

نحو واسأل القرية ورده البغوي وتبعوه بانه لا مانع من حمله على ظاهره
ولا ينكر وصف الجمادات بحب الانبيا والاوليا واهل
الطاعة نظير ما مر في حنين الجذع لما فارقه صلى الله عليه
وسلم وحديث ان حجرا كان يسلم علي قبل النبوة ورود
ابن ذ[illegible] ابي نعيم حديث لما اوحي الي جعلت لا امر بشجر ولا
حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله ولما ذكر جملة كثيرة
من معجزاته صلى الله عليه وسلم التي من شاهدها امن بها من فوره
بين ان الكفار الذين شاهدوها ولم تزدهم الا ضلالا
حقيقون بان يقال في شانهم **عجبا للكفار زادوا**
ضلالا بالذي فيه للعقول اهتداء
عجبا يدل من اللفظ بفعله وهو الامر المستغرب
الخارج عن قياس العقول **للكفار** اي من حال كونهم **زادوا**
ضلالا لمعجز القران وغيره **بالذي فيه** اي من كل فرد من افراده
للعقول السليمة الخلية عن العناد والخذلان والحسد
والغل ومر الكلام على العقل وما فيه من الخلاف **اهتداء**
الى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والاصح
ما تحدى به ويصح ان يراد العقول لا بالعقيدين المذكورين
حملا للاهتدا على ما يشمل ما بالقوة وما بالفعل اذ المعجزة
فيها الاهتدا بالقوة وانما قارنها عنادا وخذلان وبين
الضلال والاهتدا والجن والانس الاثنين الطباق
ووجه التعجب منهم واضح فانهم كانوا مع ما شاهدوه من

الايات

الايات والمعجزات التي ترشد العقول الى الحق لا يزدادون لما
عندهم من الحسد والتلبيس على الضعفا منهم الا اباء وكفرا
وتمردا كما قال تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
والذي يسألون منه كتاب منزل قد اتاهم وارتقاء
وعجبا ايضا من **الذي يسألون منه** على جهة التعجيز والعناد
وهو كثير منه **كتاب منزل** معه عليهم من السما **قد اتاهم** به وهم
يشاهدون **وارتقا** منه اليها وغير ذلك مما حكاه الله عنهم
بقوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها
تفجيرا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله
والملايكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى في
السما ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقروه وقالوا
له ايضا لقد علمت انه ليس احد من الناس اضيق بلدا ولا اقل
مالا ولا اشد عيشا منا فاسال ربك فليسير عنا هذه الجبال
التي ضيقت علينا ويبسط لنا في بلادنا ويجري فيها انهارا
كانهار الشام ويبعث لنا من اموتنا وليكن فيهم قصي بن
كلاب فانه كان شيخ صدق فان صدقوك صدقناك وما
قررته في هذا البيت اولى مما قرره الشارح فيه من ان الذي
مبتدا خبره كتاب وارتقا معطوف عليه لانه حينئذ لا
يعلق له بما قبله ولا بما بعده مع ما فيه من غموض المعنى بخلاف ما
ذكرته فان مناسبته لما قبله واضحة كذلك لما بعده كما يدرك

عليه الاستفهام التعجبي الانكاري عليهم في قوله أولم يكفهم
من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء ۝ أيقولون ذلك
كله ويتعنتون ولم يكفهم عن ذلك كله من الله حال من فاعل
يكف وهو ذكر واصل البهم وتسميته ذكرا جات في آية مرادا
به الشرف كما في وانه لذكر لك ولقومك وفي اخرى مرادا به
انه مذكر بكل ما ينفع ومحذر عن كل ما يضر فيه للناس الجن
والانس والملايكة رحمة باهتداء المومنين به وتاخير عذاب
الاستيصال عن الكافرين ببركة كونه بين ظهرانيهم وشفاء
من كل داء ظاهرا وباطن حسي او معنوي كما قال تعالى قل هو للذين
امنوا هدى وشفاء وتخصيص المؤمنين لانهم المقصودون بذلك
بالذات وغيرهم بطريق التبع وانما قلت والملايكة لقول بعض أيمتنا
ان الملايكة لم يعطوا فضيلة حفظ القران لكنهم حريصون على استماعه
من غيرهم قال العلما لم ينزل الله من السما شيا قط أعم ولا انفع
ولا أعظم ولا انجع ولا أنسح في ازالة الدا من القران فهو للدا شفاء
ولصدا القلوب جلا قال تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة
للمومنين قال الفخر الرازي وغيره ومن ليست للتبعيض بل
للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذي هو القران شفاء من الامراض
الروحانية كالاعتقادات الفاسدة في الالهية والنبوة والمعاد
وفي القران من النصوص القاطعة بفساد تلك ما يكفي ويشفي
وكالاخلاق المذمومة وفيه أوضح بيان لانواعها وحض على اجتنابها
ومن الامراض الجسمانية بالتبرك بقراته عليها لكن مع الخلوص وفراغ

١٩

القلب من الاغيار وقربه واقباله على الله تعالى بكليته وعدم
اكل الحرام وعدم دنس الذنوب وعدم استيلا الغفلة
على القلب وصح حديث ان الله لا يقبل الدعا من قلب
غافل لاه وقراته ممن هذه حالته على اي مرض كان مبريه
وان اعيا الاطبا نعم ومن ثم قال بعض الايمة متى
تخلف الشفا فهو اما لضعف تاثير الفاعل او لعدم قبول
المحل المنفعل او لمانع قوي فيه يمنع ان ينجع فيه الدوا
كما يكون ذلك في الادوية والادوا الحسية وقد
روي حديث من لم يستشف بالقران لا شفاه الله وروى
ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال خير الدوا القران وعن
العارف الامام الكبير ابي القاسم القشيري ان ولده اشتد به
مرض فايس عليه فراى النبي صلى الله عليه وسلم فشكى اليه ما
بولده فقال له اين انت من ايات الشفا وهي ست ايات يشفون
فكتبها ومحاها وسقاها له فكانما نشط من عقال ثم
استطرد بذكر شي مما اشتمل عليه القران العزيز من
المعجزات الباهرة والايات الظاهرة فمن ذلك بل اعظم
في قمع المعارض وادحاض الجاحد أعجز الإنس آية منه والجن فهلا تأتي به البلغاء
أعجز قيل علم اعجازه ضروري والاصح ان محله فيمن شاهد
النبي صلى الله عليه وسلم او علم وجوه الاعجاز وظاهر ان المشاهد
يحصل له العلم الضروري باعجازه وان لم يعلم وجوه الاعجاز
ولا يستبعد ذلك لان من كشف عن قلبه الغطا عند

المشاهدة يحصل له قطعا العلم الضروري انه رسول الله
وما جاء به من عند الله وانه معجز للخلق عن محاكاته لان هذا امر
يدركه الذوق السليم وان لم يمكن صاحبه انه يعبر عنه بل لو ادعي
مدع ان ذلك قد يحصل لبعض حذاق العوام لم يبعد لا سيما
وكل يدرك فرقا بديهيا بين القران وغيره عند سماعهما **الانس**
اية عبر بها تبعا للقاضي ولم يبال بان الذي عليه الجمهور انه اقل
ما وقع به التحدي اقصر سورة منه وهي ثلاث ايات او مثلها
طلب منهم صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمثله فعجزوا فطلب بعشر
مثله فعجزوا فطلب منهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا
فكان اقل ما طلب منهم قدر اقصر سورة من سوره وذلك
لان في دليل الجمهور شيئا اذ لا يلزم من كونه لم يطلب منهم
دون السورة انهم قادرون على اقل منها لانه المشاهدة قاضية
بانهم عجزوا عن بعض الاية المفيدة كما يفيده قول الناظم
الاتي او بعضها لان في ارتباطها بما قبلها وبعدها انواعا
من بدايع الحكم لا يحيط بها غيره صلى الله عليه وسلم فالحق
انهم عاجزون عن محاكاة اية من اياته حتى لو نظروا بعضها
المفيد لكن مع النظر لمناسبتها لما قبلها وما بعدها
واما التصريح بانه لم يقع العجز الا عن ثلاث ايات
فترده المشاهدة الخارجية اذ لم يسمع عن احد قط
انه حاكى شيئا منه **واعجز الجن** اية منه ايضا وذكرهم
للايذان بان التحدي وقع لهم ايضا لانه صلى الله عليه وسلم

مبعوث

١٤٨

مبعوث اليهم اجماعا وزعم انهم انما ذكروا تعظيما لاعجازه لانهم
ليسوا من اهل اللسان العربي يرد بان الاية تقتضي
انهم يحسنون اللسان العربي فادعاء خلافه يحتاج لدليل
قيل ولم يذكر الملايكة لانه صلى الله عليه وسلم ليس مرسلا اليهم
ويرد بان الاصح خلافه ومن ثم قال بعضهم انهم معنيون
في الاية ايضا وانهم لا يقدرون على معارضته اي وكان حكمة
عدم ذكرهم عصمتهم عن المخالفة فلم يحسن تحديهم وعلى كل فلم
يستطع احد من الفريقين في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده
ان ياتي بمثل اية او سورة منه على نظمه البديع وتاليفه المنيع
وعذوبة منطقه وما فيه من الامثال والاخبار بالمغيبات
ودلايل البعث والنبوة والاخلاق الكريمة وضدها وهذا
مقتبس من قوله تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
وحينيذ **فهلا** هي في اصلها للتحضيض والمراد بها التنكير ونظيره
من حيث ان لولا بمعنى هلا فيثبت لهذه ما لتلك نحو فلولا
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة الاية فهي هنا
للتوبيخ والتنديم فكذلك هلا هنا للتوبيخ من يزعم امكان
المعارضة كبعض اهل الضلال والالحاد **تاتي به** ببعضها
اي الاية والمراد بعضها المفيد **البلغا** جمع بليغ والفرق بين
الفصاحة والبلاغة ان الاولى خلوص اللفظ من تنافر الحروف
والغرابة ومخالفة القياس اللغوي ويوصف بها الكلام

والمتكلم والكلمة والثانية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بان يدل
على ما يقتضيه حال المتكلم والمخاطب والمحكي من تنكير او اطلاق
او اضمار او ايجاز او فصل وضد كل ويوصف بها ما عدا الكلمة وبلاغة
المتكلم ملكة يقتدر بها على ايراد الكلام البليغ غير محتاج الى تعمل
او استدراك وافاد الناظم رحمه الله بهذا ان البلغا فضلا
عن غيرهم مع انهم العرب الفصحا والخطبا البلغا والشعرا
الفهما في قريش وغيرهم والمتقدمون في اللسن والتبيان
والرؤسا في قوانين المعاني والبديع والبيان والفرسان في
ميادين الفصاحة والشجعان في مهامه البلاغة اظهروا عوائد
عجزهم عن المعارضة وعثار عقلهم عن المناقضة ومن ثم كان
عجزهم عن ذلك اعجب في الاية واوضح في الدلالة من احياء
الموتى وابرآء الاكمه والابرص لان قوم عيسى لم يكونوا
يطمعون في ذلك ولا يتعاطون علمه وقريش كان اعلى اربهم
ومنتهى طلبهم التفنن في افنية الفصاحة والتنزه في رياض
البلاغة والتقدم في اعاجيب الخطابة واساليب البراعة
قد اعجزهم عنه مع ذلك على انه انما هو لكونه من اعلام نبوته
وبراهين رسالته وهذه حجة قاطعة ومحجة ساطعة
على انه محال ان يلبثوا ثلاثا وعشرين سنة عن السكوت عن
معارضة اية منه المستلزمة لنقض امره وتفريق اتباعه
وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها منهم
وقتل اكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم

او تقديم

حتى يكشف



حتى يكشف من نقصهم ما كان مستورا وقال لهم ان زعمتم
انى افتريته لعلمي باخبار الامم فاتوا بمفترى مثله فلم يرم ذلك
خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا تكلفه متصنع والا لظهر
ووجد من يستجيده ويحامي عليه فيزعم مجرد الدعوى انه
عارض وناقض فاذا لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم هجاه
وعارض شعرآ اصحابه وخطبا امته قطع بعجزهم وتحيرهم
وانقطاعهم **ومن ثم** قال الخطابي قد كان صلى الله عليه وسلم
اعقل خلق الله وقد قطع القول بان ما اتى به من عند ربه معجز
وانهم لا ياتون بمثل اقصر سورة منه فلولا انه على بينة من ربه
والا لم يقطع بشي من ذلك على انه لم يزل ينادي عليهم بالعجز
عن معارضته وبالتقصير عن بلوغ الغرض في مناقضته
فلم يستطع احد منهم ان يناويه ولم يرفع راسه الى ان يباريه
بل رضيت هممهم السرية وانفسهم الابية اذ كانوا آنف
شي واشده حمية بسفك الدمآ وهتك الحرم ولذلك
قال العلمآ من اعلا وجوه اعجاز القران ان فصاحته
وبلاغته خرقت عادة العرب من انهم اوتوا منهما ما لم
يؤته غيرهم لانهم كانوا ياتون منهما على البداهة بالامر
الاعجب ويدلون منه الى كل سبب فيخطبون بديها
عند شدة الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب
ويترسلون في اوديتهما فياتون منهما بالسحر الحلال
ويتطوقون من دررهما اجمل من سمط الجمان فلا يشك

صلى الله عليه وسلم

واضحة م

سائر

قديم

عاقل انما طوع مرادهم وملك قيادهم فراعهم الا رسول كريم
بكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد بهرت بلاغته العقول وظهرت
فصاحته على كل مقول وهم افصح ما كانوا في هذا الباب
مقالا واشهر ما وجدوا في الخطابة والشعر مثالا صارخا
فيهم في كل حين مقرعا لهم على رؤس الملاء اجمعين فاتوا بسورة
من مثله والا فانتم المردودون الى اسفل سافلين ثم لم
يزل يقرعهم ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويسب
الهتهم ويستبيح نفوسهم واموالهم وهم لا يزدادون الا
تقهقرا عن المعارضة لم ياتوا بمقال صابرون على الجلا والقتل
والصغار والاذلال ناكصون عن معارضته ~~والاذلال~~
~~ناكصون عن معارضته~~ ومحجمون عن مماثلته يخادعون انفسهم
بالتشغيب والتكذيب والاغتراف بالافترا في قولهم ان هذا الا سحر
يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين
والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة
مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
والادعا مع ظهور دعايه العجز عليهم لقولهم لو نشاء لقلنا
مثل هذا وقد قال لهم تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا وما
قدروا واذ لو اطاقوا ادنى معارضة لبادروا اليها
والجموا الخصم الذي كانوا محافظين على اطفا نوره واخفا
اموره مع طول الامل وكثرة العدد وتظاهر المواليد

وما ولد

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحابه ابدا ابدا ١٥

وما ولد بل ابلسوا فايسوا وقطعوا فانقطعوا هذا كله
والاتي اليهم به مكث بين اظهرهم اربعين سنة اميا
لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولا تعلم سحرا ولا
انشد شعرا ولا تحفظ خبرا ولا روى اثرا حتى اكرمه
الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل قال تعالى وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
روى البيهقي وغيره ان عتبة ابن ربيعة قام من
جمع قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد وحده فعرض عليه المال وغيره ليكف عما
هو فيه فقال له اسمع مني وقرا بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى ان بلغ السجدة فسمع ما
ابهره فقال للنبي صلى الله عليه وسلم انت وذاك فقام
الى اصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم بغير الوجه
الذي ذهب به فقالوا له ما وراك قال لهم سمعت قولا
ما سمعت غيره قط فوالله ما هو بشعر ولا سحر ولا
كهانة اطيعوني معشر قريش وخلوا بينه وبين ما هو
فيه فليكونن له نبا ولما بلغ فقد انذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود امسكت فمه وناشدته الرحم
ان يكف وقد علمتم انه اذا قال شيا لم يكذب فخفت
ان ينزل بكم العذاب وروى اسحاق والبيهقي
ان الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الفصاحة

طلب منه أن يقرأ فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الآية فاستعاده اياها فأعادها فقال والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان اسفله
لمغدق وانه ليعلوا وما يعلى وما يقول هذا بشر وما
فيكم أعلم مني بالشعر وأجمعوا فيه رأيا قبل حضور وفود
العرب في الموسم لئلا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول
كاهن قال ما هو من زمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو
بخنقه ولا بوسوسته قالوا شاعر قال قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه وبسيطه ومقبوضه ما هو
بشاعر قالوا ساحر قال ما هو بنفثه ولا بعقده وما انتم
فاعلون من هذا شيئا الا وانا اعلم انه باطل **وروى**
الحاكم ان الشقي لما رق لقراءة القرآن عليه جاءه اللعين ابو جهل
فقال يا عم ان قومك يرون أن يجمعوا لك مالا لانك اتيت
محمدا للمال فقال قد علموا انى من اكثرهم مالا فقال فقل فيه
ما يعلم قومك انك كاره له فقال ماذا اقول وذكر ما مر
من مدح القرآن قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه
قال فدعني حتى افكر فلما فكر قال هذا سحر يؤثر أي
نقله عن غيره فتأمل قضا هؤلاء الاشقيا على انفسهم
بالعناد المحض والسفساف القبيح والقول الباطل
ومع ذلك لم يزدادوا الا ضلالا وعنادا وطغيانا فاسدا
وما أحسن ما قيل لو وجد مصحف بفلاة لشهدت العقول

السليمة بانه من عند الله فكيف وقد جاء على يدى أصدق الخلق
وقال انه من عند الله وتحداهم باقصر سورة منه فعجزوا
هذا وقد علم مما تقرر وجوه اعجازه اجمالا واما تفصيلها
فقد بينها الائمة بما حاصله انه ينحصر مقصود اعجازه في
أمور اربعة وعدها بعضهم اكثر من ذلك وهو يرجع الى
ما قلنا **أحدها** ما فيه من الايجاز والبلاغة والتركيب
والفصاحة فى كل منها ومن مراتب البلاغة فيها الى المرتبة
العليا لفظا ومعنى لصدوره ممن أحاط علمه بجميع مراتب
الالفاظ ومعانيها فلا يضع لفظة عقب لفظة الا اذا
لم يوجد غيرها ابلغ ولا انسب منها وغيره ليس كذلك ومن
ثم لما سمع اعرابي فاصدع بما تؤمر سجد فقال سجدت
لفصاحة هذا الكلام ولما سمع نصراني قوله تعالى ومن
يخش الله ويتقه الآية قال جمعت هذه الآية ما انزل
على عيسى بن مريم من امر الدنيا وامر الآخرة ولقد رام بعض
سخفاء العقول محاكاته فصار المفصل فاتى من الهذيان
بالعجب العجاب كقول مسيلمة الكذاب اللعين يا ضفدع كم
أعلاك فى الماء واسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب
تمنعين **وقوله** محاكيا للنازعات والذاريات والزارعات
زرعا والحاصدات حصدا والداريات قمحا والطاحنات
طحنا والخافزات خفزا والثاردات ثردا واللاقمات
لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم اهل المدر وقال

آخر الم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة
تسعى من بين شراسيف وأحشى وقال آخر الفيل وما الفيل
وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل
فان ذلك من خلق ربنا لقليل ثانيها انه مع كونه من
جنس كلام العرب خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع
والخطب والشعر ونحوها فحير عقولهم حتى لم يهتد
أحد الى مثل شيء منه اذ لا امثال له لمتحدي عليه ولا امام
يرجع عند الاشتباه اليه ولقد رام قوم من المتأخرين
انتهت اليهم فصاحة وفيهم شيئا من محاكاته فاعترتهم
هيبة وصمتهم عن ذلك ومنهم من فصل كلاما وجعله
سورا فسمع صبيا يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي
وغيض الماء وقضي الامر فتاب ومحى ما عمل ثالثها
تأثيره في النفوس والقلوب بحيث تجد من اللذة والحلاوة
عند سماعه ما لا تجده عند سماع غيره ومن ثم كان
قارئه وسامعه لا يمله بل كان كلما زاد تكريره زادت
حلاوته واتضحت طلاوته رابعها ما فيه من
الاحاطة بعلوم الاولين والآخرين ما فرطنا في الكتاب
من شيء ومن الاخبار بالمغيبات مما كان ويكون
نحو ولن تفعلوا ولا يتمنونه أبدا فما يفعل مثله
مخلوق ولا يتمنى الموت يهودي وهذه ايضا من أبهر
المعجزات وقال بعض المحققين اعجازه من وجهين

اما الذاته

اما الذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصين اذ تأليفه
ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال فيه
رسالة ولا خطابة ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا
تخرج عن ذلك واما ما يصرف الناس عن معارضته والاعجاز
في هذا ظاهر ايضا اذا اعتبر وذلك لانه ما من صناعة
محمودة او مذمومة الا بينها وبين قوم مناسبة خفية
واتفاق جبلي ولذا تجد هذا يؤثر حرفته لانشراح صدره
لها وذاك يكرهها وينشرح لأخرى وهكذا فلما دعا الله
أهل الخطابة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة
لسانهم الى معارضة القرآن فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم
ينتصدوا لمعارضته لم يخف على أولي الالباب ان صارفا
الهيا صرفهم عن ذلك واي اعجاز أبلغ من ذلك انتهى ملخصا
وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه للنظام من
المعتزلة لكن أفسدوه بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن
الآية دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة
لم تبق فائدة لاجتماعهم لانهم حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى
وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع
منعقد على اضافة الاعجاز الى القرآن والقول بالصرفة يلزمه
اضافته الى الله لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز
بزوال زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول
العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القرآن ويلزم الصرفة

ايضا انه لا فضيلة للقران على غيره فان قلت القول بعجزهم
مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين الضدين وهو محال قلت
معنى قدرتهم ان هممهم توجهت الى المحاكاة لمثله والقدرة
عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا المعارضة اصلا
لقطعهم من نفوسهم بعجزها فانه لا قدرة لها عليها البتة
فان قلت توجه الهمم اليها مع العجز عنها فى نفس الامر لا يسمى
قدرة قلت ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر
عن الغايات ولا شك ان اهل البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة
عن المحاكات ابتدا بل بعد الاختبار فتامله ليعلم سقوط ما قيل
كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك
خطاب من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كابى جهل وابى لهب
نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر
للغايات والعواقب ومن المفاسد ايضا قول فريق ضلال
ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه
لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به واخرين
ان العجز انما وقع من الموجودين واما من بعدهم ففى قدرتهم
الاتيان بمثله ومما يرد عليهم ان جماعة ممن انتهت اليهم
الرياسة فى الفصاحة تعرضوا المعارضته كابن المقفع والمعرى
والمتنبى ونظرائهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبوا
عنه الطباع ونادى عليهم بالخزى والانقطاع وصيرهم
مثلة وسخريه وضحكة الى ان تاب اكثرهم واظهر ندمه وتنصله

والاشتمال القران

ولاشتمال القران على ما لا تحصى من العلوم والمغيبات واحوال
العالم الدنيوى والاخروى وغير ذلك من العجايب كان
كل يوم يهدي الى سامعيه معجزات من لفظه القرآن
كل يوم اى وقت يهدى فاعله القرآن اى يوصل الى من سمعه
وافاد التعبير تشبيه المعجزات بالذخاير المهداة فهو استعارة
بالكناية تبعها استعارة تخييلية الى سامعيه معجزات
ومر بيان المعجزة بما يتعين الوقوف عليه ليعلم منه ان المراد
بها ههنا الامر الغريب وان لم يصدق عليه حد المعجزة السابق
مبتداه من لفظه لعذوبته وانسجامه وجزالة معناه وغاية
ايجازه مع غاية بلاغته وبيانه مع فصاحته وخروجه عن جنس
كلام العرب حتى صار جنسا اخر متميزا عنه مع اتحاد الحروف
والاصطلاح وكثرة اخباره الصادقة تارة عن الامم
الماضية واخرى عن المغيبات وما فيه من العلوم التي لا
يمكن حصرها ونقل الامام ابن سراقة من اصحابنا
ان كل واحد من هذه راى قوم انه سبب اعجاز القران
ثم اعترضهم بانهم كلهم ما بلغوا فى وجوه اعجازه جزءا واحدا
مع عشر معشاره وتبعه البدر الزركشى فقال اهل التحقيق
ان الاعجاز وقع بجميع ما سبق لاشتماله على الكل فنسبته الى
احدها اى وحده تحكم بل فيه غير ذلك لكونه لا يزال غضا طريا
على الالسنة وفى الاسماع وجمعه صفتى الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين
اذ لا يجتمعان غالبا فى كلام البشر وكونه مستدركا على جميع

١٥٢

الكتب قبله فهي مفتقرة اليه وهو غني عنها ومن ثم كان أبهر في
الاعجاز من ساير معجزات الانبيا بل ومعادلا للكل لان سبيلها
واحد هو مخالفة العادة وهو سبله كثيرة كما تقرر في وجوه
اعجازه وسيل بعضهم ما موضع الاعجاز من القران فقال
هذا شبيه بقولك ما موضع الانسان من الانسان ومعناه
انه ليس للانسان موضع من الانسان بل متى اشرت الى جملته
فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القران لشرفه لا يشار الى شي
منه الا وكان ذلك المعنى اية في نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى
لقايله وليس في قدرة البشر الاحاطة باسرار الله من كتابه
القرآ فلذلك طارت العقول وتاهت البصاير عنده
واختلفوا في تفاوته في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم
على بلوغه الذروة العليا كما مر وعن القاضي المنع وانما
المتفاوت ادراك الناس له واختار ابو النصر القشيري
وغيره تفاوته وتبعهم ابن عبد السلام ولم يات كله بالافصح
لئلا يخرج عن نمط كلام العرب فجا على نمط كلامهم ليتم ظهور
بقا العجز عن معارضته لان من سمع الفاظ القران
وتدبرها حق تدبرها علم من كل لفظ منها باعتبار ما دل
عليه ام امعجز الا يعارض ولا يناقض فاذا بلغ القران
في غاية الذي مرت الاشارة اليه ما لم يبلغه غيره كان
حقيقا بانه

تنخلى به المسامع والافواه
فهو الحلي والحلواء

رق

عليهم الصلاة والسلام

ما اختاره صح

رق لفظا وراق معنا فجاءت في حلاها وحليها الخنسا
تتخلى اي يتماعد المسامع وتخلى من التحلية بالفاظ الافواه
من الحلو فهو الحلي راجع للاول والحلوا راجع للثاني
رق اي حسن لفظا اي من جهته فلا تجد لفظة منه فيها
ما ينا في كلام الرقة الموجبة للفصاحة من تنافر او تعقيد
وراق اي تصفى من شوايب النقص فاعجب كل ناظر اليه
معنى اي من جهته فلا تجد معنى في معانيه الا وهو اصل
في الاحكام ووضوح المراد الغاية القصوى وفي رق وراق
والحلي والحلوا الجناس كحلاها وحليها وسور وصور والنظاير
والنظر الابيات والمسامع والافواه واللفظ والمعنى
كمراعاة النظير كالرقة والصفا والابيات والحروف
والهجا الابيات وفيما بعدهما اللف والنشر المرتب
فبسبب كون سوره رقت وراقت جات فاعله الخنسا
وما قبله حال منه اي حال كونها في حلاها اي صفاتها الجميلة
وحليها اي وزينتها الخنسا بنت عمرو وخصها من بين
كثيرات سمين بذلك لانها كانت شاعرة مفلقة كما ياتي
بسط الكلام في ترجمتها شبه سور القران في صفاتها
القطعية وترتيبها بما او دعته من الاسرار البهية بامراة
بلغت من الرتبة واوصاف الحسن ما لا يمكن التعبير
عنه وارتنا فيه غوامض فضل رقة من نزلا لدو صفا
وارتنا اي اوضحت لنا وفاعله رقه الاتي فيه اي القران

قوله

قوله

فيه صح

من صح

العلية صح

سورة الضحى

غوامض اى خبايا فضل كالعلوم والمعارف المستنبطة منه التي
لا حدّ لها ولا غاية ومن ثم جاء عن على كرم الله وجهه ورضى عنه
لو شيت ان اوقر بعيرًا من تفسير القران لفعلت رقة كابنة من
زلاله الزلال الما فى غاية الحلاوة والبرودة يوجد فى اجواف صور
توجد فى نحو الثلج تشبه الحيوان وليست فى الحقيقة بحيوان
كما قاله بعض اكابر ايمتنا وصفا من ذلك الزلال شبّه
القران فى محاسن اساليبه وصفا موارده الموجبين لمن
حدّق فى خفاياهما حديد نظره وحقق فى غوامضهما
دقيق فكره برد اليقين وصفا القلب عن كل سوء حتى اطلع
على ساير الغوامض من العلوم الالهية والمعارف الاختصاصية
والمواهب الرحمانية والمارب الروحانية بما فى غاية العذوبة
والبرودة وصفا الجوهرية ورقتها بحيث لا يمنع من رؤيته
ما تحته مما من شانه ان تخفى وهذا الذي قررته
من برد اليقين وصفا القلب تعلم ان ذلك انما تحصل
لمن انصقلت مرآة فكره كما اشار لذلك بكلام جامع بديع
على عادته فقال انما تجتلى الوجوه اذا ما

جليت عن مرآتها الاصداء ○

انما تجتلى الوجوه اى تظهر ظهورًا واضحا لا خفا معه بوجه
اذا قوبلت بالمرآة اذا ما زايدة جليت اى ازيلت وبين هذا
وتجتلى جناس الاشتقاق عن مرآتها بكسر الميم والمد الاصداء
فكذلك مرآت القلوب لا تجتلى لها العلوم والمعارف من القران

تجنيس

الآاذا

الآ اذا جليت عنها اصدآ الاغيار واذا بث فواها فيما هي بصدده
آناء الليل واطراف النهار سور منه اشبهت صورًا منا

ومثل النظاير النظرآء

سور جمع سورة وهى الطايفة المخصوصة المسماة باسم
مخصوص توقيفى منه لبيان الجنس لان ما ياتى به ليس خاصا
ببعض سوره بل يشملها كلها اشبهت لاشتمال كل منها
على مفادات من العلوم وغيره مستقلة بها لا يتوقف على ما
فى الاخرى ومن ثم وقع التحدي باقصر سورة منه صورا
جمع صورة وصورة الشي شكله منا فى اشتمال كل منها
على عقل وادراك وفهم وخلق لا يشاركه فيه غيره ولا يتوقف
على ما فى غيره وكان الناظم قصد بهذا التشبيه الرد على من
زعم ان الاعجاز انما هو بمجموع القران لا بكل من سوره
لان ما فيه من انواع الاعجاز السابقة انما يستفاد من
مجموعه وهذه مقالة فاسدة لا يعول عليها لمنافاتها
لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله كما مر بيانه فالصواب
خلاف هذه المقالة بل قايلوها معتزلة لا يقام لهم وزن
ومثل النظاير جمع نظيره النظرا جمع نظير ايضا
وهو المثل والمناظرة ويطلق المناظر على الاماثل والافاضل
وكل منهما يصح ان يكون مرادا هنا خلافا للشارح وهذا
سافه كالمثل لما قبله فيكون من التذييل ومثل تلك الصورة
التى هى نظاير كما قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد عرفت

النظاير التي كان يقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عشرون
سورة الاماثل والافاضل الذي يتناظرون في التحلي بالفضايل
والتخلي عن الرذايل **والاقاويل عندهم كالتماثيل فلا**
يوهمنك الخطباء ○ **والاقاويل** جمع قول والمراد به
هنا اللفظ المفيد **عندهم** اي الكفار ظرف للمبتدا او
الخبر وهو **كالتماثيل** جمع تمثال وهو الصورة يعني ان
تقولهم في القرآن وافتراهم عليه بما يقدح في حقيته امر
مزخرف مموه بالاباطيل كما ان التصاوير التي يخترعها
المصورون كذلك فكما ان هذه لا وجود لها في الحقيقة
ولا اعتبار لها فكذلك تقولهم المذكور واذا تقرر لك ان
جميع ما قالوه في القرآن باطل قطعي البطلان **فلا يوهمنك**
الخطباء اي فاحذر ان يوقع من محرفي الكلام بتمشدقهم
وتفاصحهم في ذهنك ادنى ريب او شك في شيء من اوصاف
القرآن التي مر بيان بعضها وما ينبه على ما بقي منها
كم ابانت اياته من علوم عن حروف ابان عنها الهجاء
حكم اي مرات كثيرة **ابانت** اي اوضحت **اياته** جمع اية
وهي لغة طايفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها
واصطلاحا قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدا ومقطع
مندرج في سورة قاله الجعبري ويشكل عدهم نحو ثم نظر في المدثر
اية اذ ليس في هذه جمل فلا تقدير فالاولى قول غيره طايفة
من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها لكن فوله من القرآن

الاولى

١٥٦

الاولى ان يقول بدله من السورة وسميت الاية بذلك لانها
علامة على صدق الاتي بها وعلى عجز المتحدين بها وباتي قريبا
عد اي القرآن **من** زايدة في الاثبات كما في راي جماعة
علوم لها لا غاية لها كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء
وقال وانزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شيء **وفي حديث**
الترمذي وغيره ستكون فتن قيل وما المخرج منها قال
كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم
واخرج سعد بن منصور عن ابن مسعود قال من اراد
العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والاخرين
قال البيهقي يعني اصول العلم **واخرج** عن الحسن انزل مائة
واربعة كتب اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل
والزبور والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة الفرقان اي مع
زيادات لا تنحصر **ومن ثم** قال الشافعي رضي الله عنه جميع
ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن
وقال ايضا جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه
من القرآن وما ثبت ابتدا بالسنة هو في الحقيقة ماخوذ منه
لانه اوجب علينا اتباعه صلى الله عليه وسلم ولهذا قال مرة
بمكة سلوني عما شيتم اخبركم عنه من كتاب الله تعالى فامتحن
بدقايق فاستنبطها من القرآن منها لو قتل محرم زنبورا هل
عليه جزا فاستنبط لهم منه انه لا جزا عليه لان عمر رضي الله عنه
امر بقتله والنبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا بمن بعدي

لله ح

بالذين ح

رضي الله عنهم اجمعين

ابي بكر وعمر والله تعالى يقول وما اتاكم الرسول فخذوه الآية
وتبعه اعني الشافعي العلما على ذلك فقال والله ما قال
صلى الله عليه وسلم شيا او حكما او قضي بشي الا وهو واصله في القران
قرب او بعد وقال آخر ما من شي في العالم الا وهو فيه فقيل له
فاين ذكر الخانات فيه فقال في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا
بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم فهي الخانات وقال آخر ما من
شي الا يمكن استخراجه من القران لمن فهمه الله تعالى حتى ان
عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة استنبط من آخر
سورة المنافقين لانها راس ثلاثا وستين سورة وعقبها
بالتغابن لظهوره بموته صلى الله عليه وسلم وقال آخر لم
يحط بالقران الا المتكلم به ثم نبيه صلى الله عليه وسلم
فيما عدا ما استاثر الله بعلمه ثم ورث عنه معظم ذلك اعلام
الصحابة مع تفاوتهم فيه بحسب تفاوت علومهم كابي بكر
رضي الله عنه فانه اعلمهم بنص ابن عمر وغيره وكعلي رضي الله عنه
لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن خلافا لمن زعم وضعه
انا مدينة العلم وعلي بابها ومن ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما
جميع ما اثرته من التفسير فانما هو عن علي رضي الله عنه وكان
ابن عباس رضي الله عنهما يقول لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله تعالى
ثم ورث عنهم التابعون معظم ذلك ثم تقاصرت الهمم عن حمل
ما حمله اولئك من علومه وفنونه فنوعوا علومه انواعا
ليستنبط كل طائفة علما وفنا ويتوسعوا فيه بحسب مقدرتهم

واحد

لكم

لم تقابله

ثم افرد

٢٠

157

ثم افرد غالب تلك العلوم وتلك الفنون التي كادت ان تخرج
عن الحصر وقد بين هذا القايل وجه استنباطه غالبها منه
بتاليف لا تحصى وقال آخر علومه خمسون علما واربعماية
علم وسبعة آلاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القران مضروبة
في اربع اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومقطع وبضم لذلك
اعتبار تركيب ما بينها من روابط لكن هذا لا يحصيه
الا المتكلم به تعالى نعم ام علومه ثلاثة توحيد ووعظ
وحكم ومن ثم سميت الفاتحة ام لاشتمالها على هذه الثلاثة
والاخلاص ثلثه لاشتمالها على الاول وقال ابن جرير الثلاثة
التوحيد والاخبار والديانات وقال آخر اشتمل القران على كل
شي كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شي اما العلوم فلا تجد
مسئلة هي اصل الا وفي القران ما يدل عليها وفيه عجائب
المخلوقات وملكوت الارض والسموات وما في الافق الاعلى
وما تحت الثرى وبدء الخلق واسما مشاهير الانبيا والملائكة
وعيون اخبار الامم السابقة وسيرته صلى الله عليه وسلم وغزواته
واخباره الى مماته ثم شان امته من بعده وبدء خلق الانسان
الى موته وامارات الساعة وجميع احوال البرزخ والحشر والجنة
والنار وزعم الجاحظ انه لا يوجد فيه شي من المذهب
الكلامي الذي هو احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع
الخصم على طريقة ارباب الكلام ولا من النوع المنطقي الذي
تستنتج منه النتايج الصحيحة من المقدمات الصادقة

ومطلع

وردوا عليه بانه مشحون من ذلك اذ ما من برهان ودلالة
وتقسيم وتحديد مبني من كليات العلوم العقلية الا وكتاب الله
قد نطق الله به **وقد بين** الاسلاميون من اهل هذه العلوم
كثيرا من ذلك منه ان من اول سورة الحج الى قوله تعالى وان الله
يبعث من في القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات
بل فيه الاشارة حتى بعلم الهندسة بل الا بشكل ما فيه وهو الشكل
الثلاثي بقوله الى ظل ذي ثلاث شعب الاية **قال الائمة**
وانما وردت حجة على عادات العرب دون دقائق المتكلمين
لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ولان من استطاع
ان يفهم غيره فالاوضح الذي يفهمه الاكثرون لا ينبغي له
ان ينحط الى الاغمض الذي يفهمه الاقلون والا كان ملغزا
ومن ثم اقترحه تعالى في محاجة خلقه في اجلا صورة واوضحها
لتفهم العامة ما يقنعهم وتلزمهم الحجة بسببه والخاصة
ما يليق بهم من دقائق المعارف التي هي منتهى كمله ومبلغ اربه
ومن عجيب تلك الايات انها ابانت لك العلوم التي لا غاية
لها حال كونها متولدة عن بينها وبينه الجناس اللاحق
حروف قليلة بالنسبة اليها **اخرج** ابن الضريس عن
ابن عباس قال جميع آي القرآن ستة آلاف آية وستمائة آية
وست عشرة آية **وجميع** حروف القرآن ثلاثمائة الف
حرف وثلاثة وعشرون الف حرف وستمائة حرف واحد و
سبعون حرفا وهذه الحروف ليس المراد بها حروف التهجي بل

مطلب عدد اي القرآن وحروفه

كذا

مسمياتها

١٥٢

مسمياتها فحروف التهجي اسما كاشفة عن تلك المسميات كما قال
ابان اي كشف عنها الهجاء اي التهجي وهو تعديد الحروف
بذكر اسمائها فانك اذا قلت ضرب مركب من ضرب
فقد عددت الحروف البسيطة التي هي مادة الكلمة
قبل ان تحصل صيغته والمراد هنا انه التهجي بالاسما عن
المسميات حتى يتبين موضوع كل وبيانه ان الحروف
الذي اول لم يبق الا له مسمى هو والخطا فيه بحذفها
السكت لا يؤثر لانه للتعليم وله اسم وهو الزاي لا يعتريه
سائر علامة الاسم وهو من ثم قال سيبويه قال الخليل
يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا
بالكاف التي في ذلك والبا التي في ضرب فقيل نقول
باء كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف
وقال اقول كه به حروف القرآن من الاول وحروف التهجي
من المراد من الثاني ودليل تسميتها حروفا الخبر الصحيح من
قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها
لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
فتسمية كل حرفا اما لغة او مجازا باعتبار مدلوله وحينئذ
فهي كالحب والنوى اعجب الزراع منها سنابل وزكا
فهي اي حروف القرآن وان غزرت معانيها وكثرت
احكامها لا يستبعد منها ذلك وان كانت قليلة جدا
بالنسبة لما يستفاد منها لان لها مثالا يقربها نوع قرب

والافشتان ما بينهما اذ ما ياتي له امد معلوم يفني فيه عن قرب
وهذه مستمرة النمو والزيادة على ممر الاعصار وتوالي
الازمان في هذه الدار وفي دار القرار كما يدل عليه الحديث
الصحيح انه يقال للقاري في الجنة اقرا وارق ورتل القرآن
كما كنت ترتل في الدنيا ياتي ذلك قريبا بزيادة وذلك
المثال وهو اما انها حروف اسما الاعداد بانها مع كونها
الفاظ محصورة لا ينتهي الوهم الى المعدود بها واما انها
كالحب الذي يلقيه الزارع والنوى الذي يلقيه الغارس
بالارض فينشا عن الاول من السنابل والحبوب ما يكاد ان
يحصى ولا يتناهى ومن الثاني من الثمر ما هو كذلك وفي هذه
الحالة اعجب فاعله ياتي بقول الشارح ان فيه ضمير الحب
والنوى وان فاعله سنابل سهو منه اذ كيف يتصور في
فعل ان له فاعلين ضميرا وظاهرا في حالة واحدة ۝
الزراع والغارس كما يدل عليه ذكر النوى فهو اكتفا
كسرابيل تقيكم الحر اي والبرد وفيه ايضا اللف والنشر
المرتب لعود الزراع للحب والغارس للنوى وعود السنابل
للاول والزكا لهما منها اي تلك الزروع والاشجار
سنابل وزكاء اي نمو يفوت الحصر بحيث لو اجتمع اهل
الارض على استقصا عدها لما اطاقوه فقد علمت ان المناهي
هنا كما تحصل منه ما لا يتناهى فكذلك حروف القرآن
هي متناهية وتحصل منها من العلوم والمعارف ما لا

يتناهاها

مكرر مكرر
يتناهى فكذلك حروف القرآن هي المتناهية وتحصل منها من
العلوم والمعارف ما لا يتناهى وهذا المثل المراد به
التقريب لا غير كما عرف مما مر والافشتان ما بين الامرين
الا ترى ان عدم تناهي تلك الحبوب والثمار انما هو
في مدة قليلة ثم تفنى عن قريب واما تلك الحروف
فان معانيها لا تتناهى في الدنيا ولا في الاخرة ففي
الحديث الصحيح انه يقال للقاري في الجنة اقرا وارق
ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وبه يعلم انه يقرا ويتلذذ
بالقراءة ومن لازم ذلك تلذذه بمعانيها وما يفتح الله
به على القارئ من انواع المعارف اللائقة بتلك الدار
وتلك الذوات التي تمرقيها التاصيل وذلك امر
لا يتناهى ابدا ومن عجيب شان الكفار وانهم مع
هذه المعجزات والايات البينات كلها استمروا على ما هم
عليه من غاية الاعراض والانكار ۝
وطالوا فيه التردد والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء
وطالوا فيه التردد والريب اي الشك عطف مرادف فقالوا
كما حكاه الله عنهم في كتابه فهو تلميح مرة انه سحر اي
تمويه لا حقيقة له واصل السحر لغة كل ما لطف ماخذه
ودق وقالوا مرة اخرى انه افترا اي كذب ومرة اساطير
الاولين الى غير ذلك من افترايهم واقتراحهم ومباهتتهم
وتلبيسهم وضلوا فيما قالوا بل هو كلام الله المنفصل بانزاله

قران مجيد في لوح محفوظ لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكل ذلك ينادي عليهم
بالبوار والعناد وانه لا عقل لهم ولا استعداد

واذا البينات لم تغن شيا فالتماس الهدي يهن عنا

ولكن ليس ذلك بكثير على من عدم التوفيق ولم يبصر سوا
الطريق لما هو المقرر في العقول السليمة من الحكم البديعة
الجامعة انه اذا كانت البينات اي الحجج القطعية الزاهرة
الواضحة البيان لم تغن هم اي تفدهم شيا من الهدى
فالتماس الهدي يهن اي طلبه منهم بتلك الحجج بعد الياس
من ايمانهم عنا اي تعب لا يفيد شيا

واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحا

واذا ضلت عن طرق الحق العقول جمع عقل وسبق الكلام
عليه مستوفي على اي مع علم منها بتلك الطرق اي
اصلها فماذا تقوله اي باي قول تقوله الانبيا النصحا
وقولهم حينئذ لا يفيد شيا والبيت الاول مقتبس من قوله
وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون والثاني
من قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على
علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن
يهديه من بعد الله افلا تذكرون ومما قررت به كلامه
يعلم ان هذين البيتين من الكلام البديع الجامع تنبيه
لا يتوهم من النظر انه مخالف لقول الايمة اجمعت الامة

على التكليف بالمحال الغير كتكليف ابي جهل مثلا بالايمان مع
علم الله انه لا يومن وذلك لان التكليف بذلك انما هو
بالنظر للحالة الراهنة المنطوي عنا عاقبتها فهم بالنسبة
اليها مكلفون بالايمان لقدرتهم عليه ظاهرا وان كانوا
عاجزين عنه باطنا لعلم الله بانهم لا يومنون لان هذا
لا نظر اليه والا لارتفع الاختيار ويثبت القول بالجبر
المنابذ لما جات به الشرايع فاحذر ان تميل اليه فتزل
قدمك وتحق ندمك واستحضر قوله تعالى لا يسال عما يفعل
وهم يسالون **فوايد** منها قيل حكمة تنزيه القران من
الشعر مع ان الوزن يورث الكلام عذوبة ان قصارى امر
الشاعر التخييل بتصوير الباطل في صورة الحق والافراط
في الاطرا والمبالغة في الذم والايذا دون اظهار
الحق ولهذا نزه الله نبيه عنه ومن ثم قال بعض الحكما
لم يرى صادق اللهجة مفلقا في شعره اي غالبا وما وقع فيه
على صورة الشعر لا يسماه لان شرطه القصد ومن ثم لم
يعارضه العرب ولو اعتقدوه شعرا لعارضوه وقيل دون
البيتين ليس شعرا وقيل الرجز كذلك ومنها سيل الغزالي
عن قوله تعالى لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فقال الاختلاف
مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف الناس
فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القران فليس نظمه
مختلفا ولا بعضه يدعو للدين وبعضه للدنيا بخلاف

كلام البشر لاختلاف قواهم واغراضهم واقوالهم ومنها
ان سائر كتب الله لا اعجاز فيها من حيث النظم والتاليف
لان السنتهم لا تفي بذلك بخلاف الاخبار بالغيوب
فان الكل جميعها تشترك فيه ولكون السنتهم كذلك
كان كل ما في القران حكاية عنهم انما هو حكاية لمعنى
الفاظهم ذكره ابن جني وغيره ومنها وقع في القران
ايات متشابهات من حيث النظم كايراد القصة الواحدة
في صور وفواصل مختلفة كو كلا وفكلا يذبحون ويذبحون
سنزيد وسنزيد وذلك كثير وقد افرد خلايق الجواب عن
ذلك بتاليف مستقلة ومن حيث ايهام التعارض عند
عدم التامل نحو ولا يتساءلون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
واول من تكلم في الجواب عن ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ثم تبعه الايمة حتى
افرد بعضهم ذلك بالتاليف كما الفوا في مختلف الحديث
وبيان الجمع بين الاحاديث المتعارضة ومن حيث انها
من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه او علمه ايضا الراسخون
في العلم وهو مبحث طويل فلا باس بذكر خلاصته وهي قيل
القران كله محكم كما في اية وقيل كله متشابه كما في اية والاصح
انقسامه اليهما والمراد باحكمت اياته اتقنت وتنزهت
عن نقص بحقها ومتشابها انه يشبه بعضه بعضا في الحق
والصدق والاعجاز ثم المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو بالتاويل
والمتشابه ما استاثر الله بعلمه كالساعة والحروف المقطعة

اوايل

١٦١

اوايل السور وفيه اقوال اخر ثم المتشابه هل علم فيه قولان
منشاؤهما هل الوقف على في العلم وعليه طايفة قليلة كمجاهد
والضحاك وهو رواية عن ابن عباس وقال النووي انه الاصح
لانه يبعد ان يخاطب الناس بما لا سبيل لاحد من الخلق
الى معرفته وابن الحاجب انه المختار والاكثرون من الصحابة
فمن بعدهم خصوصا اهل السنة ان الوقف على الله وهو اصح
الروايات عن ابن عباس وعد ابن السمعاني اختيار الاول
هفوة فجمع بعضهم بان من المتشابه ما يمكن الوقوف عليه
ومنه ما لا يمكن فصح الوقفان بهذا الاعتبار ومن المتشابه ذكر
ايات الصفات التي فيها ذكر نحو الاستواء واليد والعين
وجمهور اهل السنة منهم اكثر السلف واهل الحديث على تفويض
معناها المراد منها الى الله تعالى مع تنزيهه عن ظواهرها
وذهب الخلف الى تاويلها بما يليق بجلاله تعالى وكان
امام الحرمين يميل الى هذا ثم رجع عنه فقال والذي نرتضيه
دينا وندين الله به عقلا اتباع سلف الامة فانهم درجوا
على ترك التعرض لمعانيها وتبعه ابن الصلاح فقال
على ذلك مضى صدر الامة وساداتها واياها اختار ايمة
الفقها وقاداتها واليها دعا ايمة الحديث والنحير
فقال واحسن فيما قال لا يصرف اللفظ عن ظاهره الا
بدليل منفصل وهو اما لفظي وهو لا يتعين هنا لانه
مظنون اذ القطع به يتوقف على انتفا الاحتمالات

بوجه

من قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله

العشر وهو مظنون واما عقلي وهو انما يفيد صرف اللفظ
عن ظاهره لاستحالته دون اثبات المعنى المراد لانه ترجيح
مجاز على مجاز وتاويل على تاويل وذلك انما يكون بلفظي
وقد تقرر انه لا يفيد الا الظن فهو لا يعول عليه في المسائل
الاصولية القطعية قال فلهذا اختار الايمة المحققون
من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على ان
حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض في تعيين التاويل
انتهى وتوسط ابن دقيق العيد فقال يقبل التاويل
ان قرب في لسان العرب نحو على ما فرطت في جنب الله
اى في حقه وما يجب له لا ان بعد اى كتاويل استوى
باستولى ولما فرغ من الحجاج مع المشركين وبين ما آل
اليه امرهم شرع في الكلام مع اهل الكتابين ليبين ما
آل اليه امرهم ايضا فقال
قوم عيسى عاملتم قوم موسى بالذي عاملتكم الحنفاء
يا قوم بحذف حرف النداء جائز الا في الندبة والاستغاثة
ومع الضمير وكذا مع اسم الاشارة واسم الجنس على
قول فيه عيسى المدعوين بالنصارى عاملتم قوم موسى
وهم اليهود بالتصديق بكتابهم وهو التوراة
الذي عاملتكم بنظيره وهو التصديق بكتابكم الذي
هو الانجيل الحنفاء أي المسلمون جمع حنيف وهو المائل
عن كل دين الى دين الحق ثم بين ما ابهمه بقوله بما

سئلتمو بقوله صدقوا كتبكم وكذبتمو كتبهم ان ذا لبئس البواء
صدقوا أي قوم عيسى كتبكم وهي التوراة وما بعدها كالزبور
وكذبتمو كتبهم وهي الانجيل وجمعه للمشاكلة أو لتنزيله
منزلة كتب متعددة في هذا التفات لان قوم عيسى خوطبوا
أولا واعيد عليهم ضمير الغيبة وقوم موسى بالعكس وبين عيسى
وموسى الجناس اللاحق كقابيل وهابيل الابنين وبين التصديق
والتكذيب الطباق ان ذا الذي فعلتموه معشر اليهود
لبئس البواء اى الصنيع الذي جئتم به القهقرى فهو مقتبس
من قوله تعالى وباءوا بغضب من الله ۝
لو نجحدنا جحودكم لاستوينا أو للحق بالضلال استواء
لو نجحدنا من الجحود وهو الانكار عن علم جحودكم مثله بان
أنكرنا كتابكم كما انكرتم كتابنا وكتاب عيسى لاستوينا نحن
وانتم اذ يكون ذلك منا لا يتصور ذلك كيف وليس
للحق وهو ما نحن عليه من التصديق بجميع كتب الله ورسله
بالضلال وهو ما هم عليه من التصديق بالبعض والكفر
بالبعض استواء اى مساواة بل بينهما غاية التضاد ۝
والحاصل انا لم نجحد شيئا من كتب الله وانما وقع الجحد من اليهود
لكتاب النصارى ومن النصارى لكتاب اليهود خلاف
ما يوهم النظم قال تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على
شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون
الكتاب أي المكتوب لهم في ذلك وكان الشارح أخذ

من هذا قوله وانما وقع التحاسد بين اهل الكتاب اذا التعبير بالتفاعل
مصرح بما ذكره مما تخالف النظم ويوافق ظاهر الاية انتهي
وقد يقال لا يلزم من ادعا كل فرقة في الاخرى ما ذكروا انكار كتبهم
اذ لا مانع ان النصارى قايلون في اليهود ذلك مع قولهم
ليسوا على شيء الحق باعتبار تبديلهم وتغييرهم فصح ما في النظم
ويحتمل ارجاع ضمير صدقوا وكتبهم الى الحنفا وضمير الخطاب
في كتبكم وكذا بينوا للفريقين اليهود والنصارى ويكون ذلك
تفسيرا لعاملتكم الحنفا وفي السياق ما يؤيد كلا من الاحتمالين
لكن الاول اقرب ولما كان من المعلوم المستقر ان اليهود اشد
الناس حسدا قال تعالى ام يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله وانهم حسدوا عيسى حتى قتلوه في زعمهم
الفاسد واستمر حسدهم للنصارى من بعده حتى قالوا
ليست النصارى على شيء الموجب لقول النصارى فيهم ذلك
ايضا وان الطايفتين حسدوا محمدا صلى الله عليه وسلم
وامته حتى وقع منهم من العناد ما لا يصدر عن سخفاء
العقول فضلا عن غيرهم شرع الناظم في بيان ذلك
كله منهم على وجه بديع فقال

ما لكم اخوة الكتاب اناسا ليس يرعى للحق منكم اخاء

ما لكم اي ما حصل لكم معشر الفريقين يا **اخوة الكتاب**
المراد به الجنس الشامل لكتابيهما سماهم بذلك لانه لما
جمعهم ما فيه من التكاليف والاحكام صاروا مستوين فيه

كتابهم

مع مطابقة

كاستوا

كاستوا الاخوة في الانتساب الى اصل واحد حال كونكم **اناسا**
ليس شانكم انه **يرعى للحق منكم اخاء** بكسر الهمزة نايب الفاعل
ويجوز انه اسم ليس ونايب فاعل يرعى ضميره اي مواخاة
اي ليس يصدر منكم مراعاة لدين الحق بالقيام بما يجب له
من الحقوق التي منها تصديق محمد صلى الله عليه وسلم عملا في
كتبكم من التصريحات الكثيرة بنبوته وعموم رسالته وفي اخا
مع اخوة رد العجز على الصدر وبين الاخوة والاخا جناس
الاشتقاق كالشهادة والشهدا الاتي ومن عدم رعايتكم لذلك
انه **يحسد الاول الاخير وما زال كذا المحدثون والقدما**
يحسد الاول الاخير كما وقع لليهود انهم حسدوا عيسى عليه
الصلاة والسلام حتى زعموا انهم قتلوه وصلبوه وما
دري الملاعين انه شبه لهم مثله فقتلوه ونجاه الله منهم
ورفعه الى السما لينزل اخر الزمان حاكما بشريعة محمد صلى الله
عليه وسلم مصليا وراء المهدي اول نزوله ليعلم انه نزل تابعا
لهذه الامة عاملا بشريعة نبيهم ومنها انه لا يقبل الجزية
بل يقتل كل يهودي ونصراني في الارض لان قبول الجزية
منهم ارتفع بنزوله وتكذيبه لهم **وما زال كذا** اي
هذا المذكور من حسد الاول الاخير **المحدثون والقدما**
من لدن ادم الى اليوم **قد علمتم بظلم قابيل هابيل ومظلوم**
الاخوة الاتقياء قد هي للتحقيق **علمتم** يا اهل الكتاب
بظلم قابيل من اضافة المصدر الى فاعله وهو اول اولاد ادم

بما

صلى الله عليه وسلم

نوعا من المشبهة المجوزة صح

وهم أربعون جاؤا له من حوا في عشرين بطنا في كل بطن ذكر وانثي

وبارك الله في نسله في حياته حتى بلغوا اربعين الفا **هابيل**

بشدخه راسه بين حجرين وهو ثاني اولاد آدم عليه الصلاة والسلام

حسدا له على الدين من أجل كون الله تعالى تقبل قربان هابيل

ولم يتقبل قربانه فحينئذ قال له لاقتلنك فاجابه بانه يستسلم

لقضا الله ولا يجزي بالسيئة السيئة كما افاد ذلك ما حكاه

الله تعالى عنه بقوله عز قايلا لئن بسطت الي يدك لتقتلني

الاية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح

كن خير بني ادم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل

وجاء ان سبب حسده له انه تزوج اخت هابيل وكانت

ليست كجمال اخته التي تزوجها هابيل وكان من شريعة ادم

عليه الصلاة والسلام ان اختلاف بطون حوى بمنزلة اختلاف

الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس

وهو مع مخالفته لظاهر الاية يمكن تاويله بانه لا مانع من ان

حسده بسببين اخروي وهو ما في الاية ودنيوي وهو ما

ذكر على انه جا في القصة ان ادم عليه الصلاة والسلام لما

امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل فامتنع امرهما ان يقربا

قربانا لله تعالى وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول

نار من السما تاكله فقرب كل منهما قربانه فتقبل قربان

هابيل فزاد حسده ان قتله وبين الاول والاخير

والمحدثون والفقها جناس الطباق كونهم وخانوا

الي

واحسنتم

واحسنتم واساؤا والابا والابنا **ومظلوم الاخوة** الاضافة

فيه بمعنى من ويصح بتكلف كونها بمعنى في واخبر عنه

بالجمع لانه للجنس الصادق بالجمع وتسميه **الاتقيا** لانهم

يصبرون على تحمل الاذى ولا ينتقمون لانفسهم وهذا

فيه نحو ارسال المثل للاستدلال به على ما قبله وكذا ما زال

الخ وعلم من قولي وهذا فيه الى اخره انه ليس المراد بالاخوة

هنا خصوص قابيل وهابيل حتى يجاب عنه بانه اراد بالاخوة

الاخوين بنا على القول بان اقل الجمع اثنان ۝

وسمعتم بكيد ابنا يعقوب اخاهم وكلهم صلحا

وقد سمعتم هو لليقين لان المراد في كل العلم **بكيد**

ابنا يعقوب المسمى في القران باسرايل اي عبد الله بن

اسحاق الذبيح عند الاكثرين لكن الاشهر انه اخوه اسمعيل

ابن ابرهيم الخليل عليهم الصلاة والسلام **اخاهم** يوسف

عليه الصلاة والسلام كما هو مبسوط في قصته المصدرة

بقوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص اي لانها

سيقت على اسلوب لم يسبق عليه غيرها من بقية

القصص ولا يتوهم من كيدهم له المحكي عنهم في قصتهم ولا من

ذكرهم اثر قابيل الكافر اللعين ان ذلك صلاحهم لاتفاق العلما

على انهم **كلهم صلحا** عدلا به عن انبيا لانه الامر المتفق عليه

كما تقرر ولقوة الخلاف عنده في عدم نبوتهم بخلاف

يوسف عليه الصلاة والسلام فانه لا خلاف في نبوته لكن الحق انها

الذين حر

الحكي

بياني صح

ظاهر الاية او صريحها وهي قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابرهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
هم اولاد يعقوب وقد ذكرت الاية انه انزل عليهم شيء يجب
الايمان به غير ما انزل على آبائهم وذلك الشيء هو الوحي كما
هو المتبادر بل صرحت به اية واوحينا الى ابرهيم و اسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط وحينئذ فنفي نبوتهم
المستلزم لنفي الوحي اليهم مناقض لصريح الاية فتأمله
ولا ينافي نبوتهم ما حكي في تلك القصة لانه انما صدر منهم
عن تاويلات تراها شريعتهم **ومما** يقرب ذلك ان
العلماء رضي الله تعالى عنهم اتفقوا على صلاحهم وان تلك
الامور التي جرت منهم لم تؤثر في صلاحهم فكذا في نبوتهم
على ان في عصمة الانبيا قبل النبوة خلافا بسطه كتب
الاصول حين القوه في غيابة جب ورموه بالا
فك وهو برا ۝ حين طرفي للكيد القوه
في غيابة جب هو البير التي لم تطو وغيبا به قعره
وكادوه بذلك خوفا من تقدمه مع كونه اصغرهم عليهم
الذي ابانت عنه رؤياه المذكورة اول السورة اذ الاحد
عشر كوكبا مثال لهم لانهم احد عشر والشمس والقمر
ابوه وخالته وسجود الكل له دخولهم تحت امره وطاعته
وكان الامر كذلك كما في اخر السورة فانهم لما جاؤا
اليه مع ابيهم وخروا له سجدا قال يا ابت هذا تاويل

رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان
بيني وبين اخوتي **ولبس في** التعبير بنزغ الشيطان
بينه وبينهم ما يقدح في نبوتهم على القول بها **قال**
تعالى لافضل خلقه صلى الله عليه وسلم واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله لان معناه واما
يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عن المكذبين
لك والنزغ ادنى حركة امره تعالى انه متى تحرك
عليه ادنى غضب على عدوه واراد الشيطان القا
ادنى وسوسة اليه ان يستعيذ به تعالى ليكفيه امره
وهذا من تمام عصمته صلى الله عليه وسلم لانه لم يسلط
عليه باكثر من التعرض له بهذا الامر الذي لا تاثير له من
غير قدرة له عليه و من كيدهم له ايضا انهم رموه بالافك
حيث قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يريدون
يوسف عليه الصلاة والسلام وهو برا اي بري منه
وفي تسمية الناظم هذا افكا نظر ظاهر بل لا يصح كيف
وقد اخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل **قال** سرق يوسف عليه الصلاة
والسلام صنما لجده ابي امه من ذهب وفضة فكسره
فالقاه على الطريق فعيره اخوته بذلك **واخرج**

افكا

ابن جرير عن قتادة قال سرقته التي عابوه بها أخذ صنما
لابي أمه وانما اراد بذلك الخير وروي نحو ذلك جماعة
عن زيد ابن أسلم وسعيد بن جبير وابن جرير وزاد ان أمه
أمرته بذلك لانها كانت مسلمة قال الامام الشافعي
رضي الله عنه كان زيد هذا من العالمين بالقران فالحاصل
انه وقع منه صورة سرقة فذكروها تعييرا له صلى الله
عليه وسلم فهم لم يكذبوا وانما الذي وقعوا فيه انهم عيروه
بما لا عار فيه بل غاية الرفعة والمدحة كما ذكرته في
كتابي سعادة الدارين في صلح الأخوين وذكرت فيه نحو
ما سبق وملخصه واعلم ان واقعة يوسف
عليه الصلاة والسلام مع اخوته واقعة عجيبة
تشتمل على غرائب وعجائب وحكم واحكام وعبر وأمثال
وذل وانخفاض وعلو وارتفاع وعلى حسن عاقبة
الصبر وخشية عاقبة الحسد وعلى نصر المحق
وان لم يكن له أعوان ولا أنصار وعلى خذلان المبطل
وان كان اعوانه وانصاره الملوك والوزرا فضلا عن غيرهم
وعلى ان التباغض والتحاسد بين الاخوة أمر قديم
قل ما يسلم منه خيّر اوادمي وان كملوا وجلوا وعلت مراتبهم
وزكت معادنهم ومذاهبهم لما ان اخوة يوسف
وقع منهم ما وقع مع كونهم صلحا بل انبيا بنص قوله تعالى
قولوا آمنا بالله الآية اتفقوا على ان المراد بالاسباط

بما فيهم

اولاد

١٦٦

اولاد يعقوب فكوننا امرنا بالايمان بما انزل الى أبيهم وبما
انزل اليهم ظاهر أو نص في انه انزل عليهم بما يجب علينا
الايمان به اجماعا وهذا صريح في نبوتهم وعليه
فقد نستشكل ما وقع منهم في هذه القصة من الامور
الكثيرة التي ظواهرها تجب تنزيه الانبيا عليهم الصلاة
والسلام عنها بنا على الأصح بل الصواب ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام جميعهم الرسل وغيرهم معصومون
قبل النبوة وبعدها من صغائر المعاصي وكبائرها
سهوها وعمدها ويجاب بان ذلك يتاتى على مذهب
كثيرين بل نقل عن الاكثرين ان العصمة انما هي بعد النبوة
لا قبلها والاولى انه يجاب بان هذه الامور انما
تستشكل على قواعد شرعنا اما على شرعهم فنحن لا نرده
ونفرض انه يوافق شرعنا في ذلك فيحتمل ان لهم تاويلا
سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه وتعبير كثيرين كالناظم
ببغضهم وحسدهم ونحو هذا من العبارات التي ظاهرها
لا يليق بهم انما هو بنا على عدم نبوتهم كما هو قول فيهم
واخرج ابن جرير وابن المنذر ان اباعمرو قيل له كيف
تقرا نرتع ونلعب بالنون وهم أنبيا فقال لم يكونوا
يومئذ انبيا والحاصل انه يجب علينا الايمان بنزاهتهم
وبراءتهم من كل ما لا يليق بهم انتهت عبارة الكتاب
المذكور واذ قد علمتم معشر المسلمين ما وقع لمن

قبلكم من الشدائد والمحن وصبروا عليها ففازوا برضى الله تعالى
ومحبته فتأسوا بمن مضى اذ ظلمتم فالتأسي للنفس فيه عزاء
فتأسوا فتعزوا واذ التأسي التعزي من تأسيت بفلان
تعزيت به اى حملت حالى على حاله ففي التأسي تسكين النفس
على الامر المشق وتصبرها عليه والتعزي الحمل على الصبر
بوعد الاجر فمعنى التأسي والتعزي واحد او متقاربٌ
وساغ ذكرهما على الاول لاختلاف لفظهما بمن مضى قبلكم
من الكمل في ذلك اذ اى وقت او لاجل ان ظلمتم
من الكفار بما رموكم به من الحسد والبغضا والعداوة
والقتال فالتأسي في المصائب لاسيما بالكمل للنفس
فيه عزاء اى تسل وتصبر تحملها على ان لا يصدر منها
الا كمال الاخلاق والاعراض عن النظر الى ما يصدر من
اهل النفاق والشقاق وهذا من التذييل ○
أتراكم وفيتم حين خانوا أم تراكم احسنتم اذ أساؤا
أتراكم الفاعل لاهل الكتاب والمفعول للمسلمين اى أتظنكم
اهل الكتاب وفيتم بما عاهدتم الله عليه فاظهرتم
الحق ودمتم على العمل به حين ظرف لوفيتم الواقع موقع
المفعول الثاني خانوا ما عاهدوا الله عليه فكتموا الحق
وأبوا قبوله من غيرهم ام متصلة لانها معادلة الهمزة
السابقة تراكم اهل الكتاب احسنتم في اتباع نبيكم
في جميع ما جاء به فلم تغيروا منه شيئا قط ولم تبدلوا في

بلغ مقابلة

حياته

١٦٧

تمادت على التجاهل آباء
تقفت آثارها الابناء

في حياته ولا بعد وفاته اذ أساؤا الطوية فلم يستمروا على العمل
بما جاءتهم به رسلهم بل بدلوه وغيروه ايثارا لما ينالونه من
أتباعهم من الحظوظ الدنيوية بل لا ترون شيئا من ذلك
وانما الذي حملهم على عدم اتباع الانبيا عليهم الصلاة والسلام
انه تمادت اى تتابعت واستمرت على التجاهل الموجب لرفض
الحق واتباع الباطل اى اظهار الجهل من نفوسهم مع علمهم بالحق وانهم
على خلافه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا آباء
بينه وبين الابنا الطباق تقفت اى تبعت آثارها الباطلة
الابنا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ○
بينته توراتهم والاناجيل وهم في جحوده شركاء
بينته اى الحق الذى من جملته نبوة محمد وعموم رسالته عليه الصلاة
والسلام توراتهم المنزلة على موسى عليه الصلاة والسلام من اوريت
الزند قدحته لتخرج ناره والنار تستلزم النور والاناجيل المنزلة
على عيسى عليه الصلاة والسلام من نجل الشى اخرجه التي لهم كما حكاه
الله تعالى عنهما بقوله عز قائلا الذين يتبعون الرسول النبي
الامي الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
ولا ينافي هذا في جمع الناظم له لانه باعتبار افراده وهذا من أعظم
الادلة على نبوته وعموم رسالته وعلى انه صلى الله عليه وسلم على البينة
الواضحة من امره لانه صرح بذلك على روس اهل الكتابين ولم
يخش ان احدا منهم يقول ليس ذلك في كتابنا فاذ قد صرح بذلك
ولم يغيروا شيئا كانوا عالمين به وكان تخلفهم عن اتباعه لمحض العناد

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ○

والحسد قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون • يحرفون الكلم عن
مواضعه • يعرفونه كما يعرفون أبناءهم • ليطفئوا نور الله بأفواههم
ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون • ومبشرا برسول
يأتي من بعدي اسمه أحمد • فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به • واخرج
ابن عساكر في تاريخ دمشق ان ابن سلام لما سمع بخروج النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة ذهب اليه فقال صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم يثرب
قال نعم قال انشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أتجدني
في التوراة قال انسب ربك فارتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال
له جبريل عليه السلام قل هو الله احد الى اخرها فقرأها فقال ابن سلام
أشهد انك رسول الله • وان الله مظهرك • ومظهر دينك على الاديان •
واني لأجد صفتك في كتاب الله تعالى اي التوراة • يا أيها النبي إنا
أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ • ولا صخاب في الأسواق • ولا يجزي بالسيئة
مثلها ولكن يعفو • ويصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة
العوجاء حتى يقولوا لا اله الا الله • يفتح بها أعينا عميا • وآذانا صما •
وقلوبا غلفا • واخرج البيهقي وابو نعيم عن كعب والبخاري
عن عمرو بن العاص رضي الله عنهما نقلا عن التوراة والانجيل نحو ذلك
وزيادة عليه في التوراة تجلى الله من طور سينا اي بتكليمه موسى
عليه واشرف من ساعير اي تكليمه عيسى عليه واستعلن من جبال
فاران اي جبال بني هاشم المطلة على شعبهم بمكة بارسال محمد صلى الله عليه وسلم
منها الى جميع الخلق • كما يشير اليه تعبيره باستعلن وفي الانجيل •

كالتوراة

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وصحبه ۝

كالتوراة من ذلك ما يضيق عنه هذا المحل وهم اي اليهود والنصارى
في جحوده اي ذلك الحق الذي بينه كتاباهما وهو الانكار بعد
العلم شركاء اي مشتركون في لعنة الله عليهما ۝
إن تقولوا ما بينته فما زالت بها عن عيونهم غشواء
أن شرطية تقولوا يا اهل الكتاب ما نافية بينته اي التوراة
والاناجيل الحق المذكور فما زالت بها اي التوراة والانجيل عن
عيونهم غشواء بالمعجمة والمهملة اي عن بصائرهم ظلمة
مانعة لهم عن ابصارهم الحق من قولهم ركب فلان العشواء
وهي الناقة التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شيء ففيه
الاشارة للمثل المذكور • والاستعارة بالكناية لانه تشبيه
العيون بالبصائر • والعشوا بالظلمة المذكورة • والاستعارة
التخييلية في اثبات الظلمة للعيون • والترشيحية في قوله ما
بينته لانه يناسب المشبه به • أو تقولوا قد بينته فما
للاذن عما تقوله صماء ۝ أو تقولوا قد بينته كما هو الحق فما
اي فاي شيء حصل للاذن اي لآلة سمعكم حتى انها عما تقوله التوراة
والاناجيل واسناد القول اليهما فيه الاستعارتان السابقتان
آنفا وكذا في قوله الآتي في طحنتهم الخ وقوله كساهم الخ
صماء اي غير سامعة له سماع قبول اي فلا موجب للاعراض
عن ذلك الا محض العناد • والحسد عرفوه وأنكروه وظلما
عرفوه اي الحق السابق معرفة يقينية ببواطنهم وأنكروه
بظواهرهم كما قال تعالى عنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وبين

وظلما الكتمة الشهادة الشهادة

عرفوه وانكروه طباق وذلك نتيجة الالزام السابق وظلما
مفعول لاجله كتمته اي الحق المذكور الشهادة بدل اشتمال
من كتمته اي كتمت الشهادة به الشهداء الذين هم أهل الكتاب
لانهم عرفوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وصفة دينه معرفة
قطعية ثم انكروا ذلك راسا حسدا او عنادا او مباهتة
وتلبيسا على ضعفائهم ليبقى ما ينالوه منهم ونكتة ايقاع الظاهر
موقع المضمر اذ الاصل كتموا الشهادة به التسجيل عليهم بما قررته
انهم بلغوا من العلم به صلى الله عليه وسلم وحقية دينه مبلغ
رؤية الشمس ومع ذلك كتموه ومما يدل لقوة علم الشاهد
اشتراط اتيانه بلفظ الشهادة لانها ابلغ من العلم كما يفيده
الحديث الصحيح على مثل هذه اى الشمس فاشهد ومن ثم لم يكف
اعلم أو نور الاله تطفيه الافواه وهو الذي به يستضاء
أ يكتمون ذلك ويظهرون الضلال ونور الاله الذي هو النبوة
والرسالة والاله المعبود بالحق تطفيه من طفيت النار اذ
حرها الافواه اي الالسنة المنقولة بالباطل وهذا من الكلام
البديع الجامع لا يكون ذلك يريدون ليطفئوا نور الله
بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
وكيف يطفى ذلك النور الالهي وهو الذي به يستضاء ظاهرا
وباطنا اى يبصر الحق من الباطل والصادق من الكاذب
أولا ينكرون من طحنتهم برحاها عن أمره الهيجاء
أ يستمرون على ضلالهم وادعائهم محقون وينكرون نبوته

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم ولا ينكرون من طحنتهم اى اهلكتهم برحاها
أي اسلحتها عن أمره الهيجاء أي حربه صلى الله عليه وسلم
برحى حربه كما طحن اباهم وابناهم واهليهم بجلا بني النضير الى ارض
الشام والزمهم ان لا يحمل كل واحد منهم الا حمل بعير من غير سلاح
وقتل قريظة وكساهم ثوب الصغار وقد طلت دما منهم
وصبنت دماء و لشدة باسه وظهور نصرته صلى الله عليه
وسلم عليهم كساهم ثوب الصغار أى الذل كضرب الرق على غير
المقاتلين من بني قريظة استعار اللباس للصغار على حد قوله
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ثم قرنه بما يلايم المشبه به
وهو الكسوة وبما يلايم المشبه وهو طول دما وصون دما
فالاولى ترشيحية والثانية تجريدية والحال انه قد طلت
أى دفقت دما منهم كبني قريظة وصبنت دما منهم كبني النضير
أو المراد دما المسلمين لان الله جعل لهم الغلبة والدايرة
على اعدايهم واذا تقرر اتصاف اهل الكتابين بتلك القبايح
الشنيعة حق لهم أن يقال في حقهم كيف يهدي الاله منهم
كيف يهدي اي يوصل الاله منهم قلوبا حشوها اي ملوها من
بمعنى اللام المعدية حبيبه صلى الله عليه وسلم متعلق بقوله البغضاء
اى شدة البغض لحبيبه صلى الله عليه وسلم ويصح بعد انها
للتعليل أي من أجله او البدل اي حشوها بغضه بدل حبه وفي هذا
الاستعارتان السابقتان ايضا خبرونا أهل الكتابين من اين
أتاكم تثليثكم والبداء خبرونا اي اعلمونا يا أهل الكتابين

قلوبا حشوها من حبيبه البغضاء

٢٦٩

ينبغي ذلك بل الذي ينبغي لهم
الرجوع عن الضلال والاعتراف
بانهم استحقوا اعليه طحنهم صلى الله
عليه وسلم
برحى
صح

التوراة والانجيل **من أين** استفهام انكاري **أتاكم تثليثكم** أي
ادعاؤكم معشر النصارى ان الله ثالث ثلاثة الاب والابن وروح القدس
و من اين لكم معشر اليهود **البدا** بالموحدة والمهملة من بدا ظهر
وهو كما يأتي ظهور مصلحة بعد خفائها وبنوا على ذلك امتناع
النسخ اى لم يأتكم واحد من هذين عن دليل صحيح بل عن محض
سفهكم وعنادكم **تنبيه** حكى ابن الصلاح عن بعضهم ان البدا
غير صحيح لغة لانه من بدا بدو وانه رده بان ابن دريد ذكره قال
التبريزي هو بالمد من قولهم بدا لي في الامر اى تغير رأيي فيه عما كان
ونقله الزركشي عن صاحب المحكم عن سيبويه **وقال** السهيلي الاسم
البدا ولا يقال في المصدر قال ومن اجل ان البدو والظهور كان
البدا في وصف البارى سبحانه وتعالى محالا لانه لا يبدو له شي كان غائبا
عنه ويجي بدا بمعنى اراد كما في حديث الاقرع والاعمى والابرص بدا
الله ان يبتليهم اى اراد تعالى لا ظهر لانه كفر كما يأتي ٥
ما أتى بالعقيدتين كتاب واعتقاد لا نص فيه ادعا د
ما أتى بالعقيدتين المذكورتين **كتاب** من كتب الله تعالى ا**و اعتقا**
وهو جزم الذهن بالحكم ثم ان طابق ذلك الحكم ما في نفس الامر
كاعتقادنا فهو صحيح والا كاعتقادهم فباطل **لا نص فيه** أي في
اثباته وعبر بالنص وهو ما لا يحتمل لفظه غير معنى واحد بان خلا
عن الاحتمالات العشر المقررة في محلها دون الدليل الاعم من ذلك
لان الاعتقاديات لا يكفي فيها الدليل الظني **ادعا** اى باطل لانه
اختراع في الدين بمجرد التشهي فكالنص حكم العقل القطعي ٥

فالاعتقاد

فالاعتقاد المستند اليه صحيح وان لم يرد فيه نص بل لو ورد
النص بخلافه وجب تاويل النص اليه كآيات الصفات واحاديثها
اذ ظاهرها محال على الله عقلا فوجب صرفها عنه بتاويلها
بما يوافق العقل وانكر جمع متاخرون من الحنابلة تاويلها
لزللهم باعتقاد ظواهرها من التجسيم او الجهة واطالوا
في ذلك بما كان سببا لمحنهم وسحقهم في الدنيا والاخرة
والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعيا
والدعاوى التي تقولون بها معشر اليهود والنصارى
بفتح الواو وكسرها كالفتاوى **ما** مصدرية ظرفية
لم تقيموا عليها بينات اى ادلة قطعية لان الكلام
في الاعتقاديات وهو لا يفيده الظني **أبناؤها** اى نتائجها
ادعيا اى باطلة والدعي في الاصل من ينتسب الى
شخص بالكذب ومن يتبناه الانسان وليس بابن له
وان عرف نسبه شبه دعاويهم بوطي الزنا بجامع فساد
كل وقبحه وعدم الاعتداد بما ينشا عنه لانه ناشي عن اصل
فاسد وهذا استعارة بالكناية ثم خيلها بذكر ما هو من
لوازم المشبه به الذى هو وطي الزنا وهم الابنا الذين هم
فضيحتهم ذريتهم لها بذكر الادعا المناسب للمشبه به وبين
الادعيا والدعاوى تجنيس الاشتقاق وشبهه لخلطوها والخلطا
والصفات ووصفه الاتيان وفي النظم القياس الاقتراني
المركب من مقدمتين حمليتين لمنتج انتاج الشكل الاول

فالاولى الاعتقاد الذي لا نص فيه دعوى والثانية الدعوى بلا بينة
باطلة ينتج الاعتقاد الذي لا نص فيه باطل **تنبيه**
فرق النصارى ثلاثة نسطورية ويعقوبية وملكية ولكل
فرقة اعتقاد معروف **وقد اشار** الناظر رحمه الله تعالى
للبحث مع الكل والرد عليهم جميعا واكثر الكلام مع القايلين
بالتثليث لانهم اكثر واشد كفرا ومن ثم خصوا بالذكر في قوله
عز قايلا لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة الآية •

ليت شعري ذكر الثلاثة والواحد نقص في عدكم أو نماء

ليت حرف تمن **شعري** اي علمي اي ليتني علمت بما تقولونه
انغباطا حتى اتكلم معكم في رده بابلغ مما هنا وهو **ذكر**
الثلاثة الصادر منكم حيث تارة قلتم ان الله ثالث ثلاثة
الاب والابن وروح القدس **و** ذكر **الواحد** الصادر منكم
تارة اخرى حيث ادعيتم توحيده **نقص في عدكم ام نماء**
اي زيادة فحيث ذكرتم التثليث كان ذكركم الواحد نقصا
وحيث ذكرتم الواحد كان ذكركم التثليث زيادة وهذا
تناقض عجيب لا يصدر عن عاقل لانكم تارة تثبتون تعدد
الاله وتارة تثبتون عدم تعدده ولذا قال متعجبا منهم

كيف وحدتم الها نفى التوحيد عنه الآباء والابناء

كيف وحدتم ايها القايلون بالتثليث **الها نفى التوحيد عنه**
الاباء والابناء اللذان اثبتوهما في دعواكم التثليث ۝

أإله مركب ما سمعنا بإله لذاته أجزاء

أيمكن أن يوجد

أيمكن ان يوجد **اله مركب** من ثلاثة اجزاء او اقل او اكثر لا لانا
ما سمعنا بإله لذاته أجزاء او جزآن اي بوجود اله كذلك •
بل ولا تعقلناه لانه مما يحيله العقل بالبديهة كما انها تحيل
تعدده • كما يدل عليه برهان التمانع المذكور في قوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيان احالة العقل
لما ذكر انه لو فرض اله مركب من اجزاء او متعدد قيل لهم ۝

ألكل منهم نصيب من الملك فلهلا تميز الانصباء

ألكل منهم نصيب اي جزء **من الملك** فان قالوا نعم قيل لهم
فهلا وفي نسخة فلم لا وحذفت الف ما الاستفهامية لدخول
الجار عليها نحو عم يتساءلون **تميز** بالبناء للفاعل اي تتميز او
للمفعول **الانصباء** اي نصيب كل من الالهية حتى يكون
ذلك التميز دليلا على ما زعمتموه ولا تميز ولا تعدد كما هو بديهي
وبين الثلاثة والواحد والنقص والنماء جناس التقابل كالحاجة
والاضطرار والاماتة والاحياء الاتيان **فان قالوا** الكل انصباء
لكنهم خلطوها **قيل لهم**

أتراهم لحاجة واضطرار خلطوها وما بغي الخلطاء

أتراهم اي اتظنهم **لحاجة** اي احتياج **واضطرار** وهو شدة
الحاجة الى الشيء بحيث لا يجد مندوحة عنه **خلطوها** خلطا
يمنع تميزها **فان** قالوا نعم قلنا لهم الاله لا يحتاج ولا يضطر لشيء
مطلقا لانه غني بذاته عن غيره • فاحتياجه واضطراره دليل
قطعي على عدم الوهيته • **فان** قالوا خلطوها لا لحاجة ولا لاضطرار
قلنا ايتصور وجود شركة دايمة بين شريكين فاكثر **و** الحال

انه ما نافية بغى اي ظلم الخلطا أي الشركا اى بعضهم على بعض
لا يتصور ذلك بل متى وجدت شركة وجد التمانع والتنازع المستلزم
كل منهما خراب هذا العالم المشاهد لانهما ان استويا في القوة
تمانعا ولم يقع فعل من احدهما وان تفاوتا وقع مراد الغالب
فقط وتخلف مراد المغلوب فيلزم ان لا يتم نظام هذا العالم
لان الغرض وقوع الشركة وعدم التميز واحتمال توافقهما
دايما الذي يجوزه العقل لا نظر اليه لانه مما تحيله العادة التي
هي مناط الادلة القرانية والسلايق العربية فليس ذلك
دليلا اقناعيا خلافا لمن وهم فيه بل الزم قايله الكفر بعض
المتاخرين والف فيه لكنه الزام باطل كما هو جلي وكون العادة
تحيل ذلك مما لا يحتاج لبيان لان كل من عرفها حكم ان شريكين
في الايجاد والامداد لا يتصور دوامهما على الموافقة لان
من شان النفس ان لا تريد بقا شريك معها وكل ذلك باطل
لانا نشاهد هذا العالم باقيا على احمل وجوه الاتقان واحكم
قواعد الشروط والاركان ويلزم من ذلك انتفا الشريك مطلقا
وان الاله لا شريك له وبيان بطلان التعدد من وجه اخر
وبيانه ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يركب الحمار كما عرف
ذلك بالتواتر عنه وحينيذ يقال لهم أهو الراكب الحمار
فيا عجز اله يمسه الاعيا ۝ أتقولون في حال ركوب
عيسى الحمار أهو اي الاله الراكب الحمار فان قلتم انه هو فركوبه
يستدعي حدوثه وتعبه وهو يستدعي عجزه والاله لا يكون عاجزا

ولاحادثا

ولاحادثا وما زعمتموه يلزمه عجزه وحدوثه وحينيذ فياعجز
اله تعجب من دعواهم المستلزمة ذلك يمسه الاعيا اي التعب
أم منصلة لمعادلتها للهمزة تقولون الثلاثة زعمتموهم الهة
جميع على الحمار فيقال لكم لقد جل حينيذ جار بجمعهم اي الالهة اي
مجموعهم مشا صيغة مبالغة من مشى وقبح الله محتاج
الى أن يمشي به حمار فالجملة الجزيه في النظر تفيد التعجب مما
يترتب على ما فيها أم سواهم هو الاله فما نسبة عيسى اليه والانتما
أم منصلة لمعادلتها للهمزة تقولون سواهم اي الثلاثة
الذين على الحمار هو الاله فبسبب ذلك ما استفهامية مبتدا
نسبة عيسى اليه خبر نسبة والانتما هو الانتساب فهو
عطف مرادف على نسبة اي اخبروني عن انتما عيسى وانتسابه
الى الاله حينيذ هل يوجب التثليث الذي زعمتموه وكل عاقل
يجزم بانه لا يوجبه بل ولا يقتضيه وقوله فيا عجز اله وما بعده
تذييل تكررا أم أردتم بها الصفات فلم خصت ثلاث بوصفه وثنا
أم منصلة كذلك أردتم بها اي بالثلاثة التي زعمتم انها الهة
الصفات القايمة بذات الاله والصفة ما دل على معنى
زايد على الذات فلم مر آنفا الكلام عليها خصت ثلاث
بالصرف للوزن بوصفه اي الاله وثنا بضم أوّلهما
معدولين عن ثلاث ثلاث واثنين اثنين والمراد هنا
ليس ذلك التكرير بل نفس الثلاثة فقط عن من ينظر
الى الاله بالحقيقة والاله بالتجوز فان الاول واحد فقط

١٧٢

ام جميع على الحمار لغد جل
جار بجمعهم مشا

والانتما

بوصفه وثنا

الذين م

والثانى اثنان فقط وعلى كل فالصفات لا تنحصر فى اثنين ولا
فى ثلاث فادعا التثليث تحكم صرف وهو لا يقول به عاقل
أم هو ابن الله ما شاركته فى معانى البنوة الانبيا
أم تقولون **هو** اى عيسى عليه السلام **ابن الله** فيقال لكم
لم اختص عيسى عليه الصلاة والسلام بذلك حتى انه **ما**
نافية **شاركته فى معانى البنوة الانبيا** بل عيسى
وبقية الانبيا عليهم الصلاة والسلام فى ذلك على حد سوا
فادعا البنوة لعيسى عليه السلام تحكم باطل ايضا ۝
قتلته اليهود فيما زعمتم ولا اتوا انكم به احيا
قتلته اى عيسى عليه السلام **اليهود** حال كون قتلهم له انما
هو **فيما** اى فى القول الذى **زعمتم** معشر النصارى
والزعم اصله وموضوعه قول كذب **ومن ثم** قالت العرب
زعموا مطية الكذب وقد يستعمل بمعنى القول مجردا عن
التكذيب كقول ام هانى للنبى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة
زعم ابن امى انه قاتل من اجرته فقال لها النبى صلى الله عليه
قد اجرنا من اجرت يا ام هانى وكيف تزعمون ذلك **و** الحال
انه **لا اتوا انكم به** اى بسبب عيسى عليه السلام **احيا** وهو رد
الروح الى الجسد بعد مفارقتها له لانه كان فيكم يحيى الموتى
ويتمكن منه من يقتله فتصديقكم لليهود فى ذلك شاهد
صدق على سخافة عقولكم وانه لا مسكة لها ولا تثبت فى
التناقض الصريح ولا تنتبهون له وعلى كل حال

لانكم تعقولونه ح

ان قولا

إن قولا اطلقتموه على الله تعالى ذكرا القول هذا
ان قولا مما حكى عنكم كقولكم بالتثليث **اطلقتموه على الله تعالى**
عما تقولون انتم وامثالكم علوا كبيرا **ذكرا** اى ثنا وتعظيما
له فى قولكم الله ثالث ثلاثة **لقول هذا** بضم الهاء من هذا
الكلام اذا اكثر فى الخطا وفى نسخ بالزاى من قولهم هزؤا بالتسكين
اى ممزوء به وبصح ان ذكرا تمييز عن تعالى اى تعالى ذكره
وهذا من القول البديع الجامع **مثل ما قالت اليهود وكل**
لزمته مقالة شنعاء **مثل** يجوز نصبه حالا اى لقول هذا
حال كونه او مثل نعتا لمصدر محذوف ورفعه خبر مبتدا محذوف
اى هو مثل **ما قالت اليهود** اى قولهم بالبدا فالتشبيه من حيث
مطلق الكفر وان تباين تفصيل كل من المقالتين **وكل** من
الفريقين **لزمته** اى لزمت دعواه **مقالة شنعا** اى قبيحة جدا
اذ هم استقروا البدا وكم ساق وبالايهام استقرا
قوله **اذ هم استقروا البدا** اى تتبعوه حتى قالوا ما عدا العيسوية
منهم لا يجوز عقلا ولا سمعا على الله تعالى نسخ ملة بملة لانه يوهم
البدا وهو ظهور مصلحة له بعد خفائها حتى نسخ ما مضى لاجلها
ووافقهم بعض غلاة الرافضة ومنهم من جوزه عقلا ومنعه
شرعا **واما قول** بعض المسلمين الحكم الثابت لا يرتفع بل ينتهى
فلا يكون نسخا ممنوع بل هو نسخ وحينئذ فالخلاف لفظى **واعلم**
ان شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لجميع الشرائع اجماعا
واختلفوا فى شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام هل هى ناسخة

لشريعة موسى عليه الصلاة والسلام أو مخصصة والاظهر انها
مخصصة لا ناسخة لقوله تعالى ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم
قال الامام فى تفسيره روى ان الرسل عليهم الصلاة والسلام
تبعى بعد موسى عليه الصلاة والسلام كلهم على شريعته إلا
شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام **تنبيه** ذكر الامام
ايضا فى المطالب العالية فى الحكمة فى نسخ الشرايع كلاما حسنا
فقال الشرايع منها ما يعرف نفعه بالعقل معاشا ومعادا
فهذا يمتنع طرو النسخ عليه كمعرفة الله تعالى وطاعته ابدا
ومجامع هذه الشرايع العقلية أمران التعظيم لامر الله تعالى
والشفقة على خلق الله تعالى ومنها سمعية لا يعرف الانتفاع
بها الا من السمع وهذا يمكن طرو نسخه وتبديله وحكمة
نسخه ان الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن
السلف صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع
الوصول بها لما هو المقصود من معرفة الله تعالى وتمجيده
بخلاف ما اذا تغيرت تلك الطريق وعلم ان المقصود من
الاعمال انما هو رعاية احوال القلب والروح فى المعرفة
والمحبة فان الاوهام تنقطع عن الاشتغال بتلك الصور
والظواهر الى تطهير السراير **وقال** غيره حكمته ان الخلق
طبعوا على الملالة من الشئ فوضع فى عصر كل رسول شريعة جديدة
لينشطوا فى أدائها واعظم حكمة اظهار شرف نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته شرايعهم وشريعته

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم لا ناسخ لها ومن حكم النسخ ايضا ما فيه من حفظ
مصالح العباد كطبيب يأمر بدواء فى يوم وباخر فى يوم ثان
وهكذا المصلحة وان كان الثانى أثقل **تنبيه** أخرما
زعمه اليهود ان النسخ يستلزم البدا باطل لما تقرر ان
المصالح الداعية للنسخ ترجع اما لاحوال المكلفين او الازمنة
وذلك لا يستلزم بدا ولا يقتضى ان الله تعالى ظهر له شئ
بعد ان لم يكن وزعموا اليهود انه يستلزمه فمنعوا النسخ وزعم
كفرة الرافضة انه يجوز البدا عليه لوقوع النسخ منه وهذا
أغلظ فى الاولين من كفر اليهود فعلم الجواب عن قولهم
الفعل اما حسن فيستحيل النهى عنه او قبيح فيستحيل
الامر به فالنسخ محال على التقديرين وبيانه ان التحسين
والتقبيح العقليين باطلان وبتسليمهما فالعقل العادى
قاطع بان الفعل قد يكون مصلحة فى وقت مفسدة فى
وقت اخر وكذا بالنظر للمكلف يكون مصلحة فى حق واحد
مفسدة فى حق اخر ولا مانع ان علمه تعالى يتعلق بحرمة
كذا انتهى بوقت أو فعل كذا قالوا والسمع يمنع النسخ ايضا
لان اللفظ الدال على شرع موسى عليه الصلاة والسلام اما
أن يدل على الدوام فان ضم اليه ما يقتضى نسخه فهو
تناقض وان لم ينضم له ذلك كفى بالعمل به مرة فلا يتصور
فيه نسخ قالوا ومما يمنعه ايضا ما علم بالتواتر من قول
التوراة تمسكوا بالسبت ابدا وجوابه انه فى زمن بخت نصر

بحسب

قتلوا حتى لم يبق منهم إلا دون عدد التواتر وقيل انهم لم
يبق منهم الا ستة أطفال على ان الابد كثيرا ما يراد به
الزمن الطويل كما في التوراة في صور كثيرة **وكم** أي مرات
كثيرة **ساق وبالا** أي عذابا **إليهم استقرا** وفي هذين
كقالت ومقالت السابق جناس الاشتقاق وكرد العجز على الصدر
وفي المسخ والنسخ ونسخ ومسخ الجناس اللاحق وخالفوهم وخالفوهم
الجناس المضارع لقرب المخرج والمصحف وقوله وكم الي اخره من
التذييل البديع **وأراهم لم تجعلوا الواحد القهار في الخلق فاعلا ما يشا**
وأراهم اي اعلم الهم لقولهم بذلك أعني امتناع النسخ لئلا يلزم البدا
لم تجعلوا اي يعتقدوا **الواحد** في ذاته وصفاته وافعاله فلا شريك
له بوجه ما **القهار في الخلق** اي للخلق على نفوذ ما اراده فيهم
ويصح تعلقه بفاعلا في محلها **فاعلا ما يشا** لان امتناع
النسخ عليه يستلزم قهره وعجزه ٥

جوزوا النسخ مثل ما جوزوا المسخ عليهم لو انهم فقهاء
جوزوا النسخ جواب لو الاتية تجويزا **مثل ما** مصدرية
جوز المسخ عليهم لو أنهم فقهاء اي فهما ولا فهم لهم إذ
لا أبلد في الغرق منهم والنسخ لغة الازالة والتغير والنقل
كنسخت الشمس الظل والريح التراب ونسخت الكتاب **و**شرعا بيان
انتهاء حكم شرعي بخطاب اخر شرعي وزيد فيه متراخ ليخرج نحو الاستثنا
ورد بان الكلام لا يعرف حكم الا بانتهائه فلا يحتاج للاحتراز
عن ذلك بهذا القيد اي لو ثبت بانهم فقهاء لجوزوا النسخ لانه

كما علم

كما علم من حده لا يلزم عليه محذور البتة وزعمهم البدا باطل
لا يعول عليه **و**مما يدل على جوازه ما علمه اليهود من وقوع المسخ
وهو تحويل الصورة الى اقبح منها في كثير منهم **في** زمن موسى
عليه الصلاة والسلام لما خالفوه في السبت **ف**مسخهم الله قردة وخنازير
كما قصه الله علينا في كتابه العزيز **و**كيف يمنعون النسخ

هو الا ان يرفع الحكم بالحكم وخلق فيه وامر سوا
وهو ليس فيه **الا ان يرفع الحكم** الشرعي اي استمراره وتعلقه
فعلم ان المراد بالحكم تعلقه بالمكلف بعد ان لم يكن او نفسه لكن
من حيث دوامه بمعنى تكرره لا ذاته التي هي خطاب الله تعالى
المتعلق بفعل المكلف من حيث هو مكلف **ا**قتضا او تخييرا لانه
قديم وما ثبت قدمه استحال عدمه **ث**م النسخ يكون الى بدل **و**الى بدل
فان كان الى بدل زيد في الحد **بالحكم** الشرعي وان كان لا الى بدل لم
يزد ذلك **وخلق** اي ايجاد **فيه** اي المسخ للصورة الثانية بعد اذهاب
الصورة الاولى **وامر** اي تصرف برفع الحكم الاول **و**ايجاد الثاني
سوا لما تقرر ان المسخ فيه رفع الصورة الاولى وخلقها الصورة
الثانية والنسخ فيه رفع الحكم الاول **و**خلقه الثاني فاذا جوزتم
الاول لزمكم ان تجوزوا الثاني **و**الا فانتم سفها معاندون **لا** بليغت
البكم وكيف تستبعدون النسخ وانما غايته ان كان لبدل ان فيه
حكمين المنسوخ **و**هو المراد بقوله **والحكم من الزمان ابتدا والحكم من الزمان انتهاء**
والحكم من الزمان ابتدا والناسخ وهو المراد بقوله **والحكم من الزمان**
انتهاء ولا ينافي هذا تفسيره النسخ بالرفع لما علمت ان المراد رفع

تعلقه بالمكلف او دوامه وهو الانتها المذكور هنا وقول الشارح
انه اشارة الى التفسيرين فى النسخ غير صحيح لان حقيقة الرفع
مستحيلة فوجب تاويل التعبير به بما قلناه كما هو المقرر
فى محله فتامله وعلى كل حال فجواز النسخ اولى من جواز المسخ
لان ذلك في الاحكام وهذا فى الذوات سوا جعلنا النسخ
رفعا ام بيانا وسوا جعلنا المسخ فى صورهم حتى صارت اقاربهم
من المومنين لا يعرفونهم وهم يعرفونهم اذ يجي القرد الي
قريبه ويمسح به وتدمع عيناه فيقول له الم ننهكم عن المخالفة
فيشير براسه ان نعم ام فى قلوبهم فقط على ما ذكره مجاهد
والنظم مشير الى هذه القصة ففيه تلميح وبين ابتدا وانتها
طباق **واذا ادعتم** ايها المسلمون المبالغة في ادحاض
حجتهم **فسلوهم اكان في مسخهم نسخ لايات الله ام انشا**
فسلوهم قايلين لهم **اكان في مسخهم** التفت عن خطابهم
مبالغة فى تحقيرهم اي جعلهم قردة فى الصورة كما هو المشهور
او فى قلوبهم وجعلها كقلوب القردة لا تقبل هداية مع بقا ذواتهم
على ما زعمه مجاهد **نسخ لايات الله** وهي الصورة الاولى مع
احكامها والادراك الاول بنا على قول مجاهد **ام انشا** لايجاد
صورة منتقلة وحكم مستقل يتعلق بها او لادراك كذلك
فان قالوا بالاول فقد نقضوا انفسهم ولزمتهم الحجة
او بالثاني فهو مكابرة للحس والحق ان المسخ متردد بين انشا
الخلق وبين النسخ لانه بالنسبة الى الصورة الاولى نسخ وبالنسبة

الى الصورة

الى الصورة الثانية المتجددة القبيحة انشا الايقال فلا يعرفون
بطرو التغير على قلوبهم بنا على قول مجاهد لانهم اعترفوا به في
قولهم قلوبنا غلف اي مغطاة باغشية خاصة لا يصل اليها ما جيتنا به
وبدا فى قلوبهم ندم الله على خلق ادم ام خطا
وبدا بالمد وسبق معناه وهو مبتدا خبره **فى قولهم** الثابت
عنهم **مقولهم ندم الله على خلق ادم ام خطا** المشهور فيه
القصر ويجوز مده كما جرى عليه الناظم وهو عطف على بدا
اي سلوهم عن قولهم هذا اهو عن قصد منهم او عن خطا
منهم فان قالوا عن قصد كان عين البدا الذي انكروه لانه
يستلزم جهل الله تعالى بعواقب الامور وحينيذ فكيف ينعون
النسخ فرارا من لازمه عندهم وهو البدا هذا تناقض قبيح
وان قالوا انه خطا منهم فيكفيهم الاعتراف به على نفوسهم وانهم
فى غاية السفاهة والغباوة وسبيلهم الاعتراف بالبدا لا بالخطا
فانضح بطلان زعمهم استحالة النسخ حذرا من البدا وسلوهم
ايضا عما لا يمكنهم انكاره لانه امر محسوس ورد القران على طبقه
فقولوا لهم اعلامة الليل والنهار كل منهما باقية فلا تزول
احداهما بالاخرى **ام محى الله اية الليل ذكرا بعد سهو ليوجد الامسا**
ام محى اي اذهب **الله اية** اي علامة **الليل** اسم جنس جمعي
واحده ليلة كتمر وتمرة واتي بالنهار بدله وهكذا الى يوم القيمة
ذكرا بضم الذال تمييز اي من جهة الذكرى العلم والتعهد
بعد سهو ليوجد الامسا اي الدخول في المسا وهو ما بعد

الزوال والمناسب اذ يراد به هنا ما بعد ح

العزوب أي سلو هم اهل هذا المحو واقع املا وبفرض وقوعه فهل
هو عن عمد بعد سهو او عن سهو ابتدا فان قالوا بالاول لزمهم
القول بالنسخ لانه بمنزلته او بالثاني من الترديد الاول فقد كابروا
الحس او من الترديد الثاني لزمهم القول بالبدا الا ان من يجوز
السهو يجوز البدا لانه بمنزلته فلم منعوا النسخ حذرا منه وقد
بين الله تعالى حكمة اختلاف الليل والنهار في غيرما اية **فقال**
تعالى قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الايات وقال تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا
اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين
والحساب **والحاصل** ان الحكمة كما تقتضي دوام اشيا بلا تبدل
ولا تغير يقتضي تبدلها وتغيرها وفي ذكرا بعد سهو جناس
التطابق لحرم والتحليل وجحدوا وامن الابيات ۝
أم بدا للإله في ذبح إسحاق وقد كان الأمر فيه قضاء (نسخة: مضاء)
أم بدا للإله في ذبح إسحق حيث امر به ثم نسخه **و** الحال انه
قد كان الأمر فيه اي بذبحه من الله تعالى لخليله ابرهيم عليه
الصلاة والسلام في النوم **مضاء** أي ماضيا نافذا وفي نسخ قضاء
بالقاف اي حتما وذلك لان رؤيا الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وحي أي سلوهم فيما وقع للخليل عليه الصلاة والسلام انه امر بذبح ولده
ام اجازما ثم ان عند ارادته له لما اضجعه على جنبه نسخه الله تعالى
فامره بتركه وفداه بذبح عظيم وما يقال ان الرقبة كسيت نحاسا

وانه مر بالسكين

إسماعيل وهو الصحيح للآية وفي بعض الروايات الصحيحة انتهى

وانه مر بالسكين عليها فلم تؤثر ونحو ذلك مما يذكره الخطبا
والقصاص فكله لم يثبت فيه شي فان قالوا ان الامر بالفدا
وترك الذبح نسخ للامر بالذبح لزمهم القول بالنسخ مطلقا
او غير نسخ لزمهم الجهل المفرط والغباوة الشنيعة **تنبيه**
ما جرى عليه الناظم ان الذبيح اسحاق هو ما عليه الاكثرون
قيل واجمع عليه اهل الكتابين لكن سياق الاية والمشاهدة
بان اسماعيل هو الذي كان بمكة ومنى ولم ينقل قط ان
اسحاق فيح ولا اتا تلك الاماكن قاضيان بانه اسماعيل
وهو التحقيق كيف وقد صح ما يصرح بذلك **روى**
الحاكم في المستدرك ان الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه
فتذاكر القوم اسماعيل واسحاق ابني ابرهيم عليهم الصلاة
والسلام فقال بعضهم الذبيح اسماعيل وقال بعضهم الذبيح
اسحاق فقال معاوية سقطتم على الخبير كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال له يا رسول الله خلفت
البلاد يابسة والماء يابسا وضاع العيال فعد علي مما افاء الله
عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم ينكر عليه فقلنا يا امير المؤمنين وما الذبيحان فقال
ان عبد المطلب لما امر اي في المنام بحفر زمزم نذر لله
ان سهل الله امرها ان ينحر بعض ولده فاخرجهم فاسهم اي
اقرع بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه
اخواله من بني مخزوم وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه

بمائة ناقة فهو الذبيح واسماعيل الثاني وهكذا رواه ابن مردويه
والثعلبي في تفسيريهما وسلوهم ايضا فقولوا لهم
أو ما حرم الا نكاح الاخت بعد التحليل فهو الزنا
أتنكرون النسخ وتقولون ما حرم الا نكاح الاخت
بعد التحليل في زمن آدم عليه الصلاة والسلام او تقولون
حرمه بعد ان حلله وعليه فهو اي نكاحها الزنا موجب للرجم
ومن الزنا لغة فان قالوا حرمها الله بعد ان احلها فهذا
صريح في النسخ الذي انكروه وان قالوا لم يحرمها او لم يحلها
فهو عناد محض وقايله لا يخاطب ولا يكالم واذ قد بان لك
قبيح جهلهم وتناقضهم وعنادهم فامسك عن محاجتهم ٥
ولا تكذب ان اليهود وقد زاغوا عن الحق معشر لوما
ولا تكذب ان اليهود والحال انهم قد زاغوا اي مالوا عن الحق
من وجوه عديدة سفها وحسدا معشر اي قوم لوما جمع
لئيم وهو البخيل الاصل الشحيح النفس ٥
جحدوا المصطفى وآمن بالطاغوت قوم هم عندهم شرفا
جحدوا ابدل من زاغوا المصطفى اي المختار من الصفوة او
المصطفى من كل نقص اي انكروا نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم
بعد علمهم بهما علما يقينا قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم والحال انه قد آمن بالطاغوت اي الشيطان وكلما
عبد من دون الله او صد عن عبادته فعلوت من الطغيان قوم
هم عندهم شرفا هذا كالذي بعده بيان لعظيم لومهم

وزيغهم عن الحق ان جحدوا الحق الاظهر من الشمس واقروا من آمن
بالباطل ومدحوهم على ذلك بل عدوهم مع ذلك من شرفائهم ثم
ظاهر النظم ان المؤمن بالطاغوت فرقة من اليهود لا كلهم
وليس كذلك بل كلهم آمنوا به كما يصرح به قوله تعالى عز قايلا
الم تر الى الذين اوتوا الكتاب قال المفسرون هم اليهود يؤمنون
بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا اي عن اشرافهم
او كفار العرب هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا وعجيب
من الشارح حيث اخذ النظم على ظاهره واستدل بالآية
مع انها انما تدل على الكل لا البعض ويصح ان المراد ومن
بالطاغوت قوم من قريش هم عندهم شرفا ومعنى الآية
حينئذ ويقولون اي اليهود للذين كفروا اي عن كفار العرب
الذين آمنوا بالجبت هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا
ويدل على هذا ان حيي ابن اخطب لما ذهب لقريش غيرهم
ليحرضهم على قتاله صلى الله عليه وسلم ومعه اشراف من اليهود سألوهم
أنحن خير دينا من محمد قالوا نعم ففرحوا وخرجوا لقتاله صلى الله عليه وسلم
تنبيه جعل الواو للحال لا للعطف الدال عليه حذفها
من قتلوا الآتي اولى من قول الشارح انها عاطفة وان المسوغ
للعطف وصف قوم بالجملة بعده اي لما قررته فيه انه مدحهم
بالمؤمنين بالطاغوت مع جحدهم بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
فيه غاية الغباوة واللوم واحوجه الى ذكر المسوغ قولهم
شرط قبول عطف الجملة على الاخرى ان يكون بينهما مناسبة

نصيبا بين

صلى الله عليه وسلم

لجهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر وقد يقال في النظر دلالة لما
فعله الشارح لانه اتى باربع جمل بثنتين بلا واو وثنتين
بواو ونظرا للمناسبة المعتبرة في ذلك وبيانه ان ايمانهم بالطاغوت
مع جحدهم بنبوة نبينا فيه ما مر وكذلك اتخاذهم العجل مع قتلهم
للانبيا عليهم الصلاة والسلام واما قتلوا مع ما قبله فلا مناسبة
ظاهرة بينهما فلم يعطف عليه قوله **قتلوا الانبيا واتخذوا**
العجل الا انهم هم السفهاء ۝ **قتلوا** بدل بعد بدل او عطف
بحذف حرفه بنا على انه يمكن مناسبة لما قبله **الانبيا** كزكريا
ويحيى وغيرهما جا انهم قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا ثم اقاموا
سوق بقلهم ومعاشهم **واتخذوا العجل** الها ومعبودا مع ان
السامري هو الذي صاغه لهم بحضرتهم من الحلي الذي استعاروه
من القبط قبل غرقهم والقى فيه قبضة من تراب اخذه من تحت
حافر فرس جبريل الذي جا به لفرعون حتى دخل ورآهم البحر لما
انغرق لهم لانه كان احجم عن دخوله فبمجرد ان القى فيه القبضة
خار فقال لهم هذا الهكم واله موسى فراج على عقولهم السخيفة
كلامه فاعتقدوه الها ومعبودا كما قصه الله علينا مبسوطا
في القرآن ومن ثم كان في كلامه اقتباس كقوله **الا** حرف
تنبيه لاستفراغ وسع السامع في الاستماع لما بعدها **انهم**
هم السفهاء ولكن لا يشعرون بجهلهم المركب فلا اسفه ولا
اغبى منهم جمع سفيه وهو من زاد نقص عقله حتى حصلت
له خفة وطيش وسخافة راي وانطماس بصيرة ومن ثم لم

صلى الله عليه وسلم

عليهم الصلاة والسلام

وراءهم

حين

ينظروا

79

ينظروا الى كونه محالا بحضرتهم من جماد والاله لا يكون كذلك
عند من له ادنى عقل وتمييز ثم بين ادنى انواع سفههم
بقوله ملمحا لما وقع لهم **وسفيه من ساه المن والسلوى وارضاه الفوم والقثا**
وسفيه خبر مقدم او مبتدا وسوغ الابتدا به وقوعه
بيانا لما قبله لما تقرر **من ساه** اي احزنه **المن** وهو نوع
من الحلوى كان ينزل عليهم وهم في التيه في غاية الاضطرار
والسلوى وهو السماني طير من اشهى الطيور لحما وانفعها
واطيبها غذا كان ياتيهم الى محالهم فرقا فرقا فيمدوا ايديهم
اليه وياخذوا منه ما شاؤوا **وارضاه الفوم** اي الثوم كما قرئ
به وقيل الحنطة وهو بعيد من السياق لان الحنطة ليست
من الادنى **والقثا** بل سائر فيهما وفي نظائرهما قال تعالى
تبكيتا لهم بعد ما ذكر انه انزل عليهم المن والسلوى واذ
قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج
لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
وفي كلامه اقتباس وطباق بين ساه وارضاه ومراعاة
النظير في المن والسلوى والفوم والقثا ۝
مليت بالخبيث منهم بطون فهي نار طبا فها الامعا
مليت بالخبيث وهو ما سالوه من الفوم وما بعده **منهم**
صفة تقدمت فصارت حالا **بطون** ليناسب ما انطوت
عليه من الغل والحسد والغباوة والسفاهة او المراد منهم

بطونهم بالداء الخبيث اي العضال الذي لا دواء له وهو الغل وما
بعده والى هذه يرشد ما رتبه عليه بقوله **فهي نار** اي مشتملة
على ما يؤدي الى النار او سماها نارا باعتبار المآل كما في ارائي
أعصر خمرا **طباقها** اي النار **الامعاء** اي المصادرين اي معا فوقها
نار ثم معا ثم نار وهكذا والى الاول يرشد قوله مليت
بالخبيث المشعر بان بطونهم صارت به كنار ذات طباق
وطباقها هي اعتقاداتهم النجسة ويصح ان المراد ان بطونهم
صارت كنار ذات طباق بعضها فوق بعض وطباقها أعمالهم
اذ الخبيث الذي مليت به هو نحو الربا والسحت فاذا دخلها
جذبته المصادرين اليها وبعضها فوق بعض وايضا الخبيث
بعضه أشد عذابا من بعض فبعضه فوق بعض ليتفاوت
عذابهم بالنسبة الى اكلهم واكتسابهم هذا على الاصح عند
في الاصول انهم مخاطبون بفروع الشريعة فيعاقبون عليها
بخصوصها في الآخرة وعلى مقابله هم كفروا ومن وجوه بعضها
أشد من بعض **لو اريدوا في حال سبت بخير كان سبتنا لديهم**
الاربعا ○ **لو** شرطية **اريدوا في حال سبت** مصدر
سبتت اليهود اي عظموا سبتهم بالسكون فيه عما عدا العبادة
فاصل السبت القطع **بخير** الباء زائدة للتاكيد كما هو راي
جماعة وكل من الظرفين متعلق باريدوا على ان الثاني
مفعول ويصح كون الاول حالا من خير اي لو اراد الله لليهود
في حال سبتهم الذي فرض الله عليهم تعظيمه خيرا **كان سبتنا لديهم**

اي عندهم

اي عندهم **الاربعا** هذا من حيث ترتبه على ما قبله بطريق
الملازمة المستفادة من لو في غاية الاشكال ولم ينبه
الشارح على ذلك اذ لم يتنبه له وانما تكلم على بعض مفرداته
فقط ومنها قوله السبت اخر الاسبوع والاربعاء رابعه
وقيل السبت اوله والاربعا خامسه **وقد** يقال كان
الناظم نظر الى ان السبت القطع كما مر والى ان الاربعا
محل النور الحسي لما يأتي ان الله تعالى خلق النور فيه فيكون
محل النور المعنوي الذي هو الوصل فكانه يقول لو اريد لهم
الخير لجعل قطعهم وصلا ولاينافي ذلك قوله هو يوم
مبارك لانه باعتبار ما فرض عليهم من تعظيمه وتخصيصه
بالعبادة وما نحن فيه باعتبار انه لو اريد بهم تمام الخير جعل
محل عبادتهم موذنا بوصولهم الذي من شانه ان ينشا عن
العبادة واما اذا جعل محل عبادتهم موذنا بقطعهم باعتبار
أصل مدلوله فهذا مما يوذن بنقصهم وانهم لن يريد لهم
كمال الخير **ومما** يوضح هذا ان الله تعالى ادخر لهذه الامة
يوم الجمعة الموذن بغاية الوصل اذ مقام الجمعية هو مقام
الوصل الذي هو اكمل المقامات وافضلها وجعل لليهود السبت
الموذن بقطعهم وجعل للنصارى الاحد الموذن بوحدتهم
وتفردهم عن مواطن الخيرات والسعادات فكان فيما خصت
به كل امة من الايام دليل على احوالها وما يؤول اليه امرها
فتنبه الناظم رحمه الله على هذه الحقيقة العرفانية والحكمة

الربانية زيادة في مدح هذه الامة وذم غيرهم أو بقالات
الناظم اراد بذلك انهم لو اريد بهم الخير لكانت الايام كلها سببا
عندهم ليحيوها جميعا بالعبادة واما تخصيص يوم منها
بالعبادة دون بقية الأسبوع فهو من جملة ما اريد بهم
من خلاف الخير وعلى هذا مع ما فيه من البعد والتكلف
يكون معنى حال سبتهم ذكر شانه ويكون ذكر الاربعا
للمثال لا للتقييد ويكون قوله هو يوم الخ رجوعا الى مدح
ما شرع لهم ولا ينا في ما قبله لان بركته لا تنافي ان نعطلهم عن
العبادة بقية الاسبوع غير خير **واعلم** ان قول الشارح
والسبت الى اخره عجيب منه اذ ما حكاه بقيل هو الذي صح
به الخبر وعليه الاكثرون وهو مذهبنا كما في الروضة واصلها
ونقله في شرح المهذب عن الاصحاب بل قال السهيلي في
روضه لم يقل بان اوله الاحد الا ابن جرير واستدل له
في شرح المهذب بخبر مسلم عن ابي هريرة **قال** اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق
الله فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق
المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وبث فيها
الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة
في اخر الخلق في اخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل
ولهذا الخبر صوب الاسنوي كالسهيلي وابن عساكر ان اوله
السبت وجرى النووي في موضع على ما يقتضي ان اوله الاحد

مطلب الوقت الذي خلق ادم فيه

فقال في

فقال في يوم الاثنين سمي به لانه ثاني الايام الا ان يجاب
بانه جرى في توجيه التسمية المكتفى فيه بادنى مناسبة
على القول الضعيف نعم انتصر لكون اوله الاحد الذي جزم
به القفال من اصحابنا بان الخبر السابق تفرد به مسلم وقد
تكلم فيه الحفاظ علي بن المديني والبخاري وغيرهما وجعلوه
من كلام كعب وان ابا هريرة انما سمعه منه ولكن اشتبه
على بعض الرواة فجعله مرفوعا ويجاب بان من حفظ الرفع
حجة على من لم يحفظه والثقة لا يرد حديثه بمجرد الظن
ولاجل ذلك أعرض مسلم عما قالوا اوليك واعتمد الرفع وخرج
طريقه في صحيحه فوجب قبولها **ومن ثم** انتصر ابن عساكر
لكون اوله السبت بما حاصله ان تاييد ابن جرير لكون اوله
الاحد بان هذا العالم خلق في ستة ايام وادم خلق يوم الجمعة
انما يصح بتقدير ان يوم الجمعة داخل في الستة التي خلق فيها
العالم ولم يصح ذلك لانه صلى الله عليه وسلم فسر خلق الاشيا
وجعل خلق ادم في اليوم السابع وهو الجمعة ولم يثبت
انه خلق اخر الايام وانما اخبر تعالى انه خلق العالم في ستة
فاخرها الخميس وخلق ادم بعد الفراغ من خلقها اشارة لكونها
خلقت لمصالحه كيف وسياق خبر مسلم المذكور ظاهر في ذلك
ويؤيده ايضا ان الله تعالى هدانا اليوم الجمعة واضل عنه
اليهود والنصارى أي لان اليهود لما اعتقدوا ان اوله
الأحد أخذوا السبت والنصارى لما اعتقدوا ان اوله

الاثنين اخذوا الاحد وأما هذه الامة فاعتقدوا ان أوله
السبت فأخذوا السابع وهو الجمعة ولا حجة في اشتقاق نحو
الاحد من الواحد وهكذا لان هذه التسمية لم تثبت بأمر من
الله ولا من رسوله فلعل اليهود وضعوها على مذهبهم فأخذها
العرب عنهم ولم يرد في القرآن الا الجمعة والسبت وليسا من
أسماء العدد انتهى على ان هذه التسمية لو ثبتت لم يكن فيها دليل
لان العرب تسمي خامس الورد رابعا وهكذا وهذا هو الذي اخذ
منه ابن عباس رضي الله عنهما قوله الذي كاد أن ينفرد به ان يوم
عاشوراء هو تاسع المحرم وتاسوعا ثامنه وهكذا اتخذ بلغ مقابلة
هو يوم مبارك قيل للتصريف فيه من اليهود
هو اى يوم السبت **يوم مبارك** لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق
هذا العالم كما مر خلافا لما زعمه اليهود انه ابتدأه يوم الاحد
وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح
فيه كما استراح الرب فيه وهذا من جملة غباوتهم وسفاهتهم
ومن ثم رده الله تعالى عليهم بقوله عز قائلا وما مسنا من لغوب
اى تعب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا اذ لا يتصور التعب
الا من حادث مفتقر للغير في الاسباب والله تعالى بخلاف
ذلك انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اى نوجده
فورا فلا يتخلف عن الارادة فقول كن كناية عن ذلك
قيل بناه للمجهول لضيق النظر فلا يتوهم انه قول ضعيف
للتصريف اى للتصرف **فيه** ببيع ونحوه **من اليهود اتخذا**

أي أي

أي أي ظلم وعدوان كان سببا لمسخ كثيرين منهم قردة وخنازير
وذلك انهم لما امروا ان يجردوه للعبادة اعتدى فيه ناس منهم
في زمن داود عليه الصلاة والسلام اثنى عشر الفا فاصطادوا
فيه وكانوا اهل بلدة قرية على جانب البحر فابتلاهم الله تعالى بأن
الهم السمك يوم السبت انه ما يبقى حوت في البحر الا ورفع
خرطومه أو خرج فاذا مضى السبت تفرق السمك ونفر فاجمع
راى جماعة منهم على حيلة يمسكون بها السمك ويمنعهم من الاصطياد
يوم السبت فحفروا يوم الجمعة حفرا بجانب البحر وجعلوا فيها
جداول من البحر فصارت تمتلئ منه يوم السبت ويأخذونه فسألوهم
يوم الاحد فشووا وأكلوا فشم جيرانهم فأخبروهم بالحيلة
فقالوا ان الله معذبكم ثم لم يعاجلوا بالعقوبة تبعهم جماعة
ثم جماعة فقد صاروا قدر الثلث وسكت قدر الثلث واعتزلهم
الثلث الباقي فبنوا بينهم حائطا فأصبحوا وقد مسخ الثلث
الاول قردة وخنازير وكذا الثاني على خلاف فيه أي لان الاية
فيهم محتملة **ومن ثم** قال ابن عباس رضي الله عنهما لا ادري
ما فعل الله بالساكتة نجاها ام مسخها كذلك **قال مالك**
في هذا تحريم الحيلة ووجوب سد الذرائع انتهى ويرد
بان المقرر في الاصول ان شرع من قبلنا ليس بشرع لنا
فان ورد في شرعنا ما يوافقه فالدليل هو شرعنا لا غيره
فبظلم منهم وكفر عدتهم طيبات في تركهن ابتلاء
فبظلم متعلق بعدتهم **منهم** وهو وضع الشيء في غير محله

بحيا نتهم في السبت واخذهم الربا واكلهم اموال الناس وكفر من
عطف الأخص لزيادة الاهتمام به عدتهم أي فاتتهم طيبات
من الرزق حرمها الله عليهم وهذا مقتبس من قوله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت
لهم الاية ومن شان الطيبات انه يوجد في تركهن الذي
تحتم الامر به ابتلاء أي اختبار ومحنة للعبد تكون
سببا لعلاجه أو هلاكه خدعوا بالمنافقين وهل
ينفق إلا على السفيه الشقا ۝ خدعوا اي يهود
المدينة وما قرب منها من زاعوا لكن ذاك عام وهذا
خاص لتقييده بالظرف بعده بالمنافقين من الأوس والخزرج
الذين قهرهم الاسلام فاظهروه واتخذوه جنة من القتل
مع بقائهم على كفرهم باطنا وكان هؤلاء مع اليهود بانهم مثلهم
باطنا فكانوا يدسون اليهم المكر والخديعة وكانت احبار
اليهود الذين يتعنتون على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل
القران مكذبا لهم تارة ومجيبا عن شبههم اخرى ومنبها
على احوال المنافقين الذين معهم باطنا اخرى ومعنى كونهم
خدعوا بهم انهم اريد بهم المكروه من حيث لا يعلمون
بسبب المنافقين الذين كانوا يصدونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
فيتخدعون لهم لغباوتهم وسفاهتهم كما قال وهل ينفق
الا على السفيه الشقا اي وما ينفق الشقا الا على السفها وهم
اليهود لا غير شبه الشقا الحاصل لهم بدراهم تصرف وتخرج

بدل

في الشر

في الشر فهي استعارة بالكناية وأثبت لها ما هو من لوازم المشبه
به وهو الانفاق تخييلا وجعل الشارح ينفق من النفاق
أي الرواج فعليه شبه الشقا بالسلعة المعروضة للبيع
واثبت لها النفاق تخييلا ورشح او جرد بذكر السفه الملايم
للمشبه والمشبه به وأطانوا بقول الاحزاب إخوانهم إنا لكم أولياء
وأطانوا في زعمهم مما كانوا يترقبونه من النبي صلى الله
عليه وسلم بعد وقعة أحد اخوانهم في الكفر لهم إنا لكم
أولياء اي متوالون ومتفقون على حرب محمد صلى الله عليه وسلم
وسبب ذلك ان جماعة من اليهود منهم اللعين حيي بن
أخطب ازدادت عداوتهم له صلى الله عليه وسلم حتى قدموا على
قريش بمكة فدعوهم لحربه صلى الله عليه وسلم وقالوا انكون معكم
عليه حتى نستاصله فوافقوهم ثم ذهبوا لغطفان وذكروا
لهم ذلك فوافقوهم فخرجت قريش وقايدهم أبو سفيان
وغطفان ومن معهم من أهل نجد وقايدها عيينة
ابن حصن فاجتمعوا في عشرة الاف واليهود قاطعون
بانهم يستاصلون المسلمين فلما سمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم
أشار سلمان الفارسي بحفر الخندق لان العرب لم تكن تعرفه
فاجتهد فيه صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فلما وصل العدو
اليه خرج اليهم في ثلاثة الاف فمكثوا نحو عشرين يوما
او خمسة عشر وهو الأشهر لا قتال بينهم الا الرمي بالنبل
والحصى ثم اشتد الحرب فجا نعيم بن مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم

وهي أم زوجته صلى الله عليه وسلم صفية

فقال اني اسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت فأمره صلى الله عليه وسلم
بأن يخذل عنهم ما استطاع فان الحرب خدعة فذهب الى بني قريظة
وكان نديمهم في الجاهلية فحسّن لهم التخلف عن معونة قريش
الآن اخذوا منهم رهنا وخوفهم على اموالهم واولادهم فقالوا
أشرت بالراي ثم ذهب الى العرب وقال لهم عن اليهود مثل ذلك
وانهم عزموا على ذلك وأرسلوا لمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك فارسلوا
رسلهم لقريظة فذكروا لهم ذلك واعتقدوا واصدق نعيم
واختل عزمهم فخذلهم الله تعالى وأرسل عليهم ريحا في ليل شديدة
البرد فاكفأت قدورهم وطرحت خيامهم وبلغه صلى الله عليه وسلم
تخالفهم وما هم فيه فقال صلى الله عليه وسلم لحذيفة بن اليمان
إذهب فانظر ما يفعل القوم ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا
فدخل بينهم فسمع ابا سفيان لينظر الرجل منكم من جليسه قال
حذيفة فاخذت بيد من جنبي فقلت من انت فقال فلان
ابن فلان ثم قال ابو سفيان والله يا معشر قريش ما أصبحتم بدار
مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة ثم
أمرهم بالرحيل وارتحل ولولا عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا
تحدث شيئا لقتلته بينهم ثم سمعت غطفان ما وقع
لقريش فرجعوا ايضا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم رجع الى المدينة
وقال صلى الله عليه وسلم لا تغزونكم قريش بعدها ابدا ولكن انتم تغزونهم
وكان كذلك ولما وضعوا السلاح جاءه جبريل عليه السلام
معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة ديباج وفي

رواية

رواية البخاري انه صلى الله عليه وسلم لما وضع السلاح اغتسل فاتاه
جبريل عليه السلام فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه
اخرج اليهم احمد بني قريظة فاني عامد اليهم ومزلزل لهم وفي
رواية قم فشد عليك سلاحك فوالله لادقنهم دق البيض على
الصفا فبعث صلى الله عليه وسلم مناديا يا خيل الله اركبي فذهب
اليهم في ثلاثة آلاف مقاتل وستة وثلاثين فرسا فحاصرهم
خمسا وعشرين ليلة او خمسة عشر وقذف الله في قلوبهم الرعب
فعرض عليهم رئيسهم الايمان وحلف لهم انه نبي مرسل وانه
الذي تجدونه في كتابهم فأبوا فقال الليلة السبت فلعلهم امنوا
فانزلوا لعلكم تصيبون منهم فقالوا أنفسد سبتنا ونحدث
فيه ما لم يحدث فيه من قبلنا الا من علمت فاصابه ما لم يخف
عليك من المسخ ثم اشتد عليهم الحصار فنزلوا على حكم
النبي صلى الله عليه وسلم فحكّم فيهم سعد بن معاذ سيد الاوس فحكم
فيهم ان تقتل رجالهم وتقسم اموالهم وتسبى ذراريهم فقال
صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله الذي حكم به فأمر
صلى الله عليه وسلم بهم فادخلوا المدينة وحفر لهم اخدودا في السوق
وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه واخرجوا اليه فضربت
أعناقهم وكانوا ما بين ستمائة الى سبعمائة ولا تنافيه الرواية
الصحيحة انهم كانوا اربعمائة مقاتل لان الباقين اتباع وبما
تقرر علم ان الاحزاب خالفوهم وخالفوهم ولم أدر لماذا تخالف الحلفاء
خالفوهم اي اليهود اي عاهدوهم مع الايمان المغلظة

على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم **وخالفوهم** في ذلك فرحلوا
عنهم وأسلموهم للنبي صلى الله عليه وسلم حتى قتلهم عن أخرهم
ولم أدر لماذا اتخالف الحلفآء وأراد بنفي الدراية على
طريقة تجاهل العارف اغرآ السامع على البحث عن سبب ذلك
وان كان ظاهرا وهو ان الله تعالى اراد خذلانهم بتفريق
كلمتهم واستيصال شافتهم **تنبيه** تجاهل العارف سماه
السكاكي سوق المعلوم مساق غيره وهو سؤال المتكلم عما
يعلمه على سبيل التعجب او الانكار والتوبيخ كما هنا او التقرير
نحو وما تلك بيمينك يا موسى **أسلموهم لأول الحشر لا ميعاد
هم صادق ولا الايلآء** **أسلموهم** اي المنافقون
عبد الله بن ابي واصحابه اليهود المسمين ببني النضير **لأول
الحشر** المقتبس من قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا
من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث
لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم
بأيديهم وايدي المؤمنين اي في اول حشرهم واجلائهم من
جزيرة العرب الى الشام او من محلهم الى محل اخر وانما كان أولا
لانهم لم يصبهم قبل نظير ذلك او في اول حشرهم الى القتال
لما ياتي في قصتهم انهم عزموا على القتال ففشلوا والقى
الله الرعب في قلوبهم واخر حشرهم اجلاء عمر لمن بخيبر من هؤلا
ومن أهلها الى الشام او في اول حشر الناس الى الشام لانها فتحت

بعد ذلك

بعد ذلك بقليل وقصدها الناس للاقامة بها وعليه فاخر حشرهم
بها عند قيام الساعة لانها أرض المحشر **لا ميعادهم** اي المنافقين
لليهود انهم ينصرونهم على النبي صلى الله عليه وسلم **صادق** لانهم
سولوا لهم قتاله وانهم يعينونهم ثم تخلفوا عنهم **ولا الايلآء**
اي الحلف منهم لهم صادق ايضا **سكن الرعب والخراب قلوبا.
وبيوتا منهم نعاها الجلآء** **سكن الرعب** اي هيبة
النبي صلى الله عليه وسلم وخشية انتقامه منهم وظن ظفره
عليهم **والخراب** الاتي لدورهم **قلوبا** من اليهود المحصورين
وغيرهم من أهل خيبر وغيرها وهذا راجع للأول **وبيوتا
منهم** راجع للثاني ففيه لف ونشر مرتب **نعاها** اي
أخبر تلك البيوت بموت أهلها المعنوي من نعاه له نعوا
ونعيا ونعيانا أخبر بموته **الجلآء** اي خروجهم من ديارهم
شبهه في كونه معلما بفقدهم وزوال شوكتهم المشبهة بالموت
بانسان مخبر بما ينفع ويضر فهي استعارة بالكناية وذكر
النعي الملايم للمشبه به استعارة تخييلية وعجيب من
الشارح حيث لم يتكلم على هذه الجملة مع ما علمته فيها من
الاستعارتين المذكورتين بل فيها استعارة ثالثة كما أشرت
اليها بقولي المشبهة بالموت وظاهر النظم ان واقعة بني النضير
هذه بعد الخندق المشار اليها بقوله السابق واطانق الخ
وهو ما أوهمه كلام بعض السير لكنه مردود بان بني قريظة
هم الذين ظاهروا الأحزاب وأما بنو النضير فلم يكن لهم

في الاحزاب ذكر بل كان من أعظم الأسباب في جمع الاحزاب وما وقع
من اجلايهم فانه كان من رؤسهم حيي بن أخطب واضرابه وهو الذي
حسن لبني قريظة الغدر وموافقة الاحزاب حتى كان من اهلاكهم
ما كان فكيف يصير السابق لاحقا **وخلاصة** ما قاله أهل
السير في واقعة بني النضير انه صلى الله عليه وسلم خرج اليهم يستعينهم
في دية قتيلين قتلهما بعض حلفايهم فاظهروا له الاجابة ثم تواعدوا
وهو جالس الى جنب جدار لبعض بيوتهم على ان يصعد واحد منهم
ويلقي عليه صخرة ليستريحوا منه فنهاهم بعضهم وقال ليخبرن
بما هممتم به وانه لنقض العهد الذي بيننا وبينه فلما صعد
الرجل لذلك أخبر به صلى الله عليه وسلم فقام مظهرا انه يقضي حاجة
وترك أصحابه في مجلسهم ورجع مسرعا الى المدينة فطلبه اصحابه
فاخبرهم ونزل في ذلك يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا ايديهم الاية **فامر** صلى الله عليه وسلم
بالتهيئ لحربهم والسير اليهم فسار صلى الله عليه وسلم وحاصرهم ست
ليال فتحصنوا بالحصون فقطع النخل وحرقها وخرب **ولما**
وقع في نفوس بعض المسلمين شيء نزل قوله ما قطعتم من لينة أو
تركتموها الاية واللينة اصناف التمر ما عدا العجوة والبرني
وفي الاية انه صلى الله عليه وسلم لم يحرق من نخلهم الا ما ليس يقوت
وكانوا يقتاتون العجوة **وفي** الحديث العجوة من الجنة وثمرها يغذو
أحسن غذاء والبرني ايضا كذلك **وكان** رهط من بني عوف بن
الخزرج منهم ابن ابي بعثوا اليهم ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم

صلى الله عليه وسلم

اليكم

١٨٦

ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فتربصوا فقذف
الله في قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم
عن أرضهم ويكف عن دمايهم **وفي** رواية ابن سعد انهم لما
هموا بالغدر ارسل اليهم محمد بن مسلمة ان اخرجوا من بلدي وقد
أجلتكم عشرا فمن رؤي منكم بعدها ضربت عنقه فشرعوا في
التجهيز فارسل اليهم ابن ابي بانهم يثبتون ويمدهم من ينصرهم
فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون لا نخرج فاظهر
التكبير وكبر المسلمون بتكبيره فسار اليهم وعلي يحمل رايته
فلما راوه قاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة وخذلهم
ابن ابي وغيره فحاصرهم خمسة عشر يوما ثم قال لهم اخرجوا ولكم
دماؤكم وما حملت الابل الا الدرع فنزلوا على ذلك وكانوا يخربون
بيوتهم بايديهم فلحقوا بخيبر ثم الى الشام والحيرة على ستماية بعير
ولكون القاهر لهم مجرد الرعب كان ما بقي من أموالهم له صلى الله عليه وسلم
يقسمه بين المهاجرين ليرفع مؤنتهم عن الانصار
ويوم الاحزاب إذ زاغت الابصار فيه وضلت الأراء
و خدعوا ايضا اي بني قريظة منهم **يوم الاحزاب إذ**
زاغت الأبصار منهم **فيه وضلت الأراء** وذلك ان
الاحزاب لما اقبلوا ونزلوا الى المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم
والمسلمون فجعلوا ظهورهم الى سلع والخندق بينه وبين
القوم خرج عدو الله حيي بن أخطب القرظي صاحب عقد
بني قريظة وعهدهم فاغلق كعب دونه باب حصنه

رضي الله عنه وكرم وجهه

حيي ابن كعب صح

صلى الله عليه وسلم

وقال له انك امرء مشوم واني عاهدت محمدا فلست بناقض ما
بيني وبينه فاني لم أر منه الا وفاء وصدقا فقال ويلك افتح
ولم يزل به حتى فتح فقال يا كعب جئتك بعز الدهر جئتك
بقريش انزلتهم بمجتمع الاسيال ومن دونه غطفان وقد
عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه ولم
يزل به حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبلغه ذلك فعظم البلاء واشتد الخوف
واتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون
كل ظن ونجم النفاق في بعض المنافقين وأنزل الله تعالى
واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الآيات وقال
رجال ممن معه يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ثم وقع
ما مر من أن الله تعالى خذل الاحزاب وبدد شملهم وجعل
الدائرة عليهم والغلبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين
واهلك بني قريظة عن آخرهم كما مر وبما تقرر علم أن في
في كلام الناظم في هذا البيت والذي قبله تلميحا من وجوه عديدة
وتعدوا الى النبي حدودا كان فيها عليهم العدوا
وتعدوا ظاهر سياقه ان الضمير للنصارى واليهود
والمنافقين وتجوز عوده لمطلق الكفرة الشامل لكفار
العرب وغيرهم أي تجاوزوا حتى وصل ايذاهم الى النبي
صلى الله عليه وسلم حدودا حدها لهم ومنعهم من
مجاوزتها فلم يقفوا عندها فلذلك كان فيها أي في مجاوزتها

عليهم

عليهم أحد الظرفين حال والآخر خبر العدوا أي بعدهم عن
النجاة ووقوعهم في الهلاك الابدي وفي هذا تلميح الى
قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
وبين تعدوا والعدوا جناس شبه الاشتقاق وهو أو شبهه
بين نهيتم وانتهت والبذا والبذا والخيل والخيلا والكدى
وكدى وعفا وعفو وسواه وسوى واجمت والجون واحلم والحلم
الآتيات ونهيتم وما انتهت عنه قوم فأبيد الأمار والنها
ونهيتم اي اولئك المعتدين قوم منهم عن استمرارهم على ما هم
عليه من مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وايذائه فابلين لهم انه
لرسول الله حقا وما انتهت عنه اي عن مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم
وايذائه قوم بل استمروا على ما هم عليه من ايذائه والأمر به فبسبب
ذلك ابيد اي هلك الأمار منهم بايذائه صلى الله عليه وسلم والنهاه
عن اتباعه لبقاء كل الفريقين على ضلاله فمر ان عتبة بن ربيعة
لما اشتد أذى قريش له صلى الله عليه وسلم ذهب اليه لينهاه فقرأ عليه
فصلت فرجع الى قومه ومدح القرآن وأمرهم أن يخلوا بينه وبين
ما هو فيه وبين لهم ان القرآن ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة وانه صلى الله
عليه وسلم ليس به جنون وانه ليكون لقوله نبأ فقالوا له سحرك محمد
فقال افعلوا ما بدا لكم فلم يزدهم ذلك الا طغيانا وايذاءا له
بالقول والفعل وقتل عتبة يوم بدر مشركا وبين الأمار
والنهاة جناس الطباق كنهيتم وما انتهت وكالعدو والعشاء
والقطع والوصل والتقريب والاقصا والملام والاطراء والتبا[illegible]

والوفا الابيات وتعاطوا في أحمد منكر القول ونطق الأراذل العوراء
وتعاطوا في أحمد نبينا صلى الله عليه وسلم وخصه بالذكر لانه
لم يسم به احد قبله كما رواه مسلم وأما محمد فتسمى به قبله
خمسة عشر نفسا كما بينه الحافظ العسقلاني منكر القول
أي القول المنكر الذي ينكره سامعه بل المتلفظ به لعلمه بقبحه وفساده
وان الحامل له عليه انما هو محض عناد أو حسد فقالوا مرة ساحر
ومرة كاهن ومرة مجنون كما سبق ذلك مبسوطا في بيان
اعجاز القران وطاف صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر وعثمان
رضي الله تعالى عنهما فلما مر بابي جهل وعقبة بن ابي معيط وامية
ابن خلف أسمعوه بعض ما يكره ثم اراد ابو جهل الأخذ بمجامع ثوبه
صلى الله عليه وسلم فدفعه عثمان رضي الله عنه فوقع على استه
ودفع أبو بكر رضي الله عنه امية والنبي صلى الله عليه وسلم عقبة
ثم قال صلى الله عليه وسلم والله لا تنتهون حتى يحل بكم عقابه
عاجلا فما منهم الا من أخذته رعدة وجعل صلى الله عليه وسلم
يقول لهم بيس القوم انتم لنبيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله
عنهم أبشروا فان الله تعالى مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه
ان هولا الذين ترون مما يذبح الله بايديكم عاجلا قال عثمان
رضي الله عنه فوالله لقد رايتهم ذبحهم الله بايدينا ومن ابذا المنافقين
في قولهم يوم الخندق محمد يعد أصحابه أن ينفق كنوز قيصر وكسرى
واحدنا اليوم لا يامن على نفسه أن يذهب الى الغايط وقد
حقق الله تعالى مقالة نبيه صلى الله عليه وسلم فملك الله المسلمين

كنوز

كنوز كسرى وقيصر في زمن عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما ثم ذيل
بجملة مشتملة على معنى ما قبلها جارية مجرى الامثال وليس
تتميما خلافا للشارح فانه الماتي به لمجرد المبالغة والتاكيد
ولا تكميلا لانه الماتي به لرفع الابهام نعم في ذلك اضطراب
بين أهل البديع فقال ونطق اي منطوق الاراذل اي الاسفال
والاخسا الذين لا مروة لهم ولا عقل الكلمة العوراء أي
القبيحة الساقطة اي شانهم النطق بالفحش وهولا كذلك
كيف وكل رجس يزيده الخلق السو سفاها والملة العوجاء
وكل رجس اي قذر وغضب قايم بهم يزيده ما جبلوا عليه
وهو الخلق السو بفتح السين وضمها اي القبيح سفاها
بفتح السين من سفه بالضم سفاها وسفاهة ومصدر
المكسور سفها وهو ضد الحلم وسببه خفة العقل وطيشه
ويزيده سفاهة ايضا وبعدا عن الخير الملة أي الشريعة
سميت بذلك لانها تملى وتكتب العوجاء الباطلة شبهها
بطريق عوجا لا يهتدي سالكها الى مطلوبه بل يتوه ويضل فيها
على سبيل الاستعارة المكنية ثم أثبت لها العوج تخييلا
واوليك الأراذل اجتمع فيهم الوصفان الخلق السو والتمسك
بالملة الباطلة فتضاعفت سفاهتهم بسبب ازديادهم
من السفاهة والجهل فانظروا كيف كان عاقبة
القوم وما ساق للبذي البذاء فانظروا أيها العقلاء
كيف هي وما بعدها سدت مسد مفعول انظروا

وأما قول الشارح كيف في موضع المفعول الثاني وعاقبة القوم
المفعول الاول فهو انما يصح بفرض زيادة كان ولا يحوج
لذلك كما عرف مما قررنه كان تامة عاقبة أي مآل ومصير القوم
المترفين بما ذكر وهي خزي الدنيا وعذاب الاخرة ثم كان
عاقبة الذين أساؤا السوءى الآية ففيه اقتباس وانظروا
ما هو بصلته سد مسد المفعولين أيضا وعجيب من الشارح
حيث لم يبين اعرابه مع احتمال وجه أخر فيه غير ما ذكر لكن
ما ذكرنه أولى كما هو واضح ساق للبذي اللسان كهو لآ البذآ
بالمعجمة بذاؤهم أي فحشهم وهو تخلفهم عن عز الدنيا
وسعادة الاخرة وفيه تشبيه البذي بدابة مسوقة
والبذآ بسايقها وهما استعارتان مكنيتان واثبات السوق
للبذا على جهة كونه واقعا عليه تخييل ◎ ثم ما
وجد السب فيه سما ولم يدر أن الميم في مواضع
وجد البذي السب أي الشتم فيه اي النبي صلى الله عليه وسلم
سما أي ممثلا اي مهلك وبين السب والسم الجناس المضارع
ولم يدر البذي ان سبه عين السم القاتل لوقته لفظا
إن الميم في مواضع حال من الخبر وهو با كقولهم في بيد
ميد وهي لغة مازن قال باسمك يريد ما اسمك وهي لغة قوم
يبدلون الميم با ثم قال لي اجلس فاطبين يريد فاطمين
وقال ابن جني في سر الصناعة أخبرنا أبو علي باسناده الى
الاصمعي قال كان أبو سوار الغنوي يقول ما اسبك يريد

ما اسمك

ما اسمك فهذه البا بدل من الميم انتهى والمعنى لانه أهلكهم كما
يهلك السم بل هو ابلغ من السم لان اهلاك السم في الدنيا
وله ادوية تزيله واهلاك السب في الدنيا والاخرة ولا
دوا له كان من فيه قتله بيديه فهو في سوء فعله الزبآء
كان من اجل ما صدر من فيه أي فم البذي حال من الضمير
المستقر في الخبر وهو بيديه قتله لنفسه بيديه وقتل
الانسان لنفسه أشد من قتل غيره له فبسبب ذلك
هو اي البذي القاتل لنفسه المذكور في الاتصاف بما وقع
من سوء فعله بنفسه المراة المشهورة بالملك القاهر
في العرب التي هي الزبآء بفتح الزاي وتشديد الموحدة
اي شبهها فانها تناولت خاتما مسموما فمصته حتى
قتلت نفسها وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو فكان قتلها لنفسها
بسبب ما تناولته بفمها من يدها لما ظفر بها عمرو بن اخت
جذيمة الابرش لما كان بينهما خوفا من تعذيبه اياها
وحاصل القصة وهي طويلة ذكرها الاخباريون
وابن هشام وابن الجوزي وغيرهم ان جذيمة بن عامر
التنوخي وقيل الازدي وهو اول من ساس العرب واول
من اتخذت له الشموع واوقدت بين يديه واول من
اجتمع له الملك بارض العراق من قبل اردشير وكان
ابرص فكنوا عن ذلك بالابرش والوضاح قيل كان لا انف
من الابرص لان في العرب من يفتخر بذلك وكان له

مطلب اول من اتخذ له الشموع

اخت اجتمعا نديمه عدي بن نصر الايادي فوافقها على أن ينكحها منه
اذا غلب السكر عليه فسأله حينئذ في ذلك فانكحه اياها واشهد
عليه ودخل بها فلما أصبح وعلم بذلك تغيّب عدي فلم يعرف
له أثر فولدت له ولدا سمّي عمروا فاحبه جذيمة واختطفته
الجن ثم ردوه فزاد حظا عند خاله وكان ابو الزبا سميت
بذلك لكثرة شعرها اذ كان يجللها ويسحب من ورائها ملك
ما بين الفرس والروم فغزاه جذيمة وقتله قبل بعثة
عيسى عليه الصلاة والسلام وطردها فلحقت بالروم وجمعت
الجيوش واستخلصت من جذيمة ملك ابيها وابتنت لها بجانب
الفرات قصرا حصينا فحدثت جذيمة نفسه بخطبتها لانها
بكر واجمل أهل عصرها وطمع في ملكها فارسل لها فاظهرت
غاية الفرح وأرسلت له بهدية سنية فاستشار في السير
اليها فبالغ قصير بن سعد في منعه وفي ان ذلك مكيدة
منها فلم يصغ اليه وسار اليها فلما قرب منها أعاد الاستشارة
فاعاد قصير رايه فلم يصغ اليه وسار وكانت أمرت عسكرها
اذا وصل ان يحيطوا به ويمنعوا من معه ففعلوا وقصير
معه فلما رأى ذلك ركب فرس جذيمة التي تسبق الريح وفرّ
بها ثم ادخل جذيمة عليها وليس معها الا الجواري وكانت
ربّت شعر عانتها حولا فكشفتها له وقالت أمتاع عروس
ترى فقال بل متاع امة بظرا ثم قالت خذن بيد سيدكن
وبعل مولاتكن فاجلسنه على النطع ففعلن ثم أمرتهن

بفصد

بفصد عروق يديه ففعلن ووضع له طست فنزف دمه فيه
الى ان قضى فامرت فدفن ثم اقبل قصير على عمرو وأخبره الخبر
وأمره ان ياخذ بثاره منها فافهمه انه لا قدرة له عليها
فقال له اجدع انفي واذني واضرب ظهري حتى يؤثر في
ففعل به ذلك وقيل ابى ففعل قصير بنفسه ذلك ثم
ذهب اليها مستجيرا بها من عمرو فراجت عليها حيلته واكرمت
منزله ثم قال لها ان لي بالعراق مالا كثيرا ودخاير ونفايس
لائقة بها ففعلت فرجع اليها باموال هايلة ثم عاد الى العراق
ثانيا ثم رجع اليها باكثر من الاولى فازدادت مكانته عندها
ولم يزل يتلطف حتى عرف سردابا جعلته تحت الفرات
يصعد منه الى قصرها وبابه من جانب الفرات الآخر
ثم خرج ثالثا فرجع باكثر من ذلك كله فزادت مكانته وعولت
عليه في أمورها فاظهرت له انها تريد غزو عمرو وانه يذهب وياتيها
بالعبيد والعدد فقال لها ان لي في بلاد عمرو الف بعير
وخزانة مال وسلاح فاعطته ما اراد من المال وقالت الملك
يحسن بمثلك فعاد الى عمرو وقال أصبت الفرصة منها فقال
له عمرو مُر بما شئت فقال الرجال والاموال فعمد الى الفي رجل من
فتاك قومه فحملهم على الف بعير على كل بعير اثنان في غرارتين
سوداوين وعمرو منهم وساق الخيل والكراع والسلاح وكان
يكمن النهار ثم دخل عليها فقال انظري الى العير فنظرت فقالت
ما للجمال مشيها رويدا • أجندلا تحملن ام حديدا • ام الرجال جثما قعودا • أم الرجال في الغرار سودا •

ولما وصلت العير المدينة طعن بواب جولقا بمخصرة بيده فضح
من اصابته فاراد الصباح فضربه قصير بسيفه فقتله ثم حلت
الجوالق فخرجت الرجال ودخل عمرو باب السرداب ليصعد الى الزبا
فلما راته مصت خاتما في يدها مسموما وقالت بيدي لا بيد عمرو
فماتت وقيل ان عمرو قتلها بسيفه واحتوى على بلادها ۝
أو هو النحل قرصها يجلب الحتف اليها وماله انكاء
أو هو في سوء فعله **النحل** اي اشبهه ثم بين وجه الشبه فقال
قرصها اي لسعها العير **يجلب الحتف** أي الموت **اليها** عقب لسعها **و** الحال
ان لسعها **ما** نافية **له انكاء** اي قتل ولا جرح بل ولا دم ولا تاثير قوى
في الملسوع فكل منهما قتل نفسه بما خرج من فيه مع انه لا
مصلحة تعود عليهما بما كان سببا لهلاكهما **صرعت قومه**
حبايل بغي مدها المكر منهم والدهاء ۝
صرعت قومه صلى الله عليه وسلم الذين ارسله الله اليهم فلم
يومنوا به اي القتهم قتلى بين يديه **حبايل** جمع حبالة وهي التي
يصاد بها وناصبها يسمى الحابل **بغي** عليه صلى الله عليه وسلم **مدها**
اي تلك الحبايل اليه **المكر** حال كونه **منهم** وهو ابطان السوء مع
اظهار خلافه **والدها** هو بالكسر كالدهي جودة الراي وفي كلامه
استعارة بالكناية من حيث تشبيه القوم الذين حاربوه صرعى
بين يديه صلى الله عليه وسلم بصيود مصروعة بين يدي الصياد
ومن حيث تشبيه البغي بشبكة الصياد من حيث تشبيه
المكر والدها بالصايد كما تقتضيه نسبة المد اليها وتخيل

الشبكة

الشبكة التي يمدها بها الصايد حتى يقع فيها الصيد وتخييلها
باثبات المد اللازم للمشبه به وترشيحه بذكر الصرع اللايق
بالمشبه وبما تقرر علم ان في كلامه ثلاث استعارات مكنيات
الاولى تشبيه القوم بالصيد وجردها بذكر الصرع والمكر والدها
لهم ورشح او خيل لها بذكر الحبايل والمد والثانية تشبيه البغي
بالشبكة وخيل باثبات الحبايل له ورشح بذكر المد ورشح
بذكر الحبايل وجرد بذكر الصرع هنا ايضا اذ لا مانع من اشتراك
مكنيتين واكثر في كون الشي الواحد تخييلا او ترشيحا او تجريدا
للكل اعتبار الكل على حدتها بما يناسبها ۝ **فانثنت خيل الى الحرب تختال وللخيل في الوغا خيلا**
ف بسبب مكرهم ودهايهم **انثنت** من قبله صلى الله عليه وسلم
ما اوجب عود تلك الحبايل اليهم ولا يحيق المكر السي الا باهله
فلا يمكرون به مكرا ولا يكيدون به كيدا الا عاد عليهم وكيف لا
وكلما تحزبوا لحربه صلى الله عليه وسلم وحاولوا اخفا امره صلى الله
عليه وسلم بدد الله جمعهم وقتل سادتهم واظهر امره
عليهم وهو الذي ايدك بنصره وبالمومنين فمن ذلك انهم
انثنت **خيل الى الحرب تختال** اي تتبختر لها راكبوها
تيها وعجبا **وللخيل** النفايس وعليها الشجعان **في الوغا**
اي الحرب متعلق بقوله **خيلا** اي كبر وترفع عن الوقوع في هذه
او الاصطدام بنحو شجرة وهذا تذييل ۝
قصدت فيهم القنا فقوافي الطعن منها ما شانه الايطا
قصدت فيهم اي في ابدانهم **القنا** اي الرماح جمع قناة وفي

هذه الاستعارة المشهورة في قوله تعالى جدارا يريد أن ينقض
ولا ينافي ذلك عد كثير له من انواع المجاز باعتبار ان فيه
اضافة الفعل الى ما لا يصح منه وهو الارادة التي هي من صفات
الحي لان ذلك مبني على تشبيه ميله للوقوع بارادته له والاستعارة
وهل هي مجاز لغوي أو عقلي خلاف والاصح الاول لانها موضوعة
للمشبه به لا للمشبه ولا الاعم منها فأسد في رايت أسدا يرمي
موضوع للسبع لا للشجاع ولا للحيوان الجرى **ف** بسبب قصدها
لهم كانت لهم **قوافي الطعن** اى الطعنات المشبهة بالقوافي
في تتابعها حال كون ذلك الطعن **منها** أى تلك الرماح **ما**
شانها أي عابها وفي نسخ شانه اى الطعن **الايطا** وهو تكرير
القافية المتحدة لفظا ومعنى قبل عدد مختلف فيه عندهم
المشبه به الطعنات الواردة على محل واحد من غير أن
تؤثر الثانية شيا لم تؤثره المتلوة وهو معيب في المشبه
به لانه يدل على عجز الشاعر وتقصيره والمشبه لانه يدل
على قصر ساعد الشجاع وعدم تمكنه وتجربته وهذا الحل اولى
مما سلكه الشارح كما يعلم بتامل تقرير قوله ولكثرة ما عملت
رماحهم في اجساد عدوهم تاتي الطعنة الثانية مكان
الاولى حتى كانهما واحدة لسرعة الطعن بقرب محله ۝
وأثارت بأرض مكة نقعا ظن منها ان الغدو عشا
وأثارت اى رفعت تلك الخيل لما ركضت في مهامه الحرب
بارض العدو في الاقطار الحجازية وغيرها حتى **مكة**

مجاز علاقته المشابهة
ومن ثم قيل روح المجاز
بالتشبيه فتولد بينهما
الاستعارة صح

في غزوة

في غزوة الفتح لما ازدحمت قرب دخولها **نقعا** اى غبارا أظلم الجو
حتى **ظن ان الغدو** أي وقته وهو ما بين صلاة الغداة
وطلوع الشمس **منها** أي من اجل تلك الخيول التي اثارت ذلك
النقع أو من أجل تلك الغبرة المفهومة من الغبار التي اثارتها
تلك الخيول **عشا** أي وقتها وهو مغيب الشفق الاحمر وقضية
كلام الشارح بل صريحه ان المراد العشا بفتح العين وفسره
بانه ما بين الغروب والعتمة وفيه نظر وما ذكرته اولى
وأسلم مما تكلفه وفي قوله واثارت نقعا تلميح الى قوله
تعالى في سورة والعاديات فاثرن به نقعا وخلا من
شي من هذه الغزوة التي حصل بها ذلك الفتح الذي هو
أعظم فتوح الاسلام لان الله تعالى اعز به دينه ورسوله
وجنده وحرمه وبلده وبيته واستبشر به اهل السما
وضربت اطناب عزه على مناكب الجوزا ودخل الناس في
دين الله افواجا واشرق وجه الارض ضيا وابتهاجا
وسببها انه وقع الصلح بالحديبية انه صلى الله
عليه وسلم لا يتعرض لمن دخل في عقد قريش وانهم لا يتعرضون
لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي
عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين فخرج بعض بني بكر
وبنو خزاعة فاقتتلوا فاخذ قريش بني بكر فخرج اربعون
من خزاعة اليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه
فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداه ويقول لا نصرت ان لم

أنصركم بما أنصر منه نفسي ولما أحس أبو سفيان بمجيئهم
جاء الى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة فأبى صلى الله
عليه وسلم فرجع فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في عشرة
آلاف ثم لحقه ألفان لليلتين من رمضان سنة ثمان
فلما كان بقديد عقد الالوية والرايات ودفعها الى القبائل
ثم لما نزل مر الظهران أمرهم أن يوقدوا عشرة آلاف نار
فوافاهم أبو سفيان أرسله قريش ليأخذ لهم أمانا لعلمهم
بتجهيزه صلى الله عليه وسلم فلما رأى تلك النيران أبهره أمرها
فأدركه الحرس فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم
بعد تمنع وتهديد فسأل العباس النبي صلى الله عليه وسلم
أن يظهر له فخرا في قومه فقال صلى الله عليه وسلم من دخل
دار أبي سفيان فهو آمن وقال للعباس أجلسه عند خطم
الجبل حتى ينظر الى المسلمين وفي رواية أحبسه عند
مضيق الوادي حتى تمر به جنود الله تعالى فرآها فحبسه
فمرت به القبائل كتيبة كتيبة وهو يسأل عن كل
قبيلة فيقول العباس فيقول ومالي ولها ولما مرت به كتيبة
الانصار وصاحب رايتها سعد بن عبادة قال له سعد
يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اي الحرب اليوم تستحل الحرمة
أو الكعبة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فأمره على لسان
علي رضي الله عنه بدفع الراية لابنه قيس وأخبر أبا سفيان انه لم
يأمر بقتل قريش وان اليوم يوم الرحمة وان الله يعز قريشا

وخشي

يعني

وخشي سعد ان ابنه يقع منه ايضا فذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فدفعها النبي صلى الله عليه وسلم للزبير وكانت راية
النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة المهاجرين مع الزبير أيضا
فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره أن يدخل من
أعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه
كذا ذكره موسى بن عقبة وغيره وقول الشارح انه
صلى الله عليه وسلم أمر الزبير أن يدخل من كدا بالضم تصحيف
وصوابه من كدا بالفتح والمد وقوله وأمر سعد بن عبادة
أن يدخل في بعض الناس من كدا بالفتح لم أر في الروايات
المعتمدة ما يشهد له وإنما الذي صح انه صلى الله عليه وسلم
دخل من أعلاها وخالد من أسفلها ورواية عكس ذلك
ضعيفة لا يعول عليها ولعل الشارح اخذ من الرواية الآتية
عن مسلم وانت خبير بانه ليس فيها نص بكدا ولا بكدا وبعث
خالد بن الوليد في قبائل ليدخل من أسفل مكة ويغرز رايته
عند أدنى البيوت وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار
في مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يكفوا أيديهم
الا أن يقاتلوا ولما دخل خالد من أسفل مكة قوتل فقاتلهم
حتى أدخلهم المسجد من باب الحزورة ثم كف ولما قال له
صلى الله عليه وسلم لم قاتلت وقد نهيتك فقال كففت يدي
ما استطعت فقال قضى الله خير وصح في مسلم وغيره
انه صلى الله عليه وسلم بعث على احد المجنبتين خالد بن الوليد

وبعث الزبير على الاخرى وبعث اباعبيدة على الذين بغير سلاح
فقال يا اباهريرة اهتف لي بالانصار فهتف بهم فجاؤا
فاطافوا به فقال لهم أترون الى أوباش قريش واتباعهم
ثم قال باحدى يديه على الاخرى أحصدوهم حصدا حتى توافوني
بالصفا **قال ابوهريرة** فانطلقنا فما نشاء ان نقتل واحدا
منهم الا قتلناه فجاء ابو سفيان فقال يا رسول الله ابيحت خضراء
قريش لا قريش بعد اليوم فقال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه
فهو امن **ومن هذا** اخذ الاكثرون ان مكة فتحت عنوة ويرد
بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص الا على اوباشهم الذين من شانهم
الجهل والمبادرة بالقتال في غير محله وهذا القول من اغلق
بابه فهو امن ظاهر في ان الكلام انما هو فيمن قاتل ليوافق الروايا
الاخر المقيدة بذلك ولهذا يقوى ما ذهب إليه امامنا الشافعي
رضي الله عنه انها فتحت صلحا كما هو قضية التامين الذي وقع
منه صلى الله عليه وسلم لمن دخل دار ابى سفيان او اغلق بابه او
دخل المسجد ولم يقع قتال من أعلى مكة التي دخل منها صلى الله
عليه وسلم والعبرة بها لا بغيرها على ان القتال الذي وقع في
غيرها انما كان دفعا لقتالهم كما مر **وعلم** مما تقرر في القصة
انه صلى الله عليه وسلم امر اكثر اصحابه بان يدخلوا من الحجون وهو
كذا بالفتح والمد وكان معهم في كتيبتهم الخضراء الكثيرة ما
معهم من السلاح على ناقته القصوا بين ابى بكر واسيد بن حضير
وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد

فرأى

فرأى ابو سفيان ما لا قبل له به فقال للعباس لقد أصبح ملك
ابن اخيك ملكا عظيما فقال ويحك انه ليس بملك ولكنها
نبوة قال نعم وأمر بقية أصحابه أن يدخلوا من أسفلها
وهو كدا بالضم والقصر ولذا قال أجحمت عنده الحجون و
أجحمت اي كفت وأمسكت عنده اى ذلك التفنيع الذي
حصل بمكة لما اجتمعت فيه جنود الاسلام مع ما هو فيه
من كثرة الخيل والسلاح الداخلون من اعلاها ومن
أسفلها الحجون بفتح الحا وهو الجبل المطل على مقبرة مكة
المسماة بالمعلاة وذلك هو كدا بالفتح والمد اي ان
الفرقة التي كانت بالحجون وان اثارت فيه من النقع شيئا
كثيرا لكنه قليل بالنسبة لما في مكة فأمسك عن محاكاة ما بمكة
والكدى أصله قلة الخير والمراد هنا قلة التراب عند حال
من كدا أعطائه اى كدا لتقدمه رتبة والمصدر مضاف
للمفعول وفاعل الاعطا النبي صلى الله عليه وسلم القليل
من الناس مفعول المصدر الثاني كدا بضم الكاف والمد
لعله قليل فيه اى وقل غبار مكة كدا الذى هو أسفل مكة
لان الفرقة الداخلين منه الذين أعطاهم النبي صلى الله
عليه وسلم كانوا قليلين **وعجيب** من الشارح حيث لم
يبين لهذا الشطر معنى ملايما مع كونه اوهم ضبط كدا
هذا بالفتح وهو فاسد لان المفتوح الحجون السابق في
الشطر الاول أو قريب منه كما يصرح به كلام أيمتنا في

أجحمت عنده الحجون والكدى عند إعطائه القليل كدا

المناسك وغيرهم. فان قلت هذا البيت وان كان فصيحا لفظا
لما فيه من الجناس والمجاز من حيث التعبير بالمحل عن الحال والمجاز
والاستعارة من حيث الاحجام والمنع اللذين هما من صفات الادمي
الى غيره على حد جدارا يريد أن ينقض كما مر بيانه أيضا لكنه
ركيك معنى اذ لا حاصل له لان من المعلوم ان ما بمكة من
مجموع الفرقتين الداخلتين من اعلى وأسفل وان ما من مجموعهما
الكثير مما من كل منهما ومثل هذا ليس له كبير جدوى. قلت
بل فيه معنى يستفاد وله جدوى لخفايه وهو ان دخوله صلى الله
عليه وسلم في اكثر أصحابه كان من الحجون والبقية من كدا و وجه
اخذه من النظم واضح فانه خص اعطايه القليل بكدا فدل
على انه والكثيرين دخلوا من الحجون. ويصح ان يراد نفس البقعتين
مبالغة وعليه فيصح ان يكون احجمت معطوفا على اثارت
بحذف حرف العطف. ففيهما ضمير هو الفاعل يعود على الخيل
وان الكدى مبنى للمفعول. والتقدير ان من قوة تلك الخيول
انها قهرتهم حتى اماكنهم فكفت الحجون. ومنعت كدي والحجون
عن أن ينتصر لاهلهما لو تصور منهما ذلك. لا سيما وخيل كدى
كانت قليلة ويصح بقا النظم على اعرابه الاول وهو ان الحجون
فاعل وان الكدى مبنى للفاعل. وان المراد انه صلى الله عليه وسلم
نصر عليهم نصرا باهرا حتى ان بقاعهم ساعدت عليهم. والتقدير
ان الحجون والكدى منعاهم عن ان يمدوا أعينهم اليه صلى الله
عليه وسلم او الى احد من عسكره. وفي هذا وما قبله من المبالغة

ما لا يخفى

ما لا يخفى عظيم وقعه عند الفصحا وبين الحجون وكدا جناس
ودهت أوجها لها وبيوتا مل منها الأقوا أو الأكفاء
ودهت اى اهلكت تلك الخيل والخيالة أوجها من الناس لها أي
بمكة قاتلت كما مر في الرواية المصرحة بذلك المحمولة عليها
الرواية المطلقة وكذا جماعة لم يقاتلوا لكن كانوا يبالغون في
ايذائه صلى الله عليه وسلم واظهار هجوه. فامر بقتلهم وان كانوا
متعلقين باستار الكعبة. وعدتهم ست رجال واربع نسوة.
واهلكت بيوتا كان أهل مكة يرجعون الى اهلها مل
اى سئم منها الاقوا وهو في الشعر المخالفة بين هجا اواخره
كأن يكون بعضها ميما والاخر يا وهنا انكفا تلك
الوجوه على الناس لعلها تحميها أو تجيرها والأقوا اصله
من قولهم منزل قوي أى لا انيس به واقوت الدار وقوت
اى خلت ثم استعمل في الشعر مرادا به ان تختلف حركات اعراب
الروي وبما قررت به كلامه هنا وفيما قبله في قصدت فيهم
الفنا الى اخره يعلم ان الناظم استعار القوافي للطعن
المتتابع. ورشح بذكر الايطا ولح بذكر البيوت ترشيحا
لبيوت الشعر المرشح لها وبذكر ما تختص بها من الاقوا
أو الاكفا الى الاستعارة الاولى وفيهما تورية ولف ونشر
مشوش لانه رجع الاقوا للبيوت باعتبار لح بيوت الشعر
والاكفا للوجوه. لأن الرأس اذا قطع انكفأت الوجوه
وتحولت واستعمل الاقوا في الخلو من حيث بيت السكن

وفي تغيير القافية من حيث بيت الشعر وكذلك الاكفا
من حيث تغيير حركة الروي فدعوا أحلم البرية و العفو
جواب الحليم والاغضاء فبسبب ما حصل لاهل
مكة من الخوف الذي ظنوا انه مهلك لهم عن آخرهم
دعوا محمدا صلى الله عليه وسلم أحلم البرية بالهمز
في الأصل أي الخلق طلبوا منه يوم الفتح أن يعفو عنهم
وأن لا يعاقبهم بما مضى منهم مما كانوا أوصلوه إليه
من الايذا الذي لا يتحمله غيره صلى الله عليه وسلم فاجابهم
الى العفو قايلا لهم لا تثريب عليكم اليوم كما ياتي والعفو
عمن سأله جواب الحليم من حلم بالكسر اذا ترك الانتقام عن من
بحق والاغضاء اي ارخا الجفون من الحيا وفي ذكر الحلم والعفو
والاغضاء مراعاة النظير ناشدوه القربى التي من قريش
قطعتها الترات و الشحناء ناشدوه بدل من نسخه طحنتها
دعوه القربى اي حلفوه على ان يصل قرابتهم ويعفو عنهم
او بالقربى على حذف الجار اي حلفوه بالقربى التي بينه وبينهم
أن يعفو عنهم التي وصلت اليه من سايربطون قريش
وهم ولد النضر بن كنانة أحد اجداده صلى الله عليه وسلم
حال كون تلك القربى طحنتها الترات بفوقيتين جمع ترة
وهي مصدر وتراي قتل له قتيل ولم يترك دمه والشحناء
اي التباغض والتحاسد الذي كان بينهم فعفى عفو قادر
لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء فبسبب تلك

المناشدة

المناشدة عفى صلى الله عليه وسلم عفو قادر لانه صلى الله عليه وسلم
كان يسهل عليه ابادتهم عن آخرهم لم ينغصه أي لم يكدر
ذلك العفو عليهم بسبب ما مضى منهم صفة اغراء
تقدمت فصارت حالا اغراء من اغريت الكلب بالصيد
اي حملته على اصطياده وهو فاعل ينغص اي لم يكدر عفوه
عنهم اغرا سفهايهم وجهلايهم فيما مضى حال كونه منهم
حتى بالغوا في ايذايه بما لا يتحمله مخلوق كما تحمله صلى الله
عليه وسلم وخلاصته ما أشار اليه الناظم انه صلى الله
عليه وسلم لما كان الغدو من يوم الفتح قام خطيبا في الناس
فحمد الله واثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال ايها الناس
ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وهي حرام
بحرمة الله الى يوم القيمة لا تحل لامرئ يومن بالله واليوم الاخر
أن يسفك بها دما او يقطع او يعضد بها شجرة فان أحد ترخص
فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا ان الله أذن
لرسوله ولم ياذن لكم وانما احلت لي ساعة من نهار أي من الفجر
الى العصر وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ
الشاهد الغايب ثم قال صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش ما
ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال
صلى الله عليه وسلم اذهبوا فانتم الطلقا اي من الاسر والاسترقاق
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لهم أقول لكم كما قال
يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين

وسر هذا العفو وهذه الوصلة منه صلى الله عليه وسلم لهم بعد
القطع انه ناظر الى الله تعالى دون غيره **واذا كان الوصل والقطع
لله تساوى التقريب والاقصاء ○ واذا كان القطع
والوصل لله** كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم **تساوى** عند فاعل
ذلك **التقريب** للاقارب والبعدا **والاقصا** اى الابعاد
للاقارب والبعدا ولم يميز باحدهما قريب ولا اجنبي لان النظر
لرضى الله وامتثال امره لا غير وهذا من القول البديع الجامع
وسوا عليه فيما اتاه من سواه الملام والاطرا ○
وسواء بفتح السين والمد ويجوز كسرها والقصر وهي فيهما
بمعنى مستو ويستعمل الاول بمعنى التمام ومنه سواء
للسايلين والى سوا الصراط ومنه فى سوا الجحيم وبمعنى
غير قيل ومنه فقد ضل سوا السبيل وهو وهم وانما هي
بمعنى وسط **عليه** اى الذى تقريبه واقصاؤه لله لا غير
واجل من اتصف بهذه المرتبة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم لان خلقه القران يرضى برضاه ويسخط
بسخطه وهذا خبر مقدم ويصح كونه مبتدا **فيما اتاه من
سواه** كلاهما حال من المبتدا والخبر وهو **الملام** بالسب
والتنقيص **والاطرا** اى المبالغة فى المدح حتى بغير الواقع
اى سوا عليه اللوم والاطرا حال كونهما مندرجين فيما اتاه
من غيره من خير وشر اى استوى عنده مدح الغير وذمه
لانه ليس ناظرا الى نفسه وانما نظره الى التصرف الحق فى خلقه

بما اراده

بما اراده منهم **تنبيه** ما وقع للناظر هنا من حذف همزة
التسوية بعد سوا والعطف بالواو وهو ما درج عليه الفقها فى كتبهم
وهو لغة وان كانت خلاف الاشهر الشايع من ذكر الهمزة والعطف
بام **وقد** صرح فى الصحاح بتلك اللغة فقال تقول سوا على قمت
او قعدت وكذلك فى القاموس فقال وسوا نطلب اثنين سوا زيد
وعمرو اى ذوا استوا من استويا وتساويا تماثلا **وقد** صرح مسبوقه
بالمسئلة اتم تصريح واوضحها الكمال ايضاح فقال كما فى البديع عند
اذا كان بعد سوا همزة استفهام فلا بد من ام اسمين او فعلين
وان كان بعدها فعلان بغير الف الاستفهام عطف الثاني باو
تقول سوا على قعدت او قمت وان كانا اسمين بلا الف عطف
الثاني بالواو تقول سوا على زيد وعمرو وان كان بعدها مصدر
ان كان الثاني بالواو وباو وحملا عليهما انتهى فعلم صحة ما عليه الفقها
واندفع قول ابن هشام ان ذلك لحن وان ما فى الصحاح سهو وان
قراة او لم تنذرهم من الشذوذ بمكان انتهى فاستحضر ذلك فانه
مهم **ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفا**
ومن ثم **لو** مر فيها فى بحث اوصاف قدمه صلى الله عليه وسلم
ما ينبغي مراجعته لعزته ونفاسته **ان انتقامه** صلى الله
عليه وسلم اى غضبه واستيفاءه الذى صدر منه كان **لهوى
النفس** الامارة بالسوء والمطبوعة على التكبر على الغير وحب
التمييز عليه بما يقهره ويذله **لدامت قطيعة** للرحم **وجفا**
اى ابعادها ولكنه لم يكن لذلك وانما كان لله تعالى فقطعهم

حيث قطعوا ما أمر الله أن يوصل ووصلهم غير ناظر لما سبق منهم
من قتال اصحابه لاسيما باحد والتمثيل بهم وشج وجهه وكسر باعيته
حيث وصلوه بامتثال اوامره واجتناب نواهيه وكيف لا
وقد قام صلى الله عليه وسلم لله وحده لا لهوى ولا لحظ ولا
لرعاية رحم أو صديق وفي نسخة بالله اي مستعينا به في
الامور جميعها فبسبب قيامه لله تعالى أو به أرضى الله
تعالى منه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بأرضى او حال
من فاعله وهو تباين لأعداء الله ووفا لأولياء الله من
غير تعويل على حظ سوى رضى ربه ولهذا كان ۝
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما حواه الوعاء
فعله صلى الله عليه وسلم كله جميل لصدوره على أمتن
قوانين الاعتدال وأحق موازين الكمال ولا بدع في ذلك اذ
هل اي ما ينضح اي يسيل مما فيه على ظاهره الا بما حواه
عايد على متقدم الرتبة وهو الاناء اي لا ينضح الاناء الا بما فيه
فمن امتلأ اناء قلبه خيرا كانت افعاله المشبهة بما ينضح
الاناء كلها خيرا ومن امتلاء اناء قلبه شرا كانت افعاله
كلها شرا وليس احد متحليا بمعالي هذه الصفات
الباهرة الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا من التذييل
ومنه قوله تعالى وهل نجازي الا الكفور ويصح ان يكون
من التتميم وفيه التلميح الى المثل السائر وهو كل
اناء بما فيه ينضح أطرب السامعين ذكر علاه
۝ يا لراح مالت بها الندماء

فى الامور ارضى الله

سمت ثبت ووفا

أطرب

أطرب السامعين اي أسرهم وأفرحهم ونشطهم الى محبته
واتباعه وامتثال جميع ما برز من حضرته صلى الله عليه
وسلم ذكر علاه لانهم يجدون لذلك روحة تفوق روحته
يا حرف استغاثة لراح اي خمر مستغاث ولذا فتحت لامه
سميت بذلك لان شاربها يستريح ويرتاح من هموم الدنيا
ما دام سكرانا بها مالت اي سكرت وتواجدت به اي
الراح المستعار لذكر علاه فهو مذكر لفظا ومعنى فاندفع
ما يقال الراح الخمر وهي مؤنثة وتذكيرها شاذ الندماء
اي شاربوا الخمر سموا بذلك لانهم يتنادمون اي يتخاطبون
عليها بالاشعار التي فيها مدحها وهذه استعارة تصريحية
واستعارة ترشيحية لانه شبه ذكر علاه في اطرابه لسامعه
بالراح في اطرابها لشاربها ثم قرن بذلك ما يلايم المستعار
منه وهو ذكر الميل والندماء واعلم ان هذا الموصوف
بهذه المعالي الذي أطرب السامعين ذكر علاه هو
النبي الامي أعلم من أسند عنه الرواة والحكماء
النبي الامي نسبة الى الام وهو من لا يكتب ولا يقرأ المكتوب
كانه على اصل ولادة امه او مثلها اذ الغالب عدم الكتابة
وقيل نسبة لام القرى اي مكة وقيل غير ذلك ومع كونه
صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب اطلعه الله على علوم الاولين
والاخرين وجعله القدوة العظمى لكل مخلوق في كل علم وحلم
وحكمة وخلق حسن وساير اوصاف الكمال واراه من الاحاطة

بجميع مصالح الدنيا والدين وقوانين سياسات العالم ومتفرقات الشرايع
وعوارف المعارف ما لم يصل لشاؤه مخلوق وهذا مقتبس من قوله
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في
التوراة والانجيل الايات أعلم الخلق جمعا حتى من أي الانبيا
والمرسلين الذين أسند اي روي عنها الرواة والحكما اي العقلا
الذين يضعون كل شئ في محله فهو من عطف الاخص على الاعم
ولما قدم كثيرا من اوصافه صلى الله عليه وسلم واحواله وسيره
ومغازيه انتقل بطريق لطيف الى ذكر دار مولده وبعثته
ودار مهاجرته لانهما تشرفا به على ساير الامكنة والى ذكر زيارته
وتأكدها والاشارة الى انها من أفضل القربات وأنجح المساعي
وقد ألفت فيها كتابا حافلا لم أسبق الى مثله مشتملا على
جميع ما يتعلق به وسميته الجوهر المنظم في زيارة
القبر المكرم وفيه ابلغ الرد والتضليل لمن نازع فيها
بما يكون سببا لسواد وجهه وتبابه في الدنيا والاخرة
فقال كانبا عن منة الله تعالى عليه باشارته الى انه
هيا له اسباب تلك الزيارة من الزاد والراحلة الموصوفة
بالصفات الحسنة الاتية حتى كانها مخاطبة له تقول
اركب على ظهري فاني احملك ذهابا وايابا مع السلامة من
التعب والراحة من السير المتعب وعدتني ازدياره
العام وجنا ومنت بوعدها الوجنا ۝ وعدتني
ذكر الموعود في حيزها كما هنا يوجب اشتراكها بين الخير والشر

وانما

وانما يقع التمييز بالقراين وحذفه يعينها للخير ويعين للشر
أوعد ازدياره اي النبي صلى الله عليه وسلم افتعال من الزيارة
وابدال الدال من التا في نحو ذلك مطرد وهو منصوب بنزع
الخافض اي بزيارته هذا العام وجنا اي ناقة قوية
من الوجن وهي الارض الصلبة ومنت اي انعمت بوعدها
اي بموعودها الوجنا المذكورة وهذا مما علم مما
وطيت به اولا كناية عن نيته للزيارة في تلك السنة
واعداده ذلك المركوب لها فهو اخبار عن لسان حال
ذلك المركوب وبما تقرر من أن في الوجنا للعهد الذكري
اندفع قول الشارح بين وجنا والوجنا جناس والعجب
منه انه صرح مع ذلك بان ال للعهد المستلزم لاتحاد
اللفظين وان الاول هو عين الثاني ۝ أفلا انطوي لها في اقتضائه لتطوي ما بيننا الفلا
أيليق بي ان اترك الزيارة أو أتباطأ عنها فلا أنطوي
أي احسن ان اضم نفسي على تلك الوجنا التي منت علي بما ذكر
لها اي لاجلها ليسهل سيرها بي فان حسن سير المركوب
من حسن ركوب راكبه في حصول اقتضائه اي طلبي منها
لذلك الموعود فالمصدر مضاف للفاعل وهو اليا والها
مفعوله فان اريدت الاضافة اليها ايضا كانت هذه
الاضافة غير صحيحة لانه اجتمع فيها اداتا تعريف وهو
الاضافة الى كل من الضميرين وقد قالوا لا يجوز اجتماع
اداتي تعريف على معرف واحد فالواو وانما جاز في اضافة

اداتا

الصفة من اسم الفاعل والمفعول أو الصفة المشبهة وأمثلة
المبالغة اقتران المضاف دون سائر المضافات بأل لان اضافة
الصفة الى معمولها لا تفيد تعريفا بل تخفيفا فليس هنا محذور
اجتماع اداتي تعريف بخلاف بقية المضافات انتهى **بغمزجرى**
لنا قول ان اضافة المصدر الى مرفوعه او منصوبه غير محضة
فعليه يجوز ما وقع في النظم لانه لم يجتمع اداتا تعريف فتأمله
اما اذا لم ترد الاضافة لها وانما اريد بقاؤها على نصبها ففيه
ارتكاب ضرورة اتصال الضمير مع امكان انفصاله **لنطوى**
بالبنا للفاعل او للمفعول والاول اولى اذ لا يلزم عليه زيادة ما
يخالف التانى **ما** اى المسافة البعيدة التى **بيننا** اى بيني
وبين ذلك القبر المكرم على الحال به افضل الصلاة والسلام
الافلا جمع فلاة كما فى القاموس وعبارته والفلاة القفر
او المفازة لا ماء فيها **ثم قال** والصحرا الواسعة جمعه فلا
وفلوات وفلى وفلى جمع جمعه افلا انتهى وبه يندفع ما
للشارح هنا وجوز الشارح فيه الهمزة مصدرا اى المسير البه
الى فلاة بعد اخرى ولا يلزم على بنايه للفاعل وان الافلا
جمع اتحاد الفاعل والمفعول لانهما مختلفان بالاعتبار بل
وبالحقيقة اذ النظر في تلك المسافة المطوية الى السير البعيد
وفى الافلا الى الاماكن المقفرة ولا شك ان السير غير محله فتامله
وبين أنطوى ولنطوى جناس الاشتقاق هو أو شبهه من
مباركها والركة وحافرتها والحوار او جنين حيث ونصب

والانضا

كسر جو

والانضا والخلاص والخلصا الابنات **بألوف البطحا تجفلها النيل وقد شفعجوفها الاظما**
بوجنا ألوف صيغة مبالغة من الف كعلم متعلق بنطوى
وكان القياس بها لكن اظهر الافادة وصفها بهذا الوصف
الممدح **البطحا** المعهودة ذهنا وهي مكة وتوابعها واصل
الابطح والبطحا مسيل يتسع فيه دقاق الحصا وهذا وما
بعده لسان حاله ابرزه على لسان حالها مبالغة فى اقامة
من تلك الاوصاف ما لو كان لراحلته ادراك لكانت
مثله فيها لما تشاهده من حاله **تجفلها** اى تزعجها وتقلقها
النيل اى ارض مصر عن الاقامة بها مع الفها وطنها ومرباها
لشدة شوقها الى التملي بتلك الانوار والتعفر بتراب تلك الاثار
وبين الالف والاجفال جناس الطباق **و** الحال انه **قد شف**
اى شرب رطوبة جوفها او انحل **جوفها الاظما** اى شدة العطش
فى طريقها فهى راضية بهذه المشقة المودية الى التلف في
جنب ما املته فى تلك الحضرة من مزايا الانعام وخفايا
التحف ولاجل ذلك **انكرت مصر فهي تنفر ما لاح بنا لعينها او خلاء**
انكرت مصر لانها لا تؤمل فيها من تلك المواهب العلية معشار
ما املته فى تلك الحضرة الاحدية والساحة المصطفوية
فبسبب هذا الانكار المسبب عن ذلك الامل **هي تنفر**
بكسر الفا وضمها اى تجد فى الهرب من مصر الى تلك الحضرات
العلية **ما** مصدر يتظرفيه **لاح** اى ظهر من ارض مصر **بنا**
لعينها او خلاء اى فضا ولا بنا فى هذا قوله بالوف البطحا

لانها تالفها لتقطعها حتى تصل الى مطلوبها فعند توجهها اليه
تجد في السير وتنفر الى جهة مقصدها سوالاح في تلك الحالة
بنا او فضا **وفسر** الشارح الخلا بالحشيش المرفع ويوجد بنظير
ما ذكرته انها تجد في السير الى جهة مطلبها وان ظهر لها في غيرها
قوتها الذي هو الحشيش الرطب وهذا فيه من زيادة المبالغة
ما لا يخفى عظم وقعه ولكن يبعده مقابلته بالبنا بخلاف ما
ذكرته وقوله او المراد به ما بين ابنية مصر وهو اقرب انتهى
وهو في غاية البعد كما لا يخفى فافضت على مباركها
بركتها فالبويب فالخضرا ٥ فافضت من الفضيض
وهو الما العذب او السايل على مباركها بركتها هو اول
محل يلي طريق الحجاز تجتمع الحجاج فيه للتاهب لسفرهم
ولذلك كان مجمعا عظيما تجلب اليه كلما تحتاجه الحجاج
سميت بذلك لان ما السيل ياتي اليها فيمكث اليها زمنا
طويلا وكانت فضا صرفا فعمر فيها القطب الرباني
البرهاني ابرهيم المتبولي من نحو سبعين سنة جامعا وجعل
فيه مجاورين يقرون القران فعادت بركته عليهم حتى
ذكر بعض صالحيهم ممن ادركناه يوما بالجامع الازهر انه
اشتهى زيارة امه بالعجم وهو ثم فاستاذن الشيخ في
السفر لذلك فلم ياذن له ودخل الى خلوته والناس يقرون
القران على بابها فراى نفسه ببلده عند امه فسلم عليها
واقام عندها اربعة اشهر بعدها بالايام والليالي ثم

أي صالحي المجاورين

اشتاق

اشتاق للشيخ فراى نفسه في خلوته فخرج فراى القرا قد قروا
في تلك المدة نحو ربع القران **وهذا** من بعض كرامات
الاوليا ان الله تعالى يطوي لهم الارض ويفسح لهم في الزمن
ووقع لهم من نظاير ذلك ما لا يحصى **وانكار** اتساع
الزمن القليل دون طي الامكنة تحكم لان كلاهما من حيز الكرامة
فاذا جاز احدهما جاز الاخر فتامله **ثم بنى الناس** حول
ذلك الجامع ابنية وبساتين لا تزال تتسع ببركته حتى صارت
الان قرية كبيرة اي فافاضت البركة على مبارك تلك الناقة
من الما العذب ما رواها وراكبها ومن معه ف بعد البركة
منازل للحجاج في هذه الطريق اكثرها مشهور لغالب الحجاج فلا
حاجة بنا الى مزيد بيانها فهي البويب وانما حملت النظر على
هذا الابهام انه افضت عام في الكل وهو غير مراد ان اراد
به ما ذكرنا فان اراد به انه من الفضاضة اي فاتسعت
على مبارك الناقة بركتها لمزيد سعتها صح عطف ما بعده عليه
من غير حاجة الى التاويل الذي ذكرته **وعجيب** من الشارح
حيث حمله على المعنى الاول ولم ينبه على عطف ما بعده عليه
الذي لا يصح الا برعاية ما ذكرته لان تلك المنازل اكثرها قفر
معطش لا ما فيه اصلا فالخضرا وهي قريبة من المحل المسمى
الان بعجرود وفيه بير ما صر مسبل وبجانبها بركة تملا من
البير من بيت المال لعظم احتياج الحجاج اليها وكان ذلك
من اصله لان بركته معلومة الحدوث في اوايل هذا القرن

مطلب في كرامات الاولياء

فالقباب التي تليها فبير النخل والركب قايلون رواء

فالقباب التي تليها اي المنازل السابقة اي الوادي المسمّى بواد القباب اى ذير الرمل المشبّه لارتفاعها وبياضها بالقباب البيض الحسية فبير النخل بركة تملا من بيت المال أيضا وماؤها احسن من الذى قبله ولذا قال والركب قايلون عندها اي مستريحون وقت القيلولة رواء من الماء بكسر اوّله جمع ريان اى ريا وغدت أيلة وحقل وقر خلفها فالمغارة الفيحاء ۞ وغدت ايلة اى عقبتها وحقل محل بعدها قريب منها تسمّيه العامة مدوّر الحقل وقر ليس هذا الاسم مشهورا عند الناس اليوم خلفها اى الناقة لكونها جاوزتها فالمغارة المسنوبة الى نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام الفيحاء اى الواسعة فعيون الأقصاب يتبعها النبك ويتلوا كفافة العوجاء

فعيون الأقصاب سميت بذلك لكثرة ما فيها من القصب الفارسي يتبعها النبك هذا ايضا ليس بمشهور وفي القاموس النبك بالنون فالموحدة بلد بين حمص ودمشق ويتلوا النبك كفافة وبها قبر ولي يسمّى مرزوقا مشهور البركة وله ذرية كثيرون مشهورون بالصلاح وللحجاج فيه اعتقاد وتعظيم خارج عن الحد العوجاء اى المنحرفة عن جادة الطريق وجعل الشارح كفافة مفعول يتلوا والعوجا فاعله فعليه هما محلان متغايران

وفيه نظر

وفيه نظر لانه ليس ثم محل يعرف بالعوجا ايضا فالموافق للخارج ما ذكرته جاورتها الحوراء شوقا اليها فينبوع فوق الينبع والحوراء

جاورتها اى حادثتا الناقة الحوراء فيما هي بصدده شوقا منها لما الناقة مشتاقة له وسايرة اليه واثبات الشوق للجمادات غير منكر لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله • وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم • وهذا مانع حمله على التسبيح بلسان الحال اذ لو كان مرادا لم يقل ولكن لا تفقهون الى آخره احد جبل يحبّنا ونحبّه فينبوع جاورتها شوقا ايضا وهي بلدة معروفة من جملة الحجاز الذي هو مكة والمدينة واليمامة وقراها فقد ذكروا ان ينبوع هذه من جملة قرى المدينة • فبسبب مجاورتها لهما زار الينبوع والحوراء المذكوران لسماعهما ما يتعلق بالزيارة ومشاهدتهما للزائرين لاح بالدهنوين بدر لها بعد حنين وحنين الصفراء

لاح اى ظهر بالدهنوين اى فيهما تثنية دهنا اما لكونه غلب اسمها وهو الدهنا لمحل قبيل بدر على مجاورها او ان ثم محلين كل يسمّى بالدهنا بدر وهو الآن قرية عامرة بها عين كبيرة ونخيل ومحل الوقعة المشهورة به التي اعز الله بها الاسلام • مشهورا يزار ويتبرك بمن دفن به من الشهداء وغيرهم وفي بدر تورية مرشحة بلاح المناسب للمعنى الغير المراد وبقربه آية من اياته صلى الله عليه وسلم وهي سماع صوت هايل كصوت طبل الحرب في الجو اشتهر على الألسنة ان هذا لاجل نصرته • عليه الصلاة والسلام •

والفرح بها وقد انكره قوم فقالوا لا حقيقة له وانما اصوات
الريح تسمع في ذلك الوادي عند قوة هبوبها لان في اوله جبلين
عظيمين من الرمل فاذا مشى الانسان بينهما وقوي عصف الريح
سمع ذلك الصوت وقال آخرون من ايمة المتاخرين بل له
حقيقة لانا ذهبنا الى ذلك المحل واقمنا به حتى سمعناه والجو
ساكن لا ريح به البتة وتكرر سماعنا له المرة بعد المرة انتهى
واقول وقع لي ايضا سماعه مرات متعددة في سفرات
متعددة حيث لا ريح ولا حركة دواب ولا مشاة ثم **ولقد**
كنت في بعضها موافقا لجمع جم من وجوه مكة ورؤسايها
وعلمايها من المالكية والحنفية فجرى الكلام بينهم في ذلك فمنهم
من انكره ومنهم من اثبته ثم وقع الاتفاق على الذهاب
لذلك المحل والرقي الى اعلا احد الجبلين ليحاط بسبب ذلك
الصوت فذهبنا واقمنا عليه نحو ربع النهار ونحن لا نسمع شيا
وقد هدا الريح ولا احد ثم غيرنا وليس لاحد منا حركة ففي اخر
الامر سمعنا ذلك الصوت الهايل مرة واحدة فقط فانصرفنا
ومن المنكرين من رجع ومنهم من اصر على انكاره **ولقد**
جانا فقيه ساكن يوذن ويوم في مسجد البلد فسيل فحلف
انهم ليلة الاثنين والجمعة يسمعون ذلك من اول الليل الى اخره
وفي غيرهما لا يسمعونه الا احيانا فالله اعلم بحقيقة ذلك
لها اي الناقة **بعد** وفي نسخة قبل ما لاح لها ارض **حنين** يقال
انه جبل صغير قريب بدر فالظاهر ان الناظر اعتمد في هذا

على ما هو المشهور

على ما هو المشهور في السنة العامة اذ لم يذكر في القاموس غير حنين
المذكور في الاية الذي هو بين مكة والطايف وظاهر
قول الشارح ان نسخة قبل اوضح لان حنينا بعد بدر ان لما ذكره
الناظر مستندا لكن لا يكفي هذا مع كون القاموس الجامع المستوعب
لم يذكره الا كما مر **وحنت** لتلك الناقة **وما هي فيه الصفرا** قرية
معروفة منحرفة عن طريق اهل مصر لا يمرون عليها الا عند
ذهابهم للزيارة **ونضت بزوة فرابغ فالجحفة** عنها ما حاكه الانضاء
ونضت اي خلعت **بزوة** اي جبتها المشهورة واسناده لك
اليه والى ما بعده مجازي **فرابغ فالجحفة** محل بعد رابغ
كان بلدة مشهورة لليهود فدعا صلى الله عليه وسلم ربه
ان ينقل حمى المدينة اليها فكان لا يمر بها احد حتى الطاير
الا حم وهي ميقات الحجاج المتوجهين من تلك الطريق
كما صح به الخبر **عنها** اي عن تلك الناقة لما انها استبشرت بقطعها
لتلك الاماكن **ما** اي ثوب التعب الذي **حاكه** اي نسجه **الانضاء**
اي الهزال شبه الهزال بحايك الثوب والثوب باشهر الهزال من
حيث ان الهزال يوجب للبدن من التعب ما يعمه ويستر قوته
كما يستر الثوب البدن ثم خيل له باثبات ما هو من لوازم المشبه
به وهو الحياكة ورشح له بذكر الخلع فهي استعارة بالكناية
تتبعها استعارة تخييلية وترشيحية **وارتها الخلاص**
بير علي فعقاب السويق فالخلصاء **وارتها** اي ابصرت
تلك الناقة **الخلاص** من التعب **بير** فاعل **علي** وهو اخر الجحف

الذى بعد رابغ الى مكة **فعقاب السويق** بعدها بقليل **فالخلصاء**
أي المحل المشهور الآن بخليص فيه عين واسعة وبركة كبيرة ۝
فمي من مآبير عسفان أو من بطن مرظانة خمصاء
فمي اى تلك الناقة **من مآبير عسفان** المشهورة **أو من** ماء نيوت
بطن مرظانة أى عطشانة **خمصاء** اى جوعانة لان العادة
ان الحجيج اذا وصلوا لنحو عسفان اشتد شوقهم فاشتغلوا
عن سقى دوابهم واطعامها الى أن يدخلوا إلى مكة المشرفة
قرب الزاهر المساجد منها بخطاها فالبطو منها وحا
قرب الزاهر المشهور قبيل ذى طوى **المساجد** المعروفة
بمساجد عائشة وبالتنعيم **منها** اى الناقة اى ان وصولها
للمساجد جعل الزاهر قريبا منها لان المساجد منه نحو ميلين
بخطاها اى بسبب شدة جريها لما احست بالوصول
فالبطو الحاصل **منها** **وحا** بمهملة قبلها واو بمعنى حذا أى سرعة
وكان مراده انها لما احست بالوصول انقلب بطؤها سرعة
بمعنى ان بطوها زال وخلفته سرعة شديدة ۝
هذه عدة المنازل لا ما عد منها السماك والعوا
هذه المذكورات **عدة** غالب **المنازل** بين مصر ومكة
التى عليها المعول لان بها نعلم طريق الوصول الى تلك
المعاهد ويتضح سلوك الوافد ويبسط ببيانها القاصد
لا ما اى منازل القمر الثمانية والعشرون التى **عد فيه** ذكره
نظرا للفظ ما **السماك** الاعزل الذى هو من منازل القمر وهم

منها

سماك اخر

سماك اخر يسمى السماك الرامح لكنه ليس من المنازل **والعوا** منزلة
من منازل القمر وهى خمسة انجم فلا يعتد بهذه كالاعتداد بتلك
فكأنى بها ارحل من مكة شمسا سماؤها البيداء
فكأنى بها اى على تلك الناقة **أرحل من مكة** الى عرفة لان الحج
عرفة كما صح به الخبر ولانها باب الملك الذى يقف به السائلون
ويلوذ به المحتاجون ثم الى مزدلفة للمبيت بها لانها نسك
واجب أو مندوب أو ركن كالوقوف أقوال أصحها عند
الاول ولان فيها مقام الجمع الاكبر ومن ثم سميت جمعا
وفي حديث فى سنده ضعف انه صلى الله عليه وسلم دعا ربه
فى عرفة ان يكفر عن امته بالحج حتى التبعات فلم يستجب له فدعا
بذلك فى مزدلفة فاستجاب له ثم الى منى للرمى والمبيت ثم الى
بقية المشاعر التى حول مكة وبها **شمسا** اى حال كون تلك
الناقة كالشمس فى ارتفاعها لرفعة ما هى قاصدته وقوة
سيرها لما عندها من عظيم الشوق فتشبيهها بالشمس
استعارة بالكناية واثبات الشمس لها تخييل وذكر الرحيل
والبيداء تجريد لملائمتها للمشبه الذى هو الناقة **سماؤها**
اى تلك الناقة المشبهة بالشمس كما تقرر **البيداء** أي
المفازة الواسعة تشبيه بليغ شبه الناقة بالشمس لما مر
وشبه البيداء التى هى محل سيرها بالسماء التى هى محل سير الشمس
بجامع السعة **ولما** ذكر مكة استطرد لذكر ما شرفها الله
به على سائر البلاد فقال **موضع البيت مهبط الوحي مأوى الرسل حيث الأنوار حيث البهاء**

موضع البيت اي الكعبة بالجر بدلا من مكة بدل البعض من
كل او بالرفع خبر هي محذوفا وعليه فمعنى كونها موضعا انه في
بعضها وفيه اقتباس من قوله تعالى ان اول بيت الآية
مهبط الوحي نعت او بدل بعد بدل او معطوف بحذف
العاطف على ما فيه من الضعف والشذوذ وكذا يقال
فيما بعده اي محل نزوله عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر
سنة والوحي لغة الاشارة وكل كلام خفي وشرعا ما جاء
به النبي المبعوث عن ربه على لسان الملك او بالالهام
او في النوم او الالقا في الروع مأوى من أوى فلان
إلى منزله الرسل الكرام وساير الانبيا ومر تعريف
النبي والرسول أول الكتاب لانه ما من نبي الا حج البيت
كما في حديث واستثنا صالح وهود لاشتغالهما بامر قومهما
لم يصح حيث ظرف مكان فهو كالذي بعده بدل مما
قبله الانوار الالهية متنزلة ثم وقدرت هذا لان
الاصح منع اضافة حيث الى المفرد اي تنزلها دايما على
قلوب الطايفين ثم والعاكفين والركع السجود حيث
البها اي الحسن المعنوي المكنى به عن حصول ملايم
النفس من الحكم والمعارف المفاضة على اهل هذه الحضرة
الالهية والمعاهد الربانية حقق الله لنا ذلك بمنه وكرمه
امين وراعى النظير بذكر الوحي والرسل والانوار والبها
وكذا الطواف وما بعده فيما ياتي ۝

على نبينا محمد وعليهم الصلاة والسلام

حيث فرض

حيث فرض الطواف والسعي والحلق ورمي الجمار والاهدا
حيث فرض الطواف في حج او عمرة واما خارجهما فهو حيث
لم ينذر سنة مؤكدة وورد فيها فضايل جمة تحمل من احاط
بها على مزيد الاكثار منه بل قال بعض ائمتنا للغربا
أفضل من الصلاة لانها عبادة خاصة بهذا المحل لا توجد
في غيره واختلفوا في ايما افضل اركان الحج هو او الوقوف
بعرفة فقال جمع هو لانه ملحق بالصلاة فيشترط فيه شروطها
بخلاف الوقوف فانه امر عادي لا يشترط فيه شروط ولذا لم
يقبل الصرف وقال آخرون بل الوقوف للحديث الصحيح
الحج عرفة اي معظمه ذلك لان من ادركها ادركه بخلاف الطواف
وانه المتكفل بمغفرة الذنوب وقضا المآرب كما في
الاحاديث الصحيحة ولانه يشترط وقوعه حال الاحرام المشعر
بغاية الذل والافتقار بخلاف بقية الاركان وهذا اصح
كما حررناه في كتبنا الفقهية وحيث السعي اي فرضه
في احدهما ايضا بنا على انه ركن لا واجب كما هو مذهب الامام
الشافعي رضي الله عنه وحيث الحلق او التقصير في احدهما
ايضا اي فرضه بنا على الاصح عندنا انه ركن وحيث رمي
الجمار اي ايجابه لا على جهة الركنية وحيث الاهدا اي سوق
الهدي الى مكة ثم ذبحها وتفرقته على ثلاثة من مساكينها
المقيمين والغربا والاولون اولى الا ان يكون الغربا احوج
والمراد بمكة كل الحرم وهذا محله ان نذر ذلك لان المعروف

أي الطواف

عند الغرفة

من مذهبنا الذي هو مذهب الناظم ان أصل الاهدا سنة
ولو لغير الحاج ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يرسله اليها
من المدينة وهو مقيم بها لا واجب وهذه السنة كانت
في زمن السلف من مشاهير السنن ثم تناساها الناس
وأعرضوا عنها بالكلية ويصح ان يريد بالاهدا كل
دم وجب في النسك أو توابعه أثم بسببه كالحلق تعديا
ام لا كالتمتع وموضع تفاصيل ذلك كتب الفقه والمناسك
وذكره الفرض في الطواف فقط موهم انه فرض دائما فلا
يتنفل به وان ما بعده ليس بفرض مع انه ما هو ركن ولا
يتصور ندبه ولا وجوبه في النسك وهو السعي والحلق
وما هو واجب لا ركن وهو الرمي وما هو واجب تارة
وهو ما حصل لترفه أو جناية ومندوب اخرى وهو ما
فعل تطوعا اي من غير سبب وكان الناظم وكل امر هذا
التفصيل للسهو وانه ليس بصدد بيان ذلك ○
حبذا حبذا معاهد منها لم تغير اياتهن البلا
حبذا حبذا تاكيد لفظي وهو شائع هنا ومر اول الكتا
الكلام على حبذا بما ينبغي مراجعته معاهد جمع معهد
وهو في الأصل المنزل الذي يعود اليه مفارقوه دائما وهذه
المواضع كذلك لان من فارقها فهو عائد اليها بالفعل تارة
والعزم اخرى منها اي مكة وامتازت على بقيتها كالكعبة
ومسجدها ودار خديجة والصفا والمروة ومحل ولادته

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من المواضع المأثورة بها وبالحرم
كمنى ومزدلفة بل وخارجه كعرفة لم يغير اياتهن أي علاماتهن
الدالة على شرفهن من تعظيم الأمة لهن وازدحامهم على
التبرك بزيارتهن والقيام بحقوقهن البلا بفتح البا
أي طول المدة الذي من شأنه أن يغير الأشيا عما هي عليه
وذلك لأن الله تعالى صانها عن التغير لحرمتها لديه وفضلها
عنده وليستمر لهذه الامة التمتع بها الى اخر الدهر
حرم أمن وبيت حرام ومقام فيه المقام تلا
حرم محرم بحرمة الله تعالى من يوم خلق الله السموات
والارض كما في الحديث الصحيح وحديث ان ابرهيم حرم
مكة المراد انه اظهر حرمتها التي كانت خفيت على الناس
فلا تعارض بين الحديثين وهذا بدل من موضع البيت
بدل كل من بعض على حد جنات عدن في مريم بنا على اثبات
ذلك البدل كما هو راي قوم قالوا به ولم ينظروا لانكار
الجمهور له ولا لمن منع الاستدلال بالاية نظرا الى ان في
الجنة للجنس فيصدق بالجمع ايضا فلا بعض محقق يبدل
منه الكل او للعهد الخارجي لانه لا خارج حتى يكون معهودا
او الذهني لان مدخول اللام حينئذ بمنزلة النكرة موضوعة
لفرد وكان وجه عدم نظر مثبت ذلك البدل لما ذكر
من وجوه المنع انه نظر الى ان جنة عدن علم على الجنان الثمانية
الموجودة الان والجنة حيث أطلقت انما يتبادر منها

واحد من تلك الثمانية فصح ادعا انه بدل بعض من كل بهذا
الاعتبار وأما تجويزه انه بدل كل من كل نظرا الى ان جنات عدن
علم كما تقرر وموضوعه شخصي فيكون ابدال علم من نكرة وذلك
أقرب الى كونه بدل كل من كل فقد يجاب عنه بان هذا المدلول
الشخصي اكثر في الخارج من مدلول النكرة الذي هو الفرد المنتشر
وذلك اقرب الى كونه بدل كل من بعض منه الى كونه بدل كل من كل
وهذا الذي قررته مما يكفي مثله في اثبات ذلك الراي المخالف
لراي الجمهور ويندفع ما اطال به السيد من التشنيع على من اشبه
كيف وقايله لا يبعد توجيه كلامه بنحو ما ذكرته وكل ما قرب
ماخذه بل او احتمل لا تشنيع على قايله ويجوز فيه العطف
نظير ما مر وانه خبر مبتدا محذوف وحدوده معروفة في
كتب الأيمة وعند اهل تلك الاماكن من اكثر نواحيه **آمن**
اي يومن فيه من شان الغارات واستباح الحرمات بل كان الانسان
يرى قاتل أبيه فيه فلا يتعرض له **ولما** دخله الطوفان
لم تعد فيه دابة على دابة **وكان** رجل من قوم أبرهة فيه فلم
يصبه من رمي الأبابيل شي حتى خرج منه هذا في الجاهلية
وأما بعد بعثته صلى الله عليه وسلم فالمراد امن صيوده وشجره
ونباته وكذا لقطته وترابه عن أن يتعرض احد اليها بقتل
أو قلع أو قطع او تملك أو نقل الا ما استثني وهذا مقتبس
من قوله تعالى حرما آمنا وفيه كبيت حرام الاتي نوع تلميح **وبيت**
حرام اي ذو حرمة باهرة وعزة قاهرة وهذا اقتباس

من قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس
ومقام بفتح الميم هو مقتبس من قوله تعالى فيه آيات
بينات مقام ابرهيم وهو الحجر الذي نزل لابرهيم عليه
الصلاة والسلام من الجنة كما صح به الحديث ليقوم عليه
عند بنا الكعبة اذا طال البنا فكان يعلو به الى ان يضع
الحجر في محله ثم يقصر به الى ان يتناول الحجر من ولده إسماعيل
عليه الصلاة والسلام وفيه أثر قدميه الكريمتين وهو
الذي نادى عليه لما فرغ بنا الكعبة **ايها الناس** ان الله
بنى لكم بيتا فحجوا اليه فسمعته النطف في الأصلاب
والأجنة في الارحام فاجابوه بلبيك **وفي** رواية انه نادى
بذلك على الحجون ولا تنافي فانه نادى مرتين قال الأيمة وبقاؤه
من غير ان يتعرض له احد في الجاهلية ومع كثرة السيول
التي كانت تدخل الحرم وتزحزح اكبر منه باضعاف متضاعفة
من آيات الله الباهرة **واختلفوا** في موضعه الموجود فيه
اليوم هل هو الذي كان به في زمن النبي صلى الله عليه وسلم او لا وانما
كان عند باب الكعبة فرده عمر رضي الله عنه الى موضعه اليوم
اجتهادا منه قولان أصحهما الاول **ومن** الغرايب ما قيل
المراد الحجر الذي وضع الخليل عليه الصلاة والسلام عليه رجليه
لما جا بعد موت هاجر ليزور اسماعيل فراه غايبا فسال
زوجته فشكت فقال لها عليه الصلاة والسلام مري زوجك
يغير عتبة بابه فجا فاخبرته فطلقها ثم جا وقد تزوج

اخري فوجدها غايبا فسألها عن حالهم فأثنت ثم امرته بالنزول لتطعمه
فأبى فوضعت له حجرا ليغتسل عليه فوضع قدمه عليه وأمالت
لها رأسه فغاصت قدمه فيه ثم حولته فغاصت الأخرى
فيه ثم قال لها مري زوجك فليرم عتبة بابه فيه اي البيت
او الحرم ولا يصح عوده للمقام نظير ومن دخله كان آمنا
المقام بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اي الاقامة تلاء
بفتح الفوقية اي جوار المحل تنزل الرحمة فيه واقالة العثرات
وكانه اخذ هذا من ان اهل مكة يسمون جيران الله اي
بيته وحرمه والعجب من الشارح حيث لم يبين معنى
هذه اللفظة مع خفائها واشتراكها بين معان كما في القاموس
لا يناسب منها هنا الا هذا وبين حرم وحرام جناس الاشتقاق
كهو او شبهه من مقام والمقام وما ياتي من قضينا والقضا
ورمينا ورمى وبشر ونشر وشمت وشمت وقباب وقبا
ورخصنا والرخصا وحططنا وحط وقرانا والاقرا وسمحنا
والسمح وذهلنا واذهل فقضينا لها مناسك لا تجد الا
في فعلهن القضاء فقضينا اي ادينا اذ القضا يطلق
على الادا لغة كما في قضيت الدين لها اي بمكة وما ينسب
اليها كعرفة ومزدلفة ومنى مناسك جمع منسك من النسك
وهو العبادة اي اركان الحج والعمرة وواجباتهما وسننهما
لا تجد الا في فعلهن القضا اي لا تجد الادا احد مخصوصا
في فعل عبادة الا في فعلهن كيف وقد تميزت بين الحج المتكفل

خ
تنزل الرحمات

بالجنة

بالجنة من غير عمل أخر وبخروج فاعله من الذنوب كيوم ولدته
امه وبكونه اشعث أغبر وبمنعه من مالوفاته الحسية
والمعنوية وبفراقه لأهله ووطنه وبتكفيره تبعاته على
ما فيه من الخلاف وبكونه لا يضع قدما او يرفعها الا
كتب له من الثواب ما لا يحيط به الا المتفضل به وبقولي
مخصوصا يندفع ما يورد على النظم ان غير الحج الافضل منه
والمساوي له والمفضول عنه تجد فاعله ايضا تنبيه
ما قررت به قوله فقضينا والقضا يندفع ما للشارح هنا
ومن جملة قوله لا يفسر القضا اخر البيت بالفعل ويتعين
انه الفراغ او ضد الادا فتفسير القضا بما ليس معناه
لغة ولا شرعا وبما لا يتصور في الحج وهو قوله او ضد
الادا على ان استعمال القضا بمعنى الادا اشهر من الشمس
لغة وشرعا وقد حقق بعض المتاخرين ان القضا
لا يتصور في الحج لانه ما فعل خارج وقته والحج وقته
العمر وتضيقه بخوف نحو غضب او مال او موت لا يقتضي
انه لو بان الامر على خلاف ظنه يكون قضا فيما بعد ذلك
الوقت الا على الوجه الضعيف في نظيره في صلاة يضيق
عليه فعلها في الوقت ثم بان خلاف ما ظنه انها تصير قضا
وان فعلت في الوقت وليس كذلك بل المعتمد خلافا
لكثيرين انها اداء كما اتفق عليه الاصوليون ان القضا
ما يفعل خارج الوقت المقدر له شرعا تنبيه ثان

لا يتوهم ان ما وقع في النظم من تقديم المستثنى المختلف فيه
لان محل ما قاله الجمهور من منع تقديمه انما هو اذا كان
اول الكلام نحو الا زيدا قام القوم وجوزه الكوفيون
فان تقدم على المستثنى منه وعامله فقط ففيه مذاهب
والذى عليه الاخفش وصحح ابو حيان جوازه ان كان العامل
متصرفا فقط نحو القوم الا زيدا قاموا والاشر ما خلا الله باطل فالاستثنا
من ضمير باطل العامل في ذلك الضمير وما هنا لا تقدم
فيه على مستثنى منه لانه مقدر كما قدرته ولا على عامله وانما
هو على حده اذا لم يكن الا النبيون شافع وحكى سيبويه
ما لى الا ابوك احد قال فيجعلون احدا بدلا وابوك مبدل
منه قال ابن عصفور ولا يقاس على هذه اللغة وقد
قاسه الكوفيون والبغداديون وابن مالك وعليه فلا
اعتراض على المتن ورمينا بها الفجاج الى طيبة
والسير بالمطايا رماء ورمينا اى الناقة الفجاج
جمع فج وهو الطريق اى الفينا فيها لنسير بنا الى طيبة
هى المدينة على مشرفها افضل الصلاة والسلام سميت بذلك
لان الله تعالى طيبها لرسوله صلى الله عليه وسلم فجعلها دار
هجرته ومحل نصرته وموضع تربته ولها اسماء كثيرة جدا
والسير بالمطايا جمع مطية وهى الدابة تطوى اى تجد
سيرها رماء مصدر رامية اى يشبه سير السهم اذا رمى به
فاصبنا عن قوسها غرض القرب ونعم الجنيبة الكوماء

مستثنى

بها

فبسبب

ان

فبسبب سيرها يشبه سير السهم اشبهت القوس حينئذ اصبنا
عن قوسها غرض القرب اى المدينة المشبهة بالغرض في كونه
المقصود بالرمى او السير فتشبيه الناقة بالسهم استعارة
بالكناية واثبات الرمى استعارة تخييلية وذكر القوس
والغرض ترشيح يصح كونها شبهت بالقوس وهى استعارة
بالكناية ايضا واثبات القوس لها تخييل وذكر السهم
والاصابة والغرض ترشيح ونعم الجنيبة اى الذخيرة
الناقة الكوماء هى المخصوص بالمدح وهو خبر مبتدا محذوف
او عكسه فقول الشارح صفة الجنيبة ليس في محله وهى
اعنى الكوماء العظيمة السنام فرأينا ارض الحبيب يغض الطرف
فرأينا اى ابصرنا المدينة وما حولها التى شرفها الله تعالى
بان جعلها ارض الحبيب اى حبيب رب العالمين فتميز
صلى الله عليه وسلم بمقام المحبة الذى هو اجل واعلى من مقام
الخلة لان المحبة الكاملة تستدعى الخلة وزيادة اى
المدينة وما حولها يغض اى يخفض الطرف مفعول
منها اى من اجل الجلالة التى حفتها الضياء المشرق عليها
حسا ومعنى واللالاء اى البرق اللامع على صفحاتها
المشار به الى مواهب الحق المفاضة على الزائرين وفى الضياء
واللالاء مراعاة النظير فكان البيدا من حيث ما
قابلت العين روضة غناء فكان بالتشديد
وقد تخفف كان لم يدعنا الى ضر مسه للتشبيه المؤكد

يغض الطرف منها الضياء واللالاء

اللهم صل وسلم عليه
ابدا دايما
٥

ارض ح

انه مركب من كاف التشبيه وان المؤكدة فالاصل في نحو كأن زيدا
اسد انه كاسد قدم حرف التشبيه اهتماما به ففتحت
ان لدخول الجار عليها قاله بعضهم وانما تستعمل حيث يقوى
الشبه حتى يكاد الرائي يشك في ان المشبه هو المشبه به
او غيره ولذلك قالت بلقيس كأنه هو قيل وترد للظن والشك
فيما اذا كان خبرها غير جامد البيدا من تلك الارض وهي
اسم لمحل قريب من ذي الحليفة المشهور بابيار علي من
للتعليل وابتدا الغاية وكل منهما خفي فالاحسن انها زايدة
على مذهب الاخفش وجماعة حيث ما ما زايدة قابلت
العين الناظرة اليها روضة غنا اي كثيرة العشب
والنبات والازهار والثمار وكأن البقاع زرت
عليها طرفيها ملاة حمرا وكأن البقاع اي الاماكن
اللاتي حول المدينة المنورة لكثرة ما يغشاها من الانوار
والاضوا المنزلة على ضريحه المكرم صلى الله عليه وسلم زرت
عليها اي البقاع طرفيها عايد لقوله ملاة بضم اوله
وهو ثوب عريض او ثوبان ملفوقان كذا قيل وعبارة شرحي
لشمايل الترمذي الملاة بالضم والمد وهي كما في القاموس
كل ثوب لم يضم بعضه الى البعض بخيط بل كله نسج واحد
وفي النهاية هي الازار وفي الصحاح هي الملحفة
ولا تنافي لصدقها على التعريف الاول بكل من هذين
انتهت ولهذا يعلم ان الثوبين الملفوفين ملاتان

لاملاة واحدة

لاملاة واحدة حمرا شبه تلك الانوار والاضوا التي غشيت
تلك البقاع وعمتها من ساير جهاتها بخيمة حمرا شدت عليها
فيها ازارها في عراها من ساير جوانبها وكأن الارجا تنشر
وكأن الارجا اي نواحي المدينة الغرا تنشر اي
تذيع نشر اي ريح المسك فيها اي تلك الارجا الجنوب
هي الريح التي تقابل الشمال والجربيا بكسر الجيم ككيميا وهي كما
في القاموس الشمال او بردها او الريح بين الجنوب والصبا
وهي التي تنشر السحاب وهي المرادة هنا فاذا شمت او شممت
فاذا شمت بكسر الشين المعجمة اي نظرت الى سحاب البرق
اين ممطر في تلك البقاع او شممت في القاموس شممته بالكسر
اشمه بالفتح وشممته اشمه بالضم رباها جمع ربوة بتثليث
الرا وهي ما ارتفع من الارض لاح اي ظهر وهو راجع لشمت
منها اي تلك البقاع برق راجع للاول وفاح راجع لشممت
ففيه لف ونشر مرتب كبا بوزن كسا عود البخور او
ضرب منه اي نحو من كبا بالتشديد ثوبه اي بخره وبين
لاح وفاح جناس مضارع اي نور واي نور شهدنا
يوم ابدت لنا القباب قبا اي نور اي نور باهر واي
نور بفتح اوله اي زهر نضير وبينهما الجناس المحرف
ومنه حديث اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي شهدنا
هما اي رايناهما بابصارنا وبصايرنا يوم ظرف لشهدنا
ابدت لنا القباب التي هناك قبا محل مشهور دبينه

وكأن الارجا تنشر نشر المسك فيها الجنوب والجربيا

فاذا شمت او شممت رباها لاح منها برق وفاح كبا

وبين المدينة ثلاثة أميال **قر دمعي منها وفر اصطباري**
فدموعي سيل وصبري جفاء **قر دمعي** أي كثر وانهمل
منها من أجل ما شهدته حسرة على ما مضى لي من فراقه
أو فرحا بوصولي اليه أو خوفا من التقصير بعد رعاية
الأدب في تلك الحضرة الجليلة **وفر** أي ذهب **اصطباري**
لاسيما بعد أن وصلت الى هذه الربا وأنخت رحلي بقبا
وبين قر وفر الجناس المصحف **فدموعي سيل** عظيم **وصبري**
جفا بضم الجيم أي زبد فكما ان السيل يذهب بذلك
الزبد في أسرع وقت فكذلك دموعي تذهب ببصري فلا
يبقى عندي منه شيء وهذا من جناس التذييل كقوله الآتي
وكم أذهل صبا الخ وفيه لف ونشر مرتب **فترى الركب طائرين**
من الشوق الى طيبة لهم ضوضاء . و بسبب ما ذكر
ان ما شوهد يوجب كثرة الدمع وفناء الصبر **فترى** أيها
المخاطب **الركب طائرين** اي جادين في السير حاثين لدوابهم
ليستخرجوا منها أقصى ما يمكنها من الاسراع **من أجل الشوق**
الى طيبة فكيف بمشرفها عليه افضل الصلاة والسلام .
لهم ضوضاء اي أصوات عالية بالصلاة والسلام عليه .
صلى الله عليه وسلم وعبارة القاموس الضوضاء مقصورة الجلبة
وأصوات الناس لغة في المهموزة انتهت . ومنها يعلم رد ما
قال الشارح **فكأن الزوار ما مسة البأسا منهم خلقا ولا الضراء**
فكأن عطف على فترى **الزوار ما مسة البأسا** اي شدة السفر

ومشقته

ومشقته **منهم خلقا ولا الضراء** تأكيد لما قبله وكيف يمسهم
شيء من ذلك **وكل نفس منها ابتهال وسؤل ودعاء ورغبة وابتغاء**
وكل نفس منهم يتكرر **منها ابتهال** اي تضرع الى الله تعالى في أن
يقبل عثارها ويقيل آثارها **وسؤل** أي توسل الى الله تعالى
بأحب خلقه اليه صلى الله عليه وسلم **ودعاء** إطناب **ورغبة** فيما عند الله تعالى من
جزيل الثواب **وابتغاء** اي طلب لما عند الله عز وجل
وزفير تظن منه صدورا صادحات يعتادهن زقاء
وزفير اي تواتر النفس وصعوده لشدة ما يعتري القلب
من خشية المؤاخذة لما فرط منه وتفسير الشارح تارة بإخراج
النفس للشدة وتارة بحبسه فيه قصور عن ذكر تصاعده الذي
لا بد منه في حده **تظن** ايها المخاطب **منه** أي من أجل كثرة
ذلك الزفير وشدته بحيث يسمع له صوت في الصدور ومن
ثم جاء ان صدره صلى الله عليه وسلم لشدة ما عنده من الخوف
كان يسمع له أزيز كأزيز المرجل القدر **صدورا** مفعوله الأول
طيورا **صادحات** اي مصوتات **يعتادهن زقاء** بالزاي والقاف
اي صوت عال . والحاصل ان ذلك الزفير من شدته ظهر له في
صدورهم صوت أشبه صوت الطيور الصادحات اللاتي
يعتادهن التصويت بشدة وعلو صوت **وبكا يغريه بالعين مد ونحيب يحثه استعلاء**
وبكا يغريه بالعين اي يحمله على ملازمته لها **مد** اي سيل
من الدموع نشأ عن حرقة القلب لفراق المحبوب أو خشية
قطيعته أو عن فرحه بلقيا الحبيب والمثول في حضرته **ونحيب**

وهو رفع الصوت بالبكا نحبة اى نحصله ونزيد فيه استعلا أي
علو الصوت بشدة وتتابعه بالبكا وجسوم كأنما رحضتها
من عظيم المهابة الرحضاء وجسوم كأنما رحضتها
اى غسلتها ولذا سمى المغتسل مرحاضا من عظيم المهابة أي
الجلالة التى استولت على قلوبهم لما اناخوا رحالهم بتلك الحضرة
الجليلة الرحضاء أي العرق الكثير من أثر الحمى اى جسوم قام
بها من عظيم المهابة ما أزعجها ازعاجا يتولد عند كثرة عرقها
حتى كأنه غسلها ووجوه كأنما ألبسها من حياء ألوانها الحرباء
ووجوه تتلون بالالوان المختلفة بالشدة ما عندهم من
القلق والخوف والحياء منه صلى الله عليه وسلم عند القدوم عليه
بوصف النقص وعدم كمال الاتباع له حتى كأنما ألبسها
من أجل حياء بالمد ومر تفسيره وانه غريزي باعتبار أصله
ومكتسب باعتبار كماله ألوانها الحرباء دويبة مشهورة ذات
ألوان متعددة تستقبل الشمس براسها ودموع كأنما أرسلتها
من جفون سحابة وطفاء ○ ودموع من شدة البكا والحزن
على عدم القيام بواجب تلك الحضرة ومشرفها عليه أفضل
الصلاة والسلام كأنما أرسلتها من جفون سحابة وطفاء
أي مسترخية الجوانب لكثرة مائها شبه ما عندهم من الحزن
الباعث لهم على غزارة الدمع وكثرة تتابعه بسحابة مملوءة ماء
ثم جرد بذكر الجفون ورشح بذكر الوطف وخيل باثبات السحابة
للمشبه ففيه اربع استعارات وفي قوله كل نفس الى هنا من

مراعاة

مراعاة النظاير والانسجام البديع الذي هو سهولة الالفاظ
وعذوبتها بحيث شابهت الماء العذب الذي من شانه الانسجام
والسيلان والرقة والحلاوة ما لا يخفى على ذي ذوق عظيم
بلاغته ومر له كثير من هذا النوع فحططنا الرحال حيث يحط
فبعد أن وصلنا الى ذلك القبر المكرم على بابنا مما مر شرحه
بقوله كل نفس الى هنا حططنا الرحال بفناء كرمه صلى الله عليه
وسلم نستمطر سحايب القبول والانعام ونستقيل عثرات
التقصير والاثام ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما حيث أي
في مكان يحط الوزر اى الاثم والثقل عنا فيه بشفاعة مشرفه
صلى الله عليه وسلم وترفع بلحظه واسعافه وامداده الحوجاء
اى الحاجة بغنى النفوس وطلوع البدور وشروق الشموس حتى يصل
الى العيان ويستغني عن الاستدلال والبرهان وبين الحط والرفع
طباق وقرأنا السلام أكرم خلق الله من حيث يسمع الاقراء
وقرأنا السلام أكرم اى على أكرم خلق الله وأفضلهم كما مرت الاشارة
اليه مستوفاة أول هذا الشرح واقتدى الناظم في هذا بالسلف
فانه جاء السلام عليه صلى الله عليه وسلم عن ابن عمر وغيره من السلف
بل قال المجد اللغوى السلام عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره أفضل
من الصلاة عليه عنده اى للاخبار الكثيرة فيه كخبر ما من أحد
يسلم علي عند قبري الا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام
ويعارضه الحديث الصحيح ان الله تعالى يصلي هو وملايكته على المصلي علي

الوزر عنا ويرفع الحوائج

على ساكنه افضل الصلاة والسلام ○

اللهم صلى وسلم عليه ابدا ابدا

فى الصلاة الواحدة عشرا وفى رواية مائة وصلاة الله أفضل
من رده صلى الله عليه وسلم وان كان رده دعا لابد على انه
صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى أن توجه
الافضلية للسلام بانه شعار اللقا والتحية فحينئذ تختص
أفضليته بحالة اللقا عند كل زيارة اما اذا سلم سلام اللقا
فالصلاة بعده أولى من استمرار السلام وان كان باقيا فى
مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا
ان الزاير يبدا بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم **من حيث** اى من مكان وقوفنا بتلك الحضرة الذى
يسمع الاقوا للسلام منه وفيه رد العجز على الصدر وما
اقتضاه كلامه من ان زايره صلى الله عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه
عند قبره يسمعه سماعا حقيقيا ويرد عليه من غير واسطة
وان من صلى وسلم عليه من بعيد لا يسمعه الا بواسطة يدل
عليه احاديث كثيرة **وذكرها** فى كتابى الدر المنضود
فى الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود وذكرت منها
جملة فى الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم **منها ما جا**
عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وصح وان قيل انه غريب
من صلى على عند قبرى سمعته ومن صلى على من بعيد أعلمته
وان نوزع فيه ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى
حتى أرد عليه السلام وصح من غير نزاع فيه يعتد به من
أفضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة

وفيه الصعقة

وفيه الصعقة فاكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة
على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد
أرمت اي يقولون بليت قال ان الله عز وجل
حرم على الارض أن تاكل اجساد الانبيا وفى رواية
فنبى الله حى يرزق وبقيت أحاديث أخر متعارضة
جمعت بينها فى الكتاب السابق بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ
الصلاة والسلام اذا صدرا من بعيد ويسمعهما اذا كانا
عند قبره الشريف ومع سماعه لهما يبلغهما أيضا زيادة فى
اكرام الزاير والاعتنا بشانه والاستمداد له بذلك سواء
ليلة الجمعة وغيرها وأما ما رده فهو عام لمن عند قبره
ولغيره ولانه صح ان من سلم على قبر أخيه المومن سمعه
ورد عليه فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزايره لم تكن
له خصوصية بذلك وكفى الزاير تمييزا انه صلى الله عليه وسلم
يسمع صوته من غير واسطة ويكفى المصلى والمسلم من
بعيد وقريب رده صلى الله عليه وسلم **ومعنى رد روحه**
صلى الله عليه وسلم السابق رد نطقه لانه صلى الله عليه وسلم
حى على الدوام فروحه الشريفة لم تفارقه ابدا **وصح الانبيا**
أحيا فى قبورهم يصلون والاحاديث فى ذلك كثيرة جمعها
الامام البيهقى فى جزء واستدل بها على دوام حياة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام حياة مخصوصة أعلى وأتم من حياة
الشهدا المنصوص عليها فى القران العظيم

على نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام

وذهلنا عند اللقا وكم أذهل صبا من الحبيب لقاء
وذهلنا أي غبنا عن احساسنا أو عما عدا ما نحن بصدده
عند اللقا لما استولى علينا من سبحات ذلك الجلال
ونسمات ذلك الجمال ولا بدع في هذا الذهول اذ كم اذهل
صبا اي شديد الصبابة التي هي رقة الشوق وغلبة استيلائه
من الحبيب اي المحبوب وهو متعلق بقوله لقا لان من شانه
أن يدهش الصب ويخرس المحب ويغيبه عما عدا المحبوب
والاستلذاذ بشهوده وانسه ووجمنا من المهابة حتى
لا كلام منا ولا إيماء ووجمنا بفتح الجيم اي سكتنا
عن الكلام عند اللقا وبعده ما دمنا في تلك الحضرة
العلية فلم يبق فينا متسع له من أجل المهابة اي الاجلال
والمخافة حتى اجتمع علينا أمران لا يوجد اجتماعهما الا في
نحو هذا المقام وهما لا كلام منا بما نريده ولا ايما منا
بوجه الى ما نطلبه وذلك حال من قهره الجلال واستولت
عليه خوارق الاحوال ۝ وكم رمت بث الشوق عند لقائه
فلما التقينا ما ملكت ولا حرفا ۝ ورجعنا وللقلوب
التفاتات اليه وللجسوم انثناء ورجعنا الى بلادنا
وللقلوب التفاتات كثيرة جدا برعاية المقام اليه اي
الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بمعنى انها مستحضرة للمثول بين يديه
صلى الله عليه وسلم والاستمداد منه مع ادامة الصلاة والسلام عليه
صلى الله وسلم عليه وللجسوم جمع جسم وجسم الشيء جرمه النائي من الارض انثنا

أي انعطاف

اي انعطاف الى البقا في حضرته صلى الله عليه وسلم أبدا ان تيسر والا
فالى تكرر زيارته صلى الله عليه وسلم وسمحنا بما نحب وقد يسمح عند الضرورة البخلاء
وسمحنا اي جدنا بما اي بنفيس لا يجود أحد بمثله هو التمتع بتلك
الحضرة العلية الذي نحب دوامه وعدم مفارقته ولكن
ضرورتنا الى العود لديارنا لاجل القيام بمن فيها تخفف الملام
علينا اذ الضرورات تبيح المحظورات فانا وان كنا بخلاء بهذا
الفراق لنا اسوة بالبخلاء في ذلك وقد وقع يقينا انه يسمح عند
الضرورة التي لا يستطاع معها الترك البخلاء بالاموال وغيرها
وبين السماح والبخل الطباق ولما تمم مقصد زيارته
صلى الله عليه وسلم المتكفلة بكل خير شرع يناديه صلى الله عليه وسلم
بكنيته المختصة به والمناسبة لطلبه من انه يخصه من
تلك القسمة التي ولاها الحق له ويقسم عليه باقسام كثيرة
كلها تتضمن ما هو بصدده من مدحه صلى الله عليه وسلم
والثنا عليه استعطافا له لينظر اليه بما يفوز به في
الدنيا والاخرة ويأمن به من كل محنة باطنة وظاهرة
ومن ثم خص جواب اقسامه بقوله الآتي الامان
الامان الى اخره فقال يا ابا القاسم الذي ضمن اقسامي عليه مدح له وثنا
يا أبا القاسم هذه كنيته صلى الله عليه وسلم التي اختص
بها فلا يجوز لاحد التكني مطلقا على الاصح عندنا سواء في
زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده لمن اسمه محمد وغيره لقوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي

وَالعبرة كما تقرر في الاصول بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
كما هنا • فان سبب النهي ان اليهود كانوا اينادون بذلك •
فيلتفت صلى الله عليه وسلم اليهم • فيقولون له لا نعنيك فنهي
الناس عن التكني بذلك • ومن هذا اخذ بعض أيمتنا ان
المنع خاص بزمن حياته صلى الله عليه وسلم • وبعضهم انه خاص
بمن اسمه محمد • أو تكنية علي كرم الله وجهه ولده محمد بن
الحنفية رضي الله تعالى عنه بذلك باذن منه صلى الله عليه وسلم
ان صح خصوصية له • وتكنية غيره بذلك إجتهاد منه
ووجه مناسبة اختصاص تلك الكنية به صلى الله عليه وسلم
الاعلام بانه صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الأعظم عن الله تعالى
في جميع شؤونه لا سيما مقام قسمة الأرزاق • والعلوم •
والمعارف • والطاعات • ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح ايضا انما انا قاسم • والله يعطي ولاجل
هذا عد وامن خصايصه صلى الله عليه وسلم انه أعطى مفاتيح
الخزاين • قال بعض العلما وهي خزاين أجناس العالم ليخرج لهم
بقدر ما يطلبون • فكل ما ظهر في هذا العالم فانما يعطيه
محمد صلى الله عليه وسلم الذي بيده المفاتيح • وكما اختص تعالى
بمفاتيح الغيب الكلي فلا يعلمها الا هو كذلك اختص صلى الله
عليه وسلم باعطائه مفاتيح الخزاين الالهية • فلا تخرج منها شي الا
على يديه صلى الله عليه وسلم • وقيل انما كني بذلك لانه كان له
ولد من خديجة رضي الله عنها يسمى القاسم • الذي ضمن من

تضمن كذا اشتمل عليه إقسامي عليه بكسر الهمزة بالاقسام الكثيرة
الاتية في نيل مطلوبي منه صلى الله عليه وسلم مدح فرقوا بينه
وبين الحمد بامور أحدها ان الحمد على الجميل الاختياري والمدح
على ما لا اختيار للعبد فيه كالحسن • ثانيها وثالثها ان الحمد
إنما يكون عن علم وبصفة كمال • والمدح يكون عن ظن
وبصفة مستحسنة • وان كان فيها نقص ما • رابعها ان في
الحمد من التعظيم والفخامة ما ليس في المدح • والحمد اختص
بالعقلاء والعظماء واكثر اطلاقا على الله تعالى • وقول الكشاف
انهما اخوان اي متشابهان لا مترادفان • قال الطيبي وقال
السيد بل مترادفان • واستدل له بكلام الفايق • وانتصر بعض
المحققين للاول بما ليس هذا محل بسطه • واكثر العلما على ان الحمد
مختص بالاختياري • والمدح أعم له وثنا هو على القول
الاخير مرادف للمدح لانه لا يكون الا في الخير الاختياري وغيره
والمدح على ذلك القول كذلك • وبه لما تقرر ان عليه اكثر
العلما يندفع قول الشارح هذا من مراعاة النظير • وعلى ما
قبل الاخير يكون فيه مراعاة النظير في الجملة • وعليه يحمل كلام
الشارح اما المدح والحمد ففيهما تقابل أو مراعاة النظير •
او ترادف بالعلوم التي عليك من الله بلا كاتب لها املا •
بالعلوم اي اقسم عليك بها لتشفعن لي بما يؤمنني من كل مكروه
بان يعطيني الله الامان منه • وكذا يقال في الاقسام الاتية
• فالمراد بها هنا الشفاعة والاستعطاف لجاب سؤاله

ومن ثم قال بعض اصحابنا فى اقسم او اقسمت عليك لتفعلن كذا
انه لا يكون يمينا الا ان نواه وجعله اولا لاقسام لان مرتبة
العلم لا اعلى منها بل ولا مساوى لها ومن ثم لم يومر صلى الله عليه وسلم
بالسؤال للزيادة مما هو عليه الا العلم وقل رب زدني علما
وهى صفة يتحلى بها المذكور لمن قامت به تحليا يمنع من احتمال
النقص التى نزلت عليك من الله حال كونها بلا كاتب من
الكتب وهو الجمع وانما الوصل لها اليك املا اى اقرا من جبريل
وهذا الذى قررته فى اعراب هذا البيت اولى مما سلكه الشارح
فتامله وبين القاسم والاقسام جناس مطلق والكتابة
والاملا طباق ومسير الصبا بنصرك شهرا فكان الصبا لديك
واقسم عليك بما اوتيته ايضا من مسير الصبا وهي الريح التي
مهبها مطلع الشمس عند استوا الليل والنهار ويطلق على ما
يهب من يمين هذا المطلع الى قريب سهيل ويساره الى
قريب القطب الشمالى ولهذه الريح اثر فى نصرته صلى الله
عليه وسلم فى وقعة الخندق المسماة بالاحزاب كما مر بنصرك
اي بسببه وهو الرعب الذى قطع قلوب اعدايه واخمد شوكتهم
وبدد جموعهم شهرا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور مع قوله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا
لم يعطهن احد من الانبيا قبلى نصرت بالرعب مسيرة شهر
الحديث ومنها يعلم ان الصبا كانت تسير بسبب نصره
صلى الله عليه وسلم وهو الرعب اى الخوف منه المزعج لاعدايه مسافة شهر من ساير

نواحي المدينة

نواحى المدينة فلم يرفع احد منهم راسا الا اختطفتها لوامع سيوف
نصره صلى الله عليه وسلم وقواصف اسنة قهره عليه الصلاة والسلام
والتحديد بالشهر اشارة الى ان ما يستولى عليه لا يزيد مسافة
فى حياته صلى الله عليه وسلم على شهر فلا ينافى ان ملك امته يزيد
عن ذلك بكثير واحترازا عن غيره من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فان رعبهم ان وجد لا يصل لهذه المسافة وفى
رواية ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم
مسافة شهر قال بعضهم والظاهر اختصاصه به مطلقا
وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده صلى الله عليه وسلم وبين
احد من اعدايه اكثر من شهر وهذه الخصوصية حاصلة له
على الاطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر وهل هي حاصلة لامته
من بعده فيه احتمالان اي اظهرها كما تقتضيه المشاهدة
انهم رزقوا من ذلك حظا وافرا فكان الصبا لديك رخا
هي الريح اللينة المسخرة لسليمان عليه الصلاة والسلام غدوها شهر
ورواحها شهر لكن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر واعظم
لان تلك سخرت لذات سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وهذه
سخرت لصفة من صفات نبينا صلى الله عليه وسلم وهي هيبته
عليه الصلاة والسلام وايضا فتلك انما كانت تسير بعد امر سليمان
لها وهذه تسير بامر ربها من غير توسط امر من نبينا صلى الله
عليه وسلم فهو من تشبيه الاعلى بالعلى نظير ما صليت على ابرهيم
فى صلاة التشهد على احد الاجوبة وفى ذكر الرخا بعد الصبا

مراعاة النظير **وعلى لما انفلت بعينيه وكلتاهما معا رمدا**

وأقسم عليك ايضا بمعجزاتك العظمى مع **علي** كرم الله وجهه

ورضي عنه في غزوة خيبر **لما** سرت اليها ودفعت الراية وكانت

بيضا لعلي رضي الله تعالى عنه ففتح بعض حصونها وأرسلت

ابا بكر رضي الله عنه لحصن اخر فقاتل ورجع بلا فتح فأرسلت

عمر رضي الله عنه فقاتل ورجع بلا فتح وقد جهد فقلت

لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه

فتشوق كل أحد لذلك فسألت عن علي فقيل به رمد فدعوت

عليا فجاء وانسان يقوده من شدة الرمد فحينئذ **تفلت**

بعينيه وكلتاهما معا حال مؤكدة **رمدا** ثم قلت له خذ

هذه الراية وامض بها حتى يفتح الله بها على يديك فبرأتا

لما خالطهما ريقك الذي هو الشفاء الأكبر **فغدى ناظرا**

بعيني عقاب في غزاة لها العقاب لواء فغدا

اي ذهب بتلك الراية يضرب بعينيه المثل في حدة الابصار

كما يضرب ببصر العقاب الذي هو سيد الطيور كما في الكامل

ومن ثم قال **ناظرا بعيني عقاب** ومن أمثال العرب

أبصر من عقاب **ولما** غدا وهو كما ذكر هرول هرولة

حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن وقال له

يهودي من باب الحصن من أنت قال **علي بن ابي طالب**

فقال اليهودي علوتم وحق ما انزل على موسى بن عمران فما

رجع حتى فتح الله على يديه وعند قتاله ضربه يهودي

فطرح

٣٦

فطرح ترسه من يده فأخذ بابا تترس به واستمر يقاتل حتى

فتح الله عليه ومن كرم ذلك الباب ان ثمانية ارادوا ان يقلبوه

فلم يستطيعوا **وحمل** أيضا باب الحصن على ظهره حتى صعد

المسلمون عليه ففتحوها فجروه بعد ذلك فلم يحمله الا اربعون

رجلا هذا كله **في غزاة** معهودة من اعظم الغزوات وأجل

الفتوحات وهي غزوة خيبر كانت مدينة كبيرة ذات

حصون ومزارع على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام

وكانت سنة سبع **لها العقاب لواء** أراد باللواء الراية

وهي العلم الضخم لان الذي كان يومئذ راية لا لواء بل وقد لم

يعرف صلى الله عليه وسلم الرايات الا بخيبر وقبلها كانت

الالوية فقط **نعم قال** عياض في مشارقه اللواء الراية

وعليه فلا تجوز في النظم وتلك الراية كانت تسمى العقاب

لانها سودا ولون العقاب أسود وكانت من برد لعايشة

رضي الله تعالى عنها ذكر ذلك كله أهل السير وغيرهم

كالحافظ الدمياطي وغيره وبين عقاب والعقاب

الجناس التام **واما** قول شارحه التي تسمى العقاب بيضا

وانها التي اعطاها لعلي رضي الله تعالى عنه فهو مخالف لما

رايته من كلام أهل السير على انه ناقض ذلك حيث قال

وقوله لها العقاب لواء يحتمل ان العقاب كانت تحوم على الحوم

القتلى كانها رايات لم تنفعهم وهذا احتمال لا يقوله الا

من لم يطلع على ما سبق ان رايته صلى الله عليه وسلم يومئذ سوداء

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه اجمعين

رضي الله تعالى عنه

عليه الصلاة والسلام

بلغ مقابلة

تسمى العقاب ثم يحتمل ان هذه هي التي اعطاها لعلي رضي الله عنه
ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم اعطاه غيرها كما اعطى اثنين بعض
رايتين غير راية علي كرم الله وجهه ونقل أهل السير عن ابن
عباس رضي الله عنه ان عليا رضي الله عنه هو الذي كان معه
لوا النبي صلى الله عليه وسلم في كل زحف وعن سعيد بن المسيب
ان راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد مرط أسود وراية
الانصار يقال لها العقاب وفي هذا نظر لما مر ان الرايات لم
تعرف الا يوم خيبر واما تسمية راية الانصار يوم احد بالعقا[ب]
جرى على ما عليه أهل اللغة ان كل راية تسمى بذلك وعليه فقول
الناظم له العقاب لوا لا تختص بخيبر خلافا لما يوهمه صنيعه

وبريحانتين طيبهما منك الذي أودعتهما الزهراء

واقسم عليك ايضا **بريحانتين** وهما سيدنا الحسن وسيدنا
الحسين رضي الله تعالى عنهما وفي تسميتهما بذلك اقتباس من
قوله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري هما ريحانتاي
من الدنيا وفي رواية ان ابني هذين ريحانتاي من الدنيا
طيبهما حسا ومعنى وفضلهما على غيرهما انما هو حاصل
منك لانهما بضعتان منك مع ما لاحظتهما به من المزايا
والخصوصيات وكان طيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
معروفا مشهورا بين الصحابة يضرب به المثل وان لم
يتطيب بل كانت ام أنس تاخذ من عرقه صلى الله عليه وسلم
ليتطيبوا به لباهر مجده **الذي** نعت لطيبهما

رضي الله عنهم

أودعتهما



أودعتهما بالبناء للمفعول فاطمة **الزهراء** مبتدا خبره ما
قبله وهو الصلة والموصول كذا ذكره الشارح ولا يصح
لخلو جملة الصلة عن عايد للموصول وجوز البناء
للفاعل وان المفعول الثاني محذوف اي الذي الزهراء
أودعتهما اياه وفيه قلاقة وحذف من غير دليل فالصواب
ان الذي نعت للريحانتين بنا وتلميحا بالمذكور أو نحوه
ونظيره ما ذكرته في الذي قوله صلى الله عليه وسلم الذي
رواه أبو داود هذا مني يعني الحسن والحسين
ونظيره ايضا قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا قال
ابو حيان يجوز استعمال الذي بمعنى الذين لكن يجب
كون ضمير الصلة ضمير الجمع اعتبارا بمعناه ثم قال والذي
يختاره اي في قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا انه افرد
لفظا وان كان تحته افراد فيكون التقدير كمثل الجمع الذي
استوقد وقيل في الآية الذي بمعنى الجنس فلا يختص بالواحد
وقيل حذفت نونه تخفيفا وقيل موصوفه لفظ مفرد وكل
ذلك ياتي فيما نحن فيه فاستفده واشار بقوله أودعتهما
الى ما هو من خصايصه صلى الله عليه وسلم ان اولاد بناته
صلى الله عليه وسلم ينتسبون اليه في الكفاءة وغيرها ووجه
تلك الاشارة انه جعل فاطمة مستودعة فهو الذي أودعها
تلك الذرية لتخرج منها منسوبة اليه وسميت بالزهراء
لانها لم تحض كما في حديث رواه النسائي وروى الخطابي

ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث وانما سماها الله
تعالى فاطمة لان الله تعالى فطمها ومحبيها عن النار وقد ذكر الناظم
عليا وفاطمة وابنيهما وياتي ذكر شيء من فضايلهم بلا اسانيد
وقد استوعبتها بذكر اسانيدها وبيان احكامها وما
يتعلق بها في كتابي الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والابتداع
والزندقة الذي لم يؤلف في هذا الباب اجمع منه واخرج
الطبراني والخطيب ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي
في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفي
حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه انه صلى الله
عليه وسلم خطب وهو محاصر الطايف فمما قال اوصيكم
بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي بيده
لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة او لابعثن اليكم رجلا
مني او كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه وقال
هو هذا **توفي** كرم الله تعالى وجهه شهيدا عن ثلاث
وستين سنة ضربه ابن ملجم في جبهته ليلة الجمعة سابع
عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الى صلاة الصبح
بعد ان استيقظ سحرا وقال للحسن انه رأى النبي صلى
الله عليه وسلم الليلة فشكى اليه ما لقي فقال ادع عليهم
فدعا انه يبدله خيرا منهم وانهم يبدلون شرا منه واكثر
من تلك الليلة الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله
ما كذبت ولا كذبت كالليلة التي وعدت ومات ليلة الاحد

واختلف

٢١٨

واختلف في موضع قبره لانه اخفي خوفا من ان تنبشه الخوارج
وفي رواية انهم حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فند الجمل الذي يحمله فلم يدر اين ذهب فلذلك قال
اهل العراق انه في السحاب **كنت تاويهما اليك كما اوت** من الخط نقطيتها الياء
كنت على الدوام **تاويهما** اى تضمهما **اليك** لمزيد محبتك لهما
وشفقتك عليهما **ومن ثم** صح انه صلى الله عليه وسلم
نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر
حتى قطعت حديثي ورفعتهما واخرج الترمذي والطبراني
هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما فاحبهما واحب
من يحبهما والترمذي احب اهل بيتي الي الحسن والحسين
واحمد وابن ماجه والحاكم من احب الحسن والحسين
فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني وجاء من
طرق صح بعضها ابناي الحسن والحسين سيدا شباب
اهل الجنة وابوهما خير منهما وفي قوله وابوهما خير منهما
حجة لما عليه اهل السنة ان الايمة الاربعة افضل
من اهل البيت نعم ما فيهم من البضعة الكريمة لا
يعادله عمل وبه يوجه قول بعض المتاخرين بتفضيل
الحسنين على غيرهما اى من حيث تلك البضعة وان كان
غيرهما ممن ذكر افضل منهما علما وعملا ومعرفة فتامله
كما اوت بالمد فتعين للوزن وان جاز القصر في اصل
الكلمة **من الخط** حال من الفاعل **نقطتيها الياء**

قال

أي ايوا آكايو آاليا لنقطتيهما حال كونها من جملة حروف الخط
وكانه اخذ هذا التشبيه من حديث البخاري عن الحسن
كان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذ بيدي فيقعدني على فخذه ويقعد
الحسين على فخذه الاخرى ويضمنا ثم يقول اني ارحمهما فارحمهما
ومما صح عن اسامة بن يزيد رضي الله تعالى عنهما قال
طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فخرج وهو مشتمل على
شي قلت فما هذا فكشفه فاذا حسن وحسين على وركيه
فقال اللهم هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما
فأحبهما واحب من يحبهما وصح انه صلى الله عليه وسلم
اقبل وقد حمل الحسن على رقبته فقال رجل نعم المركب
ركبت يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو
ووجه التخصيص باليا انها خاتمة الحروف كما انه صلى الله
عليه وسلم خاتم الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا نظر الى ان
الالف أفضل الحروف لانها مادة كل حرف فهي الاخرى في الحقيقة
كما انها الاول كذلك وهكذا شان نبينا صلى الله عليه وسلم
فانه اولهم خلقا ورتبة وآخرهم وجودا وختما فعنصره الكريم
مندرج ومنبث في جميع الانبيا بالفعل تارة بالنسبة لمن في
عمود نسبه وبالقوة اخرى بالنسبة لمن ليس في عموده
هن شهيدين ليس ينسيني الطف مصابهما ولا كربلا
من بيان للزكانين وحينئذ فلا تجريد فيه خلافا لما زعمه
الشارح شهيدين اما شهادة الحسن وكانت ولادته

رضي الله عنه

في نصف

في نصف شعبان سنة ثلاث من الهجرة فسببها ان يزيد
ابن معاوية ارسل الى زوجته جعدة الكندية ان تسمه و يتزوجها
وبذل لها مائة الف درهم ففعلت فمرض اربعين يوما ومات
فبعثت ليزيد بما وعدها به فأبى وفي سنة موته اقوال
والاكثرون انها سنة خمسين وجهد به الحسين ان
يخبره بمن سمه فابى وقال الله اشد نقمة واجد كبدي تقطع
واني لعارف من اين دهيت فيحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشي
ثم قال واقسم عليك ان لا تريق في امري محجمة دم ومن
جملة كلامه لاخيه لما احتضر يا اخي ان اباك استشرف لهذا
الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الى الثلاثة قبله ثم
ولي فنوزع حتى جرد السيف فما صفت له واني والله
ما ادري ان يجمع الله فينا النبوة والخلافة فربما يستخفك
خلفا الكوفة فيخرجونك وقد كنت طلبت من عائشة
ان ادفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابت فاذا مت
فاطلب منها وما اظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا
فلا تراجعهم فلما مات رحمه الله ورضي عنه سأل الحسين عائشة
رضي الله تعالى عنهما وكان مروان يكثر من اذيته فلما مات بكى
في جنازته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه
فقال اني كنت افعل ذلك الى احلم من هذا واشار بيده الى
الجبل وكان مروان هذا اشد الناس بغضا لاهل البيت
وكان هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم ان عبد الرحمن

محجمة

رضي الله عنهما

فقالت نعم وكرامة فمنعهم مروان
لانه كان والي المدينة فلبس الحسين ومن معه
السلاح حتى رده ابو هريرة ثم دفن بالبقيع
الى جنب امه رضي الله عنهما صح

ابن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لاحد مولود الا اتي به النبي
صلى الله عليه وسلم فيدعو له فادخل عليه مروان بن الحكم فقال
هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون وروى ايضا حديثا
من جملة قول عايشة رضي الله تعالى عنها لعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا مروان ومروان في صلبه نعم في الحديث
الصحيح انه صلى الله عليه وسلم سال ربه ان من شتمه او لعنه
او دعا عليه ان يكون ذلك رحمة له وزكاة وكفارة ومن
فضايل الحسن ما صح انه صلى الله عليه وسلم كان يحمله على
عاتقه ويقول اللهم اني احبه فاحبه وصح من احبني
فليحبه وليبلغ الشاهد الغايب اللهم اني احبه فاحبه
واحب من يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه
ثم يدخل فمه في فمه ويقول ذلك وفي اخرى من احبني
واحب هذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم
القيمة وصح انه حج خمسا وعشرين حجة ماشيا وان
الجنايب لتقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم
الله ماله ثلاث مرات وكرمه باهر وحكا بانه فيه الهز ولم
تسمع منه كلمة فحش قط الا قوله مرة عن مخاصمه ليس له عندنا
الا ما رغم انفه وجا من طرق كثيرة بعضها صحيح انه
صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان ابني هذا اي الحسن
سيد وسيصلح الله به بين فيتين عظيمتين من المسلمين
وقد حقق الله له ذلك فان اباه كرم الله وجههما لما توفي

فولي الخلافة

فولي الخلافة بمبايعة اهل الكوفة فكان اخر الخلفا الراشدين
بنص جده صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح الخلافة
بعدي ثلاثون سنة فمدة خلافته هي الستة الاشهر
الباقية وعند مضيها سار الى معاوية في اربعين الفا
فلما ترا الجمعان علم الحسن رضي الله عنه انه لن تغلب احدى الطايفتين
حتى يذهب اكثر الاخرى فرضي بالنزول لمعاوية شفقة على
الامة بشروط قبلها معاوية فنزل له وحينيذ صار
هو الامام الحق وقبل ذلك كان متغلبا لكن لاجتهاده
شهادة الامام الحسين
لم يكن اثما بل ماجورا واما شهادة الحسين رضي الله عنه
وكانت ولادته لخمس خلون من شعبان سنة اربع من الهجرة
ومن فضايله رضي الله تعالى عنه حديث حسين مني
وانا من حسين احب الله من احب حسينا حسين
سبط من الاسباط وفي رواية الحسن والحسين
سبطان من الاسباط وجا من طرق صحح الحاكم بعضها
ان جبريل وفي رواية ملك القطر ولعلهما وافقا ان
جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان الحسين مقتول
واراه من تربة الارض التي يقتل فيها فاعطاه لام سلمة
واخبرها ان يوم قتله يتحول دما فكان كذلك وسماه
صلى الله عليه وسلم ذلك التراب فقال تربة كربلا وفي رواية
فاشار جبريل بيده الى الطف ارض بالعراق بناحية
الكوفة ولا تخالف لان ذلك الموضع يسمى بكربلا وبالطف

قال بعضهم وقال غيره كربلا قريب من موضع يقال له الطف
بقرب الكوفة وروى الطبراني اما حسن فله هيبتي وسؤددي
واما حسين فله جرأتي وجودي والبغوي وغيره سمى هرون
ابنيه شبرا وشبيرا واني سميت ابني الحسن والحسين
وكان العرب لم تسم بهما في الجاهلية فسببها ان يزيد لما
استخلف سنة ستين ارسل لعامله بالمدينة ان يأخذ له
البيعة على الحسين ففر لمكة خوفا على نفسه فارسل اليه
اهل الكوفة ان يأتيهم ليبايعوه ويمحي ما هم فيه من الجور
فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لابيه وخذلانهم
لاخيه وامره ان لا يذهب باهله اذ ذهب فابى فبكى ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما وقال واحسيناه وقال له ابن
عمر نحو ذلك فابى فقبل ما بين عينيه وقال استودعك
الله من قتيل وكذلك نهاه ابن الزبير رضي الله عنهم
بل لم يبق بمكة الا من حزن لمسيره ولما بلغ اخاه
محمد بن الحنفية بكى حتى ملا طستا بين يديه وقدم
امامه مسلم بن عقيل فبايعه من اهل الكوفة اثنا عشر
الفا فارسل اليه يزيد بن زياد بقتله وسار الحسين
غير عالم بذلك فلقي الفرزدق فسأله فقال قلوب الناس
معك وسيوفهم مع بني امية والقضا ينزل من السما
ولما قرب من القادسية تلقاه من اخبره الخبر
وامره بالرجوع فهم بالرجوع فقال اخو مسلم المقتول لا حتى

نأخذ

رضي الله عنهما

رضي الله عنه

رضي الله

نأخذ بثارنا او نقتل ثم سار فلقيه اوايل خيل ابن زياد فعدل
الى كربلا فجهز اليه ابن زياد عشرين الف مقاتل فلما وصلوا اليه
التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فابى فقاتلوه
وكان اكثر مقاتليه المكاتبين اليه والمبايعين له فلما جاءهم
فروا عنه الى عدوه فحارب ذلك العدد الكثير ومعه من اهله
نيف وثمانون فثبت في ذلك الموقف ثباتا باهرا ولولا انهم
حالوا بينه وبين الما ما قدروا عليه ولما استحر القتل
في اهله حتى بلغ خمسين صاح اما ذاب يذب عن حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد بن الحارث رجا شفاعة جده
صلى الله عليه وسلم فقاتل بين يديه حتى قتل ثم فني اصحابه
وبقي بمفرده فحمل عليهم وقتل منهم كثيرا من شجعانهم فكثروا
عليه حتى حالوا بينه وبين حرمه فصاح رضي الله تعالى عنه
كفوا سفهاءكم عن النسا والاطفال فكفوا ثم لم يزل
يقاتلهم الى ان اثخنوه بالجراح لانه طعن احدى وثلاثين
طعنة وضرب اربعا وثلاثين ضربة ومع ذلك غلب عليه
العطش الى ان سقط الى الارض فحز راسه يوم الجمعة
عاشر المحرم عام احدى وستين ووضعه قاتله بين يدي عبيد الله
ابن زياد مبتهجا بكونه قتل خير الناس فامر بضرب عنقه وقال
اذا علمت انه كذلك فلم قتلته وقتل معه من اخوته وبنيه
وبني اخيه الحسن ومن اولاد جعفر وعقيل تسعة عشر
رجلا قال الحسن البصري رضي الله عنه ما كان على وجه الارض

رضي الله عنه

رضي الله عنه ورحمه

لهم يومئذ شبيه وجعل ابن زياد الراس في طست وجعل يضرب ثناياه
بقضيب ويدخله انفه ويتعجب من حسن ثغره فبكى انس رضي الله عنه
وقال كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له زيد
ابن ارقم ارفع قضيبك فوالله لطالما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبل ما بين الشفتين فبكى فاغلظ عليه ابن زياد وهدده
بالقتل فقال لاحدثنك بما هو عليك من هذا رأيت رسول الله
أغيظ
صلى الله عليه وسلم أقعد حسنا على فخذه اليمنى وحسينا على فخذه
اليسرى ثم وضع صلى الله عليه وسلم يده الكريمة على يافوخهما ثم قال
اللهم اني استودعك اياهما وصالح المومنين فكيف كانت
وديعة النبي صلى الله عليه وسلم عندك يا ابن زياد انتهى **ولا عجب**
فان يزيد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغا لا يستكثر
عليه صدور تلك القبائح منه **بل قال احمد** ابن حنبل بكفره
وناهيك به ورعا وعلما يقضيان بانه لم يقل ذلك الا لقضايا
وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده وان لم تثبت عند
رضي الله عنه
غيره كالغزالي فانه أطال في رد كثير مما نسب اليه كقتل الحسين
فقال لم يثبت من طريق صحيح انه قتله ولا امر بقتله ثم بالغ
في تحريم سبه ولعنه وكابن العربي المالكي فانه نقل عنه انه قال
لم يقتل يزيد الحسين الا بسيف جده اي لانه الخليفة والحسين باغ
عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفي فيها بعض اهل الحل والعقد
وبيعته كذلك لان كثيرين اقدموا عليها مختارين لها هذا
مع عدم النظر الى استخلاف أبيه له اما مع النظر لذلك فلا يشترط
موافقة

موافقة احد من اهل الحل والعقد على ذلك ويرد بان هذا
انما هو بعد استقرار الاحكام وانعقاد الاجماع على تحريم
الخروج على الامام الجائر اما قبل ذلك فكان الامر منوطا
بالاجتهاد واجتهاد الحسين رضي الله تعالى عنه اقتضى جواز
او وجوب الخروج على يزيد لجوره وقبائحه التي تصم عنها الاذان
فهو اعني الحسين محق بالنسبة لما عنده ونظير ذلك حال معاوية
مع الحسن قبل نزوله له عن الخلافة ومع علي كرم الله وجهه
فانه كان متغلبا باغيا عليهما لكنه غير اثم لاجتهاده فالحسين كذلك
فتامل ذلك فان كلام الائمة فيه كالمتنافي ولا يزول الاشكال
مطلب ولما دخل قصر الامارة
فيه الا بما قررته فاستفده **ولما** دخل قصر الامارة بالكوفة
امر بالراس فوضع على ترس عن يمينه والناس سماطان ثم انزله
وجهزه مع رؤس اصحابه وسبايا آل الحسين الى يزيد فلما
وصلوا اليه قيل ترحم عليه والمشهور انه جعل ينكت الراس
بالخيزران وجمع بانه اظهر الاول واخفى الثاني **قيل** والعجب
كل العجب من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبي
صلى الله عليه وسلم على اقتاب الجمال موثقين في الحبال والنساء
مكشفات الوجوه والرؤس **ولما** وصلوا الى دمشق أقيموا
على درج الجامع حيث تقام الاسارى والسبي قيل ان يزيد
أرسل براس الحسين وثقله ومن بقي من أهله الى المدينة
فكفن راسه ودفن عند قبر امه بقبة الحسن وقيل اعيد
الى الجثة بكربلا بعد اربعين يوما من قتله ثم سلط الله

على ابن زياد وقومه من قتلهم شر قتلة ولما نزل الذين دسلهم
ابن زياد بالراس اول منزلة جعلوا يشربون بالراس فخرجت عليهم
يد من الحايط فكتبت سطرا بدم • اترجو امة قتلت حسينا •
شفاعة جده يوم الحساب ۝ فهربوا وتركوا الراس ثم عادوا
واخذوه او اخذه غيرهم وقدم به على يزيد ومما ظهر يوم
قتله ان السما امطرت دما وان اوانيهم ملئت دما وان
السما اشتد سوادها لانكساف الشمس حينئذ حتى رؤيت
البخوم واشتد الظلام حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت
وان الكواكب ضربت بعضها بعضا • وانه لم يرفع حجر الا رؤي
تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا
اظلمت ثلاثة ايام ثم ظهرت فيها الحمرة وقيل احمرت ستة
اشهر ثم لازالت الحمرة ترى بعد ذلك وعن ابن سيرين اخبرنا
ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين وقال
ابن الجوزي وحكمة ذلك ان غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق
سبحانه تنزه عن الجسمية فاظهر تاثير غضبه على من قتل
الحسين بحمرة الافق اظهارا لعظم الجناية ليس ينسيني
كل مسلم كامل الايمان الطف اي ذكر ما وقع فيه ومر انه
ارض بالعراق وانه يسمى كربلا وقبره به معروف يزار ويتبرك به
مصابيهما اي مجموعهما على حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
اذ هما انما يخرجان من الملح فقط اي مصاب الحسين لان قتله به
واما قتل الحسن فمر انه كان بالمدينة ولم يكن قتله بالسم ظاهرا
رضي الله عنه

وانما

وانما علم به نزر من الناس ولا كربلا بل كل منهما يذكرني بذلك المصاب
حتى اني اتصور في كل ارض انها هي وظاهره انه مغاير للطف وكان
الناظم لمح بهذا الى ما رواه ابن سعد عن الشعبي ان عليا كرم الله وجهه
لما مر بكربلا عند مسيره الى صفين وقف وسال عنها فقيل كربلا •
فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبكي القصة الاتية في شرح قوله فابكيهم
ما رعي فيهما ذمامك مروس وقد خان عهدك الروسا
ما رعي فيهما ذمامك بالمعجمة اي حرمتك ايها النبي الكريم
مع انه يجب على كل احد رعايتها والوفا بها ولا يحصل ذلك
الا بالقيام بجميع ما لها من العهود والحقوق والحرمة
والجلالة ومن بغض شانيهما واعتقاد انه على غاية من
الحماقة والضلالة والجراة والتهور مروس اي تابع
لجعدة الكندية في الحسن رضي الله عنه وابن زياد واتباعه
في الحسين رضي الله عنه والحال انه قد خان عهدك الروسا
اي المتبوعون من الظلمة الطغاة المتمردين كيزيد للتسبب
في قتلهما لكنهما بمنزلة الشهادة العظمى وباء بخزي الدنيا
والاخرى وقول بعضهم لا ملام على قتلة الحسين لانهم انما
قتلوه بسيف جده الامر بسله على البغاة وقتالهم لا يعول
عليه لان يزيد لم تنعقد بيعته عند الحسين وغيره ممن لم
يبايعوه والمبايعون له مكرهون على البيعة كما هو معروف
وغاية امر يزيد انه جاير فاسق متغلب وحرمة الخروج

على الجابر التي حكي عليها الاجماع محلها بعد استقرار الامور وانقضا
تلك الاعصار واما تلك الاعصار فكان اهلها مجتهدين
فلم يدخلوا تحت خيطة راي غيرهم ولذلك خرج على يزيد ايضا
ابن الزبير ولم يبال ببيعته ولا اعتد بها لجماعة اخرين امتنعوا
منها وهربوا وروى ابن السكن انه صلى الله عليه وسلم قال
وقد اشار الى الحسين ان ابني هذا يقتل بارض العراق فمن
أدركه منكم فلينصره وبه يرد قول البعض المذكور ومما
يرده ايضا ما ترتب على قتل الحسين مما مر بعضه وبين
رعى وخان والمروش والروسا جناس الطباق ٥ فقا
أبدلوا الود والحفيظة في القربى وأبدت ضبابها النا
أبدلوا اى هولاء المذكورون الود بتثليث الواو اي المودة
التي حرضهم الله عليها في الاية الاتية ببغضهم وقتالهم
والحاق الايذا لهم بكل طريق أمكن حتى ان القرمطي سباهم
فابيعت الشريفة في عسكره باربعة دراهم والشريف بدرهمين
لكثرة من سباه منهم وابدلوا ايضا الحفيظة اي الحمية
في نصر القربى ومحبتهم اي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم
وهم أهل البيت النبوي يعني تركوا هذين واخذوا اضدهما
فقطعوا مودتهم وتخلفوا عن نصرتهم ولم يمتثلوا قول
الله تعالى في حقهم الدال على غاية رفعتهم قل لا اسئلكم عليه
أجرا الا المودة في القربى الاية وقد اختلف المفسرون
في القربى والذي جاء عن الحسن بن علي رضي الله عنهما بسند حسن
انهم اهل البيت

انهم أهل البيت فانه خطب الناس خطبة بليغة فيها أنا الحسن
ابن محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال انا ابن البشير انا ابن النذير
ثم قال وانا من اهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم
وموالاتهم زاد في رواية على كل مسلم فقال فيما انزل على محمد
صلى الله عليه وسلم قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى
وفي رواية ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا
قال اقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت وجاء عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما بسند فيه شيعي غال لكنه صدوق انها لما
نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك قال الذي وجبت علينا
محبتهم قال علي وفاطمة وابناهما وروى غيره واحد نحو
ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه واخرج الطبراني عن زين العابدين
انه لما جيء به اسيرا عقب مقتل ابيه الحسين رضي الله عنهما
واقيم على درج دمشق قال بعض جفاة أهل الشام الحمد لله الذي
قتلكم واستاصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له أما قرأت
قل لا اسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى قال وانتم هم
قال نعم ولا ينافي ذلك ما هو المشهور عن ابن عباس واتباعه
من حملها على غير ذلك كما في البخاري وغيره عنه ان المراد الا
ان تودوني يا معشر قريش بقرابتي فيكم وفي رواية عنه
انهم لما أبوا ان يبايعوه انزل الله عليه ذلك فقال صلى الله
عليه وسلم يا قوم اذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي
ولا تؤذوني ويؤيده ان السورة مكية وروايته نزولها

بالمدينة ضعيفة وان امكن نزولها مرتين كما قيل به في الفاتحة
ووجه عدم المنافاة ان من ذكره صلى الله عليه وسلم وخص بقريش
اقتصر على المقصود بالذات ومن ذكر أهل البيت وعمم في كل مسلم
ذكر ما هو المقصود بالتبع فكل من المرادين صحيح من غير منافاة
ولا تعارض بينهما **ومن ثم** كان ابن جبير وهو أجل تلامذة ابن
عباس يفسر تارة بهذا وتارة بهذا **وفي** رواية عن ابن عباس
رضي الله عنهما موادة رسوله واهل بيته وادعا نسخ الاية قول
مرذول لا يلتفت اليه فلا يجوز اعتقاده كما قاله البغوي
وغيره وقد صح خلافا لما وهم فيه ابن الجوزي حديث
أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل
واحبوا أهل البيت لحبي **وصح** ايضا ما بال اقوام يتحدثون
فاذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا احديثهم والله لا يدخل
قلب رجل الايمان حتى يحبهم لله تعالى ولقرابتهم مني **وفي**
خبر احمد انه صلى الله عليه وسلم قال لمن اشتكى عليا والله لقد اذيتني
ثم قال من أذى عليا فقد أذاني **وروى** احمد والترمذي
حديث من أحبني واحب حسنا وحسينا واباهما وامهما
كان معي في الجنة زاد ابو داود ومات متبعا السنة وبها
يعلم بطلان قول الرافضة تنفع محبتهم مع مخالفة السنة
وابدت أي اظهرت **ضبابها** عائد لفاعل ابدت واراد
بالضباب اليرابيع لان النافقا لا تكون الا لها **النافقا**
هي احدى حجرتي اليربوع يكتمها ويظهر غيرها حتى لا يصاد

ولا منافاة لان موادة الله ايضا لان من جملة موادته تعالى صح

وهو موضع من حجره يجعل الحاجز بينه وبين الفضا قريبا جدا
حتى اذا دخل عليه من الجحرة الاخرى المسماة بالقاصعا ضرب
النفقا برأسه فانشق وخرج هاربا منه ولهذا يقال نفق اليربوع
تنفيقا ومنه اشتقاق المنافق في الدين كما في الصحاح وفي
النظم تشبيه المكرة بالحسنين حتى فعلوا معهما ما فعلوا باليربوع
في مكره المذكور فهو استعارة تصريحية وفي ذكر النافقا استعارة
ترشيحية أو تشبيه ما عند اولئك من النفاق بالنافقا بالجامع
الاتي فهي حينئذ استعارة مفردة رشحت بذكر الضباب
أو تشبيه النافقا بما عند اولئك من النفاق الذي حملهم على
ان فعلوا بآل النبي ما فعلوا فتشبيه النفقا بنفاق اولئك
استعارة بالكناية والجامع ان النافقا يظهر اليربوع منه
فيهرب من صياده وكذلك نفاق اولئك أظهرهم حتى هربوا
من الدين وفعلوا ما فعلوا واثبات اليربوع استعارة تخييلية
ويصح أن يكون استعارة بالكناية ايضا لتشبيه الضباب
باولئك في المكر واضافتهم الى ضمير النافقا تخييلية ○
وقست منهم قلوب على من بكت الارض فقدهم والسماء
وقست أي غلظت واشتدت **منهم** أي المكرة الفجرة
المذكورين وهو حال من قوله **قلوب** فوصل اليهما والى ذريتهما
منهم غاية الايذاء والاستهانة بحقهم الواجب رعايته عليهم
ولم تلن لهم تلك القلوب قط لان الله تعالى اراد لها الشقاوة
والعذاب الاليم **على من** أي اولئك الائمة الذين هم بدور

الدنيا ومن ثم قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في الذين قتلوا مع الحسين
من أهله ليس لهم شبيه على وجه الارض بكت الارض فقدهم
والسما وهذا اقتباس من مفهوم قوله تعالى فما بكت عليهم
السما والارض اذ مفهومه ان المؤمن تبكي عليه السما والارض
بمعنى انهما يتأسفان على ما فاتهما من اعماله وثوابها اما الارض
فمحال سجوده وعباداته واما السما فمحال مصاعد اعماله واذا
كان هذا في مطلق المؤمنين كما علم من الاية فما بالك بآل البيت
النبوي والسر العلوي ويصح ان يكون المراد ببكائهما بكاء
أهلهما وهو واضح لكن الاول ابلغ ولا مانع من حمله على الحقيقة
لانه ممكن وورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره الا بدليل
فابكهم ما استطعت إن قليلا في عظيم من المصاب البكاء
فابكهم أيها السامع للخطاب ما استطعت اي مدة دوام
استطاعتك تأسيا بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ثم بجبريل ثم
علي روى ابن سعد عن الشعبي قال مر علي كرم الله وجهه ورضي عنه
بكربلا عند مسيره الى صفين فوقف وسال عن اسم هذه الارض
فقيل له كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال كان عندي
جبريل انفا واخبرني ان ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات
بموضع يقال له كربلا ثم قبض جبريل قبضة من تراب شممني اياها
فلم املك عيني ان فاضتا واخرج الترمذي ان ام سلمة
رأت النبي صلى الله عليه وسلم باكيا وبراسه ولحيته التراب فسألته

أي مناما

فقال قتل الحسين

رضي الله عنه

فقال قتل الحسين انفا وكذلك رواه ابن عباس رضي الله عنهما
نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه
فسأله فقال دم الحسين وأصحابه لم ازل اتتبعه منذ اليوم
فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم فان قلت الامر
بالبكا ينافيه الحديث الصحيح فاذا وجبت فلا تبكين باكية
ومن ثم قال أئمتنا يكره البكا بعد الموت قلت ليس المراد
بالبكا المأمور به هنا حقيقته بل لازمه من التأسف والحزن
على ما حصل للدين وأهله من استباحة حرم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودم بنيه وأهله ومن غاية الاستهان
بحقهم والفرح بمصابهم ومن زوال انوار النبوة وعلومها
وتقاها وزهدها وكمالاتها بفقدهم وذلك كله مصاب لا
يساويه مصاب فحق لكل احد ان يحزن على ذلك ويتأسف
عليه وأن يأمر به غيره ويدعو اليه فان قلت كيف نهى
صلى الله عليه وسلم عن البكا وبكى كما في الحديث المذكور قلت
المنهي عنه البكا الاختياري والذي وقع منه صلى الله عليه وسلم
لعله اضطراري او بيان للجواز او اطلق منه البكا على مجرد
دمع العين وهو لا كراهة فيه ومن ثم فعله صلى الله عليه
وسلم على ابن لاحدى بناته قيل له ما هذا اي وقد نهيت
عن البكا فقال انها رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحما
فتبين ان مجرد دمع العين لا محذور فيه ولا كراهة فتأمله
ثم تمم ما أمر به من البكا بما يصلح ان يكون دليلا حاملا

عليه فقال ان جزا قليلا اى قليل في مقابلة عظيم من المصاب
لاسيما مصاب الامة بالحسنين واهل بيتهما رضى الله تعالى
عنهم اجمعين وبين قليل وعظيم طباق وفيه اشتقاق
ورد العجز على الصدر البكا وان كثر وهو الصوت
الذي يكون مع الدمع واما المقصود فهو الدمع فقط وغير
القليل قتل قاتليهم ودوام نصرتهم باشادة ذكرهم
وادامة الثنا عليهم والرد على اعدائهم وغير ذلك
كل يوم وكل ارض لكربي منهم كربلا وعاشورا
كل يوم وكل ارض لكربي اى لاجل ما حصل لي من الكرب
وهو الغم الذي ياخذ النفس بحيث تخشى من لها منهم اى بسبب
ما حصل لهذين الامامين واهل بيتهما من القتل والاسر
والسب ولايذا كربلا راجع لكل ارض وعاشورا راجع
لكل يوم ففيه لف ونشر مشوش اى زادني ذلك الكرب
حتى ان كل ارض حللت بها تصورت انها الارض التي قتل فيها
الحسين وكل يوم اصبح على تصورت انه يوم عاشورا الذي
قتل فيه فكربي عم فيه من الازمنة والامكنة فلا يفارقني
بالانتقال من ارض لاخرى ولا من زمن لاخر وبين كربي
وكربلا جناس شبه الاشتقاق كهو او جناس الاشتقاق
في تاوي داوبت وفوضت وتفويضي وطبتم وطاب
وسدتم وسودتني وفزر والزورا والقاسم واقسامي
وابكيهم والبكايا آل بيت النبي ان فؤادي ليس بسليه عنكم النسا

جمع انا

الآية

آل بيت النبي وهم مومنو بني هاشم والمطلب وهم المذكورون
في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا واكثر المفسرين انها نزلت في علي وفاطمة
والحسنين رضى الله تعالى عنهم وقيل نزلت في نسايه صلى الله
عليه وسلم ونسب لابن عباس وكان مولاه عكرمة ينادي به
في السوق ورد بتذكير ضمير عنكم وما بعده وقال جمع نزلت
فيهما ورجح جمع بانهن سبب النزول فيدخلن قطعا
ويدل له ما صح عن ام سلمة قلت يا رسول الله انا من اهل
البيت قال بلى ان شا الله ولدخول آل البيت خبر مسلم
انه ادخل اوليك الاربعة تحت كسا وقرا الاية وصح
انه صلى الله عليه وسلم جعل هولا تحت كسا وقال اللهم هولا
اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
وفي حديث حسن انه صلى الله عليه وسلم اشتمل على العباس وبنيه
بملاة ثم قال يا رب هذا عمي وصنو ابي وهولا اهل بيتي
فاسترهم من النار كستري اياهم بملاتي هذه فقالت
اسكفة الباب وحوايط البيت امين ثلاثا فعلم ان
المراد باهل البيت في الاية اهل بيت سكنه صلى الله عليه
وسلم وهن امهات المومنين واهل بيت نسبه وهم مومنوا
بني هاشم وبني المطلب وصح هذا عن زيد بن ارقم والاشهر
ان هولا هم المذكورون في قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
وقيل المراد باله هنا كل مومن واختير وخبر آلي كل مومن

اله ح

تقى ضعيف بالمرة • وآل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة •
هم المرادون في جميع ما جا في فضل أهل البيت أو الآل أو
ذوي القربى • واولئك الاربعة هم المرادون في اية المباهلة
كما يصرح به ما صح عنه صلى الله عليه وسلم فيها **ان فوادي**
اي قلبي **لبيس** فعل جامد معناه مضمون الجملة في الحال ونفي
غيره بالقرينة وقيل هي لنفي الحال وغيره وقواه ابن الحاجب
بقوله تعالى الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم • قال ابن مالك وترد
للنفي التام المستغرق المراد به الجنس كلا التبرئة وهو مما
يغفل عنه وخرج عليه ليس لهم طعام الا من ضريع انتهى •
ويصح إرادة هذا المعنى الاخير في النظم **بسلبه عنكم**
اليناسا بعوقيه اولدائه ما يحصل لي من الشدايد والمحن
وفي القاموس تاساه اذاه واستخف به بل محبتكم مقيمة فيه
على الدوام لا تزلزلها محنة • ولا تنقصها شدة • وفي الحديث
والذي نفسي بيده لا يومن عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى
يحب ذوي انا حرب لمن حاربهم • سلم لهم • وعدو لمن
عاداهم • الا من اذى قرابتي فقد اذاني • ومن اذاني فقد
أذى الله تعالى • وفي الحديث انا تارك فيكم ما ان تمسكتم
به لن تضلوا كتاب الله تعالى وعترتي • فتامل كونه صلى الله
عليه وسلم قرنهم بالقرآن • في ان التمسك بهما يمنع الضلال
ويوجب الكمال • واشار الى ان ما عنده ملازم له لا
يفارقه بسلو ولا تسل ولا عتبرهما من الوفا بحقهما

العام

وسلم لمن

والتحزن

والتحزن • والتحسر لمصابهما انما هو مع تفويضه الامور الى
باريها كما قال **غيراني فوضت أمري الى الله وتفويضي الامور برآء**
غير اي الا اني فهو استثنا منقطع **فوضت أمري** في ذلك كله
الى الله الفاعل لما يشاء • والمقدر لما يريد لا يسال عما يفعل
وهم يسألون **وتفويضي الامور** الى من هو مقدرها
ومريدها **برآء** اي مبرئ للمفوض كذلك اعتمادي على شي من
حوله وقوته وذلك متعين على كل مسلم فضلا عن كامل
ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله براءة
من الشرك وكنز من كنوز الجنة • وفي فوضت وتفويضي جناس
الاشتقاق • وجملة تفويضي الخ تذييل **رب يوم بكربلا امسي**
رب للتقليل **يوم بكربلا امسي** باعتبار ما وقع فيه من
قتل الحسين ومن معه بها **خففت بعض وزره** اي
فعل ذلك الخطب الجسيم والمصاب العظيم على النفوس
التي عندها غيرة لآل البيت النبوي **الوزرآ** فيها مع
وزره شبه الاشتقاق • وهي ناحية ببغداد اي ما وقع
من خلفايها بني العباس الذين هم من جملة آل البيت من
أخذهم ببعض ثار ابن عمهم الحسين • وغيره من آل البيت
بالخروج على بني امية لانهم عاثوا وجاروا ولم يرقبوا
الله ولا رسوله طرفة عين في آل البيت الطاهرين
المطهرين الكاملين الجامعين بين العلوم الشرعية •
والمعارف الربانية • والاسرار الالهية • والكرامات الباهرة

غيراني فوضت أمري الى الله وتفويضي الامور برآء

رب يوم بكربلا امسي خففت بعض وزره الفدحآ

والمعاني الفاخرة ثم نزع الخلافة منهم بعد ان نصرهم الله عليهم
فقتلوهم اشر قتلة كما قال والاعادي كان كل قتيل منهم
الزق حل عند الوكا والاعادي الذين هم اوليك
الفسقة الفجرة كان كل طريح اي مطروح منهم الى الارض
ببوارق السيوف ولوامع الاسنة الموجهة لتوالي الحتوف
الزق المنتفخ الملقى بالارض الذي حل عند الوكا وهو ما يشد
به راس الزق ولا زالوا يتبعونهم حتى قطعوا دابرهم
عن اخرهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب
العالمين وهذه القصة مبسوطة في التواريخ كتاريخ
الخلفا للسيوطي ثم في اختصاري له فعليك بطلبها من
محلها ان شئت آل بيت النبي طبتم فطاب
المدح لي فيكم وطاب الرثا يا آل فهو منادى
واصله اهل ابدلت الها همزة ساكنة وقبلها همزة
محركة فابدلت الساكنة الفا على القاعدة ولا يضاف
الال الى الاشراف كما هنا وانما قيل آل فرعون لانه
كان متصورا بصورة الاشراف ببيت النبي ثم
انتقا بيانهم طبتم اصولا ونفوسا وافعالا واقوالا
وصفات وظاهر النظم ان المراد بالطيب في وبريحانتين
طيبهما مسك غير المراد به هنا وهو محتمل ويحتمل انه
في الموضعين للطيب ظاهرا وباطنا وان الطيب ثم
لنا وهنا للباقين فهو الوجدان ذاك في خصوصهما

وهذا

وهذا في عموم اهل البيت كما دلت عليه الاية السابقة انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اذ هي
منبع فضايلهم لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتنا بشانهم
حيث ابتديت بانما المفيدة لحصر ارادته تعالى اذهاب
الرجس عنهم وهو الاثم او الشك فيما يجب الايمان به
وتطهيرهم من سائر الاخلاق والاحوال المذمومة وسيأتي في
احاديث تحريمهم على النار وهو فايدة التطهير وغايته اذ منه
الهام الانابة الى الله تعالى وادامة الاعمال الصالحة ومن
ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت
ملكا عضوضا ولذا لم تتم للحسن عوضوا عنها الخلافة
الباطنة حتى ذهب قوم الى ان قطب الاوليا في كل زمن
لا يكون الا منهم وحكمة ختم الاية بتطهيرا المبالغة في
وصولهم لاعلاه وفي رفع التجوز عنه ثم تنوينه تنوين
التعظيم والتنكير المشير الى انه تطهير بديع ليس من جنس
ما يتعارف ويولف ثم اكد ذلك صلى الله عليه وسلم
بقوله عليه الصلاة والسلام وقد جعل على علي وفاطمة
والحسنين كسا وقرا الاية اللهم هولا اهل بيتي اذهب
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي رواية اللهم ان
هولا آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد
انك حميد مجيد وفي اخرى اللهم اهلي اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا وصح حديث

انّ مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها
هلك. وحديث خيركم خيركم لاهلي من بعدي. وحديث سالت
ربّي ان لا أتزوج الى احد من امّتي ولا يتزوج الى احد من امتي
إلا كان معي في الجنة. فأعطاني ذلك. وحديث واحبوني
لحب الله واجعلوا أهل بيتي لحبي. وحديث انا حرب لمن
حاربهم وسلم لمن سالمهم. قاله لعلي وفاطمة وابنيهما
وحديث إن لكل بني اب عصبة ينتمون اليها الا ولد
فاطمة فانا وليهم وعصبتهم. وهم عترتي خلقوا من طينتي
ويل للمكذبين بفضلهم من أحبهم أحبه الله. ومن ابغضهم
أبغضه الله. وحديث والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل
البيت أحد الا كبّه الله في النار **فطاب المدح لي فيكم**
وان لم أستوف واجب حقكم ومعالي شرفكم لانّ الله تعالى
ورسوله أثنيا عليكم بما تنقطع الاعناق دون الوصول
الى غايته أو الاحاطة بشيء من نهايته. **وطاب** لي فيكم
الرثا وهو تعداد محاسن موتاكم وفي طبتم وطاب
الاشتقاق. والمدح والرثا الطباق **أنا حسان مدحكم**
فاذا نحت عليكم فانني الخنساء ن أنا حسان مدحكم
أي أنا المشبه في الاعتنا بمدحكم على أقصى ما يمكن من
وجوه البلاغة وقوانين الفصاحة بحسان بن ثابت
شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان ينصب
له منبرا في مسجده ينافح عليه كفار قريش ويرد عن

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو له بقوله اللهم أيده بروح
القدس ومن بلاغته انه لما اراد أن يهجو قريشا أخبره النبي
صلى الله عليه وسلم بانه ما من بطن من بطون قريش الا وله
اليها قرابة فقال لأسلنّك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين
ورآه عمر رضي الله عنهما ينشد شعرا في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنظر اليه شزرا فقال كنت انشد فيه بين يدي
من هو خير منك. وهو يقول اللهم أيده بروح القدس ثم استشهد
ببعض الصحابة على ذلك فشهدوا له به. **فاذا نحت عليكم**
اي رفعت صوتي بالبكا **فانني الخنساء** بنت عمرو بن الشريد
من سراة قبائل منهم قيس عيلان قيل قدمت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع قومها بني سليم المؤلفين له صلى الله عليه
وسلم ولذا احضر معد منهم فتح مكة وحرب حنين الف
رجل ونظرت عايشة رضي الله تعالى عنها ثوب الحزن. عليها
فأخبرتها بانه صلى الله عليه وسلم نهى عنه. فاعتذرت بانها
لم تعلم بالنهي ثم ذكرت سببه. وهو انّ زوجها افتقر
فسألت اخاها فقاسمها ماله. فافتقر فسألته فقاسمها
ماله ثم الثالثة كذلك ثم الرابعة فعنّفته زوجته
فاجابها بانها كفته عارها ولو هلك مزّقت خمارها
ولبست من شعر صدارها قالت فلما هلك اتخذت هذا
الثوب. قيل لجرير من أشعر الناس قال أنا لولا هذه
قيل له بما فضلتك قال بقولها شعر.

إنّ الزمان وما تفني عجائبه • أبقى لنا ذنبا واستوصل الرا
أبقى لنا كل مجهول وفجعنا • بالحالمين فهم هام وأرماس
إنّ الجديدين في طول اختلافهما • لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وأجمع علماء الشعر انه لم تكن امراة قبلها ولا بعدها أشعر منها
أي فانني مشبهها في نوحها على أخيها ورثائها له بالمعاني البديعة
والمباني البليغة • ومجامع الثنا • وجوامع الرثا • ومنه

ألا يا صخر ان ابكيت عينا • لقد أضحكتني دهرا طويلا
اذا قبح البكا على قتيل • رأيت بكاك الحسن الجميلا

وقالت ايضا • يؤرقني التذكر حين أمسي •
ويردعني عن الاحزان نكسي • على صخر وأي فتى كصخر •
ليوم كريهة وطعان حلس •

الى ان قالت

وما يبكون مثل أخي ولكن • أعزي النفس عنه بالتأسي •
أعيني جودا ولا تجمدا • الا تبكيان لصخر الندى •
ألا تبكيان الجري الجميدا • ألا تبكيان الفتى السيدا •
طويل النجاد رفيع العماد • ساد عشيرته أمردا •
وإنّ صخرا لتأتم الهداة به • كأنه علم في رأسه نار •

وسأل الخليفة المهدي المفضل عن أفخر بيت قالته العرب
فذكر له هذا فأعطاه ثلاثين الف درهم بعد أن شكي
انّ عليه دينا عشرة آلاف درهم • ورآها عمر رضي الله عنه
تطوف باكية لاطمة خدها معلقة نعل صخر في خمارها
فوعظها فقالت رزيت فارسا لم يرزأ أحد مثله فقال

الى ان قالت
نحر
ومنه وقالت ايضا
ومنه

ادرى ان الناس

٢٠١

انّ في الناس من هو أعظم رزية منك وانّ الاسلام قد غطى ما كان
قبله • واذا لا يحل لك لطم وجهك • ولا كشف رأسك • فكفت •
وحضرت حرب القادسية مع بنيها أربع رجال فحرضتهم
على الثبات أبلغ تحريض ثم قالت فاذا رأيتم الحرب قد شمرت
عن ساقها • وجللت نارا على أرواقها • فتيمموا وطيسها •
وجالدوا رئيسها • تظفروا بالغنيم والكرامة • في دار الخلد
والمقامة • فتقدموا حتى قتلوا كلهم • فقالت الحمد لله
الذي شرفني بقتلهم • وأرجو أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة •
وكان عمر رضي الله تعالى عنه يعطيها أرزاقهم لكل ما يتان
حتى قبض رضي الله عنهم • سدتم الناس بالتقى وسواكم سودته البيضا والصفر
سدتم الناس اما الحسنان أو ذريتهما فالمراد بالناس
بالنسبة اليهم الكل لكن بالنسبة لما فيهم من البضعة
الكريمة التي لا يعادلها شيء • وأما بقية آل البيت فالمراد
الناس بالنسبة اليهم من عدا الصحابة هذا كله بالنظر
الى النسب • وأما بالنظر الى السيادة بالتقى فهو خاص
بالمتقين منهم • وخصهم بذلك لانه جاء عن كثير منهم
من التقوى والزهد • والعبادة والعلم والمعرفة •
ما لم يجئ عن غيرهم • وبهذا انجاب عما يورد على النظم
انّ السيادة من حيث التقى لا تختص بهم • والكلام انما
هو فيما اختصوا به • ووجه الجواب تميزهم على أكثر الناس
بتقى لم يصل اليه غيرهم • والمعنى كما سدتم الناس بالنسبة

سدتموهم بزيادة التقى الذي لا يوجد في غيرهم ومن
ان جماعة قالوا ان القطب لا يكون الا منهم ومع ذلك
كله ففي النظر اليهما مر الآن يقال سيادتهم الناس بالنسب
أشهر من أن تذكر ودليل الأول أعني السيادة من
حيث النسب الذي هو أشرف الانساب اية المباهلة
قال بعض محققي المفسرين فيها لا دليل اقوى من هذا على
فضل فاطمة وعلي وابنيهما رضي الله تعالى عنهم
اى لانها لما نزلت دعاهم صلى الله عليه وسلم فاحتضن الحسن
وأخذ بيد الحسين ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفهما
فعلم انهم المراد من الآية وان أولاد فاطمة وذريتهم
يسمون أبناءه وينسبون اليه نسبة حقيقية نافعة في
الدنيا والآخرة ويدل لذلك ما صح انه صلى الله عليه وسلم
خطب فقال ما بال اقوام يقولون ان رحم رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ينفع قومه يوم القيمة بلى والله ان
رحمي موصولة في الدنيا والآخرة الحديث واخرج الطبراني
حديث ان الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وان
الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب وروى
غيره نحو ذلك من طرق وفي بعضها زيادة اذا كان
يوم القيمة دعي الناس بأسماء أمهاتهم سترا من الله عليهم
الا هذا وذريته فانهم يدعون باسمائهم لصحة ولادتهم
وذكر ابن الجوزي ذلك في العلل المتناهية مردود بأن

كثرة

كثرة طرقه ترقيه الى درجة الحسن بل الصحة ويؤيده ما
صح عن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كل سبب ونسب ينقطع يوم القيمة ما عدا سببي
ونسبي وفي رواية زيادة الصهر والحسب وكل بني
انثى عصبتهم لابيهم ما عدا ولد فاطمة فاني انا ابوهم
وعصبتهم وجاء في حديث آخر بسند رجاله أكابر اهل
البيت ان عمر قال ذلك لما زوجه علي بنته من فاطمة
ام كلثوم وانكار جماعة من متأخري أهل البيت ان عليا لم
يزوجها لعمر ليس في محله واقرو الصحابة لعمر على هذا
الاستدلال صريح في رد ما عارضه من أقاويل شاذة
في هذه المسألة لا سيما ما لبغض بني امية في ذلك
ودليل الثاني اعني النظر الى السيادة بالتقوى ما صح
انه لما نزل في قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين
دعا صلى الله عليه وسلم جميع بطون قريش فعم
وخص وقال للكل لا أغني عنكم من الله شيئا غير ان
لكم رحما سأبلها ببلالها أي سأصلها بصلتها ومعنى
ذلك انه لا يملك لأحد نفعا ولا ضرا لكن الله يملكه
نفع اقاربه بل وامته بشفاعته الخاصة والعامة
واخرج الطبراني حديث ان أهل بيتي هؤلاء يرون انهم
أولى الناس بي وليس كذلك ان أوليائي منكم المتقون
من كانوا وحيث كانوا وصحح الحاكم حديث وعدني ربي

فى أهل بيتى من أقرّ منهم بالتوحيد وبالبلاغ ان لا يعذبهم وأخرج
احمد حديث والذي بعثني بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة
ما بدأت الا بكم وجا فى احاديث ضعيفة انّ فاطمة احصنت
فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وفى رواية انّ عليا قال
يا رسول الله لم سميت فاطمة قال لانّ الله تعالى فطمها وذريتها
عن النار نعم اخرج الطبراني بسند رجاله ثقات انّ الله غير
معذبك ولا احد من ولدك وورد يا عباس انّ الله
غير معذبك ولا أحدا من ولدك ولا ينبغي لأحد من آل البيت
ان يغتر بذلك لانه استفيد من قوله صلى الله عليه وسلم
فى الحديث السابق انّ أهل بيتى هولاء يرون انهم أولى الناس بي
وليس كذلك انّ أوليائي المتقون الخ وحديث البخاري
ومسلم انّ آل بني فلان ليسوا الىّ بأولياء انما وليي الله
وصالح المومنين انّ نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين
من اهل بيته فان لم ينتف لكن ينتفي عنهم بسبب عصيانهم
ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب اليه صلى الله
عليه وسلم بارتكابهم ما يسوءه صلى الله عليه وسلم عند عرض
عملهم عليه ومن ثم يعرض صلى الله عليه وسلم عن بعض من يقول
منهم فى القيامة يا محمد يريد ان يشفع له فيقول صلى الله عليه وسلم
لا املك لك من الله شيا الحديث وتامل قول الحسن بن الحسن
السبط رضى الله تعالى عنهما لبعض الغلاة فيهم ويحكم أحبونا
لله تعالى فان أطعنا الله فاحبونا وان عصينا الله فابغضونا

كما في

ونحكم

224

ويحكم لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغير عمل بطاعته لنفع ذلك من هو أقرب اليه منا اي كابي
طالب والله انى اخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب
ضعفين وان يوتي المحسن منا أجره مرتين وكانه اخذ ذلك
من قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة
يضعف لها العذاب ضعفين **وقال** موسى بن علي
ابن الحسين بن علي عن أبيه عن جده انما شيعتنا من اطاع
الله وعمل أعمالنا وبه يعلم انّ الفرقة المسماة بالشيعة
ليسوا من شيعة آل البيت وانما هم من شيعة ابليس
لعنهم الله كما فى الحديث الذي رواه الدارقطني وقال
انّ له عنده طرقا كثيرة يا أبا الحسن انت وشيعتك
فى الجنة وانّ قوما يزعمون انهم يحبونك يصغرون
الاسلام ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية
لهم نبز يقال لهم الرافضة فان أدركتهم فقاتلهم فانهم
مشركون **وفى** رواية قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم
قال لا يشهدون جمعة ولا جماعة ويطعنون على السلف
وسواكم الذين يدعون سيادة وينفقون عليكم كسفها
بني امية أو المراد وسواكم اي غيركم الذين يعملون بعملهم
لا سيادة لهم فى الدين أصلا بل ولا فى الدنيا عند الكمل
وانما سودته عند الجهلا امثاله وافرد الضمير نظرا
للفظ سوى البيضا اي الفضة البيضا والصفرا اي الذهب

اى طمع الناس فى حالة هذين لشدة الاحتياج والتطلع اليهما اكثر
من غيرهما وفى سدتهم وسودته الاشتقاق والبيضا والصفرا
البذيخ **وبأصحابك الذين هم بعدك فبنا الهداة والأوصيا**
و اقسم عليك **بأصحابك** جمع صاحب وهو من اجتمع مؤمنا
ولو طفلا واعمى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى حياته مؤمنا
ومات مؤمنا وحذف الشارح كشيخه الجلال المحلى رحمهما
الله تعالى لهذا الاخير فيه نظر وابهام وان وقع فى صنع
احمد بن حنبل رضى الله عنه فى مسنده ما يؤدى ذلك كما
بينته فى محل اخر **الذين هم بعدك فبنا الهداة** أي
الدالون للامة على الله تعالى بما يجب له ويجوز ويستحيل
عليه وعلى رسوله كذلك وعلى شريعته وعلى تهذيب النفوس
وكمال الاخلاق والجهاد فى سبيل الله تعالى وغير ذلك مما يليق
بكل مما ذكر وهذا مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم اصحابى
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم واستخلص من هذا المقام اخص
اوداه بذلك فقال اقتدوا بالذين من بعدي ابو بكر وعمر
والأوصيا أى الذين وصيتهم بالقيام بامور الدين والجماعة
عليهما ففتحوا الامصار والبلاد وساسوا الأمة ونشروا فيهم
علوم الكتاب والسنة حتى خضعت الروس لعمايتهم وبادوا
أهل الزيغ عن آخرهم فلم يبق منهم رئيس ولا مرؤس وانما حملت
الأوصيا على ما ذكر ردا على من زعم انه صلى الله عليه وسلم وصى
بالخلافة لابى بكر وعلى ووجه الرد ان الذى دلت عليه صرايح السنة

ووقع

ووقع عليه اجماع من يعتد به انه صلى الله عليه وسلم لم يوص فى امر
الخلافة بشئ صريح والا لهلكت الامة لو خالفوا ذلك النص
فاقتضت المصلحة العامة وشفقته صلى الله عليه وسلم على امته
ان لا ينص عليها صريحا وانما اشار صلى الله عليه وسلم بها لابى بكر
باشارات تقرب من الصريح كما بينتها فى الكتاب السابق ذكره
ولعل تلك المصلحة التى ذكرناها فى عدم التصريح هى التى ظهرت
له صلى الله عليه وسلم لما طلب فى مرض موته دواة وقرطاسا
ليكتب فيه ما لا يضلون معه فكثر عنده اللغط فمن مريد الكتابة
ليقع التصريح وينقطع العذر ومن مريد عدمها كعمر خشية
من مخالفة النص المؤدية الى هلاك المخالف فلذا ترك صلى الله
عليه وسلم الكتابة والدليل على انه انما ترك لمصلحة انه مكث بعد
ذلك المجلس اياما ولم يذكر ذلك ولا طلبه ولو كان فيما طلبه
مصلحة عايدة على احد لم يترك ذكره وان وقع أعظم مما
وقع فسكوته صلى الله عليه وسلم اوضح دليل على ما تقرر
أحسنوا بعدك الخلافة فى الدين وكل لما تولى ازا
أحسنوا بعدك اى بعد وفاتك **الخلافة** عنك **فى الدين**
بالقيام بجميع ما يجب او يحسن مراعاته من الامور الظاهرة
والباطنة حيث أجمعوا على استخلاف ابى بكر رضي الله عنه
ثم على استخلافه لعمر ثم على استخلاف أصحاب الشورى لعثمان
ثم على مبايعة على ثم ابنه الحسن ثم نزول الحسن لمعاوية
على ولاية معاوية رضى الله تعالى عنهم وحيث نضبق الكلم

نفوسهم لمجاهدة الأعداء ولنشر العلوم إلى أن تحملها عنهم التابعون
ثم من بعدهم جزاهم الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خيراً
وكل منهم لما تولاه في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته
من الخلافة او الامرة أو القضاء أو تجهيز الجيوش وحفظ
الثغور والحصون وغير ذلك من امور الدنيا والدين على أن
جميع أمورهم إنما كانت للدين لا غير **إزاء** بكسر الهمزة ككتاب
وبالزاي أي قيم بما تولاه أهله في أي بقعة او زمن كان كيف
وهم جميع عدول كما نطق به القرآن **ومن** وقعت منه هفوة فقد
كفرت عنه بحد أو توبة **أغنيا نزاهة فقرا علما أيدا أئمة**
أغنيا نزاهة أي من جهة النزاهة والتعفف عن جميع المال
وإن كان من جهة يقطع بحلها لأن محط نظرهم إنما هو التجرد
المطلق عن سائر القواطع عن الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم
ليس الغنى بكثرة العرض أي المال وإنما الغنى غنى النفس أي بالله
عما سواه سواء كان بيدها مال أم لا ومن كان منهم بيده
مال كابن عوف وعثمان والزبير رضي الله عنهم فإنما كان خازناً لله تعالى
يصرفه في مصارفه الشرعية فهو مقتنيه لا للفخر والمباهاة
ولا لمحبة جمع ذلك الحطام الفاني ولذلك جاء أن عبد الرحمن بن
عوف أعتق ثلاثين ألف رقيق وتصدق هو وعثمان في غزوة
تبوك بما يبهر العقل وكان للزبير ألف عبد تؤدي إليه
الخراج وما مات إلا وعليه قدر كثير جداً من الديون وكون
المخلف عن ابن عوف ربع ثمنه ثمانون ألف دينار لا ينافي ما

تقرر

٢٢٥

تقرر أنه إنما كان خازناً لله تعالى لأن الخازن ليس معناه أنه
يخرج جميع ما في يده دفعة بل يبقيه ويخرج منه ما هو المطلوب
منه في كل حال أو زمن **وأما** إخراجه صلى الله عليه وسلم لجميع ما
كان يدخل في يده دفعة فهو إما لاحتياجه لذلك لسد
ضرورات أصحابه أو لأن حاله في الأمور الخارقة للعادة
لا يقدر غيره على التأسي به فيها فلا يكلف بذلك وتخلف
ابن عوف عن الفقراء في دخول الجنة الوارد إنما لكونه يقف
ليشفع أو ليسأل سؤال تكريم عما أنعم به عليه أو جبراً
لخاطر الفقراء بذلك وكل ذلك ليس بقادح في فضله
رضي الله تعالى عنه **فقرا** أي غالبهم بل كلهم لأن ذوي
الغنى منهم كانوا خزاناً لله تعالى كما مر فلا يعدون من
الأغنياء إلا باعتبار الصورة وأما باعتبار الحقيقة
فهم على غاية من الافتقار إلى الله تعالى ببواطنهم وظواهرهم
لا يشهدون لنفوسهم مالاً ولا غنى وإنما يعدون
أنفسهم خزنة لا غير ومما تقرر في معنى غناهم
وفقرهم يعلم أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر
وهي مسئلة كثر الاختلاف فيها والحق منه ما قررته
كما علمت أن الغنى هو الذي ختم به أمره صلى الله عليه وسلم فهو
صلى الله عليه وسلم كان دائم الترقي في الكمالات فلولا أن الغنى مع
الشكر أفضل من الفقر مع الصبر لما ختم له به صلى الله عليه وسلم
قيل ومحل الخلاف في الفقر مع الصبر كما تقرر وأما الفقر مع الرضى

فهو افضل قطعا انتهى وفيه نظر واضح لانه صلى الله عليه وسلم
كان فى ابتدا امره مع فقره على غاية من الرضى لم يصل اليها غنى
ومع ذلك لم تختم له الا بالغنى مع الشكر كما تعرف وبفرض صحة
هذا القول فغالب فقرا الصحابة يفضلون اغنيا غيرهم لانهم
راضون بفقرهم قطعا وبين الاغنيا والفقرا التضاد وكذا
بين ايمة وامرا وبين الرخص والاغلا لاثبات هم
علما ايمة لانهم ورثوا من علومه صلى الله عليه وسلم ما تميزوا
به على جميع من جا بعدهم **وفى** الحديث اصحابى كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وهذا بالنسبة لاكثرهم والا
فقد جاء ان نحو الحسن البصرى رحمه الله تعالى كان يفتى
الصحابة فى زمنه **وقد** قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث
المتفق عليه فى خطبة الوداع رب مبلغ اى بفتح اللام اوعى من
سامع **امرا** اى كثيرون منهم تولوا الامارة فى زمنه صلى
الله عليه وسلم ثم فى زمن الخلفا الراشدين فقاموا بحقوقها
وبروا وعدلوا ومن ثم لما رمى بعض المشهورين سعد بن ابى
وقاص رضى الله تعالى عنه لما كان اميرا على الكوفة بعدم العدل فيهم
دعى عليه بدعوات استجيب فيه عاجلا حتى صار عبرة للناس
ومنها ان الله تعالى يطيل عمره ويعرضه للفتن فكان وهدب
حاجبيه قد سقط على عينيه من الكبر يتعرض للجوارى فى
الاسواق ويقول شيخ سوء اصابته دعوة العبد الصالح سعد
رضى الله تعالى عنه **ومما** يدل على انهم اغنيا نزاهتهم لا غير انهم

زهدوا

زهدوا فى الدنيا فما عرف الميل اليها منهم ولا الرغبا
زهدوا فى الدنيا بضم الدال وحكى ابن قتيبة كسرها
فعلى من الدنو اى القرب لسبقها للاخرى وقيل لدنوها من
الزوال وهى ما على وجه الارض وقيل كل المخلوقات وقيل المخلوقات
من الجواهر والاعراض وتطلق على كل من ذلك مجازا كما هنا
فان المراد بها هنا الاموال وتوابعها من نحو الجاه والكبر
والفخر والخيلا ولفظها مقصور بلا تنوين حيث لا لام
فيها وحكى تنوينها واستشكل ابن مالك استعمالها منكرة كما
فى الحديث واجاب بانها انخلعت عن الوصفية واجريت
مجرى ما لم يكن وصفا قط كرجعى ثم الصحابة رضى الله تعالى
عنهم فى الزهد فيها وهو اخذ ما تحتاج اليه من الحلال وترك
ما لا تحتاج اليه منه هم على قسمين فاكثرهم ترك السعى فى
تحصيلها بالكلية واشتغل بالعلوم والمعارف ونشرها وبالعبادة
حتى لم يبق من اوقاته شيئا الا وهو مشغول بشى من ذلك
وكثير منهم حصلوها لكن كانوا فيها خزانا لله تعالى كما مر وهذا
لا ينافى زهدهم فيها لانهم لم يمسكوها لانفسهم بل لاخراجها على
مستحقيها بحسب نظرهم واجتهادهم واذا تقرر ان
زهدهم بقسميه فيها حقيقى **فما عرف الميل اليها منهم** بنوع
التفات ولا اقبال لحقارتها فى اعينهم **ولا الرغبا** اى الزيادة
فى تحصيلها وهذا اعلى من نفى الميل بالاولى فذكره مجرد ايضاح
وفيه من البديع ذكر النظير والتذييل ولا ينافى هذا ثناؤه

صلى الله عليه وسلم على المال بقوله نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح
ودعاؤه صلى الله عليه وسلم به لاناس من الصحابة كابن عوف
وأنس وغيرهما فكثرت أموالهم جدا لأن المال له جهات
جهة خير يصرفه في الطاعات والاعانة على قيام أمور الديانات
وبالنظر اليها يثنى عليه وجهة شر يصرفه في ضد ذلك
وبالنظر اليها يذم ويقبح ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في
الحديث الوارد بسند حسن خلافا لمن وهم فيه اللهم
من أحبني فأقلل ماله وأمت ولده الحديث وقد بسطت
الكلام على ذلك مع استيعاب ما ورد في مدح الدنيا
وذمها والجمع بين تلك الاحاديث في كتابي سعادة الدارين
في صلح الاخوين بما لا يستغنى عن مراجعته **أرخصوا**
في الوغى نفوس ملوك حاربوها أسلابها اغلان
أرخصوا في الوغى اى بسبب الحرب الواقع منهم لأعدائهم
في الوقايع المشهورة ومر ان اطلاق الوغى على الحرب
مجاز لا حقيقة **نفوس ملوك** كثيرين فكيف بغيرهم **حاربوها**
بقوة عزم وشدة حزم وصدق نية واخلاص طوية فنصرهم
الله عليهم بقتل بعضهم تارة وازالة ملك أخرين أخرى
أسلابها بفتح الهمزة جمع سلب بفتح اللام وهو ثياب القتيل
وفرسه وما عليهما من آلات السلاح والنقد وجنيبه تنقاد
بين يديه وليس المراد خصوص جمع القلة لانه جمع مضاف
للملوك الذي هو جمع الكثرة واضافة الجمع تفيد عمومه اما في

الافراد

٢٢٧

الافراد وهو التحقيق او في المجموع وعليه كثيرون **اغلا** بكسر
الهمزة اسم مصدر لغلا السعر بمعنى اسم الفاعل أي غالية
الاثمان وفي بعض النسخ ضبطه بفتح الهمزة وكانه جمع غال
كآدا وأدوا وبه يندفع قول الشارح لا وجه له انتهى بل وجهه
اظهر من الاول لان المصدر واسمه على الجمع يحتاج لتأويل
كما اشرت اليه بخلاف حمل الجمع على الجمع واما قوله على المعنى
الاول ان المعنى انه كما كان القتل ارخاصا للنفوس اي
فالاسلاب اي اخذها اغلا للاسباب وقال قبله على
المعنى الاول ايضا وكانه اي الناظم يقول انهم كما ارخصوا
نفوس محاربيهم بالقتل فقد اغلوا اسلابهم بواسطة
كثرة ما سلبوه واجتمع عندهم من الاسلاب فقابل
بين ارخاص الأنفس واغلا الاموال التي هي الاسلاب
الماخوذة ممن قتلوه لكثرة ما قتلوه وسلبوه انتهى
ففي كل من المعنيين بعد وخفا والوجدان ان المعنى
عليه انهم كما أرخصوا تلك النفوس عوضهم الله تعالى
تلك الاسلاب الغالية الاثمان على حد رجل عدل أي
عادل ورجال عدل اي عادلون فكما ان المصدر هنا
أول باسم الفاعل فكذا فيما نحن فيه يؤول الاغلا بالغالية
وهذا هو المعنى على فتح الهمزة فساوى المسكور المفتوح
كلهم في أحكامه ذو اجتهاد وصواب وكلهم أكفا
كلهم في احكامه جمع حكم والحكم الشرعي خطاب الله المتعلق

نخ قتيل

بفعل المكلف بالاقتضا أو التخيير وحكم الحاكم بظهر ذلك
ويطلق ايضا عند الأصوليين على النسب التامة المثبتة
تارة والمنفية اخرى كما في قولهم الفقه العلم بالاحكام
الشرعية وهذا هو المراد هنا خلافا لما يوهمه كلام الشارح
ذو اجتهاد صحيح لتوفر شروط الاجتهاد كلها في جميعهم
بزيادة ولذلك لم يعرف انه قلد غيره في مسئلة من المسايل
وكان الناس يستفتون كل من رآه منهم فيفتيه
باجتهاده ولا يعترض أحد منهم على احد الا ان كان
هناك نص صريح وخولف فيه فيذكر لهم ومنهم من
يرجع اليه ومنهم من يؤوله أو يبدي معارضا بمثله وهذا
رد على قوم سلبهم الله الدين والعقل وسلط عليهم الحمق
والجهل فاعتقدوا انهم ذووا هوى او نفس او حظ
أو بغض حاشاهم الله من ذلك بل لم تخترهم لصحبة نبيه
صلى الله عليه وسلم الا وهم على اكمل الاوصاف واجلها
وذووا صواب يعني وذووا ثواب ولو عبر به لكان
اولى لان ابقاه على حقيقته انما يأتي على القول الضعيف
ان كل مجتهد مصيب وان حكم الله تابع لظن المجتهد
اما على الاصح ان المصيب واحد وان له اجرين كما صح به
الخبر او عشرة اجور كما في رواية فللمخطئ اجرا واحدا كما صح
به الحديث أيضا فلا يقال لكلهم ذووا صواب بل صوابه
ذووا ثواب كما تقرر فتأمله فعلى الأول كل من علي

ومعاوية

ومعاوية رضي الله تعالى عنهما مصيب وعلى الثاني علي مصيب
له أجران او عشرة أجور ومعاوية في خروجه على علي مخطئ
له اجر واحد والاجتهاد بذل الوسع في تحصيل المقصود
ثم ان وافق ما عند الله تعالى فصواب والا فخطأ **فان
قلت** يمكن تأويل النظر بان مراده وصواب عند نفسه
باعتبار انه يتحتم عليه العمل بما ظنه وان لم يكن صوابا
في نفس الامر **قلت** هو تأويل بعيد على ان هذا لو كان
مراده لم يسغ له فيه هذا الاطلاق الموهم **وكلهم أكفاء**
أي متكافئون في أصل الصحبة والفضيلة والعلم والاجتهاد
وابراز الاحكام لله تعالى لا لحظ ولا لهوى وانما يتفاوتون
في الزيادة في ذلك وحينئذ فلا ينافي ذلك قول ابن عمر
أبو بكر أعلمنا ولا سؤال عمر لعلي فيجيبه فيقول لا اقدس
الله امة لست فيهم يا أبا الحسن ولا تقديم عمر لابن عباس
على اكابر مشيخة المهاجرين والانصار لانه كان يجد عنده
من العلم ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى
يفقهه في الدين ويعلمه التأويل ما ليس عندهم ولا سؤال
معاوية لعلي بالارسال اليه في المشكلات فيجيبه ولقد
قال له احد ابنيه لم تجيب عدونا فقال اما يكفينا انه
احتاج الينا وسألنا **واجمعوا** على ان افضل الناس بعد
الانبيا عليهم الصلاة والسلام ابو بكر ثم عمر ثم علي والاصح
عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرون بالجنة

ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان وقيل أهل أحد رضي الله عنهم
ورضوا عنه فأنى تخطو اليهم خطاء ۝ رضي الله عنهم
ورضوا عنه اقتباس من قوله تعالى والسابقون الأولون
الى ان قال رضي الله عنهم ورضوا عنه ورضا الله عن العبد
تامبينه من سخطه واحلاله تعالى كرمه ورضى العبد عنه
ان لا يختلج في سره أدنى حزازة من وقوع قضا من
أقضية الحق به بل يجد لذلك في برد اليقين وثلج الصدر
وشهود المحل العظمى وزيادة الطمانينة وبين
رضي ورضوا الاشتقاق كيخطو وخطا الابيتين فسبب
ما ذكر من أوصافهم وختمها بما في الاية في حقهم انى
استفهام انكاري تعجبي اي كيف تخطو اليهم اي يصل
اليهم اذ الخطوة ما بين القدمين خطاء وهو نقيض
الصواب يعني لا يخطي أحد منهم خطاء يأثم به لما مر
انهم كلهم مجتهدون وان المجتهد اذا اخطا له أجر
وهذا كالذي قبله ماخوذ من عدة احاديث
ذكرتها في الصواعق السابق ذكره مع ذكر مخرجيها
وهنا اذكر منها جملة عرية عن ذلك اتكالا على أسانيدها
ثم منها ان الله اختارني واختار لي أصحابا فجعل
لي منهم وزراء وانصارا واصهارا فمن سبهم فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله
منهم صرفا ولا عدلا اي لا فرضا ولا نفلا وفي رواية

قلبه صح

في ر

۲۲۹

فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني
فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن ياخذه اذا
أراد الله برجل من امتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه
أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم الله الله أصحابي
لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم
ومن ابغضهم فببغضي أبغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن أذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك
أن ياخذه ما شانكم وشان أصحابي ذروا لي أصحابي
فوالذي نفسي بيده لو ان أحدكم انفق مثل احد ذهبا
ما ادرك مثل عمل احدهم يوما واحدا وفي رواية
للشيخين وغيرهما لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده
لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم
ولا نصيفه من لم يحفظني في أصحابي لم يرد علي
الحوض ولم يرني خير الناس قرني الذي انا فيه ثم الذين
يلونهم والباقي اراذل اي غالبهم وفي رواية متفق
عليها خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
الحديث وهم اول داخل في قوله تعالى كنتم خير أمة
أخرجت للناس ولا مقام اعظم من مقام قوم ارتضاهم الله
عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته
جاء قوم من بعد قوم بحق وعلى المنهج الحنيفي جاؤا
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من الصحابة رضي الله عنهم

من بعد قوم وهكذا السابقون الأولون ثم الذين بعدهم
وهكذا الى وفاته صلى الله عليه وسلم وكان الناظم اشار
بهذا الى ما فى اول صحيح البخارى عن هرقل انه سأل
ابا سفيان رضي الله عنه عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
أيزيدون ام ينقصون فقال بل يزيدون وانه هل يرتد
أحد منهم سخطة لدينه فقال لا فبين له ان من شان
الرسل ان اصحابهم كذلك فعلم ان مجى الصحابة قوما من
بعد قوم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم واندفع
ما قد يقال اى فايدة فى هذه الجملة من كلام الناظم وهل
هي الا مجرد اخبار بواقع لا يترتب عليه فايدة اذ لا فرق
بين مجيئهم اليه دفعة او دفعات وكلهم ملتبسون
بحق فلا مطعن فيهم لطاعن وما نقمه الرافضة
ونحوهم عليهم فلم يصح منهم شى أصلا وانما هو من مغالاة
الجاهلين ووضع المفترين وعلى المنهج اى الطريق
الواضح الحنيفي اى الطريق المستقيم الذى لا انحراف فيه
ولا اعوجاج جاؤا كلهم وتابعوهم باحسان وهكذا
لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم
من خالفهم حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك ۞
ما لموسى ولا لعيسى حواريون فى فضلهم ولا نقبا
ما لموسى كليم الله تعالى ولا لعيسى روح الله عليهما
الصلاة والسلام حواريون جمع حوارى وهو الناصر

وجعل

وجعل ذلك علما بالغلبة على اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام
لانهم كانوا يحورون الثياب اى يقصرونها او من الحواري
أى الدقيق الابيض لبياض الوانهم فى فضلهم بشهادة نص
اية كنتم خير امة أخرجت للناس وحديث خير القرون وفى
رواية الناس قرني وحديث المناجاة ان موسى رأى لهذه
الامة فى اللوح اوصافا بهرته فقال يا رب اجعلني منهم
ولا نقباء فى فضلهم ايضا وهو لف ونشر مشوش اذ
الحواريون لعيسى والنقبا لموسى ولما افتخر بالصحابة كلهم
اجمالا خص العشرة المقطوع لهم بالجنة مرتبا للاربعة
الأول منهم على ترتيبهم فى الافضلية والاحقية بالخلافة
فقال واقسم عليك بأبى بكر الذى صح للناس به فى حبائك الاقتدا
بأبى بكر الصديق رضى الله عنه فهو عطف على بالعلو بحذف
حرفه ويصح انه وما بعده ابدال تفصيلية من أصحابك
الذي تميز عن ساير الصحابة رضى الله تعالى عنهم بما كان
كالصريح فى انه الخليفة الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانه افضلهم بل افضل ما عدا الانبيا والمرسلين كما صح به
حديث ما طلعت الشمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين
أفضل من ابى بكر وهو ما صح من طرق كثيرة بحيث اشتهر
بل تواتر وصار معلوما بالضرورة كما قاله الاشعرى فلذا
لم يسع أحدا من المبتدعة انكاره للناس به فى حبائك
الاقتداء فاعل صح والظروف متعلقة به فمن تلك

الطرق ما اخرجه الشيخان اشتد مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال
مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عايشة رضي الله عنها
يا رسول الله انه رجل رقيق اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي
بالناس فقال صلى الله عليه وسلم مري ابا بكر فليصل بالناس
وعادت فقال مري ابا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب
يوسف فاتاه الرسول فصلى بالناس في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية انها لما راجعته فلم يرجع لها
قالت لحفصة قولي له يأمر عمر فقالت له فاشتد غضبه
وقال مروا ابا بكر وفي اخرى ان الحامل لعايشة على ذلك
خوفها بتشاؤم الناس به لقيامه مقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه وفي اخرى انه امرهم
بالصلاة وكان ابو بكر غايبا فتقدم عمر فكبر وكان صيتا
فقال صلى الله عليه وسلم بعد ان اخرج راسه مغضبا
لا لا يابى الله والمسلمون الا ابا بكر ثلاثا وفي اخرى انه
في فجر الاثنين يوم موته كشف سجف حجرته فراهم في صلاة
الصبح وابو بكر يصلي بهم فتبسم يضحك فنكص ابو بكر
على عقبيه ظنا انه يريد الخروج اليهم وهم المسلمون
ان يفتتنوا في صلاتهم فرحا به صلى الله عليه وسلم فاشار
اليهم بيده ان اتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وارخى
الستر فتوفي ضحى وفي البيت التلميح بهذه القصة
قال العلماء هذا اوضح دليل على انه افضل الصحابة مطلقا

واحقهم

واحقهم بالخلافة واولاهم بالامامة ومن ثم اجمعوا على ذلك
لان تقديمه بحضرة المهاجرين والانصار مع قوله يؤم القوم
اقرؤهم لكتاب الله تعالى اي اعلمهم بالقرآن صريح في انه
اعلمهم مطلقا وقد استدل الصحابة انفسهم بهذا على انه
احق بالخلافة منهم علي قال لقد امر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يصلي بالناس واني لشاهد وما انا بغايب وما بي مرض
فرضينا لدنيانا ما رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا
وما احسن قول من قال صلى بالناس ثمانية ايام والوحي
ينزل فسكت الله وسكت رسوله صلى الله عليه وسلم وسكت
المؤمنون ومن الظواهر والصرائح على خلافته ايضا ما
اخرجه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لعايشة في مرض موته
ادعي لي ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى
متمن ويقول قايل انا اولى ويابى الله والمؤمنون الا ابا بكر
وفي رواية اكتب لابي بكر كتابا لا يختلف عليه احد ثم قال
دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنون في ابي بكر وصح ان
قوما سألوا انسانا ان يسال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى من يدفعون اليه زكاتهم بعده فقال الى ابي بكر
واخرج الشيخان ان امراة اتته فامرها ان ترجع اليه
فقالت ارأيت ان جئتك ولم اجدك كانها تقول الموت فقال
صلى الله عليه وسلم فان لم تجديني فاتي ابا بكر ومنها ما اخرجه
الشيخان من عدة طرق انه صلى الله عليه وسلم رأى انه على بئر

لم ننظر فنزع منها بدلو فأخذ الدلو من يده ابو بكر فنزع منها دلوا او دلوين ثم اخذها عمر من ابى بكر فاستحالت في يده غربا اى دلوا كبيرا فاستقى منها حتى ضرب الناس بعطن اي حتى رووا قال العلما هذا اشارة الى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقصر مدته وطول مدة عمر رضى الله تعالى عنه وكثرة الفتوح وظهور الاسلام فى زمنه وبقيت ادلة اخرى سمعية ايات واحاديث كثيرة تدل على حقيقة خلافته وانه اعلمهم وافضلهم بينتها اتم بيان فى كتابى الصواعق السابق ذكره والمهدى يوم السقيفة لما ارجف الناس انه الداداء والمهدي اى المسكن للفتنة والاضطراب فى امر الخلافة يوم السقيفة التى لبني ساعدة من الانصار حين اجتمعوا بعده صلى الله عليه وسلم فيها الى سعد بن عبادة سيد الخزرج ليولوه لما اى حين ارجف الناس اى اضطربوا فى امر الخلافة وبين المهدي اى المسكن وارجف والقرنى والاباعد وبقرب وبعد المطابقة انه تعليل للمهدي ولا ينافيه كسر ان لانها مع كونها للاستيناف قد تفيد التعليل ايضا كما صرحوا به فى ان الحمد والنعمة لك فى التلبية الداداء اي المسكن للاضطراب لا غير وكان مراده انه المشهور قديما وحديثا بانه يسكن ويجلى كربهما وفى الصحيحين عن عمر رضي الله تعالى عنه انهم لما دفنوا النبى صلى الله عليه وسلم تخلف على والزبير ومن معهما فى بيت فاطمة وتخلفت الانصار باجمعها فى سقيفة بني ساعدة

واجتمع المهاجرون الى ابى بكر فقال له عمر انطلق بنا الى الانصار فذهبوا اليهم فلما جلسوا اقام خطيبهم فخطب واثنى على الله تعالى ثم مدح الانصار واطنب بحيث لم يترك اية او خبرا جاء فيهم الاذكره ثم ذكر ان قوما يريدون ان يستبدوا بالامر عليهم ثم سكت فاراد عمر ان يخطب بما زوره اى جمعه فى قلبه فاشار اليه ابو بكر بالسكوت ثم خطب واثنى على الانصار ثم بين ان الخلافة لا تكون الا فى قريش واحتج بالحديث الصحيح الائمة من قريش ثم قال قد رضيت لكم اما عمر او ابا عبيدة فاخذ بيدهما وقال بايعوا من شئتم منهما فقام الحباب بن المنذر وتحمس وترفع ثم قال منا امير ومنكم امير فكثر اللغط وخيفت الفتنة فبادر عمر وقال لابى بكر ابسط يدك فبسطها فبايعه فتبعه المهاجرون ثم الانصار فقال قائل قتلتم سعد بن عبادة اى لانه كان به بعض مرض فقال عمر قتله الله اى لان الاجتماع عنده ربما كان سببا للفتنة فساغ لعمر فى اجتهاده وانه بالنسبة اليه كالشيخ بالنسبة الى تلميذه يؤدبه بما يراه ان يقول فى حقه ذلك وصح ان عمر احتج على الانصار بامامة ابى بكر فرجعوا عما كانوا فيه وقالوا نعوذ بالله ان نتقدم ابا بكر ولما بايعوه صعد الغد على المنبر فقام عمر فتكلم قبله فحمد الله ثم اثنى على ابى بكر ثم قال قوموا فبايعوه فبايعه الناس بيعته العامة فخطب ابو بكر ثم قال وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسات

نقوموني أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله
ورسوله فلا طاعة لي عليكم ثم نظر فلم ير الزبير فدعا به فجاء
فتكلم عليه فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبايعه واستدل كل منهما حينئذ على احقيته بالخلافة
بانه صاحب الغار وبتقديمه للامامة وحكى ابن مسعود وغيره
ان الصحابة أجمعوا على خلافة ابي بكر لم يتخلف عنها أحد منهم
ثم تبعهم من بعدهم من أهل السنة والجماعة الى الآن ثم هلم
وكذا اكثر الفرق واقسم عليك بابي بكر الفاعل لذلك حال كونه
كرم الله وجهه أنقذ الدين بعد ما كان للدين على كل كربة
أنقذ بالقاف المعجمة الدين وهو ما جاء به النبي صلى الله عليه
وسلم اي نجاه بازالة كل شبهة عنه واهله بازالة اسباب
الفساد بينهم بعد ما مصدرية كان اي وجد للدين
متعلق هو وما بعده باسمها وهو اشفا على كل كربة اي غم
ياخذ النفس ويصح كونها ناقصة وللدين خبرها إشفاء
اي اشراف وقرب تخشى منه ان لا يجتمع للاسلام بعده شمل
أبدا ومن ثم قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه والله
لولا ابو بكر ما عبد الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابدا وايضا
فكلهم يوم موته صلى الله عليه وسلم طاشت عقولهم حتى
تكلموا بكلمات غير منتظمة الا ابا بكر فانه كان غايبا فلما
حضر دخل وكشف عن الوجه الكريم فقبله وقال
طبت حيا وميتا لا يجمع الله عليك موتتين ثم خرج

فبكى

فتلى عليهم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى الشاكرين
فلما سمعوها ردت اليهم عقولهم فتلوها وقالوا حتى عمر انكر
موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال ذهب الى ربه فسكتوا فاسكته
ابو بكر فسكت فاقبل على الناس فصغوا اليه وتركوا عمر فقال
أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا الآية فقالوا كانا
لم نسمعها الا حينئذ فكان هو المثبت لهم حينئذ ولولاه
لم يجتمع لهم شمل وايضا اختلفوا في محل دفنه اختلافا شديدا
كاد ان يفضي الى الفتنة فروى لهم الحديث ان كل نبي يدفن
في المحل الذي توفي فيه فرجعوا اليه فزال ما كان بينهم وايضا
اختلفوا في ارثه اختلافا شديدا حتى روى لهم الحديث
نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة فرجعوا اليه
وبهذا اعلم انه رضي الله تعالى عنه كان احفظهم للسنة
وانما سبب قلة الرواية عنه قصر مدة خلافته واشتغاله
بقتال المرتدين ومانعي الزكاة ومسيلمة الكذاب وحال كونه
أنفق المال في رضاك ولا من واعطى جما ولا اكدا
أنفق المال الكثير الذي كان يملكه اي صرفه في مصارف الخير حتى
نفد جميعه في اي بسبب او من اجل رضاك يا رسول الله
كما جاء به القرآن قال تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله
يتزكى الى اخر السورة قال ابن الجوزي أجمعوا على انها نزلت
في ابي بكر ففيها التصريح بانفاقه لماله وبانه الاتقى وهو الاكرم

بدليل ان اكرمكم عند الله اتقاكم والاكرم هو الافضل كما صرح
به الحديث ما صحب النبيين والمرسلين اجمعين ولا صاحب
يس اي المذكور في سورة يس اي حبيب النجار افضل من ابي بكر
وصح حديث انه ليس من الناس احد امن علي في نفسه وماله
من ابي بكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا
ولكن خلة الاسلام افضل سدوا عني كل خوخة في هذا
المسجد الا خوخة ابي بكر اي لانه سيصير خليفة يحتاج الى
ملازمة المسجد اخرج الترمذي حديث ما لاحد عندنا
يد الا وقد كافاناه ما خلا ابا بكر فان له عندنا يدا يكافيه
الله بها يوم القيمة وما نفعني مال احد قط ما نفعني مال
ابي بكر والطبراني ما احد عندي اعظم يدا من ابي بكر
واساني بنفسه وماله وانكحني ابنته والترمذي رحم الله
ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا
من ماله وما نفعني مال في الاسلام ما نفعني مال ابي بكر
ولا ينافيه حديث البخاري انه صلى الله عليه وسلم ابى ان ياخذ منه
الراحلة الى الهجرة الا بالثمن فلم تجد فاتى النبي صلى الله عليه
وسلم فجعل وجهه يتمعر حتى اشفق ابو بكر فجثى على ركبتيه
فقال يا رسول الله انا كنت اظلم منه مرتين فقال
صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال
ابو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لي
صاحبي ما شانكم وشانه فوالله ما بكم رجل الا على باب بيته

رضي الله عنه

فيه

ولا ينافيه ايضا انه اراه منه ذلك ربما كان بينه وبين عمر شيء فقدم عمر فاتى منزل ابي بكر ٥ح

فما اوذي ابو بكر بعدها وفي رواية في قصة نظير هذه الا تدعون لي صاحبي ٥ح

ظلمة

٢٤٤

ظلمة الا باب ابي بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال ابو بكر
صدقت وامسكتم الاموال وجاد لي بماله وواساني واتبعني
واخرج احمد واخرون عن جماعة من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم
قال ما نفعني مال قط ما نفعني مال ابي بكر فبكى ابو بكر رضي الله عنه
وقال وهل انا ومالي الا لك يا رسول الله وفي رواية عن ابن
المسيب مرسلا وكان صلى الله عليه وسلم يقضي في مال ابي بكر كما
يقضي في مال نفسه واخرج ابن عساكر انه اسلم وله اربعون
الف دينار وفي رواية اربعون الف درهم فانفقها على رسول
الله صلى الله عليه وسلم والبغوي وابن عساكر انه كان عند النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال
فقال صلى الله عليه وسلم يا جبريل انفق ماله علي قبل الفتح
قال فان الله تعالى يقرا عليه السلام ويقول لك قل له اراض
انت عني في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر رضي الله عنه
أاسخط على ربي انا عن ربي راض ثلاثا وسنده غريب
ضعيف جدا وفي رواية ان جبريل عليه السلام هبط متخللا
بطنفسة واخبر ان الله تعالى امر ملائكته ان يتخللوا بها
كابي بكر قال الحافظ بن كثير وهذا منكر جدا ولولا انه كالذي
قبله يتداوله كثير من الناس لكان الاعراض عنهما اولى وصح
عن عمر رضي الله عنه امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتصدق
فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم اسبق ابا بكر ان اسبقه
ما سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم

ما ابقيت لاهلك يا عمر فقلت النصف ثم جاء ابو بكر بماله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ابقيت لاهلك يا ابا بكر فقال
أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لا أسبقه الى شيء ابدا والحال
انه لا منّ منه عليك فيما أنفقه وان كثر وان المنة لك عليه
وعلى غيره كما اعترف بذلك هو وغيره والمن ذكر النعمة على جهة
الافتخار ومن ثم حرم تحريما غليظا على نحو متصدق المنّ
على المتصدق عليه بان يعدد عليه ما اعطاه له او يذكره
لمن لا يحب اطلاع احد عليه قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى واعطى لله عطاء جما اي كثيرا في وجوه الخير العامة
والمصالح الدايمة منها أعطاه ثمن محل مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم كما في حديث الهجرة انه صلى الله عليه وسلم لما
وصل قبا واقام به بضعة عشر يوما ركب ناقته ونهى
ان ياخذ احد بزمامها قال دعوها فانها مأمورة فاستمرت
الى ان بركت عند محل مسجده صلى الله عليه وسلم ثم سارت
وهو عليها حتى بركت على دار ابي ايوب الانصاري من بني
النجار احد اخوال الجد النبي صلى الله عليه وسلم عبد المطلب
وكانت دارهم أوسط دور الانصار وافضلها ثم قامت
وبركت في مبركها الاول والقت باطن عنقها بالارض
ثم صوتت من غير أن تفتح فاها فنزل صلى الله عليه وسلم
وقال هذا المنزل ان شاء الله تعالى ثم ساوم بني النجار في
تلك البقعة فاشتراها منهم بعشرة دنانير وزنها

من ماله

من مال أبي بكر رضي الله تعالى عنه وكان قد خرج بماله كله فكان له من
السبب في ذلك المسجد الاعظم ما اقتضى وصول ثوابه الى حد
لا يقدر قدره واشترى أيضا جماعة أسلموا فعذبهم أهل مكة
العذاب الاليم منهم بلال واعتقهم ولا أكدى اي ولم يقطع
اعطاه بل استمر عليه حتى توفاه الله تعالى وأبي حفص الذي أظهر الله به الدين
وأبي اي واقسم عليك بابي حفص الذي أظهر الله به الدين كما جا
في سبب تسميته بالفاروق أخرج أبو نعيم في الدلايل وابن
عساكر عن ابن عباس انه سئل عن سبب تسميته بالفاروق
فذكر ان حمزة أسلم قبله بثلاثة ايام وانه خرج الى المسجد فسب
ابو جهل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبر حمزة فاخذ قوسه وجاء فضرب
بها أحد صدغي ابي جهل فقطعه فسالت الدما فاصلحت بينهما
قريش مخافة الشر والنبي صلى الله عليه وسلم مختف بدار الارقم
فانطلق حمزة فاسلم بعده بثلاثة أيام انكر عمر على من أسلم
فقال له ان أختك وختنك اي سعيد بن زيد احد العشرة
المبشرين بالجنة قد أسلما فضرب راس اخته وادماه فقالت
له كان ذلك على رغم أنفك فاستحى حين راى الدما وجلس وسألها
أن تريه الكتاب فقالت لا يمسه الا المطهرون فاغتسل
فأخرجوا له صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم طه
ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى الآيات فعظمت
في صدره فقال له خباب وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرسله ليعظ
اخته وزوجها اني لارجو أن يكون الله خصك بدعوة نبيه

فاني سمعته أمس يقول اللهم أعز الاسلام بعمر وابن هشام اي أبي جهل
أو بعمر بن الخطاب فقال دلني عليه فتوشح سيفه وذهب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فضرب الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة
مالكم قالوا عمر قال وعمر افتحوا الباب فان أقبل قبلناه وان أدبر قتلناه فسمع ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها
أهل المسجد فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قلت
ففيم الاخفا فخرجنا صفين انا في أحدهما وحمزة في الاخر
حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الي والي حمزة فأصابتهم كآبة
شديدة فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ
وفرق الله بي بين الحق والباطل وفي رواية انه لما أظهر اسلامه
صاروا يضربونه ويضربهم حتى اجاره خاله قال فمازلت أضرب
وأضرب حتى أعز الله الاسلام وصح انه لما اسلم نزل جبريل
فقال يا محمد قد استبشر اهل السما باسلام عمر وان المشركين
قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وانزل يا أيها النبي حسبك الله
ومن اتبعك من المؤمنين وان ابن مسعود قال مازلنا
أعزة منذ أسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا وهجرته
نصرا وامامته رحمة ولقد رأيتنا وما نستطيع أن
نصلي الي البيت حتى اسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وان
حذيفة قال لما أسلم كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد
إلا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا
ضعفا فبسبب قوته في الله تعالى وشدة شكيمته كما علم مما

تقرر ارعوى أي رجع وأقلع وانكف الرقبا أي الأعدا الذين كانوا عليه
من الافساد في الدين وعدم النصح له وعدم ايذا النبي صلى الله عليه وسلم
وايذايه بالأمور العظيمة التي كانوا يفعلونها معه هو ايضا الامام
العدل القوي في الله تعالى والذي تقرب الاباعد في الله لديه وتبعد القربا
والذي ينطق الحق على لسانه وقلبه فلذلك تقرب الاباعد عنه في النسب
في اي بسبب أو لاجل رضى الله لديه متعلق بيقرب فيكونون
بذلك أولى عنده من اقاربه الذين ليسوا كذلك كما قال آنفا
وفي هذا البيت من انواع البديع العكس نحو لاهن حل لهم
ولاهم يحلون لهن الاية والاكتفا وهو حذف شي دل عليه
ما قبله كما قدرته ورد العجز على الصدر والارصاد وهو أن
يتقدم على الروي ما يشعر به نحو وما ظلمناهم الاية وتبعد
عنه القربا اي اقرباؤه اذا لم يوافقوه على طاعة الله تعالى
فعلم انه لا يحابي قريبا ولا صديقا وانه لا ديانة عنده ولا سمعة
ولا حمية ولا عصبية وان محط نظره انما هو الله لا غير
وطاعة ربه هي المقربة منه وضدها هو المبعد عنه ○
عمر ابن الخطاب من قوله الفصل ومن حكمه السوي السوا
عمر بن الخطاب من موصولة قوله الفصل اي الفاصل بين الحق
والباطل ومن حكمه السوي اي الذي لا اعوجاج فيه السوا
تأكيد اي المعتدل وهذا أولى من جعل الشارح السوي
صفة حكمه والسوا خبره لاقتضائه تغايرهما وليس كذلك
فرمنه الشيطان اذ كان فاروقا وللنار من ناه انبرا

فر أي هرب منه الشيطان اي ابليس وكل عات متمرد جني أو
انسي اذ اي لاجل انه كان فاروقا ظاهره كما صحت به الاحاديث
وبسبب ما منحه الله من النور الذي يفرق به بين الحق والباطل
و يفر منه الشيطان بسبب ان للنار التي هي أصل الشيطان من
سناه بالقصر أي ضوئه انبرا أي انمحا والأصل في ذلك
أحاديث صحيحة منها حديث يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما
لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وحديث
ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل
بالناس أمر قط فقالوا وقال الا نزل القران على نحو ما قال
وحديث لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وحديث
ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وحديث ان الشيطان
ليفر منك يا عمر وفي اخرى اتاني جبريل فقال اقرا عمر السلام
وقل له ان رضاه وان غضبه عز وفي اخرى الحق بعدي
مع عمر حيث كان وصح حديث ما طلعت الشمس على خير من
عمر وروى احمد وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال
له يا أخي اشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا وروى
الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم شربت لبنا
حتى انظر الي الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما
أولته يا رسول الله قال العلم وانه رآه وعليه قميص يجره
قال فما اولت يا رسول الله قال الدين وصح انه من الملهمين
الذين ينطق الحق على لسانهم وابن عفان ذي الأيادي التي
طالت الي المصطفى بها الاسدا

وابن

اي ان سبب تلقيبه بالفاروق كون الشيطان يفر منه وليشعر ذا المام ان الله تعالى يفرق به بين الحق والباطل كذا في الاصل

وابن اي واقسم باني عمر وعثمان بن عفان ذي اي صاحب الايادي
أي النعم وهذا في اليد بمعنى الجارحة جمع أيدي جمع يد
فاتى به الناظم في البيت بمعنى النعمة ايضا التي طالت أي
عظم وامتد الي المصطفى على الخلق كلهم أي المختار فهو
من الاصطفا وقيل المصطفى المنقى من كل شين وكدر
فهو من التصفية بها متعلق بقوله الاسدا أي الاعطا
حفر البئر جهز الجيش أهدى الهدي لما أن صده الأعدا
حفر البير اي بئر رومة وذلك انها كانت ليهودي في
الاشهر فقدم صلى الله عليه وسلم المدينة وليس بها ماء
يستعذب غيرها فقال صلى الله عليه وسلم من حفر بئر رومة
او اشتراها فله الجنة فاشتراها عثمان بعشرين الف درهم
وحفرها وهي موجودة الى الآن فثوابها مستمر الي قيام
الساعة وفي رواية ان عثمان رضي الله تعالى عنه لما سمع قوله
صلى الله عليه وسلم فيها انها نعم البير اشترى نصفها بمائة
بكرة وتصدق بها واقتسماها يوما لهذا ويوما لهذا
فجعل الناس يستقون منها في يوم عثمان ليومين فلما
رأى ان قد امتنع منه ما كان يصيبه من ثمن الماء الذي
يبيعه منها باع عثمان النصف الثاني بشيء يسير فتصدق
عثمان بها كلها تنبيه تعبير الناظم بالحفر تبع فيه
بعض الرواة وكانه لم يبال بقول من قال ذكر الحفر وهم
من بعض الرواة وانما المعروف انه اشتراها ونجاب

اللهم صل وسلم عليه وعلى اله وصحبه ابدا ابدا

بانه لامانع من انه اشتراها ثم زاد في تعميقها مبالغة في
تكثير مائها لشدة احتياج الناس اليها ثم رأيت بعض المتأخرين
صرح بنحو ذلك وفي رواية ان القربة منها كانت تباع
بمد وانه صلى الله عليه وسلم طلب من صاحبها انه يبيعها
له فاعتل بان له عيالا وليس له غيرها فبلغ عثمان فاشتراها
بخمسة وثلاثين الف درهم جهز الجيش اي جيش العسرة
في غزوة تبوك اخرج الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حض على
جيش العسرة قال عثمان رضي الله عنه يا رسول الله علي مائة
بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله تعالى ثم حض على الجيش
فقال عثمان يا رسول الله علي مائتا بعير باحلاسها واقتابها
في سبيل الله تعالى ثم حض صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة
فقال عثمان يا رسول الله علي ثلاثمائة بعير باحلاسها
واقتابها في سبيل الله تعالى فنزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه وفي رواية
حمل عثمان جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وصح
انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش
العسرة فنثرها في حجره وجعل يقلبها بيده ويقول ما ضر
عثمان ما فعله بعد اليوم وفي رواية انه بعث بعشرة آلاف
دينار فصبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل يقلبها
ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما
هو كائن الى يوم القيمة ما يبالي ما فعل بعدها وصح انه لما

حوصر اشرف عليهم فقال انشدكم بالله تعالى ولا انشد الا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته
ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بئر رومة
فله الجنة فصدقوه بما قال وصح عن ابي هريرة اشترى
عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين حيث حفر
بئر رومة وحيث جهز جيش العسرة وصح انه استشهد
اقواما من الصحابة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من يشتري هذا المربد ويزيده في مسجدنا وله الجنة واجره
في الجنة ما بقي درجات له فاشتريته بعشرين الفا
وزدته في المسجد فشهدوا له فقال الخوارج عليه صدقوا
ولكنك غيرت ثم ذكر تجهيز جيش العسرة وحفر البئر فصدقوه
فقال الخوارج عليه صدقوا ولكنك غيرت فقال رضي الله عنه
ويلكم كيف يكون من هذا له مغيرا ثم ذكر انهم سيقولون ذلك
في غيره فكان كذلك في علي حين خرجوا عليه فاستشهد الصحابة
على خصوصيات له فشهدوا له فقالوا صدقوا ولكنك غيرت
وفي رواية ان محمد ابن ابي بكر لما دخل على عثمان وكان مع الحاصرين
عليه استشهده ان النبي صلى الله عليه وسلم زوجه ابنتيه
وقال لو كان عندنا ثالثة زوجناه وانه بايع عنه في بيعة الرضوان
وانه قال من يشتري هذا النخل فيقيم قبلة المسجد وله مثله
في الجنة فاشتراه عثمان رضي الله عنه وان المسلمين اشتد

جوعهم فبسط لهم انطاع الحواري بالسمن والعسل فكان اول
خبيص الحلوى في الاسلام وانهم ظمئوا ظمأ فحفر لهم بئر رومة
فأعظم عليها النفقة ثم تصدق بها على المسلمين الضعيف
فيهم والقوي سوآء وان الميرة انقطعت عن المدينة فجاع
الناس فاشترى خمسة عشر راحلة طعاما فأخذ ثلاثا
وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشرة فدعا له بالبركة فيما
أعطى وما أمسك وانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالف أصفر
فصبها في حجره فقال ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم وانه
كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير
بحرآء فرجف بهم فضربه بقدمه وقال اثبت حرآء فانما عليك
نبي او صديق او شهيد كل ذلك ومحمد يقول نعم **تنبيه**
قال ابن مالك من أحسن شواهد قول الكوفيين وأخرين
ان او ترد بمعنى الواو هذا الحديث الاخير لكفراه و**أهدى**
الهدي الى مكة وارسله اليها عام الحديبية حين توجه صلى الله
عليه وسلم اليها ومعه الف واربعمائة في ذي القعدة سنة
ست يريد العمرة فمنعته قريش من دخول الحرم **لما**
اي حين **ان صده** عن الدخول اليها **الاعدا** اي المشركون
وكان وجه تخصيصه بذلك ان هديه وصل الى مكة
بخلاف هدي غيره لكن انما ذلك لعزة قومه دون غيره
ففي الخصوصية دون غيره حينئذ تأمل بل قضية
أدبه الآتي من ترك الطواف ترك إرسال الهدي

يرسله صلى الله عليه وسلم ويجاب باحتمال انه أخر هديه لغيبته حتى
حضر بعد ذبحهم لهديهم فحينئذ هو لم يرسله الا وقد أسبق
من إرسالهم هديهم فلا مخالفة فيه للأدب وتفسير لما
هنا بحين هو ما ذهب اليه جماعة وقال ابن مالك انها
بمعنى اذ لانها مختصة بالماضي وبالاضافة الى الجملة
وهي تقتضي جملتين وحذف الثانية عند وجود الاولى
وكذا يقال فيها حرف وجود لوجود وجوابها اما ماض او جملة
إسمية مقرونة بالفآء او باذ الفجائية وتجادلنا في فلما
ذهب عن ابرهيم الروع الاية مؤول بجادلنا خلافا لابن
عصفور وقد ترد للاستثنا نحو ان كل نفس لما عليها
حافظ في قرآءة من شدد الميم وفي هذا كالسوي السوآ
ويبعد الاباعد ويقرب والقربا وأدب والادبا جناس
الاشتقاق أو شبهه **وأبى ان يطوف بالبيت اذ لم يدن منه الى النبي فينا**
وابي رضي الله عنه لما ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة
ومعه الكتاب الذي فيه ما وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم
وسهيل بن عمرو المرسل اليه من أهل مكة ليقع الصلح بينهم
على ان يرجع في هذه السنة ولا يدخلها الا بعد ان لو الناس انه
دخلها كرها على أهلها ثم يعود اليها معتمرا السنة القابلة
ويدخلها والاسلحة في غلفها ليكون ذلك علامة على الصلح
وعلى وضع الحرب بينهم عشر سنين ثم نقضوا الصلح فكان
ذلك علامة لفتح مكة في السنة الثانية ولما ارسله

أمسك سهل بن عمر عنده بذلك وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال لعمر اذهب فاستاذن لنا ليخلوا بيننا وبين الكعبة فقال
يا رسول الله ليس هناك احد من بني عمي يمنعني ولكن أرسل
عثمان فان بني عمه يمنعونه فأرسله ليبلغ اشراف قريش في أن
يرجعوا عن صده عن دخول مكة وان لا يمنعوه من دخولها
لأداء ما جاء بقصده من الاعتمار وتعظيم البيت بالبدن والهدى و
دون القتال فكلمهم فلم يمتثلوا وعلى كل من القولين احتبسوه
عندهم وقالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فأبى أي
امتنع حينئذ أن يطوف بالبيت إذ تعليلية لم يدن أي البيت
الى النبي متعلق بيدن فناء وهو ما امتد من جوانبه ولما
احتبس وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان عثمان قتل فدعى الناس
الى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وقيل على ان لا يفروا
ذكره الحافظ مغلطاي ولما بايع الناس على ذلك وضع يمينه
على شماله وقال هذه عن عثمان وفي البخاري فقال النبي صلى
الله عليه وسلم باليمنى هذه بيعة عثمان فضرب بها على يده اليسرى
الحديث وفي رواية للترمذي ان عثمان في حاجة الله وحاجة
رسوله فضرب باحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من ايديهم لانفسهم ولما
سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وأرسلوا عثمان وجماعة
من المسلمين وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى لقد

رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فجزته عنها
ببيعة رضوان يد من نبيه بيضا فبسبب ما وقع من
عثمان من امتثال ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم وذهابه الى العدو
ولم يبال باحتمال كونهم يقتلونه لشدة ما كانوا عليه من
عداوتهم للمسلمين لا سيما الاكابر كعثمان ومن تأدبه مع النبي
صلى الله عليه وسلم الادب البالغ بتركه للطواف مع اذنهم
له فيه جزته عنها اى تلك الفعلة التي فعلها من الذهاب
اليهم والامتناع من الطواف ببيعة اى في بيعة رضوان
سميت بذلك لما في الآية الثانية من رضي الله عنهم يد
بسببهما من نبيه اى عثمان بيضاء اى بالغة في الكرم
الذي عم الانام منها الى مبلغ ضوء الشمس وعمومه للعالم
تلك اليد البيضا بذلك والذى وقع منه من الامتناع من
الطواف لاجل غيبة النبي صلى الله عليه وسلم وعدم تمكينهم له
الدخول أدب عنده تضاعفت الاعمال حبذا الادب
أدب عظيم جدا عنده رضي الله تعالى عنه ومن عجيب هذا
الأدب انه حصل فيه أمر عظيم وفضل مستغرب حسنه
وذلك انه مع كونه تركا كالفعل للعبادة تضاعفت
الأعمال التي في ذلك الفعل وهو الطواف أي ثوابها بسبب
الترك لذلك العمل لاجله صلى الله عليه وسلم فكان الترك هنا
افضل من الفعل لو وقع منه لانه ليس فيه الأدب الذى بلغ
به عثمان من السبق ما لم يبلغه غيره فلذا حق أن يقال فيه

وفي امثاله على سبيل المدح **حبذا الادبا** فهو تتميم بديع وعثمان
رضي الله عنه من اجل الادبا لانه كان عنده من الحيا الذي
هو منشا الادب ما لم يكن عند غيره كيف وقد صح انه
صلى الله عليه وسلم قال في حقه وقد استحى منه صلى الله عليه وسلم
لما دخل عليه فجمع ثيابه الا استحي من رجل تستحي منه الملايكة
وروي من غير طريق اشد امتي حيا عثمان بن عفان رضي الله عنه
عثمان احيى امتي واكرمها . عثمان حيي ستير تستحي منه الملايكة
ان الملايكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله . انما
نشبه عثمان بابينا ابرهيم . عثمان وليي في الدنيا ووليي
في الاخرة . لو ان لي اربعين ابنة زوجتك واحدة بعد
واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وما زوجتك الا بالوحي
من الله تعالى **وصح** انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة يعرفها
ثم عثمان فقال هذا يومئذ على الهدى وانه قال له ان
الله مقمصك قميصا اي موليك الخلافة فان ارادك
المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني فلذلك قال
لهم يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهدا
وانا صابر عليه **وفي** البخاري ان بعض اعدايه جا الى ابن عمر
ورماه بانه فر يوم احد وانه تغيب عن بدر وعن
بيعة الرضوان فرد عليه ابن عمر بان الله غفر له وعفى عنه
ما وقع منه يوم احد وان تغيبه عن بدر انما كان باذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمرض بنته رقية وقال له ان لك

أجر من شهد بدرا وسهمه وبان غيبته عن بيعة الرضوان
انما هو لكونه كان اعز اهل مكة فارسله في حاجته فكانت
بيعة الرضوان فضرب صلى الله عليه وسلم احدى يديه على الاخرى
فقال هذه لعثمان **قال العلما** ولا يعرف احد تزوج بنتي
نبي غيره ولهذا اسمي ذا النورين وقال وهو محصور يراد قتله
انه اختبا عند ربه عشرا انه رابع اربعة في الاسلام وانكحه
النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه وما تغنى ولا تمنى
ولا وضع يمينه على فرجه منذ بايع بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما مرت به جمعة منذ اسلم الا واعتق فيها
رقبة اي جملة ما اعتقه الفان واربعماية رقبة
تقريبا ولا زنى ولا سرق جاهلية ولا اسلاما وجمع القران
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى صنو النبي
ومن دين فؤادي وداده والولاء وعلي اي واقسم
عليك بعلي وسبق الاقسام به ايضا وانما لم يكتف به لان
ذاك وقع تبعا للمعجزة المقصودة بالذات وهي برء
عينيه بتفله صلى الله عليه وسلم فيهما ولنبين ما هو مذهب
اهل السنة واكثر الفرق من ان الخلافة والافضلية
بينهم على هذا الترتيب فاحق الصحابة بالخلافة وافضلهم
ابو بكر ثم عمر وهذا اجماع من الصحابة ومن بعدهم كما حكاه
جماعة من الايمة منهم الامام الشافعي رضي الله عنه قطعي
لا نزاع فيه بعينه ثم عثمان ثم علي وهذا ما عليه الاكثرون

فهو ظني لاقطعي وخالف فيه سفيان الثوري ومالك وغيرهما فقالوا
بافضلية علي وان كان عثمان أحق منه بالخلافة لاجماع أهل الشورى
ثم الصحابة على خلافته مع الاشارة اليهما من النبي صلى الله عليه وسلم
كما سبقت الاشارة الى ذلك ومما يصرح بأفضليته على ما
صح عن ابن عمر كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
فنخير ابابكر ثم عمر ثم عثمان وعن ابي هريرة رضي الله عنه كنا معاشر
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول افضل هذه
الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم
نسكت وهل تجب محبتهم برعاية أفضليتهم فيه تفصيل
وهو انها إن كانت من حيث الدين والعلم ومحبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجب ترتيبهم كترتيبهم المذكور وان كانت
لنحو قرابة أو إحسان لم تجب رعايتها كذلك صنو النبي
صلى الله عليه وسلم لاجتماعهما في أصل واحد وهو عبد المطلب
فهما كنخلتين أصلهما واحد ومن اي الذي دين اي اعتقاد
فؤادي أي قلبي وداده أي حبه والولاء له أي مناصرته
والذب عنه والرد على من نازع في خلافته ولم يبال بوقوع
الاجماع عليها وعلى من خرجوا عليه ونازعوه الامر مع
ما هو بريء منه وذلك عملا بما صح عنه صلى الله عليه وسلم
وهو اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ان عليا مني
وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي ولنأكد الذب عنه
لكثرة اعدائه من بني أمية والخوارج الذين بالغوا في سبه

وتنقيصه

وتنقيصه حتى على المنابر خصه الناظر بذلك ولهذا
اجتهد جهابذة الحفاظ ببث فضائله نصحا للامة ونصرة
للحق ومن ثم قال احمد ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء
لعلي وقال اسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري
لم يرد في حق احد من الصحابة من الاسانيد الصحاح الحسان بالأسانيد
أكثر مما ورد في علي رضي الله عنه فمن ذلك ما صح ان الله يحبه
وان رسوله يحبه بل وروى الترمذي انه كان أحب الناس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر ان المراد بالناس
بنو هاشم حتى لاينافي ما مر أن ابابكر كان احب الناس الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اية المباهلة لما نزلت
دعا صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وابنيهما وقال اللهم هؤلاء
أهل بيتي وانه قال انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب
لكن اعترض بتصحيح الحاكم لهذا وانه قال من كنت مولاه فعلي
مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه رواه ثلاثون
صحابيا وان الله تعالى أمره بحب أربعة وأخبره أنه
يحبهم منهم علي وانه لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق
وأن من سبه فقد سب النبي صلى الله عليه وسلم وانه
يقاتل على القرآن كما قاتل صلى الله عليه وسلم على تنزيله
وانه يهلك فيه اثنان محب مفرط ومبغض مبهت
وأن قاتله اللعين بن ملجم أشقى الاخرين كما ان عاقر
الناقة اشقى الاولين ووزير ابن عمه في المعالي ومن الأهل تسعد الوزرا

ووزيرا ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم أي ناصره وحامل كل ثقل نابه
صلى الله عليه وسلم ونايب عنه في المعالي الدينية والدنيوية جمع العلا
وهي الرفعة والشرف واصل هذا الحديث لما خلفه على المدينة
في غزوة تبوك قال يا رسول الله خلفتني مع النسا والصبيان
فقال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه
لا نبي بعدي ومر الكلام عليه في شرح قوله اودعتهما الزهرا
وقال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه احمد والترمذي والنسائي
وابن ماجه علي مني وانا منه ولا يودي عني الا علي والترمذي
انت اخي في الدنيا والاخرة والخطيب علي مني بمنزلة راسي
من بدني وابن عدي علي يعسوب المومنين والمال يعسوب
المنافقين والبزار علي يقضي ديني والنسائي والحاكم
ان كل نبي أعطي سبعة نجبا وأعطيت انا اربعة عشر
علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر
وعمر الحديث الخ واحمد انت اخي وابو ولدي تقاتل على
سنتي الحديث قال ابن عباس نزلت في علي رضي الله تعالى عنه
ثلثمائة اية وليست الوزارة خاصة به رضي الله عنه فقد
أخرج الترمذي حديث ما من نبي الا وله وزيران من أهل
السما ووزيران من أهل الارض فاما وزيراي من
أهل السما فجبريل وميكايل واما وزيراي من اهل الارض
فابو بكر وعمر وصح حديث هذان السمع والبصر وفي
رواية هما مني بمنزلة السمع والبصر من الراس وأخرج

الطبراني

الطبراني وأبو نعيم ان الله أمدني بأربعة وزرا اثنين من أهل السما
جبريل وميكايل واثنين من أهل الارض ابي بكر وعمر وابن عساكر
ان لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي ابو بكر وعمر بل قد
يستشكل ذكر الوزارة فيه دونهما مع انها لم ترد فيه لفظا وصحت
فيهما وقد يجاب بانها وردت فيه بمعناها على وجه ابلغ من لفظها
وهو قوله انت مني بمنزلة هرون من موسى فان هذه الوزارة
المستفادة من هذا النبي هي كوزارة هرون أخص من
مطلق الوزارة الواردة فيهما ومن ثم اخذ منها الشيعة
انها تفيد النص على انه الخليفة بعده وهو كذلك لولا
ما ياتي قريبا من المبطل لذلك الاستنباط ومما
يؤيد هذه الوزارة الخاصة كونه صلى الله عليه وسلم
آخاه دون غيره وأرسله موذنا على الناس ببراءة
في الموسم مع ان الخليفة على الحجيج أبو بكر لان العرب
لا يقبلون من يبلغ عن الكبير الا ان كان من أهله وجلدته
وانه استخلفه بمكة عند الهجرة حتى ادى ودايعه
وقضى ما عليه واتاه باهله فهذه كلها موذنة بوزارة
خاصة لم توجد في غيره فلذا ذكرها فيه فقط على انه وصفها
بما هو أعظم منها واجل **ومن الاهل تسعد الوزرا**
تذييل مناسب لما قبله وفيه رد العجز على الصدر ومن
تلك السعادة ما أمده صلى الله عليه وسلم به من المواخاة
فقد اخرج الترمذي أخا صلى الله عليه وسلم بين اصحابه

أي بسورة براءة

فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم
تواخ بيني وبين احد فقال صلى الله عليه وسلم انت اخي في الدنيا والآخرة
ومنها العلوم التى اشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم أنا
مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن اراد العلم فليأت
الباب وفي اخرى عند الترمذي انا دار الحكمة وعلي بابها
وفي اخرى عند ابن عدي علي باب علمي واختلفوا في حكم هذا
الحديث فجماعة منهم النووي رحمه الله تعالى على انه موضوع
والحاكم صححه وصرح بعض الحفاظ المطلعين انه حديث
حسن وصح انه صلى الله عليه وسلم ارسله الى اليمن ليقضي بينهم
فقال لا ادري ما القضا فضرب صدره بيده ثم قال اللهم
اهد قلبه وثبت لسانه قال علي فوالذي فلق الحبة
ما شككت في قضا بين اثنين وقيل له مالك اكثر الصحابة
حديثا فقال اني كنت اذا سألته انبأني واذا سكت ابتدأني
وكان عمر رضي الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن
يعني عليا رضي الله عنه ولم يكن احد من الصحابة يقول سلوني
الا علي رضي الله عنه وذكر عند عايشة رضي الله عنها فقالت
انه اعلم من بقي بالسنة وقال مسروق انتهى علم الصحابة
الى عمر وعلي وابن مسعود وقال والله ما نزلت ايه
الا وقد علمت فيم نزلت واين نزلت وعلى من نزلت
ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا ناطقا وقال
سلوني عن كتاب الله تعالى فانه ليس من اية الا وقد

عرفت

عرفت بليل نزلت أم بنهار وام في سهل ام جبل ولاجل هذه
العلوم الكثيرة التى أفيضت عليه من تلك الحضرة النبوية
لم يزده كشف الغطا يقينا بل هو الشمس ما عليها غطاء
لم يزده كشف الغطا يقينا كما اخبر بذلك عن نفسه بقوله
لو كشف الغطا ما ازددت يقينا اي لانه حصل عنده من البراهين
القطعية على حقيقة التوحيد ومتعلقاته والايمان وصدق
الرسل فيما جاؤا به ما لا يزيد اليقين فيه عند رؤية ذلك
عيانا واحترز بنفي زيادة اليقين نفسه عن زيادة ثمراته
فان عاقلا لا يشك ان عين اليقين اقوى من علم اليقين وان
حق اليقين اقوى من عين اليقين ودليله اولم تؤمن قال
بلى ولكن ليطمئن قلبي فاثبت لنفسه حقيقة الايمان بعينه
وطلب زيادة الطمانينة برؤية العيان فلا منافاة فيه
لما قاله علي رضي الله عنه خلافا لمن وهم فيه بل للانتقال
هو الشمس ما عليه اي على فضله وعلمه وزهده وتقدمه على
من عدا الخلفا الثلاثة قبله وحقيقة خلافته وقيامه
فيها بما قام به من قبله وزيادة غطاء اي ستر بل
هو ظاهر لكل احد وقد اخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كانت لعلي رضي الله تعالى عنه ثمانية عشر منقبة ما كانت
لاحد من هذه الامة وابو يعلى عن عمر قال اعطي علي ثلاث
خصال لان يكون لي خصلة منها أحب الي من ان اعطي
حمر النعم تزوجه ابنته وسكناه المسجد واعطا الراية
يوم خيبر

وصحّ عن ابن عمر نحو ذلك واخرج الطبراني والخطيب حديث
انّ الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب
ابن ابي طالب **وما** احسن قول حكيم له لما دخل الكوفة والله يا امير
المومنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك
وهي احوج اليك منك اليها **وقول** احمد وقد سأله ولده عن
علي ومعاوية اعلم ان عليا كان كثير الاعدا ففتش له اعداؤه
شيا فلم يجدوا فجاؤا الى رجل قد حاربه وقاتله فاطروه كيادا
منهم له وصحّ خلافا لمن نازع فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم
نام في حجره وهو يوحي اليه فغربت الشمس ولم يصل العصر
فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم وعلم انه لم يصل دعا الله تعالى
ان يرد الشمس فعادت حتى ظهر ضوءها على الحيطان
فصلى ثم غابت وفي هذا كرامة له باهرة ولعل الناظم
اشار اليها بتشبيهه بالشمس وعلم مما قدمته انه الحقيق
بالخلافة بعد الايمة الثلاثة بالاجماع ولا اكتراث ولا
التفات الى من زعم انه لا اجماع على خلافته **وهو اول**
من اسلم قال بعض الحفاظ اجماعا اي من الصبيان
واعتد باسلامه حينيذ لان الاحكام اذ ذاك كانت
منوطة بالتمييز ولم يعبد وثنا قط ومن ثم
اختص بكرم الله وجهه والحق به الصديق في ذلك
وآخاه النبي صلى الله عليه وسلم وزوجه فاطمة بالوحي
وهو احد العلما الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد

والخطبا

٢٥٥

والخطبا المعروفين وحفظ القران وعرضه على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واختفي بعد موته صلى الله عليه وسلم فكتب
كتابا فيه العلوم الجمة حتى قال ابن سيرين لو ظفرت بذلك
الكتاب لظفرت بالعلم كله **ولما** هاجر صلى الله عليه وسلم
امره ان يقيم بعده بمكة حتى يودي عنه ودايعه ثم يلحقه
باهله ففعل وارسله صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة
وكان الامير فيها على الحج ابا بكر رضي الله تعالى عنه فاذن في الناس
في الموسم بمنى بسورة براة لان العرب لا يعتدون بما يجي
على لسان الكبير الا اذا كان الرسول فيه من اهله **ومن ثم**
جا في حديث رجاله ثقات الا واحدا فمختلف فيه انه
صلى الله عليه وسلم خطب يوما وهو حاضر عقب فتح مكة
فقال اوصيكم بعترتي خيرا وان موعدكم الحوض والذي نفسي
بيده لتقيمن الصلاة ولتوتن الزكاة او لابعثن اليكم
رجلا مني كنفسي يضرب اعناقكم ثم اخذ بيد علي وقال هو هذا
وشهد معه صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وكان له فيها
اليد البيضا الا تبوك لانه استخلفه فيها على المدينة
وقال له لما قال اتخلفني مع النسا والصبيان اما
ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي
بعدي وبكونه لما قال له حينيذ بطل تمسك الشيعة
به على انه الخليفة المقدم على الكل على ان هرون مات
في حياة موسى عليه الصلاة والسلام فلا دليل فيه للخلافة

بَعْدَ الموت أصلاً **توفي** رضي الله عنه وكرم وجهه شهيداً على ثلاث وستين سنة ضربه اللعين عبد الرحمن بن ملجم بسيف مسموم في جبهته فاوصله دماغه ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وهو خارج الى الصلاة الصبح بعد ان استيقظ سحراً وقال للحسن انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة فشكى اليه ما لقي وقال له ادع لي فدعا انه يبدل لي خيراً منهم وانهم يبدلون شراً منه واكثر تلك الليلة من الخروج والنظر الى السماء وهو يقول والله ما كذبت وما كذبت وانها الليلة التي وعدت وكان عنده اوز فلما خرج الى الصلاة صحن فطردن عنه فقال دعوهن فانهن نوائح وقيل لم يمت الا ليلة الاحد وله اسوة بالخليفتين قبله عمر وعثمان رضي الله عنهم فان كلا منهم قتل شهيداً مظلوماً **اما عمر** فقتله عجمي عبد للمغيرة بن شعبة لكونه شكا اليه ثقل خراجه فلم يشكه لعلمه بقدرته عليه وزيادة لكثرة صنايعه فكمن له الى ان ضربه بخنجر صنعه له وهو في ثاني ركعة من صلاة الصبح يصلي بالمسلمين ومن تمام سعادته دفنه مع النبي صلى الله عليه وسلم فانه ارسل ولده بعد ان طعن يستاذن عايشة في ذلك فقالت كنت اعددت هذا المكان لنفسي فلاوثرنه به فاشتد فرحه بذلك **واما عثمان** رضي الله عنه فاجتمع على قتله اوباش اربعة الاف يجمعون من مصر وغيرها فحاصروه الى ان قتلوه في اوسط ايام التشريق والمصحف بين يديه

سنة خمس

بلغ مقابلة

٤٥٦

سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل اكثر وقيل اقل نوهما منهم انه اراد قتل محمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهم وهو بري من ذلك وانما افتعله بعض اهله وكانت الصحابة رضي الله عنهم يمكنهم الدفع عنه لكنه منعهم من ان يقاتلوا محاصريه لما قال له زيد بن ثابت ان الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا انصار الله مرتين فقال رضي الله عنه لا حاجة لي في ذلك كفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي عهداً وانا صاير اليه ومن ثم كان عنده في الدار مما يكد الكثيرون فارادوا ان يمنعوا عنه فقال من اغمد سيفه فهو حر لانه علم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم انه مقتول مظلوم وانه على الهدى وانه لا مخلص له من القتل وامره ان لا يعزل نفسه كما صح في الحديث وهو يا عثمان انك ستولى الخلافة من بعدي وسيريدك المنافقون على خلعها فلا تخلعها وصم في ذلك اليوم تفطر عندي كما مر في الحديث **وصح** ان عثمان اشرف من كوة فقال لعلي يا ابا الحسن ما هذا الذي ركب مني فقال اصبر يا ابا عبد الله فوالله ما غبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كنا على احد فتحرك الجبل فقال اثبت احد فانه ليس عليك الا نبي او صديق او شهيد وايم الله لتقتلن ولاقتلن معك اي بعدك وليقتلن طلحة والزبير رضي الله عنهم اجمعين

وباني اصحابك المظهر الترتيب فينا تفضيلهم والولاء واقسم عليك بباقي اصحابك العشرة المبشرين بالجنة في الاحاديث

الاحاديث

ونحن عليه

الصحيحة منها ان عمر رضي الله عنه لما جعل الامر شورى بين الستة
انكر عليه بانهم ليسوا رضي فقال ما عسى ان تقولوا في علي سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول له تبرك في يدي تدخل معي يوم القيمة حيث
ادخل وذكر في عثمان حديث انه يوم يموت تصلي عليه ملايكة
السما وان ذلك له خاصة وفي طلحة ان رحل النبي سقط في
ليلة فقال من يسوي لي رحلي وهو في الجنة فبدر طلحة فسواه
فقال يا طلحة هذا جبريل يقريك السلام ويقول انا معك في اهوال
يوم القيمة حتى انجيك منها وذكر في الزبير انه جلس يذب
عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم حتى استيقظ فقال
يا ابا عبد الله لم تزل قال لم ازل بابي انت وامي قال هذا جبريل
يقريك السلام ويقول انا معك يوم القيمة حتى اذب
عن وجهك شر جهنم وذكر في سعد بن ابي وقاص انه
صلى الله عليه وسلم قال فيه يوم بدر وقد اوتر قوسه اربعة عشر
مرة يرفعها اليه فداك ابي وامي وذكر في عبد الرحمن بن
عوف ان الحسنين اشتد بكاؤهما جوعا فقال صلى الله عليه وسلم
من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحيفة فيها
حيس ورغيفان بينهما اهالة فقال صلى الله عليه وسلم لكفاك
الله امر دنياك واما امر اخرتك فانا لها ضامن ومنها
ان حرا المارتج وعليه الخلفا الاربعة وطلحة والزبير
وابن عوف وسعد وسعيد قال له النبي صلى الله عليه وسلم
اسكن حرا فما عليك الا نبي او صديق او شهيد ومنها

رواية

٢٥٧

رضوان الله عليهم اجمعين

رواية سعيد بن عمرو بن نفيل ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة
وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير
في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن ابي وقاص
في الجنة وتاسع المومنين في الجنة فنشدوه بالله عنده
ثم قال اما اذا انشدتموني فانا تاسع المومنين ورسول الله صلى
الله عليه وسلم العاشر ثم قال لموقف احدهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه افضل من عمر احدكم ولو
عمر عمر نوح **المظهر** اي المبين **الترتيب** بينهم من النبي صلى الله
عليه وسلم وهو مفعول **فينا** اي لنا **تفضيلهم** على حسب مراتبهم
التي بها شرفهم صلى الله عليه وسلم وهو فاعله وعكس ذلك الشارح
والاول اظهر **و**المظهر ذلك بينهم لنا ايضا **الولاء**
اي الموالاة والمناصرة الواجبة علينا لهم بحسب مراتبهم
ومن ثم سئل بعض محققي المتاخرين عن محبة الخلفا
الاربعة يأتي في بقية الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
طلحة الخير المرتضيه رفيقا واحدا يوم فرت الرفقاء
طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي احد العشرة المشهود له
بالجنة احد الثمانية السابقين الى الاسلام واحد الستة
اصحاب الشورى في امر الخلافة بعد عمر الذين توفي صلى الله
عليه وسلم وهو عنهم راض واحد الخمسة الذين اسلموا على يد
ابي بكر لكونه السبب في اسلامهم وسماه النبي صلى الله عليه وسلم
طلحة **الخير** الفياض وطلحة الجود فكان غاية فيه بحيث

انه باع ارضا له بسبعمائة الف فباتت عنده فلم ينم مخافة من حسابها
فاصبح ففرقها وفى رواية ففرقها فى ليلته على فقراء المدينة
وجاءه رجل له بسائله برحم فاعطاه ثلاثمائة الف وكان
مغله بالعراق فى كل سنة اربعمائة الف وكان يكفي ضعفاء قومه
وقوم ابى بكر بني تيم ويقضى ديونهم ويرسل الى عايشة رضى الله
تعالى عنها فى كل سنة عشرة آلاف درهم وتصدق فى يوم
بمائة الف ثم لم يجد ثوبا يذهب فيه الى المسجد يصلى فيه
وهو وان لم يشهد بدرا فقد جعله صلى الله عليه وسلم
لمن شهدها اجرا وسهما قيل لانه كان بالشام لتجارة
والصحيح انه صلى الله عليه وسلم ارسله هو وسعيد بن زيد
رضى الله تعالى عنهما للتجسيس عن خبر عير قريش وخرج لبدر
فرجعا الى المدينة فوافياه منصرفه من بدر وصح انه
صلى الله عليه وسلم اقبل عليه وعلى الزبير وقال يا طلحة ويا زبير
ان لكل نبي حواري وانتما حواري اى ناصري وان الخلفاء
الاربعة وطلحة والزبير وابن عوف وسعيدا وسعدا كانوا
امام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القتال وخلفه فى الصلاة
فى الصف الاول وليس لاحد من المهاجرين والانصار يقوم
مقام واحد منهم غاب او شهد المرتضيه اى الذى كان
ارتضاه النبى صلى الله عليه وسلم وما جرى عليه الناظم من اضافة
اسم الفاعل الى معموله الضمير العايد على ال المقترنة به
هو الاصح نحو الضارب الرجل فالساقية ومنع المبرد هذه الصورة

واوجب

واوجب النصب اى لئلا يلزم عليه اجتماع اداتى تعريف ويرده
ان اضافة الصفة الى معمولها لا يفيد تعريفا بل تخفيفا قالوا فمن ثم
جاز اقتران هذا المضاف دون غيره بال ان كان مثنى او جمعا
على حده كالضاربا زيد والضاربوا زيدا او اضيف لمعرف بال
نحو الضارب الرجل والمضاف اليه كالقاصد باب الكريم او الى ضمير
هى مرجعه كما هنا ومن قال القصد به الذى ارتضى هو النبي
صلى الله عليه وسلم فقد وهم لامتناع الاضافة حينيذ لانها
ليست الى ضمير مرجعه ال فتنبه له رفيقا واحدا هو
ما فى اكثر النسخ وفى نسخة احد وهو الفاعل الذى ارتضاه
احد رفيقا ففيه اسناد مجازي وفى اخرى احدا وهو على
نزع الخافض اى فى احد يوم ظرف لاسم الفاعل وقول الشارح
انه بدل من احد اى بناء على النسخة الثانية بعيد فرق الرفقاء
عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم احد وفيه كسعد وسعيد
والامانة الامناء واتاه واتى وتمسكت واستمسكت وانطوت
وانطوى واغنا والغوث والمغيث الابيات جناس
الاشتقاق او شبهه وفى ذكر واحدا فى اكثر النسخ تطويل
المنقول فى السير وغيرها ان الذين ثبتوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما انكشف عنه الناس اربعة عشر سبعة
من المهاجرين وسبعة من الانصار وفى البخاري لم يبق معه
صلى الله عليه وسلم الا اثنى عشر رجلا لكن ظاهر كلام بعض
اهل السير ان طلحة وقع له بعد ذلك انفراد معه صلى الله عليه وسلم

ثم تتابعت بعده الناس فلينه قال وكان لطلحة اليد البيضا يوم احد
فوقى النبي صلى الله عليه وسلم لما ضرب بالسيف فشج وجهه بيده فشلت
واستمرت شلاء وكان الصديق رضي الله عنه اذا حدث عن يوم احد
بكا وقال ذلك كله لطلحة وقد قال له صلى الله عليه وسلم يومئذ
اوجب طلحة اي وجبت له الجنة وذلك انه صلى الله عليه وسلم
كان قد ظاهر بين درعين فاراد ان ينهض وهما عليه
ليصعد صخرة هنالك فما استطاع فبرك له طلحة
رضي الله تعالى عنه فصعد على ظهره واستوى عليها فقال
صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وثبت مع النبي صلى الله عليه
وسلم يومئذ وبايعه على الموت ووقاه بنفسه وعن عايشة
رضي الله تعالى عنها انها قالت قال ابو بكر كنت اول من جا يوم
احد فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي عبيدة بن
الجراح عليكما بصاحبكما يريد طلحة وقد نزف فاصلحنا
من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتينا طلحة
فاذا به بضع وسبعون او اقل او اكثر بين طعنة وضربة
ورمية واذا قد انقطعت اصبعه فاصلحنا من شانه
ثم رايت حديثا صحيحا مصرحا بما في النظم على نسخة واحدا
وهو لقد رايتني يوم احد وما في الارض قربي مخلوق غير
جبريل عن يميني وطلحة عن يساري ولما رجع صلى الله عليه
وسلم من احد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قرا
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية

فقيل

فقيل يا رسول الله من هولا فقال هذا منهم واشار الى طلحة رضي الله تعالى عنه
وصح عند الحاكم لكن نوزع فيه من اراد ان ينظر الى شهيد
يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبد الله وصح ايضا
طلحة والزبير جاراي في الجنة وكان رجل يقع فيه وفي الزبير
بحضرة سعد بن ابي وقاص فنهاه فيابى فصلى ثم دعا
عليه انه ان كان مبطلا يريه الله فيه اية ويجعله للناس
عبرة فخرج فاذا جمل هائج يشق الناس فاخذه وهرسه
بيديه ورجليه حتى قتله قال سعيد بن المسيب انا
رايت الناس يتبعون سعدا يقولون هنيا لك ابا اسحق
اجيبت دعوتك وكان خرج هو والزبير على علي رضي الله عنهم
فاجتمع بهما يوم الجمل فروى للزبير ما ياتي ووعظ طلحة
فوقف وتاخر ووقف في بعض الصفوف فجاه سهم في
ركبته فقتله في جمادي الاخرة سنة ست وثلاثين
عن اربع وستين سنة على الاشهر ودفن بالبصرة وجاه
علي فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول رحمة الله عليك
ابا محمد يعز علي ان اراك مجدلا وحواريك الزبير
ابي القرم الذي انجبت به اسما وحواريك اي ناصرك
الزبير ابن العوام القرشي وامه صفية عمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو احد الثمانية السابقين والستة اصحاب
الشورى والعشرة المبشرين بالجنة والشجعان المشهورين
لم يلحقه كحمزة وعلي احد في الشجاعة والفروسية

ولذلك لما كان يوم بدر بعمامة صفرا نزلت الملايكة بعمايم صفر
وهو أول من سل سيفا في سبيل الله تعالى لانه سمع اخذ
محمد فخرج يشق الناس بسيفه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم
باعلا مكة فقال له مالك فقال أخبرت انك أخذت
فصلى عليه ودعا له ولسيفه شهد المشاهد كلها مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفتح اليرموك وكانت له فيها اليد البيضا
والهمة العليا اخترق صفوف الروم مرتين من اولهم الى اخرهم
وفتح مصر مع عمرو بن العاص وصح انه لما اشتد الخوف يوم
الاحزاب ندب صلى الله عليه وسلم من ياتيه بخبر عصيان بني قريظة
فقال انا فعاد فقال انا فقال صلى الله عليه وسلم ان
لكل نبي حواري فداك ابي وامي وصح عن عثمان انه قيل له وهو
محصور لو استخلفت قال العلهم قالوا الزبير قيل نعم قال
اما والله انه لخيرهم ما علمت وان كان لاحبهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية صحيحة اما والله انكم
لتعلمون انه خيركم ثلاثا وكان له الف عبد يؤدون اليه
الخراج في كل يوم فيتصدق به في مجلسه ولا يقوم بدرهم
وكان مع الخارجين على علي يوم الجمل فلما دنت الصفوف
خرج علي وهو على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى
ادعوا الى الزبير فدعي له فاقبل حتى اختلفت اعناق دوابهما
فقال له نشدتك الله اتذكر يوم مر بك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن في مكان كذا وكذا فقال يا زبير تحب عليا فقلت

فأعاد

رضي الله عنه

الا احب ابن خالي وابن عمي وعلى ديني فقال يا زبير اما والله لتقاتلنه
وانت ظالم له فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الان لا اقاتلك ثم
ادبر راجعا فقال له ولده عبد الله ما بالك فذكر له القصة
فقال لم نجي للقتال بل للنصح بين الناس فابى وفي رواية
انه قال له جبنا جبنا فقال قد علم الناس اني لست بجبان
ولكن ذكرني حديثا فحلفت ان لا اقاتله وفي رواية ان
سبب رجوعه انه قال لاصحاب علي افيكم عمار بن ياسر
قالوا نعم فاغمد سيفه وقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لعمار ستقتلك الفئة الباغية ولا مانع
انه قال ذلك ثم ذكره على الحديث زيادة في اعلامه ثم سار
فلما وصل وادي السباع نام فجا رجل فقتله في جمادي الاولى
سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة على الاشهر
وقيل ان يجتمع بعلي قال لابنه عبد الله ما اراني الا سأقتل
اليوم مظلوما ثم اكد عليه ان يبيع امواله ويقضي دينه
من ارضين له منها الغابة وبضع عشرة دارا وكان
قدر دينه الفا الف ومايتا الف وما ولي امارة قط
ولا جباية ولا خراجا ولا شيا وما خلف درهما ولا دينارا
وقضيت ديونه من ثمن تلك الاراضي والدور وكان
ولده عبد الله رضي الله عنه ينادي في الموسم مدة اربع سنين
الا من له دين على الزبير فلياتنا فلما لم يات احد

أملاكه

أخرج ثلث ماله لانه أوصى به ثم قسم الباقي بين ورثته وكان له
اربع نسوة فاصاب كلا منهن الف الف ومايتا الف
فجميع ماله خمسون الف الف ومايتا الف هذا ملخص ما في
صحيح البخاري لكن اعترض بان الصحيح ان الذي تركه
مما وفى الدين والوصية وما ورث عنه تسعة وخمسون
الف الف وثمانماية الف وكان له صدقات كثيرة ومكارم
جليلة وماله كله حلال صرف كذا قيل ولا حاجة اليه لان
أغنيا الصحابة كلهم كذلك لان أموالهم اما من سلب
اوسهم من الغنيمة او الفي او تجارة مبرورة وأوصى اليه
سبعون من الصحابة باموالهم وأولادهم فحفظها وكان
ينفق على اولادهم من ماله ومن مدح حسان فيه

فكم كربة ذب الزبير بسيفه • عن المصطفى والله يعطي ويجزل •
فما مثله فيهم ولا كان قبله • وليس يكون الدهر ما دام يذبل •
ثناؤك خير من فعال معاشر • وفعلك يا ابن الهاشمية افضل •

ابي القرم بفتح القاف وسكون الرا السيد الكريم عبد الله
ابي خبيب وابي بكر الذي انجبت اي أتت به في غاية
النجابة والشجاعة والراي الحازم والتصريف الصايب
أسما بنت أبي بكر الصديق ذات النطاقين بعد عشرين
شهرا من الهجرة بالمدينة وكان اول مولود بعد الهجرة
واشتد فرح المهاجرين به لان اليهود توعدوهم انهم
عملوا لهم ما أبطل نسلهم فلا يأتيهم ولد فلما ولد بان

كذبهم • ولما احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه دمه
وقال غيبه في موضع لا يراك فيه احد فلما جا اليه قال
ما فعلت بالدم قال شربته قال اذا لا تلج النار بطنك
ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان كذلك لانه
سعى في الخلافة لما مات يزيد سنة أربع وستين فاعطاه
اهل اليمن والحجاز والعراق وخراسان ثم هدم الكعبة
لتهدمها وسماعه من خالته عايشة رضي الله عنه ما روته
له عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان قريشا حديثو عهد بكفر
لهدمت الكعبة وجعلتها على قواعد ابرهيم عليه الصلاة
والسلام وفتحت بابها الغربي وجعلت بابها الشرقي لاصقا
بالأرض كما كانت زمن ابرهيم صلى الله عليه وسلم فاعادها
ابن الزبير كذلك بعد أن شاور الصحابة فمنهم من أمره
بذلك ومنهم من نهاه عنه فلم يرجع اليه لسماعه الحديث
المذكور فكان أجر ذلك البنا باقباله الى أن يهدمها
ذو السويقتين فان البنا الموجود الآن كله بناؤه الا
حايط الميزاب فان الحجاج لما حصره اول الحجة سنة
اثنين وسبعين وحج بالناس ولم يزل محاصره الى ان قتله
سابع جمادى الاول سنة ثلاث وسبعين هدم ما كان
أدخله ابن الزبير من الحجر وهو ستة اذرع كما أدخله
ابرهيم عليه الصلاة والسلام واخرج الستة ثم أخر الجدار
كما هو اليوم وسد الباب الغربي وأعلى الباب الشرقي •

لتصير كما كانت في زمنه صلى الله عليه وسلم لان قريشا لما بنتها
قصر بهم المال الحلال عن ان يجعلوها كما كانت زمن ابرهيم
فجعلوها كذلك وكان ابن الزبير صواما يواصل الخمسة عشر
يوما واكثر قواما اطلس لا لحية له من دهاة العرب المشهورين
وشجعانهم الموصوفين واحد العبادلة الاربعة المتقاربين
سنا وعلما وذكاء وفهما والثلاثة الباقية عبد الله بن عباس
وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وليس منهم
ابن مسعود لانه اكبر منهم سنا فليس في طبقتهم رضى الله عنهم

حينئذ

والصفيين توأم الفضل سعد وسعيد ان عدت الاصفياء

والصفيين تثنية صفي وهو المصطفى المستخلص من الحظوظ
والشهوات **توأم الفضل** من اتأمت المرأة ولدت اثنين
اي انهما في الفضل انجبهما الكثرة ما قام بهما منه ولو قال
توأما الفضل كان اوضح ومعناه حينئذ انهما لما اشتركا
في الفضائل الجليلة صارا كانهما مولودان في حمل واحد
سعد ابي اسحاق بن ابي وقاص مالك القرشي الزهري
وهو احد الستة اصحاب الشورى والثمانية السابقين
الى الاسلام بل هو ثالث الاسلام واحد العشرة المشهود
لهم بالجنة والشجعان المشهورين وهو اول من رمى بسهم
في سبيل الله تعالى واول من اراق دما في سبيل الله تعالى
ومن كان يقال له فارس الاسلام شهد المشاهد كلها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يوم احد الف سهم وولاه

عمر العراق

عمر العراق فكان الامير في فتح مداين كسرى وغيرها ومن كراماته
الظاهرة انه قطع بجيوشه البحر على ظهور الخيل لم يبلغ الما
منها الى حزمها والناس في غاية الطمانينة كانهم سايرون في
البر وكان الذي يسايره سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنهما
وكذلك ولاه عثمان ولايات جليلة وكان صلى الله عليه وسلم
يناوله النبل يوم احد ويقول ارم فداك ابي وامي واقبل
والنبي صلى الله عليه وسلم جالس مع اصحابه فقال هذا سعد
خالي فليرني امرء خاله وقال له اجلس يا خالي فان الخال والد
ودعا له فقال اللهم سدد رميه واجب دعوته وفي رواية
صحيحة اللهم استجب لسعد اذا دعاك فلم تسقط له دعوة
بعد ذلك فكان مجاب الدعوة واشرف على الموت فاخبره
النبي صلى الله عليه وسلم انه يعيش وقال لعل الله يرفعك فينتفع
بك اقوام ويضر بك آخرون واعتزل البيعة بعد قتل عثمان
فلم يدخل فيها ولم يحضر شيا من تلك الحروب توفي رضى الله عنه
بقصره بالعقيق على اميال عشرة من المدينة فحمل اليها
وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة وصلت
عليه امهات المومنين في حجرهن ودفن بالبقيع سنة
خمس وخمسين عن تسع وسبعين سنة وكان اوصى ان يكفن
في جبة صوف لقي المشركين فيها يوم بدر وقال انما كنت
اخباها لذلك وهو اخر المهاجرين موتا وفي مسلم ان اية
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي نزلت

في سنة منهم سعد وابن مسعود وسعيد بن زيد بن
عمرو بن نفيل القرشي العدوي احد العشرة المشهود لهم بالجنة
شهد المشاهد كلها وعده البخاري فيمن شهد بدرا ومر
في ترجمة طلحة انه لم يشهدها وهذا ما عليه الاكثرون
وقد يجمع بانه لم يشهدها حسا وشهدها حكما اجرا وسهما
وهو ابن عم عمر وزوج اخته والسبب في اسلامه كما مر ولذلك
لم يدخله في اهل الشورى كولده عبد الله لئلا يظن به انه
حابى أقاربه واخرج الشيخان ان امرأة ادعت عليه
عند مروان انه اخذ لها قطعة ارض فقال ما كنت لافعل
بعد أن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبرا
من أرض ظلما طوقه من سبع ارضين فقال مروان لا
أسئلك بينة بعد هذا ثم قال سعيد اللهم ان كانت
كاذبة فاعم بصرها واقتلها في أرضها فذهب بصرها
وبينا هي تمشي في أرضها وقعت في حفرة فماتت زاد
مسلم انها قالت أصابتني دعوة سعيد وفي رواية
انه كان جارها بالعقيق وانه اعطاها الذي ادعته
ثم دعا عليها بما مر توفي سنة خمسين عن بضع وسبعين سنة
ودفن بالمدينة وابوه زيد توفي في الجاهلية لكن جاءت
أحاديث تدل على انه من أهل الجنة منها لكنه مرسل
غفر الله عز وجل لزيد بن عمرو ورحمه ومنها وهو صحيح
سئل صلى الله عليه وسلم عنه فقال يأتي يوم القيمة أمة وحده

ببني

٢٦٤

ببني وبين عيسى اذ عدت الاصفيا فهذان من اكابرهم
كيف وفي اسميهما ما يشعر ببلوغهما مرتبة عظمى من مراتب
السعادة وابن عوف من هونت نفسه الدنيا ببذل ليمنه اثنا
وعبد الرحمن ابن عوف بن الحارث بن زهرة القرشي
الزهري أحد الثمانية السابقين للاسلام والستة أهل الشورى
والعشرة المبشرين والخمسة الذين اسلموا على يد ابي بكر
وصح انه كان بينه وبين خالد شيء فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق احدكم مثل
أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه اي نصفه
وفي رواية الواقدي وابن عساكر يا خالد ذروا لي أصحابي
لو كان احد ذهبا ينفقه قيراطا في سبيل الله لم يدرك
غدوة او روحة من غدوات أحد وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم
المشاهد كلها وكان ممن ثبت يوم أحد وبعثه صلى الله
الى دومة الجندل الى بني كلب وعممه بيده الكريمة وسدلها
بين كتفيه وقال ان فتح الله عليك فتزوج ابنة ملكهم او قال
شريفهم ففتح عليه وتزوج بنت شريفهم الاصبغ فولدت له
ابا سلمة وصح انه صلى الله عليه وسلم ائتم به في غزوة تبوك
وصلى وراءه ركعة من الصبح وهذه منقبة لم توجد لصحابي
غيره وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب لحاجة فادركهم
الوقت واقاموا الصلاة فتقدمهم عبد الرحمن رضي الله عنه
ولما أتم صلى الله عليه وسلم ما فاته خلفه قال ما قبض نبي

حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته وائتم صلى الله عليه وسلم
بابي بكر ايضا لكنه اخرج نفسه عن الامامة بتأخره وقال لما
قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تثبت وقد أشرت
اليك ما كان ينبغي لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله قال
صلى الله عليه وسلم **فان قلت** لم لم يفعل عبد الرحمن ذلك
قلت الظاهر انه لم يعلم باقتدايه صلى الله عليه وسلم به واقتدى
صلى الله عليه وسلم بجبريل عند باب الكعبة بجانبه من ناحية الحجر
بكسر الحا فصلى به الخمس مرتين في يومين صبيحة الاسرا والذي
يليه **وكان** كثير الانفاق في سبيل الله اعتق رضي الله عنه
في يوم واحد احد وثلاثين عبدا حتى جا ان جملة ما أعتقه
ثلاثون الفا وفي حديث انه امين في السما امين في الارض
وكان كثير المال محظوظا في التجارة قال لام سلمة خفت ان
يهلكني كثرة مالي فقالت له يا بني أنفق قال الزهري
تصدق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بشطر ماله اربعة
الاف دينار ثم باربعين الف دينار ثم بمثلها ثم بخمسماية
فرس ثم بخمسماية راحلة وفي رواية الف وخمسماية راحلة
واوصى لامهات المومنين بحديقة فبيعت باربعماية الف
واوصى بخمسين الف دينار في سبيل الله تعالى ولكل واحد
ممن بقي ممن شهد بدرا باربعماية دينار وكانوا ماية
وكان من جملتهم عثمان فاخذ ما نابه وهو امير المومنين
وبالف فرس في سبيل الله تعالى وكان اهل المدينة عيالا

عليه

عليه ثلث يقرضهم وثلث يقضي دينهم وثلث يصلهم وقدمت
له عير من الشام سبعماية راحلة فسمعت عايشة رضي الله عنها
أصواتها فروت حديث يدخل ابن عوف الجنة حبوا فبلغه
فاتاها فحدثته فقال اشهدك انها واحمالها واقتابها
واحلاسها في سبيل الله عز وجل وباع ارضا من عثمان
باربعين الف دينار فقسمها في اقاربه بني زهرة وفقرا
المسلمين وامهات المومنين **وروي** انه صلى الله عليه وسلم
قال له لن تدخل الجنة الا زحفا فاقرض الله عز وجل يطلق لك
قدميك قال وما الذي اقرضه قال تبرا من كل ما لك فهم
بذلك فاتاه جبريل فقال مره فليضف الضيف وليطعم
المسكين وليعط السايل وليبدا بمن يعول فاذا فعل
ذلك كان تزكية ما هو فيه **وفي** حديث ابن عدي وغيره
ان رجلا لين الصوت قرا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فما بقي احد الا فاضت عيناه غير عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
فقال صلى الله عليه وسلم ان لم تكن فاضت عينه فقد فاض
قلبه وفي حديث ضعيف اول من يدخل الجنة من أغنيا
امتي عبد الرحمن بن عوف والذي نفسي بيده لن يدخلها
الا حبوا وفي اخر رواه احمد والطبراني اني رايت عبد الرحمن
ابن عوف يدخل الجنة حبوا وفي رواية لاحمد قد رايته
يدخل الجنة حبوا لكن ذكره ابن الجوزي في الموضوعات
وفي رواية لابن سعد وابن عساكر كاني بعبد الرحمن

ابن عوف على الصراط يميل مرة ويستقيم اخرى حتى يفلت ولم يكد
يكون يعارض ذلك ما رواه جماعة انه صلى الله عليه وسلم قال
له كفاك الله امر دنياك واما امر اخرتك فانا لها ضامن وسببه
ان الحسنين اشتد بكاؤهما من الجوع فقال صلى الله عليه وسلم من
يصلنا بشيء فاتاه بصحفة فيها حيس ورغيفين بينهما اهالة
توفي رضي الله عنه عن اثنين او خمس وسبعين سنة سنة اثنين
وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه علي وقيل الزبير
لانه كان هجر عثمان لما امر اقاربه فقال الناس لابن عوف
هذا فعلك فدخل عليه ولامه وقال انما وليتك لتسير
بسيرة الشيخين فقال كان عمر يقطع اقاربه في الله تعالى
وانا اصلهم في الله تعالى فنذر ان لا يكلمه ابدا وترك
من الذهب ما جاء ربع ثمنه ثمانين الف دينار ولما
تقرر من كثرة انفاقه وصدقاته وماله كثرة فيهما
تفوت الحصر قال من بدل مما قبله هونت نفسه
الدنيا اي صيرت اموالها وامتعتها رخيصة عنده بسبب
بذل لها في وجوه الخير والقربات بذلا دائما مستمرا
كثيرا بتيسير العقل وبرفع الدرجات العلى كما مر في
الاحاديث وذلك البذل الكثير يمده اثراء اي
كثرة المال الذي فتح الله به عليه واكثره من التجارة
لانه كان محظوظا فيها بحيث لو مسك التراب صار ذهبا
والمكني ابا عبيدة اذ يعزي اليه الامانة الامناء

والمكني

والمكني ابا عبيدة وهو عامر بن الجراح القرشي الفهري امين
هذه الامة كما صحت به الاحاديث وفي رواية وامينى وفي
اخرى وامينا ايها الامة واحد العشرة والرجلين اللذين
عينهما الصديق يوم السقيفة للخلافة والثاني عمر واحد
الخمسة الذين اسلموا في يوم واحد على يد الصديق وبقيتهم
عثمان بن مظعون وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن
عوف وابو سلمة بن عبد الاسد زوج ام سلمة شهد مع النبي
صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها وثبت يوم احد مع النبي
صلى الله عليه وسلم ونزع يومئذ باسنانه حلقتين دخلتا
في وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلق المغفر
فوقعت ثنيتاه لانه تحامل عليهما خوفا من ايلامه صلى الله
عليه وسلم فكان من احسن الناس هتما والهتم القا مقدم
الاسنان وولاه ابو بكر لما ارسل جيشا الى الشام ثم جعل
خالدا اميرا وعلى غيره لعلمه بالحروب ولما ولي عمر اعاده
لكن امره ان يستشير خالدا وهو اول من سمي امير الامراء
بالشام وروى انه صلى الله عليه وسلم امره على سرية فيها
ابو بكر وعمر وتعرض له ابوه يوم بدر فاعرض عنه فلا نهد فلما
اكثر عليه قتله فانزل الله فيه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر الاية ولما قال له الصديق يوم السقيفة مد يدك
لابايعك قال ما كنت لاتأمر على رجل قدمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصلى بنا حتى قبض وقال عمر لئن

عليه

الي

٢٦٥

أدركني اجلي وهو موجود استخلفته لاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة امينا وامين هذه الامة
ابو عبيدة بن الجراح ولما قدم عمر الشام تلقاه الناس فقال
اين اخي ابو عبيدة فقالوا الساعة يأتيك فاتاه على ناقة
مخطومة بخطام ليف فنزل عمر عن راحلته واعتنقه وقال
للناس انصرفوا عنا ثم دخل معه الى بيته فلم يجد فيه سوى
سيفه وترسه وقوسه ورحله فبكى عمر وقال لاصحابه تمنوا
فقال رجل ملء هذه الدار ذهبا انفقه في سبيل الله تعالى رضي الله عنه
وقال الآخر جوهرا انفقه فقال عمر وانا اتمنى لو ان هذه
الدار مملوءة رجالا امثال ابي عبيدة وله فتوحات كثيرة
ووقعات كثيرة مع المشركين هائلة وصح عن الحسن
مرسلا ما من احد من اصحابي الا لو شئت لاخذت
عليه في بعض خلقه غير ابي عبيدة بن الجراح توفي
سنة ثمانية عشر شهيدا بالطاعون في طاعون عمواس قرية
بين الرملة وبين بيت المقدس اول ما وقع بها ثم انتشر
بالشام وقبره معروف ثم قال الامام النووي رحمه الله
زرته فرأيت عنده عجبا ورأيت عنده من الجلالة
ما هو لائق به اذ ظرف لاقسم المقدر او تعليل له
يعزى اي ينسب اليه اي ابي عبيدة الامانة الامناء
واجلهم نبينا صلى الله عليه وسلم فانه قال كما صح عنه
لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح بلغ مقابلة

وفي رواية

وفي رواية وأميني وفي اخرى وامينها ابينها الامة واعلم ان هذا
كقوله صلى الله عليه وسلم في ابي ذر انه اصدق من اظلت الخضراء
واقلت الغبراء لا يقتضي تفضيلا على الخلفاء الراشدين لان اولئك
كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض
واما هذان فكملت فيهم صفة الامانة والصدق فتميزا
فيهما على من لم يكملا فيه ولو سلمنا زيادتهما فيهما على اولئك لم يقتض
تفضيلا ايضا لان المفضول قد يتميز بمزية بل بمزايا لم توجد
في الفاضل لان خلف تلك المزايا مزايا اخرى اجل منها واعظم
فحصل مناط الافضلية فيه وان خلا عما تميز به المفضول
وبعميك نيري فلك المجد وكلا آتاه منك اتاء
واقسم عليك بعميك اخوي ابيك لابيه وهما حمزة والعباس
رضي الله تعالى عنهما وكل منهما اسن من النبي صلى الله عليه وسلم
بنحو السنتين نيري تثنية نير وهو الكوكب المضيء فلك
هو ما تسير فيه الكواكب المجد اي الكرم والحسب شبه المجد
بالسماء واثبت لها ما هو من لوازمها وهو الفلك اذ كل سماء
تسمى فلكا ففي استعارة بالكناية واستعارة تخييلية
ورشح لها بذكر النيرين وشبههما بالشمس والقمر واثبت لهما
ما هو من لازمهما وهو الاضاءة ففي ايضا استعارة بالكناية
واستعارة تخييلية وفيها ايضا استعارة تجريدية بذكر
المجد الملائم للمعنيين وكل منهما آتاه اي حصل له منك اتاء
بوزن كتاب وهو ما يخرج من الشجر والنماء كما في القاموس

وقال الشارح هو ما يستفاد من النعم والخيرات من غير تعب كحمل
النخل وثمار الاشجار ولعله تفسير مراد اما حمزة ويكنى ابا
عمارة ويلقب باسد الله واسد رسوله فكان عظيما شجاعا اخا
النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة اسلم قديما وسبب
اسلامه ان اللعين ابا جهل شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانصرف ولم يجبه وانصرف ابو جهل الى نادي قريش عند
الكعبة واقبل حمزة من قنصه متوشحا قوسه فاخبر وهو اعز
فتى في قريش واشد شكيمة فغضب وعمد فشجه في راسه
شجة منكرة وقال اتشتمه وانا على دينه فقامت اليه رجال من بني
مخزوم فمنعهم ابو جهل خشية الفتنة وهو اول من اتخذ له
النبي صلى الله عليه وسلم لوا حين بعثه الى سيف البحر بكسر السين من
جهينة استشهد باحد نصف شوال ثالث سني الهجرة بعد
ان قتل احد وثلاثين كافرا قتله وحشي عبد لعقبة السلمي قال
رايته يهد الابطال هدا فاختفيت له فلما تمكنت منه رميته
بحربتي فاصابته ووليت هاربا فتبعني ثم سقط وبعد ذلك
اسلم وحشي هذا فقبله صلى الله عليه وسلم وقال له غيب وجهك
عني اي خشية ان يصيبه منه شي اذا تذكر قتله لحمزة وخرج
يوم اليمامة فشارك رجلا في قتل مسيلمة الكذاب فكان يقول
هذه بتلك ومع ذلك فقد اصابه ما اصابه لما صح عن ابن المسيب
انه قال كنت اعجب لقاتل حمزة كيف ينجو حتى مات غريقا
في الخمر وقال ابن هشام بلغني انه لم يزل يحد في الخمر حتى

خلع من الديوان

خلع من الديوان فكان عمر يقول لقد علمت ان الله لم يكن ليدع قاتل
حمزة ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة قتيلا بكى ولما راى
ما مثل به شهق وقال لن اصاب بمثلك ابدا ما وقفت
موقفا اغيظ الي من هذا وروى ابن شاذان عن ابن مسعود
ما راينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا قط اشد من بكائه
على حمزة وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وبكى حتى
كاد يغشى عليه يقول يا حمزة يا عم رسول الله يا اسد الله واسد
رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله
ولبس في هذا نوح ولا تعديد شمايل بل اخبار بفضايله وشمايله
رضي الله عنه وصح حديث انه سيد الشهدا يوم القيمة وانه لولا
جزع الناس لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع وحديث
رحمة الله عليك فقد كنت وصولا للرحم فعولا للخيرات وصح الحاكم
حديث والذي نفسي بيده انه لمكتوب عند الله تعالى في السما
السابعة حمزة بن عبد المطلب اسد الله واسد رسوله لكن
تعقب وورد من طرق ان الملايكة غسلته وصحح الحاكم
لكن تعقب واما العباس وكنيته ابو الفضل فكان
جليلا جوادا ذا راي وكمال عقل معظما بين الصحابة وعند
النبي صلى الله عليه وسلم رئيسا في قريش قبل الاسلام وكانت
اليه عمارة المسجد الحرام والسقاية وكان مع النبي صلى الله عليه
وسلم يوم العقبة يعقد له البيعة على الانصار وكان صلى الله عليه
وسلم يثق به في امره كله اسر ببدر لقوله صلى الله عليه وسلم من

يا كاشف الكربات يا حمزة

لقيه فلا يقتله فانه خرج مستكرها وسمعه صلى الله عليه وسلم
يئن لكونهم شدوا وثاقه فلم ينم فقيل له ما يسهرك يا رسول الله
قال أنين العباس فقام رجل فارخى من وثاقه ووثاق البقية
وفادى نفسه وعقيلا ابن اخيه بعد ان قال ما معي شيء فقال
له صلى الله عليه وسلم واين المال الذي قلت لام الفضل أي زوجته
حين خرجت اذا انا مت فافعلي به كذا فقال من أعلمك بهذا
ولم يطلع عليه غيري وغيرها فاسلم سرا وكتم ايمانه الى قبيل فتح
مكة فخرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ولقيه بالابواء وبه ختمت
الهجرة **وكان** رده النبي صلى الله عليه وسلم بمكة يكاتبه باخبار
اهلها وكان المسلمون بمكة يثقون به وكان يحب القدوم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه ان بقاك بمكة خير لك
ولما قالت الانصار تترك لابن اختنا عباس الفدا ابى صلى
الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا
وثبت معه حين انهزم الناس **وكان** عمر يستسقي به الغيث
اذا قحط الناس فيقول اللهم انا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا
وها نحن نستسقي بعم نبيك فاسقنا فيسقون توفي بالمدينة
ثاني عشر رجب او رمضان سنة اثنين وثلاثين وله نحو
من ثمانية وثمانين سنة وقبره مشهور بالبقيع وصح حديث
العباس مني وانا منه لا تسبوا أمواتنا فتؤذوا به الأحياء
وحديث انه سال النبي صلى الله عليه وسلم ان يستعمله على الصدقة
فقال ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس وحديث

صلى الله عليه وسلم

من اذى العباس

من اذى العباس فقد اذاني فانما عم الرجل صنو أبيه وحديث
أوصاني الله بذي القربى وأمرني ان ابدأ بالعباس بن عبد المطلب
واخرج الدارقطني في الافراد ليكونن في ولد العباس ملوك
يلون امر امتي يعز الله بهم الدين **وابن عساكر** اللهم اغفر له
ذنبه وتقبل منه احسن ما عمل وتجاوز عن سيء ما عمل
وأصلح له في ذريته لا تؤذوا العباس فتؤذوني ومن
سب العباس فقد سبني وفي حديث ضعيف وقال
ابن الجوزي موضوع العباس وصيي ووارثي واخرج الرافعي
ألا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن
عترتك الخلفاء ومنك المهدي في اخر الزمان به ينشر
الله الهدى وبه تطفى نيران الضلالة ان الله فتح بنا
هذا الامر وبذريتك يختم وكون المهدي من ولده
يحمل على ان فيه شعبة منه لما صح انه من ولد فاطمة
وصح انه من ولد الحسن ولا تعارض لان فيه شعبة
من ولد الحسين ايضا فهو حسني وفيه شعبة من الحسين
وشعبة من العباس **والترمذي** وقال حسن غريب
اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة
لا تغادر ذنبا اللهم اخلفه في ولده والخطيب وابن
عساكر اللهم اغفر للعباس وولد العباس ولمن احبهم
وابن عساكر اللهم اغفر للعباس ما اسر وما أعلن وما ابدى
وما اخفى وما كان وما يكون منه ومن ذريته الى يوم القيامة

والخطيب يا عباس انت عمي وصنو ابي وخير من اخلف بعدي من
اهلي اذا كانت سنة خمس وثلاثين وماية فهي لك ولولدك
منهم السفاح ومنهم المنصور ومنهم المهدي

وبأم السبطين زوج علي وبنيها ومن حوته العبا

واقسم عليك **بأم السبطين** الحسن والحسين فاطمة
وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم **زوج علي** زوجها
له صلى الله عليه وسلم ثاني سني الهجرة بوحي من الله تعالى
كما ورد **وبنى بها** بعد تزوجها بسبعة اشهر ونصف
في ذي الحجة على راس اثنين وعشرين شهرا **وكان** سنها حينئذ
خمسة عشر سنة وخمسة اشهر ونصف وقيل نحو عشرين سنة
وسن علي احد وعشرين سنة واشهر **قال** ابن عبد البر وهي
وام كلثوم افضل بناته وكانت فاطمة احب اهله اليه
وكان يقبلها في فمها ويمصها لسانه واذا اراد سفرا يكون
اخر عهده بها واذا قدم اول ما يدخل عليها وتوفيت
رضي الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم في رمضان سنة
احد عشر فبينهما نحو ستة اشهر وسنها تسع وعشرون
سنة اي على القول الثاني **وقد** اسر اليها صلى الله عليه وسلم
انها اول اهل بيته لحوقا به فسرت بذلك دفنها علي رضي الله عنه
ليلا بوصية منها واختلف في محل قبرها والاشهر
انها في قبة ولدها الحسن قرب محرابها **وكان** القطب
ابو العباس المرسي يجزم بهذا قيل فلعله كوشف به وروى

أحمد في المناقب

أحمد في المناقب والدولابي انها اغتسلت ولبست ثيابا جددا
واضطجعت وقالت انها مقبوضة الآن فلا يغسلني احد
ولا يكشفني فماتت فامتثل علي وصيتها لكن يعارضه انها
أمرت فاطمة بنت عميس بانها تغسلها وهذه مقدمة لأن
الأصل عدم الخصوصية **وبنيها** يعني اولادها الحسن
والحسين ومحسنا وهذا مات صغيرا وام كلثوم وزينب
واولادهم الى قيام الساعة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عقب
الا منها فانتشر نسله من جهة السبطين فقط **وام** كلثوم
ولدت لعمر ذكرا وانثى وماتا صغيرين ثم بعد عمر تزوجت
بعون بن جعفر ثم بعد موته باخيه محمد ثم باخيه عبد الله
ولم تعقب منهم شيئا ثم تزوج الأخير باختها زينب
فولدت له عدة منهم علي وام كلثوم وانتشر نسلهما وهم
شرف أعلام من شرف اولاد عبد الله من غير زينب وادون
من شرف الحسنين لمزيتهما بما ورد فيهما وللعباسيين
والطالبيين شرف ايضا **ومن ثم** لقب بالشرف كل
عباسي ببغداد وعلوي بمصر ولجعفر الصادق ولد
اسمه اسحاق تزوج السيدة نفيسة بنت الحسين بن
زيد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه ولد منها ولدان يعقبا

ومن حوته العبا وهم النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة
وعلي وابناهما **وسر** لبعض هولاء فضايل كعلي وابنيه
رضي الله تعالى عنهم ومن فضايل فاطمة رضي الله تعالى عنها

مَا صح عن ابيها القايل تعالي في حقه وَمَا ينطق عن الهوى ان فاطمة
بضعة مني يوذيني ما أذاها ويُنصبني ما انصبها احب اهلي الي
فاطمة اذا كان يوم القيمة نادا منادٍ من وراء الحجب يا أهل
الجمع غضوا ابصاركم عن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم حتى
تمر ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار
فاطمة كبضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها
وان الانساب تنقطع يوم القيمة الا نسبي وحسبي وصهري
فاطمة سيدة نسا اهل الجنة الا مريم ابنة عمران اما ترضين
ان تكوني سيدة نسا اهل الجنة قالت فاطمة نزل ملك من
السما فاستاذن الله ان يسلم علي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء
اهل الجنة يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نسا العالمين
وسيدة نسا المومنين وسيدة نسا هذه الأمة وخبر أتاني
جبريل بسفرجلة من الجنة فاكلتها ليلة اسري بي فعلقت خديجة
بفاطمة فكنت اذا اشتقت الي رايحة الجنة شممت رقبة فاطمة
قال الايمة ردا على تصحيح الحاكم انه كذب موضوع جلي الوضع
لان فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن الاسرا وصح انه صلى
الله عليه وسلم جعل علي علي وفاطمة وابنيهما كسا وقال اللهم
هولا اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
فقالت ام سلمة وانا منهم فقال انك على خير وفي رواية
ألقى عليهم كسا ووضع يده عليها وقال اللهم هولا آل محمد
فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي

قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون

اخرى

٧٠

اخرى ان الاية اي انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا نزلت في بيت ام سلمة فأرسل صلى الله عليه وسلم اليهم فجللهم
بكسا ثم قال نحو ما مر **وفي** اخرى انهم جاوا واجتمعوا فنزلت
فان صحتا فهي نزلت مرتين وفي اخرى ان ام سلمة قالت له ألست
من أهلك قال بلى وانه أدخلها الكسا بعد ما قضى الدعا لهم
وفي اخرى صحيحة انها قالت يا رسول الله انا من اهل البيت قال
بلى ان شا الله وفي اخرى ان واثلة قال لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي عليهم وهم تحت الكسا قلت وعلي يا رسول الله قال اللهم وعلى
واثلة **وفي** اخرى صحيحة قال واثلة وانا من اهلك قال وانت
من أهلي قالت وانها لمن ارجو ما أرجو **قال** البيهقي وكانه جعله
في حكم الاهل تشبيها بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقا **و**اشار المحب
الطبري الى ان التجليل بالكسا لمن ذكر تكرر منه صلى الله عليه وسلم
في بيت ام سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه جمع بين اختلاف
الروايات في هيية اجتماعهم وما جللهم به وما دعا به لهم
وما اجاب به واثلة وام سلمة **وفي** اخرى سندها حسن
انه اشتمل على العباس وبنيه بملاة ثم قال يا رب هذا عمي
وصنو أبي وهولا أهل بيتي فاسترهم من النار كستري
اياهم بملاتي هذه فامنت اسكفة الباب وحوايط البيت
فقالت امين ثلاثا وبأزواجك اللواتي تشرفن بان صانهن منك نباء
واقسم عليك بأزواجك اللواتي تشرفن بان صانهن عن النار
والنقايص لما صح عنه صلى الله عليه وسلم ان الله لم يزوجه

الا من ستكون معه في الجنة **منك** حال من قوله **بنا** اي دخول
وظاهر كلامه ان من تزوجها ولم يدخل بها لا يحصل لها
ذلك الشرف ويبتغي تخريجه على حرمتها على غيره فان قلنا تحرم
وهو الاصح حصل لها الشرف او تحل لم يحصل **وهن**
احدى عشرة متفق عليهن ست قرشيات واربع عربيات
واسرائيلية اولهن **خديجة** تزوجها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد زوجين ولدت لكل منهما ولها يوم تزوجها
اربعون سنة واشهر وله صلى الله عليه وسلم خمس وعشرون سنة
عند الاكثرين وكانت قد عرضت نفسها عليه كما مر وهي اول
من آمن به من النساء **وفي** الصحيحين ان جبريل عليه السلام
قال يا محمد هذه خديجة قد اتتك باناء فيه طعام او ادام او شراب
فاذا هي اتتك فاقرا عليها السلام من ربها ومني وبشرها
ببيت في الجنة من قصب اي لؤلؤ مجوف لا صخب فيه ولا نصب
واولاده صلى الله عليه وسلم منها الا ابرهيم واختلف في عددهم
وجملة ما اتفق عليهم منهم ستة **القاسم** ولد قبل النبوة
وبه كان يكنى ومات بعد سنتين على خلاف فيه واربع
بنات **زينب** وهي اكبرهن ماتت سنة ثمان من الهجرة
عند زوجها ابن خالتها ابي العاص بن الربيع ولدت منه عليا
كان رديفه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ومات قبل الاحتلام
وامامة التي حملها في صلاته تزوجها علي بعد فاطمة رضي الله
عنهم **ثم رقية** توفيت وهو صلى الله عليه وسلم ببدر ولما

لها م

رضي الله تعالى عنها

بنت زينب

عزي بها

عزي بها قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي
ثم ام كلثوم توفيت سنة تسع من الهجرة تزوجها عثمان
بعد ابني ابي لهب **ثم فاطمة** الزهراء البتول قال
ابن عبد البر ولدت سنة احدى واربعين من مولده صلى الله
عليه وسلم والذي رواه ابن اسحاق انها ولدت قبل النبوة قال
ابن الجوزي قبلها بخمس سنين وسميت فاطمة الزهراء لما مر
والبتول لان الله تعالى قطعها عن النساء حسبا وفضلا
او لانقطاعها الى الله تعالى واختلف في انه صلى الله عليه وسلم
هل ولد له غير اولئك الستة فقيل الطيب والطاهر
وعبد الله قيل الاولان لقبان للثالث ومات صغيرا وهو
الاصح وقيل عبد مناف وقيل المطهر **واما ابرهيم**
فمن سريته مارية القبطية ولد في الحجة سنة ثمان وسماه ابرهيم
باسم ابيه قيل السابع او فيه روايتان وجمع بانها وقعت
قبله مخفية واظهرت فيه وكان صلى الله عليه وسلم يذهب
اليه وهو في العوالي عند ظئره الحداد فياخذه ويقبله
ثم يرجع ثم توفي وله سبعون يوما وقيل سنة وعشرة اشهر
وقيل غير ذلك وفي رواية انه لم يصل عليه اي بنفسه بل امرهم
فصلوا عليه وفي حديث لو بقي لكان نبيا لكنه لم يبق لان
نبيكم آخر الانبياء لكن بالغ النووي في تزييفه وبطلانه
ورد بانه وارد من طرق ولا اشكال فيه لان القضية
الشرطية لا تستلزم الوقوع بل ولا الامكان **توفيت** خديجة رضي الله عنها

اي مرضعته

قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ودفنت بالحجون عن خمس وستين سنة

ثم تزوج بسودة بنت زمعة بعد موت ابن عمها
رضي الله عنها اخي سهيل بن عمرو بمكة لما رجعا من الحبشة
بعد عقده على عايشة ودخل بها قبل عايشة على ما جمع به
بين الخلاف في ذلك وأراد طلاقها لما أسنت فوهبت
نوبتها لعايشة فامسكها توفيت بالمدينة في شوال سنة
اربع وخمسين **ثم عايشة** بمكة في شوال سنة عشر من
النبوة ودخل بها في المدينة في شوال على راس ثمانية عشر شهرا
وهي بنت تسع سنين ولم يتزوج صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها
واحبها صلى الله عليه وسلم اكثر من بقية نسايه ولما فقدها في
بعض أسفاره قال واعروساه خرجه احمد وكانت رضي الله عنها
فقيهة عالمة حافظة فصيحة ماتت رضي الله تعالى عنها
بالمدينة سنة سبع وخمسين وكناها صلى الله عليه وسلم ام
عبد الله بابن اختها عبد الله بن الزبير لا بسقط اسقطته
منه صلى الله عليه وسلم لان ذلك لم يثبت وهي وخديجة
افضل امهات المومنين ثم الأصح ان خديجة افضل
لما صح ان عايشة لما قالت له قد رزقك الله خيرا منها
قال لا والله ما رزقني الله خيرا منها أمنت بي حين كذبني الناس
وأعطتني مالها حين حرمني الناس ولانه صلى الله عليه وسلم
اقرا عايشة السلام من جبريل وخديجة السلام من الله تعالى
والاصح أيضا ان فاطمة افضل من خديجة لما فيها من البضعة

[هامش: بنته صلى الله عليه وسلم — أمها]

الكريمة

٢٧٧

الكريمة التي لا يعادلها شي والخبر المقتضي لخيرية خديجة اجيب عنه
من حيث الامومة لا السيادة وممن جرى على ذلك الامام
المجتهد التقي السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة
افضل ثم خديجة ثم عايشة واختار ايضا ان مريم افضل
من خديجة للاختلاف في نبوتها **ثم حفصة** بنت عمر
سنة ثلاث من الهجرة بعدما رجعت من هجرة الحبشة وتوفي
زوجها بعد غزوة بدر وطلقها صلى الله عليه وسلم فاوحى الله
اليه أن راجعها فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة
توفيت رضي الله عنها سنة خمس واربعين **ثم ام سلمة**
بعد موت ابي سلمة سنة أربع وكانت من اكمل النسا ماتت
سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع **ثم ام حبيبة**
رملة بنت أبي سفيان بن حرب بعد أن مات زوجها عبيد الله
ابن جحش بالحبشة مرتدا سنة ست وزوجها النجاشي لعمرو
ابن امية الضمري وكيله صلى الله عليه وسلم واصدقها عنه
اربعماية دينار وبعث بها اليه صلى الله عليه وسلم فدخل بها
سنة سبع ماتت بالمدينة سنة اربع واربعين **وتزوج
زينب** بنت جحش بعد زيد زوجه الله اياها فدخل عليها
بغير عقد كما دلت عليه الاية وكانت تفخر بذلك على امهات
المومنين سنة خمس وقيل ثلاث وهي اول من مات منهن
بعده وصح عن عايشة لم تكن امراة خيرا منها في الدين
واتقا لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم واوسع صدقة

وأشد ابتذالا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به
إلى الله تعالى أي وهو الرفع رواه مسلم ماتت بالمدينة سنة
عشرين **وتزوج زينب** بنت خزيمة الهلالية رضي الله عنها
وكانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم سنة
ثلاث ثم ماتت بعد ثلاثة اشهر **وتزوج ميمونة** رضي الله عنها
بنت الحارث الهلالية سنة سبع بعد خيبر وبنى بها فيه وكان
حلالا وفي رواية محرما معناها انه في الحرم على ان من خصايص
صلى الله عليه وسلم ان له ان ينكح وهو محرم وماتت فيه سنة احدى
وخمسين وقبرها به مشهور ويزار ويتبرك به **وتزوج**
جويرية بنت الحارث الخزاعية رضي الله عنها وكانت وقعت في سهم
ثابت بن قيس بن شماس الانصاري فكاتبها فجاءت تسأل النبي
صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك الى ما هو خير من قالت نعم
ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك فسمع الناس بذلك
فاعتقوا ما في ايديهم من قومها وقالوا اصهار رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت اعظم بركة
على قومها منها أعتق في سببها مائة اهل بيت من بني المصطلق
خرجه ابو داود وعن ابن شهاب انه اختارها من السبي
فحجبها وقسم لها وكانت بنت عشرين سنة توفيت سنة خمسين
وتزوج صفية بنت حيي من نسل هرون رضي الله عنها
عليه الصلاة والسلام وهي من سبي خيبر اذن صلى الله عليه وسلم
لدحية في اخذ جارية فاخذها فقيل اعطيته سيدة قريظة

والنصب

والنضير وهي لا تصلح الا لك فخشي عليهم الفتنة فاعطاه غيرها
ثم اعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع الى المدينة **وفي**
رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك فيّ قالت يا رسول الله
اني كنت اتمنى ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسألها
عنها فقالت انها كانت نايمة وراس زوجها ملكهم في حجرها
فرأت قمرا وقع في حجرها فاخبرته فلطمها وقال تتمنين
ملك يثرب ماتت رضي الله تعالى عنها في رمضان سنة خمسين
ودفنت بالبقيع فهؤلاء نساؤه المجمع عليهن واختلفوا
في ثنتي عشرة امرأة بعضهن الاصح فيه انه طلق قبل الدخول
وبعضهن الاصح فيه انه لم يتزوجه ومحل بسط ذلك كتب
السير **الأمان الأمان ان فؤادي من ذنوب أتيتهن هواء**
الأمان أي اقسم عليك بهؤلاء المذكورين وما منحتهم به أن
تنيلني من حضرتك بواسطة شفاعتك في الامن لا تخيب
شفاعتك وأن تؤمنني الامان **الأمان** تأكيدا أي من عقاب
ما اقترفت من الذنوب وقطيعة ما جمعته من العيوب
ان بالفتح تعليلا والكسر استينافا وفيه ايما الى العلة ايضا
فؤادي من أجل **ذنوب أتيتهن هواء** أي خال عن فهم
ما ينفعني في ديني ودنياي لفرط الحياء والخجل من الله تعالى
والدهشة من خوف عقابه وسخطه وفي نسخة هباء أي لا
وجود له فيرجع لمعنى الاول ومما يعطفك علي حتى يزيد
اعتناؤك بي وامدادك لي اني **قد تمسكت من ودادك بالحبل الذي استمسكت به الشفعاء**

قد تمسكت أي توثقت واعتصمت من ودادك أي محبتي لك
وكون المحبة تستلزم الاتباع انما هو أغلبي كما يدل عليه
حديث يا رسول الله المرء يحب القوم ولما يعمل بعملهم فقال
صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب أو ان المستلزم لذلك
هو كمالها او أن ذلك من الناظم من كمال هضم النفس بتقدير
ما لم يقع واقعا كما هو شان الخوف المراعى مطلقا أو في بعض
الاحوال بالحبل اى السبب الأقوى وهو العهد الوارد عنك
في الاحاديث الصحيحة ان المرء مع من أحب وان لم يعمل بعملهم
الذي استمسكت به الشفعاء من الأنبياء والأولياء
والعلماء والصلحاء فلم تحصل لهم مرتبة الشفاعة الا بواسطة
محبتهم لك واذ أورثتهم محبتك مرتبة قبول شفاعتهم
في الاغيار اورثتني وقوع شفاعتك في بجامع اني احبك
كما يحبونك وان اختلف مقدار المحبة في الطرفين واعلم
ان العلماء والعارفين اختلفت عباراتهم في المحبة وكثرت
ولكن ليس اختلافا في حقيقتها بل احوالها وثمراتها اذ
حقيقتها من المعلومات التي لا تحد كما اطبق عليه المحققون
وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير به ومن
ثم قال صاحب مدارج السالكين كغيره هي لا تحد بحد
أوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وانما تكلم الناس
في أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها
واحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه

الشريطة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات
بحسب الادراك والمقام والحال وقد وضعوا لها الحبيب
حرفين مناسبين لها غاية المناسبة الحا التي هي من أقصى
والبا الشفهية التي هي نهايته فللحا الابتداء وللباء
الانتهاء وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها
منه وانتهاءها اليه وأعطوا الحب الضم الذي هو أشد
الحركات واقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها
وأعطوا الحب وهو المحبوب الكسرة لخفتها المطابقة
لخفة المحبوب وذكره على القرب والعيان وهذه مناسبة
عجيبة بين الالفاظ والمعاني تطلعك ان على لغة العرب لا
تلحقها واعلم ايضا انه صح في الحديث لا يؤمن أحدكم
حتى اكون احب اليه من ولده ووالده وماله والناس اجمعين
قالوا المراد هنا حبه صلى الله عليه وسلم اى الميل اليه اختيارا
لا طبعا وكل من كان ذا نفس مطمئنة كان حبه راجحا
وامارة كان مرجوحا وفي كلام عياض ان هذا
شرط لصحة الايمان ورد بان حمل المحبة على معنى التعظيم
والاجلال وليس مرادها هنا اذ اعتقاد الاعظمية لا يستلزم
المحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع خلوه عن محبته
وانما المراد الميل كما تقرر فمن لم يجد ذلك الميل لم يكمل ايمانه
وفي صحيح البخاري ان عمر قال يا رسول الله انت احب الي
من كل شيء الا من نفسي التي بين جنبي فقال صلى الله عليه وسلم

أحبّ

لي يومن أحدكم حتى أكون اليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل
عليك الكتاب لانت احبّ الي من نفسي التي بين جنبي فقال له
صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الأعظمية
فقط فانه حاصل لعمر قطعا وانما وقف لان حبّ الانسان نفسه
طبعي وغيره اختياري بواسطة الاسباب وهذا هو الذي
اراده عمر اذ لا سبيل الى قلب الطبع وتغييره ما جبلت عليه النفس
فحوابه عمر أولا بحسب الطبع ثم تامل فعرف بالدليل انه صلى الله عليه وسلم
أحبّ اليه من نفسه نظرا لكونه هو الذي انقذه من هلاك
الدنيا والاخرة فاخبر بما اقتضاه الاختيار فأجابه بالآن
اي عرفت فنطقت بما يجب ومن علامة محبته صلى الله عليه وسلم
إيثار ما امره ونهيه على جميع اغراضه **قال** القرطبي
وكل من امن به ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء
من تلك المحبة الراجحة ولكنهم يتفاوتون فيها تفاوتا
ظاهرا وكثير من العامة يؤثر رؤيته على أهله وماله وولده
وكذا زيارة قبره بل زيارة اثاره لما وقر في قلوبهم من محبته
صلى الله عليه وسلم غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات
والشهوات عليهم وأبى الله ان يمسّني السوء بحال ولي اليكم النجا
وأبى الله اي لم يرده كما جرت به عادة كرمه وفضله وجوده
ودل عليه ما تفضل به عليك لقوله عز قايلا ولسوف
يعطيك ربك فترضى والمعلوم المستقر من أخلاقك
الجميلة والذي دلت عليه اثارك الجليلة ان من لجا

البكر

٢٧٥

مسارعة

اليك لا تخيبه من شفاعتك ولا تحرمه ربك من فضله
الى رضاك **ومن ثم** أخبرنا عنه تعالى انه سبحانه وتعالى
يقول لك في ذلك الجمع الاكبر على رؤس الاشهاد قل يسمع لك
وسل تعط واشفع تشفع أن يمسّني السوء بحال أي
في حال من الاحوال الدنيوية والاخروية والحال انّ
لي اليك النجاء أي استنادا لمزيد محبتي لك وخدمتي لجنابك
ومن هو كذلك حقيق بان لا يبالي من ربه عذاب ولا سخط
ولا حرمان ولا قطيعة ولاجل ذلك قد رجوناك للأمور التي
قد رجوناك معشر محبيك وخدامك أيها النبي الكريم
أي أملنا فيك للأمور الخطيرة العظيمة من الذنوب والمخالفات
والغفلات والشهوات التي أبردها اي أيسرها
في قلوبنا رمضاء اي نار تتقد من شدة خوف المواخذة بما
كسبت قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا وبين أبردها ورمضا
الفقر والغنى المطابقة واتينا اليك انضا فقر حملتنا
واتينا اليك بقلوبنا اي وجهناها الى الاستعاذة بك
من كل مكروه او الى قبرك المكرم حال كوننا انضا جمع نضو
بكسر النون أي مهازيل فقير من الاعمال الصالحة فلكثرة
ما حملنا من الذنوب ضعفنا عن حمله وهزلنا بسبب ثقله
حملتنا الى حضرتك التي فيها الغنا الاكبر انضاء أي
ركايب مهازيل اجهدها طول السير وشدة الاسراع بها
الى الوصول الي حضرتك العلية اغتناما للوقوف بساحات كرمها

أبردها في قلوبنا رمضا

الى الغنا انضا

وَالتملي بشهود احسانها ونعمها وانطوت في الصدور حاجات
مالها عن ندى يديك انطواء وانطوت أي استترت
في الصدور أي القلوب حاجات نفس أملت حصولها من
جنابك الكريم ترفعها إليك اذا وصلت الى حضرتك وحطت
نحلول نظرك منها الامداد من مزاياك والتوسل والتشفع
بك الى مولاك لانه لا وسيلة اليه أقرب منك اليه ولا احد
بعدك بعول الحمل فضلا عن غيرهم عليه فحينئذ كانت
تلك الحاجات مالها عن ندى أي عطا يديك الكريمتين انطوا
أي استتار واستغنا بل لا يقضيها غير جاهك الواسع ولا يمن
لها غير عطايك الهامع فلا انفصال لنا عن واسع جودك
ولا انصراف عن ساحة كرمك بل لا نزال مقيمين بجوارك
مستمطرين لندى اثارك طامعين في حصول كل ما أملناه
بشفاعتك التي هي مطمع المقربين ووسيلة المقصرين
فأغثنا يا من هو الغيث والغوث اذا أجهد الورى اللأواء
فأغثنا بها جميع حاجاتنا لوفور جاهك وعظيم منزلتك
عند ربك يا من هو الغوث للمكروبين والملجا للمنقطعين
المنقذ لهم من الشدايد والغيث المريع للمضطرين المشبع
للجايعين المجزل لهم من العوايد فأزل شكوانا وادفع
لأوانا اذا أجهد الورى اللأواء أي اذا اضيق على
الخلق الجذب حتى اشرفوا على التلف والجواد الذي به
تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء والجواد الأعظم

ليقتضي

بلغ مقابلة

الذي

٢٧٦

الذي لم يخلق الله من يصل الى مراتب جوده فضلا عن أن يساويه
فيه به أي بسببه تفرج الغمة عنا معشر أمته وتكشف الحوباء
بفتح اوله وضمه اي الانزاي عقابه والشدة والحاجة والحالة
القبيحة وفي نسخة به تفرج الكربة عنا وتكشف الغماء وهي بمعنى
الاولى لتساوي الغمة والكربة اذ هما الكرب الذي يشتد على
النفس الى أن يكاد تقتلها والغماء والحوبا في معانيها
المذكورة من غم الهلال ستره غيم أو نحوه والخبر استعجم
يا رحيما بالمومنين اذا ما ذهلت عن أبنايها الرحماء
يا ندا تتضمن غاية الاستعطاف والتحنن والترحم وهو
معطوف على الندا قبله بحذف حرف العطف أو مستانف
لكنه بعيد رحيما من الرحمة وهي رقة القلب وغايتها التفضل
والانعام أو إرادتهما ومر في ياسما اول أبيات هذه
القصيدة ما يتعين استحضاره بالمومنين مقتبس من
قوله تعالى بالمومنين رؤف رحيم وكان بالمومنين رحيما
ومر في شرح قوله رحمة كله ما يعلمك بسعة رحمته لا سيما
بالمومنين وباهر رافته لا سيما على الضعفا والمساكين والايمان
التصديق الاجمالي في الاجمالي والتفصيلي في التفصيلي
بجميع ما علم من دين محمد صلى الله عليه وسلم بالضرورة عندنا
اذ لا يكفر منكر غير الضروري وهو ما يستوي في معرفته الخاص
والعام او بالاجماع وان لم يكن ضروريا لأن انكار المجمع عليه
غير الضروري كفر عند غيرنا بل وجماعة منا ولا يكفي التصديق وحده

بل لابد معه من الاقرار بالشهادتين باللسان فان تركه
مع القدرة عليه كان كافرا مخلدا في النار كما نقله النووي
عن اهل السنة • لكن اشار الغزالي رحمه الله تعالى الى ما
اختاره جمع محققون غيره انه من اهل الجنة وتركه
التلفظ معصية فقط لان قلبه مملوء بالتصديق فكيف
يخلد • والكلام فيمن لم يمتنع منه جحودا او انكارا والا كان
كافرا اجماعا والاعمال من الايمان عندنا كالاكثر المحدثين اي من
كماله فالمذنب مؤمن فاسق تحت المشيئة • قال تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به • ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء **وقال**
الخوارج انه كافر والمعتزلة انه لا كافر ولا مؤمن • وهو عندهما
مخلد في النار لانتفاء الايمان المتكفل بدخول الجنة •
تنبيه مهم يتعين الاحاطة به لعظيم جدواه •
وعزة نجواه • اعلم ان رحيما صيغة مبالغة بل ذكر غير
واحد انه ابلغ من الرحمن • وانه يستعمل في الله تعالى وفي غيره
لكن في استعمال صيغة المبالغة فيه تعالى اشكال • **ومن**
ثم قال بعض الائمة صفات الله تعالى التي على سبيل المبالغة
كلها مجاز لاستحالة حقيقة المبالغة فيها لانها تثبت
للشيء اكثر مما له وصفاته تعالى متناهية الكمال وايضا فهي
انما تكون في صفة تقبل الزيادة والنقص • وصفاته تعالى
منزهة عن ذلك • واستحسن ذلك التقي السبكي وغيره ۝
فاستشكل والله على كل شيء قدير • بانه لما فيه من المبالغة

يستلزم

يستلزم الزيادة على معنى قادر وهي محال • **واجاب** الزركشي
عن الاول بان صيغة المبالغة اما بحسب زيادة الفعل او تعدد
المفعولات • وهذا لا يوجب للفعل زيادة لان الفعل الواحد قد
يقع على متعدد • وعلى هذا تحمل صفاته تعالى بلا اشكال • ولهذا قال
بعضهم في حكيم معنى المبالغة فيه تكرير حكمه بالنسبة الى الشرايع
وفي الكشاف المبالغة في التواب اي في نحو وهاب وتواب
للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده وفي قبول التوبة
حتى ينزل صاحبها بمنزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه •
وعبر الزركشي عن الثاني بما يؤول الى ما قاله الزركشي وهو ان
المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع
الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى الكثرة المتعلق
لا الوصف • **واعلم** ايضا ان نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم
نفي اصل الفعل واشكل عليه وما ربك بظلام للعبيد •
وما كان ربك نسيا • واجيب عن الاول بان ظلاما
وان كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي هو
جمع كثرة • ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب • عالم الغيب
قابل التوب • في الاول المبالغة في الجمع وفي الثاني صيغة
اسم الفاعل الدالة على اصل الفعل بالواحد • وبانه نفى الظلم
الكثير لينتفي القليل ضرورة لان الظالم يقصد بظلمه
الانتفاع بما ياخذه فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه
فالقليل اولى • وبانه بمعنى ذي ظلم ونسب للمحققين وبانه

بمعنى فاعل فلا كثرة فيه وبأن اقل القليل لو وقع منه تعالى
لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة وبأنه أراد بلبس بظلام لبس
بظالم نا كيدا للنفي فعبر عن ذلك بلبس بظلام وبانه ورد
ردا على من قال ظلام فلامفهوم له وبان صيغة المبالغة
وغيرها في صفاته تعالى سوا في الاثبات فجرى النفي على ذلك
وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وهذه
كلها تصلح جوابا عن التاكيد وزيد عاشر وهي مناسبة رؤس
الاي **اذا** ظرف لرحيما **ما** زايدة **ذهلت** أي غفلت **عن أبنايها**
الرحماء مقتبس من قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل
مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى
الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
وتقييد رحمته بالمؤمنين بهذا اليس لانتفايها في غيرهم
بل لأنها في هذا اليوم اظهر وأعم لأن الله تعالى يظهر له
صلى الله عليه وسلم من العظمة والسودد والتقدم على جميع
الانبيا والمرسلين وتخصيصه بالشفاعة العظمى في فصل
القضا ما يعلم جميع أهل ذلك الموقف انه لا أقرب منه اليه وبه
وأن كل نسب ينقطع في ذلك اليوم الا نسبه وحسبه **وفي**
الرحيم والرحما رد العجز على الصدر وفي الدما مر ودما وصاعدان
وصعدا واقتفى واقتفا ووعرة ووعرا وتتقى والاتقا وذرعا
وذرعا والعرج والعرجا ورضى والرضا ومحب والحباجناس
الاشتقاق أو شبهه وأما لو ما لجناس با فقر وبطان وبطا

اللهم صلى وسلم عليه وعلى
ساير النبين والمرسلين
وآل كل والصحابة
أجمعين
امين

لاحق

٤٧٨

لاحق وحر والحو محرف **يا شفيعا في المذنبين إذا ما أشفق من خوف ذنبه البراء**
يا شفيعا من الشفاعة وهي السعي في إصلاح حال المشفوع فيه
عند المشفوع اليه **في المذنبين** في غفران ذنوبهم وكشف كروبهم
إذا ظرف لشفيعا وفيه ما في الذي قبله **ما** زايدة **أشفق** أي ذل
اذ الشفق يطلق على المشقة وشأن من حصلت له المشقة الذلة
والدهش وحمله على هذا هو الصواب **وأما** تفسير الشارح له بالخوف
فهو وان كان موضوعا له أيضا لكنه لا يتأتى هنا لانه لا يلايم قوله
من أجل **خوف** عقاب **ذنبه** عايد للبراء المتقدم رتبة
وافرده نظرا للفظ لا للمعنى أو لكون المراد منه الجنس على
حد قوله صلى الله عليه وسلم خير نسا ركبن الابل نسا قريش أحناه
على طفل الحديث **البراء** من الكبا جمع بري بوزن قتيل
وذكرهم لان خوفهم من الصغاير فقط يدل على شدة ذلك
اليوم ومناقشة الحساب فيه وأن الخوف فيه من الذنوب
يعم اكثر الناس لانهم لا يخافون عن صغيرة بل صغاير بل لا
يخرج عن ذلك الا المعصومون ويلحق بهم المحفوظون ومع
ذلك يعمهم الخوف ايضا وان لم يكن لهم ذنب كيف والأنبيا
عليهم الصلاة والسلام شعارهم في ذلك اليوم اللهم سلم سلم
جد لعاص وما سواي هو العاص ولكن تنكيري استحياء
جد يا من تجلى بكمال الرحمة ونهاية الشفاعة بجاهك
الواسع فانه لا أوجه منك عند ربك **لعاص** اسنا سريرته
الخطايا وأحاطت به المحن والبلايا والأصل في أولنا فهو تجريد

والتفات وآثر فيه التنكير لما يأتي ولم يعين ما يجود به عليه قصد
العموم المسئول بأن يجود عليه في ذلك اليوم بايصال نفعه له
الى كل مرغوب وصرفه عن كل مرهوب **وما** نافية **سواي** أي غيري
هو العاصي ولكن تنكيري الواقع في قولي لعاص **استحيا** منك
أن أذكر لك نفسي بلفظ يدل عليها بخصوصها موجها لك
بالتصريح بارتكابها ما نهيتها عنه وحمل الاستحيا على التنكير
مبالغة كرجل عدل **فان قلت** ذاتك مصدر ان بخلاف هذا
قلت المراد التشبيه من حيث ان حمل الخبر في كل يحتاج لتاويل لان
الحمل شرطه المساواة وهي غير موجودة لتباين مدلوليهما هذا
تقرير عبارته وفيه مؤاخذتان أحدهما الذي عليه الجمهور
ان ضمير الفصل انما يفيد قصر المسند على المسند اليه وكذا
تعريف الخبر على ما ذكره صاحب المفتاح ويشهد له الاستعمال
نحو ان الله هو الرزاق أي لا رازق سواه **وفي** الفائق
وكلام الكشاف يميل اليه أيضا تعريف الخبر قد يكون لقصر
المسند اليه وقد يكون لقصر المسند بحسب المقام فعلى
الاول ان هو العاصي دل على حصر العصيان في سواي
كزيد هو القايم والمستفاد من النفي الداخل على الجملة نفي
ذلك الحصر بناء على ان ما هو المشهور ان النفي يتوجه
للقيد فان توجه للقيد أيضا توجه الاعتراض الآتي من
باب أولى وحينئذ فمفهومه يشمل شيئين انه عاص وحده
وانه عاص هو وغيره لانك اذا قلت ليس سواي زيد هو القايم

احتمل

احتمل مفهومه ان زيدا هو القايم وحده وانه هو وغيره قايمان
واذا أفهم النظر ذلك لم يصح قوله ولكن تنكيري الى اخره لانه أشبه
على احتمال العصيان لغيره معه وهو خلاف قصده وانه
العاصي وحده أي اذ عانا وهضما للنفس لا حقيقة لان الواقع
خلاف ذلك ثانيهما ان التنكير هنا لا نسلم انه يفيد الاستحيا
ولئن افاده فشان السائل عدم الحيا لان المطلوب من المحتاج
ان يرفع حاجته مبينا لنفسه حتى يعرف حاله فيتعطف عليه
فايهامه حينئذ لنفسه غير لايق ولك أن تجيب عن الاولى
بان من الواضح ان سوى كغير فلا تتعرف بالاضافة الا اذا
وقعت بين ضدين بل قال جماعة لا تتعرف بها مطلقا
وان ال في العاصي للعهد الذهني فهو كالجنس على حد ولقد أمر على اللئيم يسبني
فيراعى فيها التعريف تارة والتنكير أخرى وحينئذ زال الحصر
الموهم مفهومه ما مر وصار المعنى فما سواي عاصيا بل انا
العاصي وحدي وعن الثانية بان السايلين على اقسام منهم
من يغلب عليه الحيا والخجل من ارتكابه ما كان سببا لسؤاله
فيستر نفسه حيا وخجلا من المواجهة من التصريح بارتكابه
القبايح وسترا واحتشاما من اعترافه بالنقايص والفضايح
خشية أن يظهر عليه ما يعين سبب سؤاله فيكون مقتضيا
لحرمانه **والناظم** رحمه الله تعالى لمزيد اجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم
راعى ذلك فنكر نفسه أو معصيتها فذكر الوصف المقتضي
لسؤاله على جهة الابهام لا التفصيل حيا من أن يبين نفسه

أو معصيتها فيكون ذلك سببا لرده **تنبيه** لا زلت أتطلب
ان ما ذكره الناظم هنا من ان سبب التنكير قد يكون الاستحيا
هل صرح به أحد غيره حتى وجدتهم صرحوا بما يقرب منه وهو
قولهم لكل من التعريف والتنكير مقام لا يليق بالآخر فمن أسباب
التنكير ارادة الوحدة نحو وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي
وحده أو ارادة النوع نحو هذا ذكر اي نوع من الذكر وعلى ابصارهم بلغ
غشاوة اي نوع غريب من الغشاوة لا تالفه الناس بحيث غطى
ما لا يغطيه شي من الغشاوات ومما يحتمل هنا والله
خلق كل دابة من ماء اي كل نوع منها من كل نوع منه أو كل فرد
من افراد التكليف او ارادة التعظيم بمعنى انه أعظم من
أن يعين ويعرف نحو فاذنوا بحرب من الله ورسوله ولهم عذاب
ان لهم جنات وسلام عليه او ارادة التكثير نحو ان لنا لاجرا
اي وافرا جليلا او ارادة التقليل نحو ورضوان من الله اكبر
اي رضوان قليل منه اكبر من الجنات باسرها او ارادة
التحقير بمعنى انحطاط شانه الى حد لا يمكن أن يعرف نحو
من اي شي خلقه اي من أي حقير مهين ثم بينه بقوله
من نطفة خلقه وهذا المعنى يقرب من الاستحيا الذي
ذكره الناظم **وهنا** قاعدة تعم وهي ان الاسم ان ذكر مرتين
فان كانا معرفتين فالثاني عين الأول غالبا دلالة على المعهود
الذي هو الاصل في اللام والاضافة نحو اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين او نكرتين فالثاني غير الاول غالبا وقد اجتمعا

بعرفاذ

في فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا **قال** صلى الله عليه وسلم
لن يغلب عسر يسرين وهو نص صريح بما ذكر في القسمين او الاول
نكرة فقط فكالقسم الاول نحو رسولا فعصى فرعون الرسول
او عكسه حكمت القرآن وتقضت هذه القاعدة بايات كثيرة
نحو هل جزاء الاحسان أي العمل الا الاحسان اي الثواب
وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله ويؤت كل ذي فضل
فضله ويرده ما مر من انها أغلبية على ان بعض
المحققين بين ان جميع ما اورد عليها من الايات من جملة أفرادها
وانه لم يشذ عنها شي لكن في بعضه تكلف **وتداركه بالعناية مادام له بالذمام منك ذما**
وتداركه اي أدركه **بالعناية** منك له بان تمده بسوابغ كرمك
وتفرغ عليه سجال حلمك حتى لا يأتي قط بهفوة **مادام له**
بالذمام بمعجمة قسم متعلق بتداركه أي تداركه بحق حرمتك
التي انعم الله بها عليك مادام له **منك ذما** بالمعجمة أي تعلق
وأصله بقية الروح في المذبوح اي ما دام فيه أدنى تعلق
واستمساك بك لانك اكرم الكرما في الخلق وعادة الكريم
ان من تعلق به نجا من كل ما يخافه من اليم العذاب وبعد الحجاب
ولولا وقد **أخرته الاعمال والمال عما قدم الصالحون والاغنيا**
أخرته أي ذلك العاصي **الاعمال** السيئة التي ارتكبها **والمال**
الفاني الذي اعتكف عن صرفه في وجوه الخير او جمعه من وجوه
الشر واشتغل به قلبه وطاش في جمعه لبه ولم يبال من
واد جمعه ولا باي وصف اكتسبه **عما قدم الصالحون** جمع صالح

في تشهده

وهو القايم بحقوق الله وحقوق العباد وهو يشمل حتى الملايكة ومن
ثم اخبر صلى الله عليه وسلم ان المصلي اذا قال السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين أصابت كل عبد لله صالح في السما والارض وبين أخوته
وقدم جناس التطابق كالحسنات والسيات والملح والفرات
والاستقامة والاعوجاج والنوم واليقظة ووراوا مام
والصيف والشتا والحر والبرد ويومي وليلتي والرجا
والخوف والاقويا والضعيف الاثبات والاغنيا من الاعمال
الصالحات والانفاق في وجوه الخيرات وهذا لف ونشر
مرتب لان الاول للاعمال والثاني للمال ثم اعترف بذنوبه
لان الاعتراف مظنة العفو قال تعالى وآخرون اعترفوا
بذنوبهم الاية مستندا ما عليها للحديث الصحيح الندم توبة
فقال كل يوم ذنوبه صاعدات وعليها انفاسه صعدا
كل يوم وليلة ذنوبه صاعدات مع ملايكة الليل
والنهار الذين يرفعون الاعمال فيهما الى الله تعالى
اظهارا لعظيم فضل الطايع وقبيح فعل العاصي وعليها
اي من اجلها انفاسه صعدا اي متواترة ممدودة
من شدة ما يلقا من كرب الندم وفرط الاسف عليها
وسبب الوقوع في ورطتها انه ألف البطنة المبطية السير
ألف البطنة بالكسر أي ملي بطنه من الطعام والشراب
كما قال الشارح والذي في القاموس انها الاشر والبطر
وقال في البطر انه النشاط والاشر قلة احتمال النعمة

والدهش

٢٨١

والدهش والحيرة أو الطغيان بالنعمة وكراهة الشي من غير ان تستحق
الكراهة انتهى وكل ذلك صحيح هنا وقال في البطن بوزن كتف
انه الاشر المتمول ومن همه بطنه والرغيف لا ينتهي عن الاكل
المبطية السير الى الله تعالى اي المعوقة عن الاجتهاد في رضاه
باستفراغ الوسع في الاعمال الصالحة التي هي سبب هداية السبيل
وتنزيه النفس عن كل وصف دني وخلق رذيل ولو لم
يكن من شوم البطنة الا ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله
المومن ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعا من
انها تفسد العقل باذهاب فطنته والبدن بازالة
نشاطه وقوته بدار وهي الدنيا بها اي فيها البطان جمع
بطين ككرام جمع كريم بطا جمع بطي على وزن الجمع قبله
فهم متاخرون عن الفايزين متخلفون عن السابقين فبسبب
عصيانه يبكي ذنبه بقسوة قلب اي مع شدته وغلظه
المؤديين الى ان البكا صوري لا حقيقي ومن ثم نهمت تلك
القسوة الدمع عن أن يبرز منه شي من عين ذلك
الباكي فبسبب هذا النفي انقلب البكا عن حقيقته
وهو حزن يعتري القلب فيحصل له من الهيبة والقلق
المزعج والخوف المقلق ما يجري الدموع ويبيح الرجوع
وصار ذلك البكا كانه مكا بالتخفيف اي كالصفير
بجامع ان كل صوت جرى على اللسان ولم يتأثر به القلب
وبين البكا والمكا الجناس المضارع ۝ وغدي يعتب الزمان

ولم يعذر العاصي

وعذا أي صار ذلك العاصي بعد ما وقع منه من المعاصي والبكا الذي
لا يفيد لمزيد قسوة قلبه يعتب من عتب عليه وحمل عليه القضا
من قضاه صنعه وقدره اى يقول لم او كيف قدر على هذا
والحال انه لا عذر لعاص يحتج به على الله تعالى حتى يسقط اثمه
وتندفع مؤاخذته فيما يسوقه اليه القضاء والقدر من
المعاصي لان الله تعالى اجرى عادته الالهية في هذا العالم على
اسباب ومسببات تناط بتلك الاسباب وبنسبة
وقوعهما اليهما نظرا للصورة الوجودية وان كان الكل في
الحقيقة انما هو بقضايه وقدره كما يدل ذلك كله
قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم فاسند اليه تعالى الرمي والهم القتل
باعتبار الصورة الوجودية ونفاهما عنهم باعتبار الحقيقة
الايجادية اشارة الى انه يجب علينا رعاية المقامين بان
نسند الافعال الى فاعلها صورة ليمدحوا ويذموا باعتبار
جريان تلك الصور عليهم والى الله تعالى حقيقة من
حيث عجز العبد عن ذلك وانفراد الحق تبارك
وتعالى به وان تعتقد بطلان مذهب القدرية الذين
ينفون قدرة الحق ويثبتون قدرة العبد تخيلا منهم
انهم فروا بذلك عن نسبة القبيح الى الله تعالى وغفلة عن
انه يلزمهم ما هو اقبح من ذلك وهو ان يجري في ملكه تعالى
ما لا يشاؤه على ان نسبة افعال العباد الى الله تعالى لا تستلزم

بنسبة

نسبة القبيح اليه لان الشي انما هو قبيح بالنسبة لفعلنا
لا لفعله تعالى لانه يتصرف في ملكه بما يشا لا يسال عما يفعل
وهم يسالون وان تعتقد بطلان مذهب الجبرية ايضا
لانه يلزم عليه ان لا ثواب ولا عقاب ولا مدح ولا ذم لان
المجبر المكره على الشي من كل وجه لم يصدر منه فعل ينسب
اليه حتى يدار عليه حكم وقد علم من الشريعة الغرا ان الله
تعالى اسند الافعال لعباده ومدحهم عليها تارة وذمهم
اخرى فتنتج ما قلنا من التوسط بين المذهبين بان نظرنا
الى الافعال من حيث الصورة وانطنا بها احكاما ومن
حيث الحقيقة وانطنا بها احكامها لان هذا هو العدل
السوي والطريق الواضح الجلي ونظير هذا مذهب الرافضة
والناصبية واهل السنة فالرافضية سبق الشيخين
وعثمان واكثر الصحابة ووالوا عليا وشيعته والناصبة
سبوا عليا وشيعته ووالوا اوليك الاكثرين واهل
السنة عدلوا فوالوا الكل وترضوا عنهم فكانوا في
الجنة وكان ممن ذنيك هنا وفيما مر في النار فان قلت
قوله ولا عذر الى اخره ينافيه احتجاج ادم عليه الصلاة والسلام بالقضا والقدر
في قصته المشهورة مع موسى عليه الصلاة والسلام لما قال
له موسى انت ابونا ادم الذي اخرجتنا من الجنة بخطيئتك
اي بالنسبة لمقامك والا فهي ليست خطيئة حقيقة
لانه نسي كما في الاية ايضا ولعموم عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام

سقط في الاصل: فقال أتلومني على أمرٍ قدّره الله عليّ قبل أن أُخلق بأربعين سنة

فقال له الم تجد في التوراة قد قدّر الله عليّ ذلك قبل ان اخلق باربعين سنة

قال نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح فحج آدم موسى

وكذلك احتج عمر رضي الله عنه على ابي عبيدة بالقدر لما ذهب الى الشام

فرأى فيها طاعونا فاراد الرجوع فقال له ابو عبيدة أفرارًا

من قدر الله تعالى يا امير المؤمنين. فقال له عمر لو غيرك قالها

يا ابا عبيدة لأوجعته ضربا. نعم نفرّ من قدر الله الى قدر الله

قلت لا ينافيه اما الاول فلأنّ الاحتجاج بالقدر ان كان

قبل الوقوع في الذنب ليكون وسيلة للوقوع فيه لم يجز وان كان بعد

الوقوع فيه وقبل أن يستوفي سنه ما وجب به ليمنع بذلك مؤاخذته

به لم يجز ايضا وان كان لا يمنع ذلك بل ليمنع تعييره

بسماع ذلك كما صرّح به قوله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى

واما الثاني فالواقع من عمر ليس من الاحتجاج بالقدر في ذلك

وانما هو بيان لاسرار ما جاءت به الشريعة المطهرة لان الشارع

نهى عن دخول بلد الطاعون مع ان الانسان قد يموت بذلك الطاعون

لم ينفعه عدم الدخول والا لم يضره ذلك الدخول فبيّن عمر

رضي الله تعالى عنه ان الاسباب منوطة باسبابها من غير نظر

في عواقبها وان الله تعالى كما قدر على اناس الموت بالطاعون

قدر على آخرين عدم الموت به فالامتناع من الدخول فرار من

القدر الى قدر آخر والدخول تجاسر عليها لعله يكون فتنة

للداخل فانه لو وقع به ربما نسب موته الى فعله أيضا

قلت هذا احق لان الاول القاء باليد الى التهلكة وهو منهي

ويحرم عليه خشية الفتنة والممتنع من الدخول اذا سلم ربما نسب السلامة الى فعله صح صح صح

عنه

عنه في الكتاب والسنة والثاني بمنزلة التداوي والفرار من الهلاك

وهذا محمود في الكتاب والسنة **فان قلت** لم جاز الفرار قبل

الدخول لا بعده مع استوائهما في المعنى المعلل به فيما مرّ **قلت**

لا مساواة بينهما لانا لو جوّزنا الفرار لاهل البلد خرجوا وتركوا

المرضى من غير حافظ ولا متعهّد وذلك يؤدي الى هلاكهم غالبا.

فاقتضت المصلحة العامة منع الناس من الخروج. واما من لم

يدخل فلا يترتب على عوده مفسدة فجاز **ثم رأيت** الغزالي

ذكر ما قررته في الجواب عن كلام عمر رضي الله عنه ونقل عن النووي

وغيره واقروه حيث قال فان قيل ما فائدة الدعاء مع ان القضا

لا يردّه. فاعلم ان من جملة القضاء ردّ البلا بالدعا فالدعا سبب

لردّ البلا ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح

والما سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم

فيتدافعان فكذلك الدعا والبلا وليس شرط الاعتراف بالقضا

ان لا يحمل السلاح. وقد قال تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم.

فقدّر الله الامر وقدّر سببه انتهى. فتأمل هذا المحل

فانه نفيس وفيه شبه كثيرة ازالها بحمد الله تعالى هذا التقرير

الواضح لمن الهم رشده واسعد الله جده وخلصه من ورطات

الفتن وغوائل البدع والمحن. حققنا لنا ربنا ذلك بمنه وكرمه

واذا تقرر انه لا عذر فيما يسوق القضا بالمعنى السابق سواء

كانت المعصية صغيرة او كبيرة. فكيف يعذر من

أوثقته من الذنوب ديون شددت في اقتضائها الغرما

أو تقفه اى حبسته فى الدنيا عن الخلوص من التبعات وفى الاخرة
عن مقامه الكريم من الذنوب حال متقدمة على صاحبها وهو ديون
اى ديون تراكمت عليه ناشئة من كثرة ذنوبه وتفريطه في
حقوق الله تعالى وحقوق عباده شددت فى اقتضائها اى طلبها
منه الغرماء لان حقوق الآدميين مبنية على المشاحة
والمضايقة ما له حيلة سوى حيلة الموثق اما توسل واما دعاء
ما له حيلة اي طريق في التخلص من تلك الديون سوى حيلة
الموثق اى الاسير الذى صار لا يقدر على هرب ولا تخلص وحيلة
من هو كذلك تنحصر في شيئين لا ثالث لهما لانها اما توسل
الى الله تعالى في خلاصه بما سبق له من عمل خالص او بشفاعة
الشافعين او دعاء اليه في ان يرضي عنه غرماءه ويسبل عليه
ذيل عفوه وحلمه ورضاه راجيا ان تعود اعماله السوء بغفران
راجيا حال من عاص وضمايره المذكورة اي مؤملا املا قريبا
ان تعود اعماله السوء عليه بغفران الله له مغفرة عامة
لا تبقي عليه وصمة ذنب ولا تذر له قسوة قلب والحال ان تلك
الاعمال هي في جنب الغفران هبا اى مثله في انها لا وجود لها اذ
هو غبار يرى في شعاع الشمس اذا دخلت عند طلوعها من كوة
او ترى سيئاته حسنات فيقال استحالة الصهبا
او ان ترى سيئاته حسنات منه عليه بانه راجح في سلك الا من
تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
فبسبب استحالة السيئات حسنات يقال عند رؤية ذلك

استحالة

استحالة الصهبا اى الخمر من الخمرية والنجاسة الى الخلية
والطهارة فتشبيه السيئات بالخمر والحسنات بالخل استعارة
مصرحة واثبات الاستحالة التي هي من لوازم المشبه به
تخييلية كل امر تعني تقلب الاعيان فيه وتعجب البصراء
كل امر تعني اى تعتني وتهتم انت يا رسول الله به وتلتفت
اليه تقلب الاعيان جمع عين وهو الجسم وهو معنى تغيرها
بانها المبصر مستقلا بنفسه فيه بان تتحول من صفتها التي لا
تريدها الى الصفة التي تريدها وتعجب البصراء جمع بصير
حسا ومعنى اى ذووا البصاير والبصر من ذلك القلب الخارق
للعادة المشاهد للابصار الذي لا يعارض بجحود ولا انكار
وشاهده ما وقع لك في ذلك الفعل اذ رب هى هنا للتكثير
قال الشارح عين من عيون الما اى عيون كثيرة تفلت
اى بصقت فيما بها الملح الذي لا ينساغ لاحد فاضحى
ماؤها الملح والحال انه هو الفرات اى العذب السايغ للشاربين
او هو كالنهر المسمى بالفرات الذى هو احد الانهار الاربعة
النازلة من الجنة كما صح به الحديث الرواء بالفتح اي الذي
يحصل بقليله الري الكامل لشاربيه قال الشارح في وهو
الفرات الرواء الجملة خبر اضحى انتهى وهو جار في ذلك
على مذهب الاخفش وتبعه ابن مالك تشبيها بالجملة
الحالية لكن الجمهور انكروا ذلك وتاولوا الجملة على الحال
والفعل على التمام ولعل نسخته بلا واو وقيل هو تنبيه

رب عين تفلت فيما بها الملح فاضحى وهو الفرات الرواء

لم ار لخصوص التفل في ماء بير ملح فانقلبت عذبا فضلا عن
كثرته التي قالها الشارح سلفا ويحتمل ان الناظر أخذ ذلك
مما رواه ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بصق في بير أريس
فلم يكن بالمدينة بير أعذب منها فوجود الأعذبية في هذه
ببركة بصاقه صلى الله عليه وسلم فيها منزل منزلة ما ملح صار
عذبا وحديث سنده حسن انه صلى الله عليه وسلم قدم
المدينة وليس بها ما يستعذب غير بير رومة وهذا
يقتضي ان ما عدا بير رومة من بقية ابار المدينة كانت
مياهها فيها ملوحة منعت الاستعذاب منها ومن جملة
هذه بير أريس وقد صارت ببركة تفله صلى الله عليه وسلم
فيها أعذب بير بالمدينة فصار ماؤها الذي تقرر ان به
ملوحة أعذب بير بالمدينة فيتجه من هذا صحة ما قاله
الناظم رحمه الله تعالى فتأمله ثم رأيت للبغوي في
الصحابة عن بشر الاسلمي ان المهاجرين لما قدموا المدينة رضي الله تعالى عنهم
استنكروا الماء الحديث السابق في بير رومة فتعبيره
باستنكارهم مياهها يدل على ان فيها ملوحة وما
تقرر في بير اريس يدل على زوال ملوحتها بالكلية وانها
صارت أعذب حتى من بير رومة ثم رأيت الشريشي
شارح مقامات الحريري ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
تفل في بير أريس فعاد ماؤها أعذب بعد ان كان أجاجا
وما ذكره غير صحيح فقد قال الحافظ الكبير الزين العراقي

انه لم ير

انه لم ير أصلا لحديث تفله صلى الله عليه وسلم في بير أريس قال غيره
ومن الغرائب قول العز بن جماعة صح انه صلى الله عليه وسلم تفل
فيها فحينئذ ما قاله الشريشي لا أصل له ولا عند ابن جماعة لان فيه
زيادة كون مائها كان أجاجا فصار عذبا وهذا لم ينقل فيه
ابن جماعة ولا غيره انه ورد فضلا عن كونه صح ولعل الناظم
رأى ذلك في كلام مثل الشريشي ممن لا يعتد به في الحديث
فاعتمده ثم رأيت الحافظ السيوطي ذكر ذلك بلا سند
فقال فريقه صلى الله عليه وسلم يعذب الماء الملح انتهى
ويحتمل ان مراده كما يؤخذ من تعبيره بيعذب لا بأعذب
ان ريقه صلى الله عليه وسلم فيه قوة ذلك فلا يكون فيه
دليل لما في النظم أصلا واذ قد فرط مني ما سبقت الاشارة
اليه فلا يسعني الا مزيد الندم والتوجع منه والتأوه عليه
بأن أقول على الدوام والاستمرار آه مما جنيت اذ كان يعنى
آلا كلمة توجع أي توجعي عظيم وندمي زايد دايم من أجل
ما جنيت على نفسي من الذنوب وقبائح العيوب ان هي
بمعنى اذ على حد وخافون ان كنتم مؤمنين ولما قررته
ان ذلك التوجع يفيد الندم الوارد فيه عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال توبة أي معظمها المتكفل بما فيها غالبا كالحج عرفة
كان يعني ألف من عظيم ذنب من اضافة الصفة للموصوف وهنا
أي مسماها وهو التوجع المفيد للندم المفيد للتوبة كما مر ويصح أن
تكون ان على حالها من الشك لانا وان سلمنا ان كلمة آه تفيد الندم

ألف من عظيم ذنب

لكن قبولها ظني لا قطعي على الاصح ولك أن تمنعه بانه يكفي في كونها
بمعنى اذ ان قبولها ظني لان ظن الوقوع ينافي وضع ان من
التردد فيه ولما عرض بوقوع التوبة صرح برجائها
ليتبين ان الاهتمام بها منع من الاكتفاء عنها بالتعريض
فقال **أرتجي التوبة النصوح وفي القلب نفاق وفي اللسان رياء**
أرتجي اي اؤمل لحسن ظني بربي عملا بقوله صلى الله عليه وسلم في
الحديث الصحيح لا يموتن احدكم الا وهو يحسن ظنه بربه
وبقوله تعالى انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا
التوبة وهي الندم على الذنب من حيث هو ذنب بخلاف
الندم على الذنب لغرض آخر كاطلاع الناس عليه وصرف
دراهم فيه فان ذلك لا يعتد به والاقلاع عن المعصية
بترك ملابسة فعلها من حيث الندم عليها لا لغرض آخر
ايضا وعزمه على ان لا يعود اليها ما عاش كذلك ايضا
لا لنحو قطع ذكره والخروج عن كل مظلمة عصى بها
بعضا ما عصى بترك ادائه فورا وباداء ما عصى باخذه
ظلما الى مالكه او وكيله او وارثه هذا ان قدر والا
عزم عزما جازما انه متى قدر على الخروج منه خرج
منه لفوره **والتوبة** ولو من الصغائر واجبة
اجماعا وتصح على الاصح من ذنب دون ذنب وتصح في
الاصح وان سبقها توبة من ذلك الذنب ثم عود اليه
وان تكرر ذلك **النصوح** التي لا يعود من حصلت له الى

الذنب

شروط التوبة

٣٣

٢٨٦

الذنب أبدا او وقوعها خالصة عن كل شائبة من شوائب الحظوظ
ان تكون لله وحده لا لغرض آخر ولو اخرويا كان تاب لاجل
دخول الجنة فان ذلك لا يؤثر في صحة اصل التوبة وانما يؤثر
في كمالها لانها مشوبة بغرض النفس بخلاف الخالصة لوجه الله
تعالى قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
لكن اني يفيدني هذا الترجي **و** الحال اني متلبس بما ينافيها
اذ **في القلب نفاق** من حيث العمل باعتبار انه قد يبطن خلاف
ما يظهر لا من حيث الاعتقاد لان ذلك لا يصدر الا من أمن
بلسانه فقط **وفي اللسان** والاركان **رياء** اي نظرا الى الخلق
باعتبار ان ما يصدر منهما قد يكون فيه شوب نظر الى
طلب رفق او ثناء من مخلوق ومع ذلك لا اترك التوبة
ورجاء قبولها ولاجل ذلك قالت رابعة رحمها الله تعالى استغفارنا
وان كان يحتاج الى استغفار لا يوجب ترك الاستغفار
ومتى يستقيم قلبي وللجسم اعوجاج من كبري و انحناء
ومتى للاستفهام التعجبي **يستقيم قلبي** بان لا يبقى فيه
نظر الى ما يحجبه عن الله تعالى من اهل او مال او جاه أو غير ذلك
بل الى الله تعالى وحده **و** الحال اني وصلت الى حالة تدل على غلظ
القلب وشدته وعدم قبوله للخروج عما جبل عليه من الغفلة واللهو
وتلك الحالة هي انه حصل **للجسم اعوجاج من** اجل **كبري** اي كبر سني
وهو عظمي من كبر بكسر الباء اي اسن **وانحناء** لقامتي وهي من
عطف الرديف او الاخص لان الاعوجاج يعم الاعضاء كلها والانحناء

يخص بالعامة اذ هو يقوس الظهر وتبعد حينئذ الاستقامة
بخلاف ايام الشباب فان العود رطب والقلب لين فادنى
وعظ يؤثر فيه واقل زاجر يردعه عما هو ملتبس به
فيبادر الى التوبة سريعا وانما اخرت التوبة الى هذا الزمن
لاني كنت في نومة الشباب فما استيقظت الا ولمتي شمطا
كنت في نومة الشباب الذي تكثر فيه الغفلات وتتوالى
على اهله الهفوات فاستحكمت غفلتي حتى صرت كالنائم
المستغرق الذي لا يفيق من نومه الا بمحرك قوي فما
استيقظت من تلك الغفلة في حال من الاحوال الا والحال
ان لمتي شمطاء اي اختلط سوادها ببياضها وما تقرر في
زمن الشباب اولا انه محل قرب التوبة والانزجار بادنى واعظ
وهنا انه محل الغفلات والهفوات لا تنافي بينهما لانه وان كان
محل الهفوة والزلة لكن صاحبه يتنبه سريعا الى زلاته ويرجع
عنها حالا كما ان العود الرطب يستقيم اعوجاجه بادنى
عمل بخلاف زمن الشيخوخة فانه زمن الامساك عن كل هفوة
وزلة لكن صاحبه المرتكب للمعاصي الى ان شاب يعسر عليه
الرجوع والتوبة فورا لان عوده قسى وصلب فلا يتقوم
اعوجاجه الا بعد الياس ويشهد لذلك الحديث ان قيل لك ان
جبلا تحول عن مكانه فصدق وان قيل لك ان انسانا تحول
عن طبعه فلا تصدق وتماديت اقتفي اثر القوم فطالت
مسافة واقتفاء وحينئذ بلغت هذا السن الذي

نحو

تعسر فيه التوبة كما تقرر تماديت اي طلبت ان اقتفي اي اتبع
اثر القوم الصالحين السابقين الى المراتب العلية والفائزين
بنيل المآرب السنية فطالت على مسافة بيني وبينهم لبعد
الدرجات التي فازوا بها واقتفاء لاعمالهم واخلاقهم لانهم
استغرقوا فيها اوقاتهم وانقطعوا فيها الى الله عن كل علقة وتبعة
فوري السائرين وهو امامي سبل وعرة وادض عراء
فبسبب طول المسافة التي بيني وبينهم ورى خبر مقدم
السائرينا اي السائرين ليلا من السرى وهو السير ليلا وعدل
اليه عن ورائهم الذي هو القياس ليفيد انهم احيوا لياليهم
بالعبادات وامتازوا فيه بلذيذ المناجات وهو اي
ذلك الوري امامي جملة معترضة للتصريح بما علم من قوله
اقتفي الخ انه مع طول المسافة بينه وبينهم وتعذر
اتباعه لهم ضا وبينه وبينهم موانع ايضا سبل مبتدا
اي طرق وعرة اي يعسر سلوكها الان اولئك القوم كالفوا انفسهم
من الاعمال والتخلق بكرائم الاخلاق والاحوال ما اوجب لغيرهم
عدم اللحوق بهم لعدم قدرتهم على القيام بما قام به اولئك
وادض عراء بفتح اوله اي فضاء واسعة حمد المدلجون غب سراهم وكفى من تخلف الابطاء
حمد اولئك القوم المدلجون اي السائرون من اول الليل او
الكثرة والقياس حمدوا ايضا فعدل الى الاظهار ليبين انهم
على فرقتين منهم من يحيي بعض الليل ومنهم من يحيي كله او
الكثرة وان هذا القسم الثاني افضل واكمل لانهم راوا اما

يتجدد به حمدهم مما لم يره من قبلهم **غب** أي عاقبة **سراهم** من الفوز
برضى الله تعالى وقربه والاطلاع على حقايق معرفته والتمتع
بشهوده وهذا مقتبس من قولهم عند الصباح يحمد القوم السرى
وكفى من تخلف عنهم في سيرهم وهذا راجع لقوله فودى
السايرين وقوله حمد راجع لقوله السايرين ففيه لف ونشر
مرتب **الابطا** اي التاني في السير المفوت لادراك منازلهم
وفي ذكر هذه ايما الى غاية التحسر والتالم لذكر حاله التي جعلوا
عقباها وفاته لعجزه عن ادراكها لما هو عليه مما لم يوصله
الى ذلك الغرض لبعده عن تلك اللطايف وتقاعده عن بلوغ
المعارف كيف وما هم عليه من الجد في السير الى الله تعالى
رحلة لم يزل تفندني الصيف اذا ما نوبتها والشتا
رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات وبواطن الشبهات
وقبايح الارادات وقواطع البطالات ورحلتهم هذه
عز علي ان اقتفيهم فيها لاني **لم يزل يفندني** اي يكذب علي
او يضعف رأي **الصيف اذا ما** زايدة **نويتها والشتا**
كذلك اذا جا الشتا أوى الى الصيف لان الشتا يكثر فيه
البرد والثلوج والامطار فيعسر السير فيها واذا جاء
الصيف اقول اصبر الى الشتا لان الاعمال تتيسر فيه
اكثر **ومن ثم** قال صلى الله عليه وسلم الشتا ربيع المومن
طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه وفي سنده من
ضعفه جماعة ووثقه اخرون والاصح توثيقه في

هذا السند

هذا السند بخصوصه ومن ثم صححه ابن خزيمة ويشهد له احاديث
منها مرحبا بالشتا فيه تنزل الرحمة اما ليله فطويل للقايم
واما نهاره فقصير للصايم وحديث لم ينزل قط عذاب
من السما على قوم الا عند انسلاخ الشتا **ومما** اوجب ابطاي
عن تلك الرحلة اني **يتقي حر وجهي الحر والبرد وقد عز من لظى الاتقا**
يتقي حر وجهي وهو ما يبدو من الوجه **الحر والبرد** بالتقاية
عنهما خوفا من مشقتهما وهما كنايتان عن مشقة العبادة
في الشتا والصيف كما ان ما في البيت الذي قبله كذلك
و الحال انه **قد عز** اي صعب علي **من لظى** اي جهنم
متعلق بقوله **الاتقا** لاني متلبس بما يوصلني اليها الا
ان يتغمدني الله برحمته ولاجل هذا **ضقت ذرعا مما جنيت**
ضقت ذرعا بالمعجمة **من** اجل **ما** موصولة او مصدرية
جنيت اي ضعفت طاقتي عن ان تتحمل وزره ولم
اجد من يخلصني من ثقله واصل الذرع الحلق **فيومي**
قمطرير اي شديد وهذا كذكر عرا والرحلة والصيف
والشتا وضقت ذرعا فيه اقتباس من الايات
المذكور فيها ذلك وتلميح الى ما فيها من القصص **وليلتي**
درعا بالمهملة اي مظلمة كناية عن شدة ما يلقاه فيهما
والليلة الدرعا التي يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان
ذلك الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عنه
في واحد منهما ولكن خفف عني ذلك اني **تذكرت**

وقد عز من لظى الاتقا
ضقت ذرعا مما جنيت فيومي قمطرير وليلتي درعا
وتذكرت رحمة الله فالبشر عاودني

رحمة الله أي سعتها التي دل عليها قوله تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح
ان الله تعالى كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت
غضبي اي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب
وفي هذه العندية عندية الشرف والمكانة لا المكان
لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا فبسبب ذلك البشر
أي الفرح والسرور لوجهي متعلق بخبر البشر وهو تلقا وهذا
اولى من جعل الشارح له خبرا وتلقا خبرا ايضا اني أي في
أي مكان انتحي أي اتوجه تلقا اي مقابل اي فالبشر
مقابل لوجهي في اي مكان توجهت اليه لاني مستشعر
لسعة الرحمة ومعول عليها مع نظري الى قول الصادق
المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن
عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا فالزم الرجا والخوف
بالقلب وللخوف والرجا اخفا فبسبب تذكري
لما جنيت المقتضي لمزيد الخوف ولسعة الرحمة المقتضي
لسعة الرجا الخ اي اقام الرجا والخوف بالقلب
فهما على حد سوا كما هو الراجح عند ائمتنا ان الانسان
ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل
يغلب عليه الرجا لئلا يغلب عليه دا الياس من رحمة الله
تعالى وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب دا الامن من مكر الله
تعالى ورد بانهما اذا استويا امنت غلبة احدهما فلا

محذور

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

محذور يخشى حينئذ بخلاف غلبة أحدهما فانها يخشى منها المحذور
الذي في مقابله أما المريض فيغلب الرجا لقوله صلى الله عليه وسلم
لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى أي يظن انه
يغفر له ويرحمه وللخوف والرجا اذا تواردا على القلب اخفا
اي استقصا ومنازعة لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف
اعتزا شدة وحصر للنفس لا يطاقان لان من لازمه الكف
عن كل محرم بل وشبهة بل وعما فضل عن حاجته من الحلال
كما هو شان الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم
ولو من هول السؤال ومقتضى الرجا بسط النفس وانشراحها
لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب وان
كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى وينجا فزعها بكرمه واذا
تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقضي في مقتضاه ضد ما
يستقضيه الآخر لكن قد تقرر ان الاولى للصحيح أن يستوي
عنده المقتضيان لئلا يغلب أحدهما فيخشى منه المحذور
السابق آنفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي لليأس
صاح لا تأس ان ضعفت عن الطاعة واستأثرت بها الاقويا
صاح اي يا صاحبي وفيه نوع تجريد اذ الاصل يا نفسي لا تأس
من رحمة الله تعالى ان ضعفت عن الدأب في الطاعة
لضعف همتك وغلبة بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك
عن أهوال القيامة واستأثرت اي انفردت بها الاقويا
بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريعها المكروهات

حتى تدربت عليها فصارت عندها من ألذ مألوفاتها وأعظم
مشتهياتها إن لله رحمة وأحق الناس منه بالرحمة الضعفاء
إن فيه شائبة تعليل للنهي عن اليأس إن ضعف عن الطاعة
لله رحمة عظيمة ادخرها لبعض عباده تعم القوي والضعيف
والشريف والوضيع وأحق الناس منه متعلق بقوله بالرحمة
الضعفاء أي الذين لا يعولون على أعمالهم ولا يغترون
بأحوالهم مع قيامهم بما لا بد منه وإخلاصهم لله تعالى في عبادتهم
فهم أقوى فيه في العبادة وأبعد عن الريا فربما حصل لهم
بسبب ذلك نفحة سبقوا بها الأقويا وفي الحديث القدسي
أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي أي لأن مطلوبهم رضائي ومعتقدهم
أن لا عمل لهم ومما يؤيد ذلك أنه صلى الله عليه وسلم في منامه
الذي رآه لأبي بكر وعمر فيما يتعلق بخلافتهما وقرب مدة خلافة
أبي بكر وطول مدة عمر أثبت لأبي بكر مع أنه أفضل الناس بعد
الأنبيا عليهم الصلاة والسلام نحو ذلك الضعف فقال
بعد أن بين أنه على بئر وأنه نزع منها بدلو وأن أبا بكر رضي الله عنه
أخذها منه فنزع بها دلوا أو دلوين وفي نزعه ضعف
والله يغفر له ضعفه فهو ليس ضعف يقين ولا عمل وإنما
هو ضعف انكسار وافتقار وفي الحديث إن الله لا ينظر
إلى الصور وإنما ينظر إلى الأعمال والقلوب أي لا إلى الأعمال
وحدها بل لما يصحبها مما في القلوب من إخلاص وافتقار
وضدهما ثم استدل على أن الضعيف قد يحصل له ما لا يحصل

رضي الله عنهما

القوي

فأبق في العرج عند منقلب الذود ففي العود تسبق العرجا

للقوي بمثال ظاهر في الوجود فقال فأبق في العرج عند منقلب الذود
فبسبب الأحقية المذكورة للضعفاء أبق في الضعفاء
المشبهين بنحو العرج جمع أعرج وهو من برجله ما يمنعه من
استقامة المشي عند منقلب الذود أي رجوعه إلى ربه
وهو جماعة الغنم ففي العود تسبق العرجاء إليه فتفوز
بما مولها فتأخرها أوجب لها السبق فكذلك تأخرك عن كثير
من الطاعات ربما أوجب لك سبق المكثر منها لأنه قد يصحبك
من الذل والافتقار والإخلاص ما يخلف تأخرك بخلاف المكثر
قد يصحبه من العجب والافتخار ما يوجب تأخره ومن ثم
قال العارف المحقق التاج بن عطاء الله رحمه الله تعالى
رب معصية أورثتك ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثتك
عزا واستكبارا فاعلم أنه لم يجعل ذات المعصية خيرا من
ذات الطاعة بل لا يتوهم ذلك من كلامه وإنما الذي أفاده
أن المعصية قد يصحبها وصف خير من الوصف الذي صحب الطاعة
فيكون ذلك مقتضيا لعدم المؤاخذة بوصمة تلك وهذا مقتضيا
لسقوط هذه وعدم الاعتداد بها وكذلك كلام الناظم
هنا وفيما قبل يتنزل على هذا فتنبه له وإذا تأخرت عن
الطاعة لضعفك فلازم الذلة والانكسار لا تكن حاسدا لغيرك
لا تكن حال كونك حاسدا لغيرك الذي أكثر منها أي متمنيا
زوال النعمة التوفيق عنه هذا القوي بسبب قوته
أثمرت نخله أي كثرت أعماله فتشبيهها بالنخل

لا تكن حاسدا لغيرك هذا أثمرت نخله

استعارة مصرحة وذكر الاثمار ترشيح واثر التشبيه بالنخل
لأن النخل افضل الشجر لأنها خلقت من فضلة طينة آدم
عليه الصلاة والسلام **ومن ثم** قال صلى الله عليه وسلم اكرموا
عماتكم النخل ولاجل هذا اشابهت الادمي في كثير من صفاته
لكل منهما بالارادة وقدرة لا يعتد بها لانك حينئذ تتعرض على الحكيم في فعله وتخصيصه
ومن ثم كان الحسد كفر النعمة
المنعم ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وخرج
بحاسد المنصرف الى الحسد المذموم الحسد المحمود المسمى
بالغبطة وهو ان تتمنى لك من النعم مثل ما لغيرك مع
بقائها له فهذا مطلوب كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم
بقوله لا حسد الا في اثنتين الحديث واحذر ان تتكل على
رجائك فقط من غير عمل فانه لا ينفع رجاء الا مع عمل **ومن ثم**
قالوا كل رجاء لم يصحبه عمل فهو غرور بل مع رجائك اجتهد

وات بالمستطاع من عمل البر فقد يسقط الثمار الاتا

وات بالمستطاع من عمل البر امتثالا لقوله تعالى فاتقوا الله
ما استطعتم الناسخ كما قيل لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته
فانه صلى الله عليه وسلم لما فسر هذا بان يعبد فلا يعصى
ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر قالوا ابنا يطيق ذلك
فنزلت تلك مبينة له ان المطلوب انما هو ما تقدرون
عليه دون ما عداه ويصح ان تكون تلك مبينة للمراد
من هذه فلا نسخ وهو الاولى وقد ينتج القليل ما

الحسية والمعنوية كما لا يخفى **وخ** ای اعمال **عفا** بالفتح ای كالتراب لا ثمرة لها بسبب ضعفي

لا ينتج الكثير

291

لا ينتج الكثير بواسطة مزيد اخلاص وامتثال فكما انه **قد يسقط
الثمار** الكثيرة **الاتا** اي النخيل الصغار اذا خلصت ارضه
وزاد ربه وخصبه ولا يسقط ذلك الكبار فكذلك انت قد
تفوز بسبب ضعفك بالمعنى السابق بما لم يفز به القوي
الناظر الى قوته ونفسه وفي كلامه هنا وفيما مر تمثيل وتذييل
وهو من ارق فنون البلاغة والطف طرق البراعة وتفسير
الاتا بالنخل الصغار وقع في كلام الشارح ولم يبين ضبطه
اهو بفتح الهمزة او كسرها ولا انه بالمثناة او بالمثلثة
ولم ار في القاموس هذا الذي ذكره الشارح وانما الذي فيه
في الاتا بالفوقية ككتاب تفسيره بما يخرج من الشجر
والثمار وفي الاثا كالاناء بالمثلثة تفسيره بالجمارة
والماشية وهذا يمكن تنزيل كلام الناظم عليه اي ان النخلة
اذا طالت وصعب عليك رقيها قد يمكنك ان تسقط
بعض ثمرها بضربة بحجر **واعلم** ان افضل الاعمال واسرعها
انتاجا واعظمها وسيلة هو مزيد محبته صلى الله عليه وسلم نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير دنيوي واخروي
وحينئذ فعليك ان تكون ممن امتلا قلبه
بحب النبي صلى الله عليه وسلم فانها سبب لكل خير
امتثالا لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من ماله واهله وولده والناس اجمعين

في حب النبي فانه منبع ... صلى الله ... اعمالهم

ومرّ الكلام على ذلك قريبا بما ينبغي مراجعته واذا حظيت
بهذه المحبة **فابغ** اي اطلب **رضى الله في محبته الرضى**
من الله تعالى المنعم بما ليس في الحساب **والحباء** اي العطا
منه تعالى بجميع الخيرات الدنيوية والأخروية كالتوفيق
للاعمال الصالحة والفوز بالمقامات العلية فكن على رجاء
من ذلك اذا طلبته بمحبته صلى الله عليه وسلم فانها نعم
الوسيلة فاتبعوني يحببكم الله **ثم عاد** الى الضراعة واظهار
المسكنة والضعف وابدا التحسر والتحزن والاستغاثة
بمن لا يخيب المستغيثين به **فقال** مؤملا انه ببركة توسله
به يتخلص من ورطات ذنوبه **يا نبي الهدى استغاثة**
ملهوف قد أضرت بحاله الحوباء ۝ يا نبي الهدى
أي الدلالة على الله تعالى بالنسبة للكل ومنه وانك
لتهدي الى صراط مستقيم والايصال اليه بالنسبة الى
للمؤمنين ومنه انك لا تهدي من أحببت ولكن الله
يهدي من يشا **استغاثة** بالرفع خبر مبتدا محذوف اي
مسئولي وهي ندا من يخلص من شدة أو يخففها والنصب
مفعول مطلق اي استغيث بك استغاثة اي أناديك
ندا **ملهوف** اي مضطرب متحسر محتاج الى من ينقذه
مما يهلكه **قد أضرت بحاله الحوباء** اي مسكنة ذنوبه
وضعف همته وذلك لانه **يدعي الحب وهو يامر بالسو**
ومن لي ان تصدق الرغباء ۝ يدعي الحب لله تعالى ولرسوله

يوجد في بعض النسخ قد
ولا يحتاج اليها لاذ يضعف
البيت الوزن في ملهوف
وابتدا النصف الثاني الفاء
من بقية الكلمة انتهى

هكذا وجد بخط ابي محمد ابن الشيخ
عبد الله الكدنوي سعطى
النسخة التي حضرتها والعدة
وقد قابلنا عليها هذه
النسخة تامة ولله الحمد
ما عدد ورقاته
وأولها

عليه الصلاة والسلم

٢٩٦

عليه الصلاة والسلام **وهو** اي والحال انه يصدر منه ما يكذب
دعواه من مخالفتهما الا انه لا يزال **يامر** نفسه أو غيره
بالسو أي الاثم فعلا وتركا والمخالفة تنبي عن عدم
المحبة كما هو واضح لمن تأمل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ولهذا أشار الى تمنيه أن يصدق في دعواه محبتهما فقال
ومن استفهام مبتدا اي من الذي يتكفل **لي** فيه التفات
ان يصدق لي الرغباء اي العزيمة المصممة في الرجوع الى الله تعالى
بالتوبة والعمل الصالح وادعا الحب مع ظهور ما يكذبه
نقص واي نقص ومما يكذبه أيضا دوام الغفلة عن محبوبه
حتى انه لا يمر بباله ولا في النوم ومن هذا حاله **أي حب**
أي حب يصح منه التفات **و** الحال ان **طرفي** التفات
للكرى اي النوم **واصل** لا ينفك النوم عنه في وقته وليس هذا
شان المحب **وطيفك** اي خيالك **رآء** أي محتجب عني كما
احتجب الرآعي واصل الرجل المشهور لانه هجرها فلم
يتكلم بكلمة قط فيها رآ بل يرادفها أو يقاربها خشية من
أن يعبر بلثغته بالرآ افصاحا وهجر الشي المستمر يمثل عندهم
بهجره واصل للرآ ففي النظم التورية لان واصلا بالنظر
للكرى اسم فاعل وللرآ اسم علم وتلميح لانه أشار الى قصة
واصل المشار اليها وفيه الاستفهام الانكاري اي كيف تصدق
محبتي وانا مواصل للكسل والنوم سلمنا ان مواصلة النوم
لا تؤثر في المحبة لانها أمر وجداني فكيف توجد مع عدم

أي حب يصح منه وطرفي للكرى واصل
[illegible]

خطور خيال المحبوب بالضمير ولا في حالة النوم وهذا
ينافي المحبة كما هو محسوس لاستلزامها أن طيف المحبوب لا يغيب
عن مخيلة المحب نوما ولا يقظة نعم قد يتخلف هذا
الاستلزام لمانع ولذا تردد مع ما قدمه في أن فقد
خطور الطيف هل هو لذلك أو غيره فقال ـــــــ
ليت شعري أذاك من عظم ذنب أم حظوظ المتيمين حظاء
ليت شعري أي ليتني علمت أذاك اي عدم خطور طيفه
بقلبي من أجل عظم ذنب وقع مني وهو الظاهر أم
حظوظ المتيمين اي المحبين حظا جمع حظوة بالكسر والضم
وهي المكانة والقياس في الجمع الضم والكسر كعروة وعرى
متفاوتة فبعضهم يحظى بالقرب من غير كبير عمل
وبعضهم لا يحظى به مع كثرة العمل وبين حظوظ
وحظا الجناس المطلق اي انصبا وهم من المحبوب
إن يكن عظم زلتي حجب رؤياك فقد عز دا قلبي الدواء
إن يكن عظم زلتي التي ارتكبتها حجب رؤياك اي رؤيا
طيفك عني في النوم التي فقدتها فقد عز دا قلبي الدواء
اي قل بل عدم الدوا الذي يكون لمرض قلبي فلا يوجد له
شفا يوجد لانه لا يوجد الا من جنابه صلى الله عليه وسلم
فان فرض انه اخذ انسانا بعظيم ذنبه لم يكن أحد غيره
أن ينقذه منه ثم هذا التردد في وجود المحبة الذي سبق
انما هو لمزيد الخوف وان الانسان على مدرجة أن يواخذ بذنبه

وان كان محبا

وان كان محبا الزوال محبته بل هي باقية ورجاه في محبوبه واسع وان
كانت ذنوبه كثيرة وحينئذ كيف يصدي بالذنب قلب محب وله ذكرك الجميل جلاء
كيف يصدي أي يتسود بسبب الذنب الذي ارتكبه ذلك المحب
قلب محب لك وهي للحال له اي لقلبه متعلق بجلا ذكرك مضاف
للمفعول اي ذكره لك بالصلاة والتسليم عليك وسؤال الوسيلة
وغيرهما مما يعود عليه وعليك بزيادة القرب فان الخلق كلهم
مفتقرون الى ذلك ويصح للفاعل فذكرك له الجميل العائد
على الذاكر بما لم يكن في حسابه جلا ولما غلب على ظنه ما اشار
الى التردد فيه بأن قوله ان يكن الخ من أن سبب حجب الرؤيا
عنه عظيم ذنبه صرح كما يصرح من وجد أخذ ماله أو قاتل
أبيه بعد يأسه منه فقال هذه علتي وأنت طبيبي كيف يخفى عليك من العليل داء
هذه علتي التي أنحلت جسمي وأدهشت لبي لا غيرها والحال
انك انت طبيبي العالم بها الماهر في ازالتها فانك ليس
يخفى عليك في القلب داء وانت لا أحد من الخلق أكرم ولا
أحلم منك فعجل لي بدواء فذلك المحصل للشفا من وصمة
جميع ما هنالك فان شفاعتك لا ترد والمتوسل بك لا يخيب
ومن الفوز أن أبثك شكوى هي شكوى اليك وهي اقتضاء
وانما دفعت إليك قصتي وشكوت إليك قلة حيلتي
مما جنيت على نفسي لان من الفوز اي النجاة والظفر لمثلي
بجميع المطلوب الذي لا فوز أعظم منه أن أبثك من بث
وأبث نشر واظهر شكوى هي الاخبار عن النفس او الغير

بسوء فعله لكن هذه إنما هي شكوى مني لنفسي اليك لا إلى غيرك
أي انشرو أظهر بين يديك في ضمن مدحي لك ما كاد أن يهلكني
من عظيم ذنوبي وقبيح عيوبي رجا أن تمنحني بنظرة
تزيل عني كل وصمة وتوجب لي منك كل رحمة لان رجاي فيك
واسع ومحبتي لك متزايدة وهي اي تلك الشكوى الواقعة
في ضمن ذلك المدح البديع اقتضا أي طلب من كرمك
الواسع وفيضك الهامع أن أتخلص من تلك الورطات
والجوامع بوايق ساير الورطات وأن تحصل لي الشفا
من جميع الأدوا فان جاهك متكفل بكل مطلوب ومحقق
لكل مسؤل ومرغوب لا سيما الخادم حضرتك الفانى
في محبتك كيف وقد ضمنتها مدايح مستطاب فيك
منها المديح والاصغا أي ضمنتها بالبنا للمفعول اي تلك
الشكوى لتقبل وتعود على بركة قبولها بما هو المقصود منها
بالذات مدايح لجنابك بديعة جمع مدحة اى كلام متضمن
للثنا الجميل الذى هو المدح المباين للحمد او المرادف له
أو الأعم منه أو الأخص منه أقوال مرت مستطاب
بالرفع صفة مدايح الذى هو نايب الفاعل فيك منها أي
من تلك الشكوى متعلقات بما قبلها أو بعدهما المديح لك
والاصغا من سامعها اليها لان أوصافك الكريمة
زينتها فصارت بها في غاية الكمال الذي يشنف الاسماع
ويملأ عبيره أرجا القلوب والبقاع ومن استطابه ذلك

متكفل

المدح

المديح ان الله تعالى يسره علي في هذه القصيدة البديعة
ببركة التجاي اليك اذ قل ما حاولت مدحك الا ساعدتها ميم ودال وحا
قل ما مصدرية تلك الشكوى مديحك أي لا ابراز مدحك معنى
فيه لم اسبق اليه أو أسلوب من انواعه اللايقة بك والمطلوب
فيها ان تجري على أعلا سنن البلاغة وقانون البراعة الا
ساعدتها ميم ودال وحا أي مسمى هذه الاسما وهو
مدح ايضا اى ما توقف على معنى أو نوع من تلك الانواع
وجهت همتي الى الاحسن منها الا وجدت الالفاظ الدالة
على مدحك تبادرني الى تاديته بالالطاف وتساعدني عليه
بنهاية الاسعاف فتاتي قريحتي منه بما هو أبدع وابلغ
وكون ما مصدرية هو ما ذكره الشارح وعليه فالمعنى
قلت محاولتها مديحك في غير حال كونها مساعدة بهذه
الحروف الثلاثة فانها لا تقل حينيذ بل تكثر انتهى
ويلزم عليه وقوع الاستثنا المفرغ في غير نفي او شبهة وهي
النهي او الاستفهام وهو ممنوع عند اكثر النحاة ومن جوزه
في الموجب كقام الناس الا زيد ردوا عليه بأن يلزمه
الكذب اذ تقديره ثبوت القيام لجميع الناس الا زيد
وهو غير جايز بخلاف النفي عنهم الا فردا فانه جايز فان
قلت جوز المبرد التفريغ على موجب يلزمه نفي كلو
ولا نحو لولا القوم الا زيدا لاكرمتك وما هنا كذلك لانه
قد يلزمه نفي ما عدا القليل فهو نفي في الجملة قلت ما ذكره

حاولت

وقد ساعدتها ميم ودال وحا

يريد بان التفريع يدخل في الجملة الثانية التي هي الاولى واما
الجواب الذي هو منفي فخارج عما دخلت عليه الاعلى ان كون
قل تفيد نفيا يشبه النفي الذي هو في التفريع ممنوع واذا
تقرر ذلك تعين تاويل النظر بان يقال فاعل قل محذوف
دل عليه المذكور وان ما نافية والاستثنا مفرغ من اعم
الاحوال والتقدير قل ان يستصعب على ما اردته
من مدحك لاني ما حاولته في حال من الاحوال الا
ساعدني مدحك على الحمل ما ينبغي ولاجل هذه المساعدة
المسهلة على ما اردته من اعلى انواع البلاغة قال
حق لي فيك ان اساجل قوما سلت منهم لدلوي الدلاء
حق اي ثبت واستقر لي فيك اي في مدحك ما لم يكن
في حسابي وهو ان اساجل قوما وهم الشعرا الذين مدحوك
اي افاخرهم فاقول لما صنعته خير مما صنعتموه وابين
لهم ذلك حتى يذعنوا لي في ذلك ويصيرون قد سلت
منهم لدلوي الدلاء وحينئذ افوز منك بابلغ مما فازوا
به وعبر بالدلو لان السجل هو الدلو العظيمة المملوءة
مذكورا ما الدلو ومن هذا قولهم الحرب بينهم سجال
ككتاب اي سجل منها على هولا واخرى على هولا ذكره في القاموس
وعليه فالساجلة تطلق على تنازع المستقين على بير
بدلاء مختلفة ليريد كل منهم ان يظفر على دلوه قبل
الاخرين شبه بهم المادحون في تنازعهم فيما يرومونه

كل

وادّعا كل

وادّعا كل منهم ان ما ابرزه خير مما ابرزه غيره ففي استعارة بالكناية
واثبات المساجلة استعارة تخييلية وذكر الدلو ترشيح ثم
اشار الى علة اخرى لتميزه عليهم وتسليمهم فقال اذ لي غيرة وقد زحمتني في معاني مدحك الشعراء
اذ لي غيرة بالفتح على مدحك اي حمية توجب لي ان لا احب
ان غيري يسبقني اليه والحال انه قد زاحمتني في معاني
الفاظ مديحك الشعراء واردوا ان يسبقوني فيه
ولقلبي فيك الغلو واني للساني في مدحك الغلواء
والحال انه استحكم لقلبي فيك اي في محبتك الغلو اي مجاوزة
الحد الذي بلغ اليه امثالي واني يكون للساني في مدحك الغلواء
اي الاسراع والتقدم عليهم بما لا يصلون اليه لولا اسعافك
وامدادك ونظرك لي بما يميزني عليهم فاني استفهامية
بمعنى كيف نحو اني يحيي هذه الله بعد موتها او بمعنى من
اين نحو انى لك هذا وترد ايضا بمعنى متى او حيث
وتحتمل الكل فاتوا حرثكم اني شئتم لكن الذي اختاره ابو حيان
وغيره انها في الاية شرطية حذف جوابها لدلالة ما قبلها
عليه لا استفهامية والا لا كتفت بما بعدها كما هو
شانها ان تكتفي بما بعدها اي يكون كلاما يحسن السكوت
عليه اسما كان او فعلا ويصح كسر ان اي واني فالبا
اسمها لكن الاول ابلغ واظهر كما لا يخفى فانت خاطرا يلذ له مدحك
فبسبب صدق محبتي وشدة غيرتي ومزاحمة اقراني
لي مع ارادتهم التقدم انت خاطرا اي فرتحدّ لي على

حين اباه غيري

هذا المدح البديع بان يمدها بما يفوق به جميع مزاحمها
وسابقيها فانك اكرم من جازى محبيه واجود من جاد
على مادحيه وانا من اصدقهم محبة وابلغهم مدحة
كيف وقلبي يلذ له مدحك لذة تحمله على ان يبذل وسعه
مع صدق التوجه اليك وبك في اختراع ما لم يسبق اليه
ولا حام قبله عليه علما اي لاجل علمه بانه مديحك اللألاء
اي الفرح التام كذا في القاموس وغيره فان كان الفرج
بالجيم فواضح او بالحاء المهملة ففيه بعد ويصح انه
من تلألأ البرق بمعنى لمع اي علما بان مديحك يضيء
قلوب المادحين لا سيما ابلغهم حتى ياتي في مدحك
بالمعاني البديعة والاساليب العجيبة كما وقع لي في هذا
النظم لتميزه على غيرهم بامور منها انه حاك من صنعة
القريض برودا لك لم تحك وشيها صنعاء حاك
اي نسج ذلك الخاطر فيه من صنعة القريض اي الشعر
برودا جمع برد وهو نوع من انواع الثياب اليمانية
فيه زينة لك لم تحك وشيها اي نقشها بالالوان
المختلفة صنعاء مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج
والوشي شبه المعاني البديعة في ادهاشها للقلوب
عند سماعها بالابراد الموشية المدهشة للابصار
عند رؤيتها واثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو
الوشي والحوك كما اثبت للمشبه به ما هو ملايم له وهو

القريض

أعجز الدر نظمه فاستوت فيه البدان عجمها وعربها

فقامت تغار بها الأعاجم

القريض ففيه استعارة تصريحية مرشحة بذكر الوشي والحوك
ومجردة بذكر القريض ومنها انه قد اعجز الدر نظمه فاستوت فيه
اعجز الدر نظمه اي نظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة
على غاية لم يشتمل عليها غيرها فاق الدر النفيس المنظوم الذي
يدهش الفكر ويخطف البصر لضوئه وصفائه فاستوت
فيه اي في العجز عنه البدان اي القريحتان الصناع بفتح
الصاد المهملة وبالنون والعين المهملة اي الحاذقة الماهرة
والخرقاء اي العبيه فارضه افصح امرء نطق الضاد فقامت تغار
فبسبب ما تميز به هذا النظم عن غيره ارضه اي اقبله
يا خير من امله المادحون ورجاه العافون واكرم خلق
الله واجودهم وتجاوز عما فيه وان كان فيه من الفصاحة
ما لا يدركه غيرك افصح امرء نطق الضاد اي بها اي يا افصح
العرب العربا وهذا اقتباس من قوله صلى الله عليه وسلم
انا افصح من نطق بالضاد الحديث وخصها لان غير العرب
لا تحسن اخراجها من مخرجها والعرب ان احسنوه لكنهم
متفاوتون فيه وكلهم لم يصل منهم احد الى الحد الذي
كان صلى الله عليه وسلم يصل اليه في تاديتها وكان وجه
هذا الاقتباس اظهار الناظم ان ما اتى به وان بالغ في بلاغته
لا يتاهل الى مدح حد لان فصاحته معجزة لغيره فاي
بلاغة تودي ما يليق به فكانه يقول يا افصح الفصحا
اقبل ما جئت به وان لم يشم ادنى رائحة من روائح فصاحتك

بل ولا وفى بما يليق بكمالك ويؤيد هذا قوله الآتي أبذكر الآيات

فبسبب اختصاص الضاد بتعذر او تعسر النطق بها على

غير العرب وتعذر نيابته على غيره صلى الله عليه وسلم وقرب

الظاء من مخرجها ولم تظفر بما ظفرت به الضاد قامت

تغار منها اي الضاد الظاء لكون الضاد تميزت عليها بتلك

المرتبة العلية اي أرادت الظاء فضلا عن غيرها ان تحصل

لها مرتبة تضاهي تلك المرتبة فلم تحصل لها فغارت حينئذ

ثم طلبي من كرمك يا اكرم الخلق الرضى بهذه القصيدة

ليس لكونها وفت بحقوقك الواجب استقصاؤها في مدحك

بل للطمع في سعة حلمك وجودك أبذكر الآيات أوفيك مدحا

أين مني وأين منها الوفاء أبذكر الآيات في هذا النظم

الخصايص والمعجزات التي علمناها الدالة على وصولك

لما لم يصل اليه مخلوق أوفيك مدحا لا اذ لا يمكن أن يوفيك

ذلك الا من احاط بمقامك واني ذلك لغيرك مثلي أين مني

الوفاء لذلك وانا من جملة العاصيين العاجزين المقصرين

وأين منها الوفاء بذلك وهي محصورة وكمالاته صلى الله عليه

وسلم غير محصورة أم أماري بهن قوم نبي ساء ما ظنه بي الأغبياء

أم منفصلة أماري أجادل بهن اي بذكري لتلك الآيات

قوم نبي اي المادحين لنبينا صلى الله عليه وسلم اي لم اذكر تلك

الآيات بقصد أن أوفي بها حقه صلى الله عليه وسلم ولا بقصد

أن أجادل بها أمتك ومن ظن بي واحدا منهما فهو غبي لا يفهم

ولا يغني

ولا يعقل شيئا وساء ما ظنه بي الأغبياء لأنهم لقلة فطنتهم

يتجاسرون على الناس بما هم بريئون منه ولك الامة التي غبطتها بك لما أتيتها

ولك استئناف أو عطف على محذوف أي لك الآيات التي لا تحصى

ولك الامة الوسط كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا

اي خيارا عدولا لتكونوا شهداء على الناس التي غبطتها من الغبطة

وهي كما مر ود الانسان ان له من الخير مثل غيره من غير سلبه عنه

والحسد مع سلبه عنه بك لما أي حين أتيتها أي أرسلت اليها

الأنبياء فانهم وان كانوا من امتك بنص واذ أخذ الله

ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الاية ومر الكلام

عليها لكنهم ودوا أن يكونوا من اتباعك الذين بعثت فيهم

ليفوزوا بغاية الفخر كما فاز بذلك امتك الذين بعثت فيهم

فاطاعوك فان قلت كان القياس غبطتك بها الأنبياء

لانها افضل من اممهم بنص جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

اي ودوا ان يكون لهم مثلهم كما صرح به موسى عليه الصلاة والسلام

فيما يأتي قلت هذا وان كان هو القياس لكنه ارتكب

فيه القلب الذي هو من احد انواع البديع خشية أن يتوهم من

ذلك مدحه لنفسه لان مدح العام مدح لكل من أفراده فتأمله

ثم رأيت ما يدل للقياس المذكور وهو ما رواه ابو نعيم أيضا

ان الله تعالى لما ذكر لموسى عليه الصلاة والسلام صفات هذه الأمة

قال يا رب فاجعلني نبي تلك الأمة قال نبيها منها قال

فاجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت واستأخر

ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال • ولعلي نظرك اليها
لم نخف بعدك الضلال وفينا وارثوا هديك العلماء
لم نخف بعدك الضلال عما تركتنا عليه من الشريعة الواضحة
البيضا التي لا يزيغ عنها الا هالك والحالات فينا أعلام
الهدي وهم وارثوا هديك اي ما كنت عليه وأصحابك وهؤلا
هم العلماء الذين هم أهل السنة والجماعة وهم أتباع
أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي رضي الله عنهما •
وذلك كما أخبرتنا به بقولك في الاحاديث الصحيحة لا تزال
طايفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم
حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك • وهؤلاء هم أهل العلوم
الشرعية • والالهية من أهل السنة لأن الناس مع وجودهم
أمنون من كل محنة وضلالة دينية • وبقولك ايضا
العلماء ورثة الانبيا • ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لم يورثوا دينارا ولا درهما • وانما ورثوا العلم فمن أخذه
أخذه بحظ وافر صححه جماعة • وفي رواية زيادة تحبهم
أهل السما • وتستغفر لهم الحيتان في البحر • وفي أخرى
وانما العالم من عمل بعلمه • وفي أخرى اقرب الناس من درجة
النبوة أهل العلم والجهاد • وفي أخرى كاد حملة القران أن
يكونوا أنبيا الا انهم لا يوحى اليهم • وفي من حفظ القران
فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه • وروايه
أمتي كانبيا بني اسرايل لا أصل لها ولكن معناها صحيح لما تقرر

ان العلما

ان العلماء ورثة الانبيا • وقوله تعالى وورث سليمان داود
اي في العلم والحكمة والنبوة والرسالة • ومنه فهب لي
من لدنك وليا يرثني للخبر الصحيح انا نحن معاشر الانبيا •
لا نورث ما تركنا هو صدقة • واشار الناظم بما ذكره الى ان
الله تعالى خص هذه الامة في التوراة بخصايص لم يؤتها
لغيرهم تكرمة لنبيهم وزيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم •
منها كما في الحديث ابي نعيم ان موسى عليه الصلاة والسلام
لما راي مدح هذه الامة في التوراة قال يا رب أجد في الالواح
أمة هم الاخرون السابقون فاجعلهم أمتي • قال تلك امة أحمد
ثم ذكر ذلك مع أوصاف أخر • وكرر جوابه كذلك قال يا رب
فاجعلني من امة أحمد • فقال يا موسى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي الاية • فقال رضيت يا رب • وفي رواية
انه سال ربه هل في الامم اكرم عليك من أمتي فبين ان
فضل امة محمد صلى الله عليه وسلم على ساير امم الانبيا
كفضله تعالى على ساير خلقه • ومنها ان أحدا لا يدخل
الجنة قبلهم • ومنها الوضوء على الكيفية المخصوصة والتيمم
واباحة الغنايم • وان كل الارض تصح صلاتهم فيها وتجوز
جعلها مسجدا الا محل مسجد الضرار • ومجموع الصلوات الخمس
والتامين خلف الفاتحة كما صح به الخبر • والركوع لخبر به
رواه البزار والطبراني • ومن ثم قال جمع مفسرون ان
صلاة من قبلنا لا ركوع فيها • وفسروا اركعوا بصلوا

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه

عليهم الصلاة والسلام

وأركعي مع الراكعين بصلّ مع المصلين وأنّ صفوفهم في الصلاة
كصفوف الملائكة رواه مسلم والجمعة رواه البخاري وساعة
الاجابة في يومها ورمضان عند الجمهور والتشبيه في الآية
لمطلق الصوم وخبر انه كتب على من قبلنا في سنده
مجهول ونظر الله اليهم أوله وتزيين الجنة وخلوف
أفواههم أطيب من ريح المسك واستغفار الملائكة لهم
حين يفطروا وعموم المغفرة لهم آخر ليلة فيه رواه
البيهقي بسند لا باس به بلفظ أعطيت أمتي في شهر
رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي الحديث واستغفار
الحيتان لهم حين يفطروا رواه البزار والسحور وتأخيره
وتعجيل الفطر رواه الشيخان وإباحة الطعام والجماع
الى الفجر والاسترجاع عند المصيبة قاله سعيد بن جبير
ورفع أثقال التكليفات التي كانت على من قبلهم كتحتم
القصاص حتى في الخطا وقطع الأعضا الخاطية وموضع
النجاسة وقتل النفس في التوبة والمؤاخذة بالخطا والنسيان
وما استكرهوا عليه كما صح به الخبر وأنّ الله تعالى لم يجعل
عليهم في دينهم من حرج وأنّ الاسلام وصف خاص بهم
عند جماعة لكن الذي اعتمده ابن الصلاح وغيره خلافه
وأنّ شريعتهم أكمل من سائر الشرائع كما أنّ نبيهم صلى الله
عليه وسلم أكمل الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد
كان لموسى عليه الصلاة والسلام وشريعته من الجلال الصرف

أي يوم الجمعة

ضدّ ما كان لعيسى

ضدّ ما كان لعيسى عليه الصلاة والسلام وشريعته من كل وجه
وشريعتنا اعتدل فيها الأمران فسلمت عن شدة تلك
ولين هذه واعتدلت في جميع جزئياتها ومن شرفهم وهبه الله
لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير أمة أخرجت للناس وأعطاهم
مرتبة الشهادة على من سبقهم في القيامة فأقامهم مقام
الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الشهادة عليهم وكمل لهم من
المحاسن ما فرقه في الأمم وأنهم لا يجتمعون على ضلالة
كما في الحديث المشهور وأسانيده كثيرة وشواهده متعددة
من المرفوع وغيره وأنّ اجماعهم حجة واختلافهم رحمة
وفي حديث ضعيف منقطع اختلاف أصحابي لكم رحمة
وفي رواية اقتضى كلام الخطابي أنّ لها أصلا عنده وبه رد
زعم كثيرين من الائمة انه لا أصل لها اختلاف أمتي رحمة للناس
وأنّ الطاعون شهادة لهم وعذاب على غيرهم الخبر به رجاله
ثقات وأنهم حفظوا آثار رسولهم على قوانين علم الحديث
بما لم يوجد نظيره في أمة وأنّ منهم أقطابا وأوتادا
ونجبا وأبدالا كما جا في أحاديث في الابدال ونحوهم
وأنهم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب لاستغفار المؤمنين
لهم رواه الطبراني وغيره وأنهم أول من تنشق عنه
الارض رواه ابو نعيم ويميزون يوم القيمة بالغرة
والتحجيل من آثار الوضو رواه البخاري أي ينادون
بهذا الوصف ويكونون بهذه الصورة وتكون مع

نبيهم عليه الصلاة والسلام على كوم مشرف في الموقف يغبطهم فيه
جميع الامم رواه جماعة ويميزون بسيما السجود في وجوههم
قال ابن عباس رضي الله عنهما وهي بياض شديد وقال
شهر بن حوشب نور كالقمر ليلة البدر قال تعالى سيماهم في
وجوههم من اثر السجود الاية وقيل هذا في الدنيا وعليه
قال ابن عباس السمت الحسن او سمت الاسلام وخشوعه
وقيل الصفرة في الوجه من اثر السهر ويؤتون كتبهم بايمانهم
رواه احمد وغيره ويسعى نورهم بين ايديهم كما صح به
الخبر ويصل لهم ما سعي لهم من صوم وحج وصدقة ودعا
وقراة بل وكل عبادة عند كثيرين واية وان ليس للانسان
الا ما سعى منسوخة او في حق الكافر ويدخل منهم الجنة
سبعون الفا بغير حساب رواه الشيخان زاد الطبري
والبيهقي مع كل واحد منهم سبعون الفا فانقضت
آي الانبيا وآياتك في الناس ما لهن انقضاء
فبسبب ان في هذه الامة وارثي هديك المخصوصين
بهذه الخصائص التي لم توجد لغيرهم من الامم انقضت
آي الانبيا اي معجزاتهم لانتساخ شرايعهم بموتهم وارد من كان
من بعد موسى الى عيسى انما هو مرسل بكتاب موسى وآياتك
اي معجزاتك في الناس قبل وجودك ومعه وبعده وفاتك
ما لهن انقضاء فيه العكس نحو لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن ورد العجز على الصدر اما الاولان فقد مر منهما جملة

منها

صلى الله عليه

منها ما في كتب الله تعالى من ذكره ونعته وخروجه بارض العرب
وما جرى بين يدي ايام مولده ومبعثه من الامور العجيبة
المرهبة للكفر ولاهله والمؤيدة لشان العرب كقصة الفيل
وعقاب اهله وخمود نار فارس وسقوط شرافات ايوان كسرى
وغيض ما بحيرة ساوة وخمود نارهم وما سمع من الهواتف
الصارخة به صلى الله عليه وسلم وباوصافه وانتكاس الاصنام
المعبودة لولادته صلى الله عليه وسلم وتظليل الغمام له في
سفره الى غير ذلك مما ورد في الاخبار والى بعثته صلى الله
عليه وسلم مما هو تاسيس لنبوته صلى الله عليه وسلم وارهاص
لرسالته عليه الصلاة والسلام واما الاخير فكثير جدا اذ في
كل الخواص منه من خوارق العادات بسببه مما يدل على تعظيم
قدره الكريم ما لا يحصى كما قال والكرامات منهم معجزات
والكرامات الواقعة منهم اي الناس معجزات اذ كل منهما
امر خارق للعادة وانما يفترقان بالتحدي وعدمه لكنها في
الحقيقة معجزات لك حازها من نوالك اي عطايك وكرمك
الاولياء وكان القياس حازوها لكنه اظهر ليبين ان
مراده بمنهم العايد على الناس خواصهم وهم الاولياء جمع ولي
فعيل بمعنى فاعل لانه والى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فلم يخرج عن امرهما ونهيهما الى ما يغضبهما او مفعول
لان الله تعالى والاه بخوارق نعمه ورسوله صلى الله عليه وسلم
والاه بمزيد امداده وكرمه وضابط الولي انه المداوم

حازها من نوالك الاولياء

٢ نوالك

على فعل الطاعات واجتناب المعاصي المعرض عن الانهماك في
اللذات كذا قالوه ويتجه ان هذا ضابط للولي الكامل وان
أصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه صفات العدالة الباطنة
بالشروط المذكورة عند الفقها **ومن معجزاته** صلى الله عليه وسلم
المتكررة الدائمة ما يقع للمتوسلين به من خوارق العادات
بسببه ما لا يحصى أيضا هذا كله مع قطع النظر الى القران
الكريم فبالنظر اليه وانه معجزته الكبرى فغيبه من المعجزات
المتكررة بتكرار الأزمنة ما لا يحصى ايضا **واعلم**
انه صلى الله عليه وسلم كما فضله الله في المبدأ بان جعله
أول الانبيا خلقا واجابة يوم الست بربكم جعله
أول من تنشق عنه الأرض واول شافع وأول مشفع
وأول ناظر الى ربه واول من يقضي بين أمته وأولهم
إجازة بامته على الصراط داخلا الجنة وهم أول الامم
دخولا اليها **وزاده** من لطايف التحف ونفايس الطرف
ما لا يحد كبعثه راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود
وهو الشفاعة العظمى في فصل القضا وبلوا الحمد
الذي تحته آدم فمن دونه وبالسجود امام العرش وبفتح
عليه حينئذ بما لم يفتح عليه ولا على احد قبله ولا يفتح
ايضا على احد بعده والندا يا محمد ارفع راسك وقل
يسمع وسل تعط واشفع تشفع وقيامه صلى الله
عليه وسلم عن يمين العرش الذي لم يقمه مخلوق يغبطه

صلى الله عليه وسلم

فيه الأولون والآخرون وشهادته للانبيا عليهم الصلاة والسلام
على أممهم **تنبيه** علم مما تقرر ان الكرامة ظهور أمر
خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت
ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه فيما جاء به والا
فهي استدراج أو سحر واذلال كما وقع لمسيلمة الكذاب
لعنه الله تعالى انه جا أعور يدعو له فعميت عينه الصحيحة
ايضا وتسمى اهانة وقد يظهر الخارق على يد بعض عامي
تخلصا له من فتنة وتسمى معونة وأنكره جماعة محرومون
كاكثر المعتزلة وان وافقهم بعض منا لكن يتعين تاويل
كلامه لان جلالته تابى ان ترضى بهذا الدني الذي انتحلوه
جواز الكرامة او وقوعها وعليه قيل يمتنع كونها بقصد
واختيار لادائها الى السقوط عن مرتبة الولاية وقيل يمتنع
كونها من جنس معجزة نبي والا لالتبست بالمعجزة
وردهما الفخر الرازي رحمه الله تعالى بان المرضي جواز جميع
خوارق العادات في معرض الكرامات والمميز لها عن
المعجزة انما هو ادعا النبوة وكانه لم يرض قول جماعة
منهم القشيري لا تنتهي الى احيا ميت ولا الى وجود ولد
من غير أب **ومن تردد** بعموم قولهم ما جاز ان يكون
معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي وليس من شرط
المعجزة غير القران ان لا يمكن نظيرها بل ان يعجز المعارضون
عن نظيرها فمن ادلة الجواز ان الوقوع ممكن كالمعجزة

وقدرة الله تعالى شاملة لها ولا بدع ان الملك يصدق رسوله
بخرق بعض العادات ثم يفعل مثل ذلك ببعض اتباعه
اكراما له **ومن** ادلة الوقوع النص القاطع بما وقع لمريم
كلما دخل عليها زكريا المحراب الآية وفي ولادة عيسى عليه الصلاة [والسلام]
ولاصحاب الكهف ولوزير سليمان عليه الصلاة والسلام في عرش
بلقيس ونظائر ذلك وزعم انها ارهاص باطل على ان المعتزلة [له]
لا يقولون به سلمناه هو لا يمنع تسمية ذلك كرامة على يد من
ظهرت عليه والتواتر المعنوي وان كانت التفاصيل احادا
في كرامات الصحابة لاسيما ما وقع لعمر وعلي رضي الله تعالى عنهما
وتابعيهم ومن بعدهم الى زمننا بل ظهورها يكاد يلحق بظهور
معجزات الانبيا ولا عجب من انكار المبتدعة ذلك فانهم حرموا
مشاهدة شي منها من انفسهم ومشايخهم وكثرة ظهورها لا
تخرجها عن كونها خارقة خلافا لمن زعمه لانه يلزم منه ذلك
في المعجزة على ان الكثرة فيها لا تنافي قلتها بالنسبة للعادة
المستمرة وظهور الخارق على غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لا يخل بقدرهم بل يزيد في جلالة اقدارهم والرغبة في اتباعهم
حيث نالت اممهم واتباعهم مثل هذه الدرجة ببركة الاقتدا
بشريعتهم والاستقامة على طريقتهم ومما مر ان الخارق
لا يسمى كرامة الا ان ظهر على يد من مر بعلامات الكرامة لا تشتبه
بالسحر اصلا لانا ننظر لحال من ظهر الخارق على يديه فان توفرت
فيه شروط الولاية فذلك الخارق كرامة في حقه والا فهو سحر

او غيره

او غيره مما مر ذكره [بحجر] وزعم ان الساحر لا يمكن ان يقلب عينا كادمي
حمارا ولا يقلب طبيعة بخلاف الولي ليس في محله بل الخلاف
فيهما واحد فالجمع يستحيل عليهما ذلك وجمع يجوز في حقهما
ذلك وهو الاصح **واما** قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول الآية فالاستثنا فيه منقطع بدليل
فانه يسلك الخ بل بعيبه ان غيبه مفرد مضاف فهو للعموم
واستغراق النفي في هذا الكل فرد من المخلوقين اذ مدلول
العام كلية لا كلي ولا كل خلافا لمن وهم فيه فمحل الآية عليه
باق على حقيقته اذ الغيوب كلها لم يطلع الله تعالى عليها
احدا من خلقه وانما غاية من اطلعه منهم ان اطلعه
على جزئيات مخصوصة وبتقدير انه متصل وان المراد
انه لا يظهر على بعض غيبه الا الرسول فلا حجة لهم لان
القطع الضروري بوقوع الكرامات للانبيا عليهم الصلاة
والسلام والاوليا فلا يظهرهم على ذلك المخصوص
بل على غيره **واعلم** ان من الكفر الصريح ما حكي عن بعض
الكرامية ان الولي غير النبي قد يبلغ درجة النبوة وعن
بعض المتصوفة الجهلة ان الولاية فوق رتبة النبوة
وان الولي قد يبلغ حاله يسقط عنه فيها التكليف
قال الغزالي رحمه الله تعالى وقتل الواحد من هولا خير من قتل
مائة كافر لان ضرر اوليك في الدين اشد وليس من اوليك
العارفان العالمان المحققان الوليان الكبيران المحيوي [ابن عربي والسراج عمر بن الفارض] [محيي الدين]

وَاتباعهما نحو خلافا لمن زل فيهم قدمه وطغى قلمه الا أن
يكون اراد بما قاله الذب عن اعتقاد ظواهر عباراتهم المبادرة
عند من لا يحيط باصطلاحهم إن من معجزاتك العجز عن
ان تاكيد لقوله ماهن انقضا من معجزاتك الباهرة العجز
من سائر الناس عن وصفك مفرد مضاف فهو للعموم اي عن
الاحاطة بكل فرد فرد من أوصافك التى اختصك الله بها
إذ لا يحده أي الوصف المذكور الاحصاء أي العد
كيف يستوعب الكلام سجاياك وهل تنزح البحار الركا
كيف يستوعب الكلام الصادر من واصفيك سجاياك
أي ما فيك من الاخلاق الكريمة والفضايل والاوصاف
البالغة اقصى ما يمكن البشر الرقى اليه وهي لا حد لها
باعتبار انك لا تزال تترقى في مراتب القرب فى الحياة
وبعد الممات وفي الموقف وفى الجنة الى ما لا نهاية له ولا انقضا
وهل تنزح البحار المشبهة أوصافك بها فى ان تلك
قيام الوجود الحسي فهذه قيام الوجود المعنوى لما انه
صلى الله عليه وسلم روح الكون والخليفة الاكبر عن الله تعالى
فى امداده الركا المشبه بها الالفاظ فى ان كلما يتوصل
به الى حيازه بعض المطلوب دون انتهايه وهذا
تذييل مبين لما اشتمل عليه من الاستعارتين المصرحتين
المرشح لهما بذكر النزح ان أوصافه صلى الله عليه وسلم
لو غير عنها من اول الزمان الى اخره لا تحد ولا تحصى ومما

يزيد ذلك

ومما يزيد ذلك بيانا وايضاحا انه ليس من غاية لوصفك ابغيها و
ليس من غاية لوصفك أي أوصافك حتى توجد حتى ابى
ابغيها أي أطلبها وللقول ايمنى غاية لما تقرر ان ذلك
الرقي لا نهاية له اذ لا مطمع فى الاطلاع عليه وبفرضه لا يحده
العبارة بخلاف القول عنه فانه محدود متناه وبهذا
أعني قولي منى أولا ومنه ثانيا مع ما تقرر يندفع ما اشار
اليه الشارح من إشكال فى ذلك وانتهاء تاكيد
والفرق بين الغاية والنهاية اعتبارى ومما يزيده
بيانا وايضاحا أن تقول إنما فضلك الزمان وآياتك فيما نعد الآنا
إنما فضلك أي فضايلك الزمان أى يشبهه من حيث
الاجمال فيهما اما بالنسبة الى التفصيل فجزئيات كل كجزئيات
الاجزاء وآياتك اى معجزاتك وخصايصك فيما نعده
وتحسبه الآنا جمع انا كمعا وامعا كذا ذكره الشارح
والذي فى القاموس والانى ويكسر والانو بالكسر الوقت
والساعة من الليل أو ساعة ما منه والانا كالى وعلى كل
النهار انتهى والمراد هنا مطلق الساعات واللحظات
فكما ان هذه لا تحد فكذلك تلك هذا ولا تظن انى
باطالتي فى هذه القصيدة معددا أوصافه صلى الله
عليه وسلم خالف ما قدمته انها لا تعد لانى لم أطل فى تعداد
لم أطل فى تعداد مدحك فيها نطقي والحال ان مرادي
بذلك استقصا أي حصر لاوصافه وان مرادي بذلك

برد الغليل وشفا العليل كما افاده قوله المشتمل على اداة الاستثناء
الذي هو منقطع هنا غير اني ظمآن وجد وما لي بقليل من الورود ارتواء
غير اني لمراد الحصر لكني ظمآن وجد اي بي من شدة شوقي
لسماع تلك الاوصاف غاية الظما والتعطش للارتوا من
سماعها وما اي ليس يحصل لي بقليل من الما الذي اشربه حال
الورود منه ارتوا بما بي من العطش فاطالتي في التعداد
لطلب مزيد الارتوا من سماع تلك الاوصاف لا لطلب حصر
لتعذره وفي كلامه استعارة مصرحة لانه شبه شغفه
بتلك الايات وذكر افضل الصفات بظما شديد لا يرويه
الا الما الكثير ورشح لذلك بذكر الورود والارتواء
فسلام عليك تترى من الله وتبقى به لك البأواء
فبسبب حصول الارتوا الي من تلك الاطالة اختمها
بما هو المتعين من الدعا لك بالصلاة والسلام امتثالا
لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما فاقول سلام عظيم
شريف اي سلامة من كل افة ونقص كائنة عليك تترى
اي يتكرر ويتبع بعضه بعضا دائما وفي القاموس تترى يترى
كرمى تراخى واترى عمل اعمالا متواترة بين كل عملين فترة انتهى
وقد يشكل على استعمال الناظم تترى هنا مرادا به ما ذكر
الا ان يجاب بانه اراد اصل المعنى وهو مطلق التتابع
من غير اعتبار تراخ ولا فترة بقرينة المقام وقد تخرج
البليغ عن المعنى اللغوي وما هو اخص او اعم منه للضرورة

مع الاستغنا

مع الاستغنا يفهم ذلك الخصوص او العموم منه بقرينة المقام والسياق
فتامله من الله وتبقى به اي بسببه على عدد الازمنة الى فنائها
وما بعد ذلك مما لا منتهى لاخره لك البأواء اي الفخر لان
تسليم امتك عليك مع التكرار والدوام زيادة في شرفك وفخرك
وسلام عليك منك فما غيرك منه لك السلام كفاء
وانما ذكرت سلام الله عليك ابتداء مبادرة الى اشرفيته
وسلامك ثانيا لانك في الحقيقة لا يكافيك من سلام الخلق
غير سلامك على نفسك فحينئذ سلام عليك منك فما اي ليس
غيرك من المخلوقين منه متعلق بالسلام لك متعلق بكفا
السلام ولك بمعنى عليك كفاء اي مكافي لحضرتك من المكافاة
وهي المساواة اذ كيف يساويك سلام من هو دونك
ولم يحط بفضائلك ومع ذلك لا يطلب من غيرك عدم
السلام عليك بل يطلب من كل احد السلام وان لم يكافيك
سلامه في ثم قال وسلام عليك من كل ما خلق الله يحيي بذكرك الاملاء
وسلام عليك من كل ما خلق الله من كل ناطق وجامد
وفي نسخة من فالاولى غلبت غير العاقل لكثرته والثانية
غلبت العاقل لشرفه على حد ولله يسجد من في السموات وما
في السموات وانما جيء بهذا العموم يحيي بذكرك الاملاء
جمع ملا وهو الجماعة وبالغ الناظم حيث طلب السلام
عليه صلى الله عليه وسلم من ربه ثم من نفسه ثم من سائر
المخلوقات ليجتمع له صلى الله عليه وسلم سائر وجوه السلامة

فيه وفي شريعته وأمته وجميع اثاره ولأجل هذا العموم الذي يوجد
السلام دون الصلاة خصه بالذكر وقد ذكروا كما ذكرته في
كتابي الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم الذي لم يصنف في هذا
الباب مثله في ايثار الزاير للسلام وتكرره دون الصلاة ما يوخذ
منه ما ذكرته فتامله وصلاة كالمسك تحمله مني شمال اليك
وصلاة وهي من الله الرحمة المقرونة بالتعظيم اي من الله تعالى
ومنك ومن كل مخلوق نظير ما مر في السلام كالمسك في الطيب والنفع
البالغ تحمله اي ذلك المسك الذي هو عين صلاتي مني شمال وهي
التي تهب من جهة القطب الي المغرب اليك حتى يتعطر الوجود بعبيره
وتحيى الارواح بنشره ومسيره او نكباء وهي الصبا وتهب
من سهيل الى القطب والجنوب وتسمى الازيب وهي التي تهب
من سهيل الي المغرب والدبور وهي التي تهب من المغرب سميت
بذلك لانها تهب من ظهر الكعبة والحاصل ان الريح
اذا هبت من تجاه الكعبة فالصبا وهي حارة يابسة او
من ورايها فالدبور وهي باردة رطبة او من يمينها فالجنوب
وهي حارة رطبة او من شمالها فالشمال وهي ريح الجنة
التي تهب عليهم رواه مسلم وهذه الخصوصية للشمال
بدا لها الناظم وسلام على ضريحك تخضل به منه تربة وعساء
وسلام على ضريحك اي قبرك المكرم وهو افضل حتى من
الكعبة بل ومن العرش وكون المراد من الضريح هنا البقعة
التي ضمت اعضاه الشريفة لم يكن في ايراد السلام هنا كراهة

لانه عين السلام عليه الذي ضم اليه الصلاة فيما مر تخضل بمعجمتين
اي تبتل به منه اي القبر المكرم تربة وعساء اي لينة ذات رمل
شبه السلام بالما الكثير الطيب البارد البالغ في النفع فهو استعارة
مصرحة وخيل له بذكر تخضل وثنا قدمت بين يدي نجواي اذا لم يكن لدي ثراء
وثنا في هذه القصيدة قدمته بين يدي نجواي اي سوالي
منك بلوغ المامول الواقع في هذه القصيدة بقولي جد لعاصي الخ
وفي غيرها اذا اي لاجل ان لم يكن لدي اي عندي ثرا بالمثلثة اي مال
أتصدق به امتثالا لقوله تعالى اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة اذ الامر فيها كان للوجوب ثم نسخ
بما بعدها وهو أاشفقتم الاية وجا انه لم يعمل بها قبل
النسخ من تقديم الصدقة بين يدي النجوى غير علي كرم الله وجهه
ولا يلزم من نسخ الوجوب نسخ الندب ولذا يسن لمن يريد زيارته
ان يقدم بين يدي زيارته صلى الله عليه وسلم صدقة والناظم
رحمه الله ظاهر كلامه انه كان يعتقد بقا الندب فاعتذر بانه
لا مال له يتصدق به بين يدي سواله وانه جعل حسن توسله
وثنايه بدل المال تنبيه تفسير لدي بعند لانها مثلها في
أكثر أحكامها من كونها ظرف مكان تستعمل في الحضور والقرب
الحسيين والمعنويين نحو عند مليك مقتدر عند ربهم ان الله
كتب كتابا هو عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت غضبي ولا تستعمل
وغير ذلك فلا بنا في ذلك انها قد تفارقها في كثرة جر عند بمن
خاصة وامتناع جر لدي مطلقا وفي ان عند تكون ظرفا للاعيان

والمعاني وتستعمل في الحاضر والغايب بخلاف لدي فيهما وتفارق
عند ولدي لدن في أن ذينك يصلحان في ابتداء غاية وغيرها
ويكونان فضلة نحو وعندنا كتاب حفيظ ويعربان بخلافهما
في لغة الاكثرين وجوز لدن الكثير من نصبها وقد لا تضاف
وقد تضاف للجملة بخلافهما **قال** الراغب لدن اخص من عند
وابلغ لانها تدل على ابتدا نهاية الفعل **ما اقام الصلاة**
من عبد الله وقامت بربها الاشيا ما مصدرية
ظرفية **اقام الصلاة** اللغوية والشرعية **من عبد الله**
وابد بهذا مع انقطاعه استغناء عنه بما بعده على انا
لا نسلم انقطاعه لان اهل الجنة يدعون ويتعبدون
كما علم من احاديث اقرا وارق وغيرها لكن للتلذذ
لا للتكليف ولا يضر في ذلك التابيد انقطاعه مدة
يسيرة للخبر الصحيح لا تقوم الساعة وعلى وجه الارض
من يقول الله الله ولا ينافيه الخبر الصحيح لا تزال طايفة
من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم الى ان تقوم
الساعة لان المراد قرب قيامها لما جا ان الله قبيلها
يرسل ريحا لينة فلا تمر على مومن ولا مومنة الا امانت
ثم تمحض الكفرة فلا يبقى على وجه الارض مومن ثم تقوم الساعة
وما قامت اي بقيت على ابلغ نظام واتقن احكام
بربها اي بايجاده وامداده **الاشيا** اي الموجودات
في الدنيا والاخرة وابدها بالاول مع انقطاعه يعني

هذه الدار



٢٨٦

هذه الدار لما مر وللتبرك بذكر المتعبد بين اخر كلامه وبالثاني
الذي لا ينقطع لدوام نعيم الجنة وعذاب النار ليجمع بين شرف
الاول ودوام الثاني مع الاشارة الى الختم بذكر الرب
سبحانه وتعالى الى استفتاح ابواب تربيته واستمناح
مواهب لطفه وهباته **جعلنا الله ممن حقق**
له حقايق قربه وامداده واسعافه واسعاده وامننا
من كل فتنة ومحنة مسبغا علينا رضاه متفضلا بكل ما
نتمناه انه هو الجواد الكريم الرووف الرحيم **سبحان**
ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله

رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك افضل صلاة وافضل سلام وافضل
بركة على افضل الخلق سيدنا محمد واله وصحبه عدد
معلوماتك ابدا وعلينا معهم كلما ذكرك الذاكرون وكلما
غفل عن ذكرك الغافلون امين امين امين
وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة
منتصف شهر شعبان المبارك من شهور سنة اربعين والف
على يد افقر عباد الله المومنين العبد المذنب الفاني علي بن عمر الشنو
يسال الله الكريم ان يغفر ذنوبه ويرحمه ويفعل ذلك باخوانه
المومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات ويستر من راى عيبا
فستره ثم اصلحه لي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
ورضي الله تعالى عن كل الصحابة اجمعين



بلغ مقابلة من أوله إلى آخره من نسخة مقروءة على مولانا العلامة الشيخ
عبد الله الدنوشري رحمه الله ورحمنا والمسلمين وختم لنا الله بالخير
انه على ذلك قدير وبالاجابة جدير وذلك حسبنا

